السيد محمد حسين فضل الله

الحركة الإسلامية..

هموم وقضايا

دار الملاك

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الرابعة

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م.

بيروت - لبنان - حارة حريك - قرب مستشفى الساحل - هاتف: ٠٣/٧٥٥٢٠٠ - ٠١/٨٢١٣٩٢ - فاكس: ٠١/٣١٤٨٢٤

ص.ب ١٥٨/ ٢٥ الغبيري - Int: www. dar - almalak. com. / Email: dam @ dar - almalak. com

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد

لا تزال الحركة الإسلامية تعيش الصراع الحادّ مع القوى الكافرة والضالّة والمستكبرة باعتبارها الحركة المنفتحة على الإسلام الحركي في خط العقيدة التوحيدية، والرسالية المتحركة، والمنهج الشامل، والإنسانية الباحثة في كل مرحلة عن آفاق الإبداع الفكري والروحي والعملي من أجل أن ترتفع بالحياة إلى رحاب الله والمواجهة المتحدية التي تطلق التحدي فكراً وحركةً وعمقاً وامتداداً، وتردّ التحدي بمثله، فليست ردّ فعل لحركة الآخر بل هي فعلٌ في وعي الإنسان وفي قلبه وروحه وحياته كلها.

وهكذا بدأنا نلاحظ كيف أطلق الاستكبار في الداخل والخارج الكفر الثقافي، والضغط الإعلامي، والحصار السياسي، والحرب الاقتصادية، من أجل أن يخنق الصحوة الإسلامية في عيون المسلمين ويعطّل مسيرة الإسلام الحركي بمختلف وسائله، بحيث استطاع أن يحاصرها من مواقع إسلامية ثقافية وسياسية، على أساس إطلاق المفاهيم الضبابية الغائمة في حديثه عن الرفق والعنف، والاعتدال والتطرف، والمثالية والواقعية، وعن السلبية في علاقة الدين بالسياسة وارتباط المسجد بالواقع.

وبدأت الحملة العدوانية المتعددة الجوانب والأبعاد تضغط على الحركيين من المسلمين في أكثر من بلد إسلامي تحت عنوان الحرب على الأصولية الإسلامية، باعتبارها حركة عنف في الوسائل والأهداف ونهجاً فكرياً وسياسياً ينطلق من إلغاء الآخر. حتى أنّ الديمقراطية التي يتحدّث عنها الاستكبار العالمي، والعلمانيون المثقفون كمنهج يحترم إنسانية الإنسان كخيارٍ وحيدٍ للحضارة والتقدّم والإبداع، حتى ان هذه الديمقراطية لا تمثّل لدى هؤلاء شيئاً إذا وصل الإسلاميون، من خلالها، إلى الثقة الشعبية الكبيرة التي تتحرّك بهم للوصول إلى حكم الإسلام، فبدأوا يتحدثون عن الديمقراطية التي تلغي الديمقراطية باعتبار أن الخيار الإسلامي يرفض الحريات ويقف ضد التعددية الفكرية والسياسية، تماماً، كما لو كانت الديمقراطية مسألة إطار ومضمون، لا مجرد إطار يفسح المجال لأيّ مضمون ينطلق به الاختيار الشعبي.

لقد بدأت الحملة ضد الإسلام الشعبي على أساس أن هذا الاستفتاء لا قيمة له إذا كانت نتائجه في غير مصلحة المستكبرين والعلمانيين حتى أننا رأينا تحالفاً بين القوى المستكبرة والقوى العلمانية التقدمية التي كانت شعاراتها السياسية تواجه الاستكبار، وكانت تتهم الإسلاميين بالوقوف مع الاستكبار العالمي في حركتهم السياسية حتى إذا وقف هؤلاء في مواجهة الاستكبار وانطلقوا في حركة المطالبة بالحرية والعدالة حسب مفهومهم ا لثقافي تحوّلوا إلى مواجهتهم، لأن المسألة أن هؤلاء لا يريدون الإسلام الرجعي ـ كما كانوا يعتبرون ـ

ولا يريدون الإسلام المتحرك في خط الحرية والعدالة، لأنهم لا يؤمنون بالتعددية الفكرية والسياسية إذا كانت نتائجها الإيجابية في الدائرة الإسلامية، ويريدونها إذا كانت في دائرتهم.

إن الواقع الذي يعيشه الإسلام الحركي في مواجهة القوى العالمية المضادة في المواقع الفكرية والسياسية والأمنية، من خلال المعارك الجديدة المفتوحة على أكثر من جانب، والمتحركة مع أكثر من عاصفة ـ يفرض علينا ـ كإسلاميين حركيين، أن نواجه قضايا الحركة الإسلامية في تصويب حركتها، وتثبيت مواقعها، وتأصيل مفاهيمها وإثارة الحوار مع كل الذين يريدون الحوار في الداخل والخارج والنفاذ إلى كل الثغرات المفتوحة في جدار الاستكبار العالمي والتأكيد على دلالات المصطلحات في القاموس السياسي الإعلامي لأن بعض المصطلحات تعني في اللغة العربية مفهوماً إيجابياً ولكنها تعني في المصطلح الغربي مفهوماً سلبياً كما نلاحظه في كلمة الأصولية التي توحي ـ في اللغة العربية ـ الحركة التي تنطلق من الأصول والجذور في منطلقات الفكرة بينما توحي في المفهوم الغربي حركة العنف والإلغاء في مواجهة الآخر، مما لا يتناسب مع خط المسلمين الحركيين الذين ينطلقون من الكلمة السواء ويتحركون في الساحة من أجل الدفع بالتي هي أحسن، والجدال بالتي هي أحسن، وقول التي هي أحسن، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والبحث عن اللقاء في مواقع الحوار حتى يحوّلوا أعداءهم إلى أصدقاء.

إن على الإسلاميين أن يفكّروا في هذه المرحلة التي يواجهون فيها حرباً عالمية ثقافية وسياسية وأمنية واقتصادية أن ينطلقوا في حركة نقدٍ للذات حتى لا يسقطوا تحت تأثير أخطائهم، وفي حركة وعيٍ للواقع حتى لا يقعوا في خطأ الحسابات للأعداء والأصدقاء والقضايا السياسية المتحرّكة في ساحة الصراع وفي عودةٍ إلى أصالة المفاهيم الإسلامية بعيداً عن مفاهيم التخلّف والجهل التي علقت بالإسلام من خلال العصور المظلمة.

وفي ضوء ذلك، ربما كنت أجد في هذا الكتاب حاجةً في هذه المرحلة، كما كان حاجةً في المرحلة التي كتبت فيها أبحاثه آملاً أن ينطلق الإسلام معه في عملية فكر وحوار ونقدٍ لأن الحركة الإسلامية تحتاج إلى أكثر من إثارة فكرية وعملية لأن ذلك هو الذي يكشف لها معالم الطريق، ويحدد لها اتجاهات الريح، ويثبت لها مواقع أقدامها في المسيرة الطويلة ويمنحها الثبات في حالات الاهتزاز ويمنعها من الانحراف ويبقى معها في الخط المستقيم.

والله أسأل أن ينفعني به ويحرك به بعض ما تحتاجه المسيرة من فكر ووعي وانطلاق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

٢٣ شوال ـ ١٤١٣ هـ

محمد حسين فضل الله

تقديم

﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد . . . .

هذه كلمات لم تكتب في وقت واحدٍ، ولم تنطلق من فكرٍ تجريديٍّ ولكنها كُتبت في أوقات متلاحقة، ومن موقع الحركية الاسلامية في صعيد الواقع الذي عاشته الحركة الإسلامية في طبيعتها الذاتية، وفي الأجواء المحيطة بها، وفي التحديات الصعبة التي تواجهها، على مستوى الشكل والمضمون.

وقد تكون قيمتها ـ فيما تعالجه من قضايا ـ أنّها كانت تتحرك من خلال المشاكل التي أثارتها التعقيدات الفكرية والعملية التي عاشت في ساحة الحركة الإسلامية في مواقع الصراع الداخلي في اتجاهاتها المتنوعة، وفي مواقع الصراع الخارجي في الاتجاهات غير الاسلامية من تياراتٍ وقوى وأحزاب.

فقد نلاحظ أنّ الإسلاميين الحركيّين لم ينفتحوا على الكثير من التحديات الصعبة من منطلق الواقع ليواجهوها بطريقةٍ واقعيةٍ، بل انفتحوا عليها من منطلق الأفكار العامة الكلية، من منطلق المثال، إنطلاقاً من المفاهيم الأخلاقية التي كانوا يختزنونها في وعيهم الفكري الاسلامي، من دون التوقف عند التحفظات والاستثناءات، مما جعل القيمة الأخلاقية أو الروحية الاسلامية تمثل حاجزاً بين الاسلام وبين الانطلاق بعيداً في مواقع الصراع، لأنه لا يملك الوسيلة الضاغطة على تلك المواقع، المتناسبة

مع المبادىء العامة التي تحكم ذهنية المسلم الحركي في أخلاقيّاته وروحيّاته . . وهذا هو الذي جعل من عنوان الواقعية والمثالية في العمل الحركي الاسلامي عنواناً حيّاً يحتاج إلى إثارة البحث حوله من أجل تحديد آفاق الحلال والحرام في حركة الانسان في الواقع ، لتكون له الحرية في ممارسة دوره في خط المواجهة مع الآخرين بالطريقة التي لا يبتعد بها عن خط الاسلام الذي يلتزمه في حركته .

وقد تتحرك المسألة الحركية في الاسلام ، في التزاماتها الفكرية أو الشرعية أو العملية ، من خلال مضمون معيّنٍ بالأوضاع المألوفة في العرف الاجتماعي أو في المرحلة السياسية ، مما يجعل الطابع الذي تأخذه في ميزان التقويم السياسي ، يمثّل طابع التطرف الذي قد لا يستطيع الثبات في صعيد الواقع لأنه لا يتناسب مع الأجواء المسيطرة على الساحة كلها ، بينما يمثل الانسجام مع خصائص الواقع وعناصره الطبيعية لوناً من ألوان الاعتدال الذي تتوازن فيه الأوضاع والخطوات والمواقف ، وتملك ـ من خلال ذلك ـ الكثير من فرص البقاء والامتداد ، وهذا هو الذي جعل من الحديث عن الحركة الاسلامية بين التطرف والاعتدال حديثاً مهمّاً في سلامة الموقف في الواقع الاسلامي الحركي .

أمّا الحديث عن السرية والعلنية ، فهو حديثٌ عن الظروف الموضوعية التي تفرض العمل السري تارةً ، كما تسمح بالعمل العلني أخرى ليكون الاسلوبان في العمل الحركي منسجمين مع الطبيعة الشرعية لهذا الأسلوب أو ذاك في الخط الاسلامي العملي ، من دون أن تمثّل السرية في ظروفها أيّة سلبيةٍ في الموقف والحركة والمنهج .

ويبقى للحديث عن الانفتاح والانغلاق في علاقة الاسلاميين بغيرهم الأهمية الكبرى في الحركة الاسلامية ، التي يحاول الحديث أن يؤكّد على الانفتاح على كل الآخرين في نطاق المصلحة الاسلامية العليا ، كخيارٍ وحيدٍ لحيويّة الانطلاق نحو الحياة من الباب الواسع ، لأنّ الإنغلاق لا يحمي حركةً بل يحوّلها الى سجنٍ لأصحابها ولأهدافها التي لا تملك الوصول الى مواقعها الطبيعية .

وهكذا يمتد الحديث في موضوع الإيجابية والسلبية في الحركة الاسلامية ، فقد يفهم بعض الناس في حركة الاسلام في الحياة أنّ الرفض هوالطابع العام للتحرك الاسلامي أمام القضايا المطروحة من الآخرين على مستوى الواقع الموضوعي الخاضع في عناصره لتياراتٍ بعيدةٍ عن الاسلام . . مما يفرض على الباحثين الاسلاميين أن يعالجوا هذا

الموضوع بطريقةٍ تجد في الإيجابية بشكلٍ متحركٍ أسلوباً لا يبتعد عن الاسلام.

وقد يلتقي العاملون من أجل الاسلام بالمشكلة المذهبية التي تمثل عنوان التنوّع والاختلاف في المسألة الفكرية والفقهية في الاسلام فكيف تنطلق الدولة على شاكلتها؟ هل هي صورة هذا المذهب أو ذاك؟ وكيف تضمن حقوق أهل المذاهب الأخرى إذا ارتكزت الدولة الاسلامية على قاعدة مذهبية معينة.. وهذا هو الموضوع الذي أثاره عنوان «الدولة الاسلامية بين الاسلامية والمذهبية».

وإذا كانت الوطنية هي العنوان الكبير الذي تمثله الدولة التي يختلف فيها انتماء الناس الفكري والديني والقومي معها من خلال وجهة نظر معينة لا تبتعد في عناصرها الحية عن المفهوم الاسلامي في الدوائر المتنوعة التي تحكم حياة الانسان في الواقع؟

وهذا ما أثارته مسألة الوطنية في وجهة نظر اسلامية.

وتأتي مسألة الحزبية والتنظيم كأسلوب للعمل السياسي المرتكز على قاعدة فكرية معينة في مواجهة فكرة حزب الله والمرجعية.

وهنا يبرز السؤال

كيف نعالج الواقع الاسلامي بين خط المرجعية وخط التنظيم ومن الذي يتولى عملية التغيير حزب الأمة أو حزب الله الذي يصطلح عليه بكلمة أمّة حزب الله.

فقد نشأ هناك صراعٌ فكريٌ وسياسيٌّ بين هذين الاسلوبين في العمل.

وهذا ما عالجته فصول متعددة في هذه التأملات.. وهناك مسائل أخرى فرعية فيما هو عنوان العمل الاسلامي أمام العناوين الأخرى العامة، وما إلى ذلك مما تفرضه طبيعة الظروف المتنوعة والمتغيرات المتحركة في العمل الاسلامي السياسي في أساليبه وعناوينه وأخلاقياته وجذوره.

ولا يزال الكثير من علامات الاستفهام التي تفرضها طبيعة التطور التي يتحرك فيها العمل السياسي في منطق الثورة ومنطق الدولة، وقضية الرفق والعنف، والارهاب والمقاطعة السياسية أو الاقتصادية وغير ذلك مما يحتاج الى تفكير وتنظير وبحث وتدقيق بشكل تفصيلي، لأن كثيراً من هذه المسائل لم يقع مورداً للبحث، مما أدّى الى ضياع الأوضاع الاسلامية بين هذا المنهج أو ذاك، لأن فقدان النظرية الاسلامية في

بعض هذه الأمور، أدّى الى الأخذ بنظريات الآخرين في الأسلوب والمنهج، فكان ذلك سبباً في انطلاقه بعض الحركات الاسلامية بأساليب كافرة أو ضالّةٍ.

لقد حاولت أن أكون موضوعيّاً فيما كتبت، بالرغم من أنّ الظروف التي كتبت فيها هذه الكلمات كانت عاصفةً تنطلق في أجواء الرياح العاتية والزلازل الرهيبة، وقد أثارت بعض هذه الموضوعات الكثير من الجدل والتهويل ممّا اعتادته الساحة الاسلامية في الأفكار غير المألوفة التي تثير المشاعر والحساسيات الانفعالية.

ونحن لا نزال نرجو من الباحثين المزيد من النقد الموضوعي والمناقشة العملية الهادئة لأن ذلك هو السبيل الى بلورة هذه الموضوعات، وتأصيل هذه الأفكار التي كان عنوانها الكبير تأملات في مسيرة العمل والعاملين لتتحول في هذا الكتاب الى «الحركة الإسلامية. . . هموم وقضايا» راجياً أن أجد لدى اخواني المزيد من التأملات الناقدة، والأبحاث الجديدة ولعل قيمة هذه التأملات أنها تصلح أن تكون عنصراً من عناصر الإثارة الفكرية التي تخطط للمنهج الفكري الذي يحاول إبداع نهج لحركةٍ إسلاميةٍ جديدةٍ تعمل بكل قوّةٍ ووعيٍ وتدقيقٍ من أجل أن يكون الاسلام قاعدة للفكر والعاطفة والحياة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد حسين فضل الله

بيروت

١٠ جمادي الثانية ـ ١٤١٠

كيف نواجه قضية التغيير في الأمة
في مواجهة تحديات القوى المضادة: = أ =

* أسلوب الهدوء والمرحلة
لبناء القاعدة الشعبيةأم أسلوب
التحدي والتوتر الروحي والفكري؟

* الهدوء والمرحلية
مرونة وتحد مخطط وحماية للقضية .

* التحدي و إثارة التوتر
يوحي للأمة بالأصالة وينقلها إلى الأمام .

*الأسلوب التقليدي
في المواجهة : الهدوء والمرحلية .

كيف يمكن أن يواجه العاملون للإسلام قضية التغيير في حياة الأمة؟

وكيف يتحركون أمام التحديات الصعبة، المتمثلة في القوى المضادة، التي تمارس مختلف الضغوط المادية والمعنوية ضد عملية التغيير؟

الأسلوب التقليدي في المواجهة: الهدوء والمرحلية

هل يواجهون ذلك بالأساليب التقليدية المألوفة، التي ترتكز على أساس سياسة النفس الطويل، فيما تتحرك به من خطوات عملية، لتربية الأفراد والجماعات، من أجل القاعدة الشعبية الصلبة، في هدوء وسلام، ليتسنى للعاملين تعميق المفاهيم والأفكار الأصيلة في ذهنية الأمة، فتواجه التحديات من مواقع العمق والقوة، لا من مواقع الضعف والسطحية، وبذلك فإن العنف لا يساعد على الوصول إلى النتائج السليمة المطلوبة، لأنه يشغل الساحة عن عملية البناء الذاتي التغييري، ويعطل عملية النمو، فيما يثيره من أجواء الحماس والإنفعال، التي تعمل على إثارة العواطف، بدلاً من إثارة الأفكار. . هذا أولاً. .

أمّا ثانياً: فلأنه يعرض الحركة للإهتزاز، وهي لا تزال في طور النمو، ويجعلها في موقع الخطر، فيما تواجهه من القوى المضادة، التي ستحاول الضرب بقسوة، للتخلص من الحركة بسرعة، قبل أن تستكمل قوتها، وتتحول إلى خطر محقق على الواقع الخاضع لتوجيه تلك القوى، بينما تبتعد الأساليب الهادئة، بالساحة عن خط المواجهة، في عملية إيحائية مرنة، بأنها لا تمثل خطراً كبيراً على حركة الواقع المضاد. . مما يبعد عنها مواقف التحدي في أولويات الصراع لدى القوى المضادة.

ربما يفكر بعض العاملين بذلك، وقد يعتبرها البعض منهم خاضعة لأسلوب المراحل في عملية التغيير. . فيما يقرره من تقدم المرحلة الفكرية على المرحلة السياسية والجهادية، مما يجعل من مسألة التحرك الهادىء، مسألة تتصل بالمنهج العملي في خط السير، وقد يستوحي البعض هذا الإتجاه المسالم، الذي يبعد الحركة عن الأضواء، من

الأحاديث التي تؤكد على «التقية»، في أجواء الحكم الجائر، كوسيلة واقعية من وسائل حماية الفكرة وسلامة العمل، وقد يتطرف هؤلاء فيؤكدون على تحريم أية خطوة، تؤدي إلى إزهاق النفوس، مهما كانت النتائج، ومهما كانت المبررات التي تفرض ذلك، لأن قضية الدماء مما ينبغي للإنسان أن يحتاط فيها لأنها ترقى إلى مستوى الأهمية الكبيرة عند الله. . وهكذا يحاول هؤلاء، أن يبتعدوا بالساحة عن خط المواجهة، لتظل بعيدة عن أجواء التحديات، فلا تخيف أحداً ولا تخاف من أحد. . ليتم لها ممارسة عاداتها بهدوء، والقاء مواعظها بسلام.

أسلوب التحدي وإثارة التوتر الروحي والفكري

ولكن هناك وجهة نظر أخرى، تؤكد على مواجهة الموقف، بأسلوب التحدي الذي يحرك القضية، في هذا الإتجاه من ناحية المبدأ، ويحاول أن يدخل دائماً في عملية موازنة بين الظروف الموضوعية المتوافرة في الساحة، وبين النتائج السلبية والإيجابية للحركة في خط المواجهة، ويرى أصحاب هذه النظرة، في هذا الموقف، عنصراً حياً من عناصر استمرار البقاء للإسلام، في حياة الناس من الداخل والخارج، لأنه يثير في الساحة حالة التوتر الروحي والفكري، التي تجعل الإنسان مشدوداً إلى الهدف، في شعور حي بالمسؤولية المتحركة، في أكثر من اتجاه، وفي قلق إيجابي متوتر، يرصد خلفيات الواقع، بنفس القوة التي يرصد فيها ظواهره. . لأنه يعيش الإحساس بالخطر، فيما يكمن في خفايا الأشياء، كما يعيشه فيما يواجهه من أخطار حقيقية بارزة، وبذلك تتحول طاقاته إلى حركة دائمة، تتحرك في كل الإتجاهات، لتثير فيه الوعي والحركة والتجدد والعمق والإمتداد، لأن حالة الإسترخاء، تحوّل الإنسان إلى طاقة كسولة باردة، لا توحي له بشيء، إلا بالمزيد من الجمود، الباحث أبداً عن الأعذار والمبررات، في آفاق حب السلامة والبعد عن عوامل الخطر، مما يجعل الإنسان في حالة موت روحي يتنفس بأنفاس الحياة، ولكن من دون حياة.

الحضور الدائم للعقيدة كهمّ يومي

ويضيف هؤلاء، إلى هذا العامل الذاتي في مسألة بناء الشخصية الإسلامية في

ساحة الصراع، عاملاً آخرَ، وهو الإحساس بالحضور الدائم للعقيدة في حركة الإنسان في الحياة، مما يجعله يعيش معها في أفكاره ومشاعره، وفي علاقاته ومطامحه، فتتجول في داخل ذاته، إلى همّ يوميّ متحرك، يراقب الأشياء من خلاله، ويحدد موقفه منها، على أساسه، ويواجه أخطارها ومشاكلها من مواقعه، وبذلك تنفذ العقيدة إلى كيانه، من خلال كل النوافذ، التي يطل منها على واقع الحياة من حوله، الأمر الذي يجعل من العقيدة، شيئاً يتجذَّر في الذات، بدلاً من أن تكون مجرد شيء يختفي في زاوية محدودة من زوايا الفكر، وربما نستوحي ذلك، من الكلمة المأثورة عن الإمام علي «ع» «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله خلفه (أو معه)» وربما رأى البعض، أن الأجواء العبادية، فيما يمارسه الإنسان من صلاة وصوم ودعاء، هي التي يمكن أن تحقق للإنسان المسلم هذا الحضور الدائم للعقيدة في ذاته، لأنها تجعله في حالة لقاء روحي خاشع بالله في أغلب الأوقات، وهذا ما يجعلنا نلمس الروحية الصافية لدى المتعبدين، أكثر ما نلمسها لدى العاملين في ساحة الصراع السياسي والجهادي.

الروحية الايمانية وتحريك الأمة

ولكننا نثير أمام هذا الرأي ملاحظة مهمة، وهي أن الوعي الإسلامي للعبادة، يتمثل في هذا الشمول والإمتداد في علاقة الإنسان بالحياة، وتحويلها إلى حركة خضوع وطاعة لله سبحانه، فيما يأمره به وينهاه عنه، مما يوحي، بأن من الضروري للإنسان الذي يريد أن يعيش الروحية الإيمانية، التي تفتح قلبه على الله، أن يعيش اللقاء بالله في ممارسة حيّة، تتحرك فيها المعاناة والآلام في داخل حياته، مما يجعله يعبد الله في جراحه التي تنزف، وفي أوجاعه التي تتلوى، وفي همومه التي تتألم، وفي كل مشاكل الصراع مع قوى الشيطان، في سبيل الله، وبذلك تتحول الروحية، إلى روحية إيجابية تتحفز للتضحية، وتستهدف الشهادة، وتعمِّق الحاجة إلى رضا الله، لتغدو هاجساً يومياً، يلاحق كل مواطن رضاه، في عملية تدقيق ومعاناة. أمَّا الإقتصار على العبادة، والإنعزال عن ساحة الصراع، فسيجعل من الروحية، روحية مريضة سلبية، ترى في العبادة حالة ذاتية تجريدية، لا تعرف من علاقتها بالله إلا مشاعر الحب الذاتي لله، وذلك هو ما لا يريده الإسلام من المسلم، فإنه يريد أن يجعل من الروحية، عاملاً من عوامل تحريك الحياة بجميع أوضاعها وقضاياها، وتحويلها إلى

ساحة اللقاء بالله، وعبادته في جميع شؤون خلقه.

الاسترخاء حالة خطرة

وهناك نقطة أخرى.. يثيرها هؤلاء، وهي أن القوى المضادة، لا تتعامل مع قوى التغيير من خلال المواقف البارزة فحسب، بل تتعامل معها من خلال أجهزة المخابرات، التي تحاول أن ترصد حركة القوى الموجودة في الساحة، ومدى تأثيرها في واقع الأشياء من الساحة، ومدى تأثيرها في واقع الأشياء من حولها، لتتحرك في عملية تطويق متنوعة، تتنوع تبعاً لحجم النمو والتأثير، وبذلك فلن تكون عملية الإختفاء كفيلة بالحصول على الأمن المطلق، بل ربما تحاول أن تضرب ضربتها بالطريقة الخفية، التي تجهز فيها على الفريسة، من دون إثارة أية مشاكل من حولها، مما يجعل من حالة الإسترخاء تحت تأثير الشعور بالأمن، حالةً خطرة، لأنها توحي للإنسان بالسلام، في الوقت الذي تُحرك فيه كل نوازع الحرب من حوله.

وقد لا يقصد هؤلاء، من إبقاء حالة التوتر حيَّة في حركة العمل، إثارة الحالة الإستعراضية، التي تحاول أن تطرح أوراقها في الساحة بطريقة بارزة أمام القوى المضادة، بحيث تسهِّل لها أمر الإطلاع على كل شيء، بل كلَّ ما يقصدونه هو أن يظل العاملون في مواقع التحدي، التي تثير التوتر الروحي، الذي يجعل من الإنسان طاقة حية متحركة في كل إتجاه، فيما يفكر به، وفيما يتحرك نحوه، وفيما يواجهه من أخطار، من خلال ما يطلقه من تحديات نحو القوى المضادة.

التقية محاولة مرنة لحماية القضية

أمّا التقية، فليست حالة تجميد يتجمد عندها العمل، ليسلِّم الساحة إلى حالة كسولة من الاسترخاء. بل هي تحويل للتحرك من دائرة الضوء، إلى دائرة غائمة، لا توحي بشيء مما يتحرك في الداخل، من نشاط فكري وسياسي وجهادي، ومحاولة مرنة، لحماية القضية من الضغوط الشديدة، التي قد تعطل حركتها، وتشل إرادة التقدم عندها، وعملية النمو في داخلها، وفي نطاق الأساليب الشرعية، التي تحكم مسيرة العاملين، فيما يأخذون به، وفيما يدعونه من أعمال، إلى تغيير الصورة تماماً،

وإفساد المبادىء في التصور والحركة، وإثارة مشاعر الخوف في داخل العاملين، بالمستوى الذي يشلّ فيهم إرادة المواجهة وطبيعة التحدي، ليحوّلهم إلى كيانات مهزومة أمام حالات الخطر، لأن التقية إنما شرعت لحماية الاسلام من أخطار الخارج، فلا يمكن أن تكون وسيلة لتخريبه وتعريضه للأخطار التحريفية أو التجميدية من الداخل.

المرحلية تحد مخطط ومنظم

أمّا سياسة المراحل، التي تعتمد خط النفس الطويل في الوصول إلى النتائج الحاسمة، فلا تعني تجميد المرحلة في أسلوب معين، بل تعني التعامل مع الظروف الموضوعية بطريقة واقعية، لتتحرك القضية في المسار الطبيعي للأشياء، الذي يربط النتائج بمقدماتها.

وليس معنى ذلك، أن تنفصل المرحلة الفكرية دائماً عن المرحلة السياسية، بل قد تفرض ظروف الساحة على العاملين، الدخول في مرحلة الصراع السياسي إلى جانب الصراع الفكري، في الأوضاع التي يشعر العاملون فيها، أن التحديات السياسية المحيطة بهم، لا تفسح لهم المجال في البعد عن ساحة المواجهة، وهكذا نجد التحرك الجهادي يتقدم، ليواجه التحديات الصعبة التي تفرض المعركة على العاملين، بحيث لا يبقى لديهم أي خيار في عملية الإبتعاد عنها.

إن المرحلية لا تعني الإسترخاء الفكري في مرحلة الفكر، بل تعني بداية التحدي الذي يثير التوتر في بداية الطريق، في عملية تخطيط وتنظيم، كما أن الإستسلام لحدود المرحلة، يبقى في نطاق الظروف الطبيعية، التي تسمح للعاملين بالتخطيط الهادىء لأساليب التحرك، أمّا في الظروف الإستثنائية التي يعلن فيها الآخرون الحرب السياسية والعسكرية ضد الإسلام والمسلمين، فلا بد من الدخول في المعترك لمواجهة الموقف بقوة وثبات.

التحدي: مفاجأة العدو وعدم الاستسلام

ولكن، كيف نفهم هذا التحدي الذي يتمثل في مواقف العاملين للإسلام في

مواجهة القوى المضادة؟

هل يعني العنف الثوري، الذي يحرك كل الطاقات الموجودة في الساحة، بطريقة انفعالية مثيرة، تحول الأمة إلى كتلة ملتهبة من المشاعر المتوترة، التي تلاحق تلك القوى بمختلف الأساليب العنيفة، لتثير حولها الأجواء العاصفة التي تحطم قوتها، وتهزم غرورها، لتقودها إلى الإستسلام أو الفرار، بعيداً عن كل حسابات الخسائر في الأرواح وفي غيرها، لأن التفكير الثوري، لا يتحدث عن الأرقام السلبية في حركة الجهاد، لا سيما إذا كان الخط هو خط الإسلام، الذي يوحي للإنسان بالشهادة التي لا تترك أي معنى لحسابات الخسارة، في مقابل الربح الكبير الذي يواجه الإنسان بالرضوان الآلهي في رحاب الجنة.

قد يفكر البعض بهذه الطريقة، لأنه يرى أن الوسائل الهادئة في المواجهة، ربما تغري العدو باستلام زمام المبادرة، في عملية الهجوم، وتوجيه الضربات المتلاحقة، التي تشل فينا القدرة على الوقوف، فضلاً عن التقدم إلى الامام، وبذلك نفقد كل امكانات الدفاع عن النفس.. الأمر الذي يجعلنا في مواقع الهزيمة الساحقة.

بينما نجد في الوسائل العنيفة التي تطوقه من جميع الجهات، بعملية الهجوم على كل أهدافه بمختلف الأساليب، خطوة متقدمة، تدفعه إلى الوقوف في موقف الدفاع، الذي يعطل في داخله إرادة الإنتصار، لتهزمه نفسياً، من خلال المفاجآت التي لم يحسب لها أي حساب، فيما خطط له وفيما حاول مواجهته.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذا الإتجاه في التحرك، يبعد الأمة عن الإستسلام لبعض حالات الخدر السياسي الذي قد يحصل، كنتيجة للتعامل مع قضايا الصراع بالطرق المألوفة، التي يمكن للأعداء أن ينفذوا من خلالها إلى داخل حياة الأمة، في مفاوضات ولقاءات ومشاورات، قد توحي بالأمل الكاذب، الذي يظل يلهث وراء كلمة مشجعة هنا، وحركة موحية هناك، حتى تتكامل المؤامرة التي تغطي على الكيان كله، أو تضعف فيه القوة الدافعة إلى صراع جديد.

.. وتلك هي الخطة التي يعتمدها الإستعمار، في احتواء الثورة أو المعارضة، وذلك بإغراقها في الجزئيات والتفاصيل، التي يدور حولها الجدل الفارغ، بعيداً عن القضية الأصيلة، ليصير إلى تمييعها وتذويبها و إفراغها من مضمونها الحقيقي، مما

يؤدي إلى النتائج الكاملة، التي تستهدفها، في السيطرة على الساحة كلها، من خلال رموزه الذين يختفون وراء ألف قناع وقناع.

إن إبقاء الأمة في حالة التوتر الدائم، يفوت على الإستعمار الفرصة في اللعب على التناقضات الموجودة في داخلها، لأنه يجعلها في حالة حذر متحركة ومراقبة كقضية..

وملاحقة سريعة لكل الأوضاع والأشخاص والأحداث، التي ينفذ منها العدو لتحقيق أهدافه الشريرة ـ وبذلك تستطيع أن تطبق على أكثر العوامل السلبية، التي تواجه قضية حركة الرسالة في الوصول إلى غاياتها الخيرة، في معركة الحق والباطل على أكثر من صعيد.

حالة طواريء متحركة

وربما يجد هؤلاء المفكرون في هذا الإتجاه، الوسيلة الفضلى لتجميع كل فئات الأمة حول الهدف الواحد، وتطويق كل محاولة من قبل عناصر الفتنة لبث سموم الفرقة، باستغلال الأوضاع السلبية في الأمة لتفتيت وحدتها، لأن هذه الوسيلة تجعل الأمة في حالة طواريء، متحركة في كل اتجاه، لمواجهة الخطر القادم من بعيد أو من قريب، مما يجعلها حسّاسة أمام كل الطروحات، التي قد توحي بالعقل في ظاهرها، ولكنها توحي بالخبث والتعقيد في باطنها، فتسيطر عليها بالأسلوب الثوري، قبل أن تفرض نفسها على الساحة، كعنصر من عناصر القوة المضادة، وبذلك قد نستطيع تفويت الفرصة على عوامل الهزيمة من الداخل.

وعي الأمة لأعدائها

ويضيف هؤلاء إلى هذه النقاط نقطة أخرى، وهي التأكيد على وعي الأمة للفواصل، التي تفصلها عن التيارات الأخرى الكافرة والضالة، وذلك من خلال ارتباط حركة الجهاد في ساحة الصراع، بالخط الإسلامي الذي يزداد وضوحاً في الداخل كلما اشتدت المعركة، وبذلك يتعمق الإحساس بالمعنى الذي يمثله الخط الآخر، الذي يتبناه الفريق الآخر، من خطر على قضية العقيدة والوجود، وتتحول

المسألة من قضية فكر مجرد، يناقش ويحاكم ويستنتج، إلى قضية وجود ومصير، يدافع ويواجه ويهاجم . . وينتصر.

ولعل مثل هذه الروح الواعية الممتدة، لا تستطيع أن تحقق ذاتها، إلا في الأجواء الحادة، التي تعطي للشخصية دورها وشعورها بأهميتها، وتعيدها إلى إصالتها . . لأن التجربة دلّت، على أن ما من شيء يوحي للأمة بالأصالة والتمايز والوضوح، ويؤكد لها شخصيتها ويعمق فيها الشعور بالإنتماء، مثل ما توحي لها حالات التوتر الروحي والفكري والشعوري في ساحة الصراع، فإنها تنقلها خطوات سريعة إلى الأمام، وتختصر لها مسيرتها، بما لا تستطيعه في زمن طويل، من أجواء الهدوء الذي يعيشه الفكر في مجالات الإسترخاء.

. . ولا بد لنا ـ ونحن نقرر هذه النقطة ـ ، من الإشارة، إلى أن الوصول إلى هذه النتائج الإيجابية المثيرة، يفرض على أولي الأمر، الذين يقودون المسيرة، أن يتابعوا الموقف بطريقة مدروسة، تحاول أن تستفيد من أجواء التوتر، لتعمق للأمة وعيها بالقضايا الحية، في برنامج تربوي يربطها بالتفاصيل المهمة، من خلال الأفكار العامة، التي تحرك انطلاقتها في أجواء الإثارة، لأن ذلك هو الذي يجعل التجربة غنية، بالمضمون الذي تمثله الفكرة، بدلاً من أن يبقى الجو متحركاً في نبضات المشاعر، وخطرات الوجدان، الذي لا يترك وراءه في حالات الإنفصال عن جو التوتر، إلا الذكريات الطيبة التي لا توحي إلا بالشعر والأحلام.

كيف نواجه قضية التغيير في الأمة - ب -

* وسائل التغيير
وأساليب الثورة تحددها قاعدة العمل الإسلامي .

* لا بد من التوازن
في حركة العمل بين الدعوة والثورة .

* الصراع العنيف حالة طارئة
للدفاع عن الحركة وهناك أكثر من أسلوب .

* التحرك في خط
التوتر الهادف والمخطط لتحقيق النصر.

الخط العملي والنقاط الواقعية

ربما كان الحديث، عن مواجهة قضية التغيير في الأمة حديثاً في المطلق، لأنه كان يطرح مبادىء عامة بعيداً عن التفاصيل، فيما يحاول من إبقاء درجة التوتر في الأمة بشكل مستمر، ومواجهة القوى المضادة بالعنف، الذي يحاصرها من كل جهةٍ، وتوعية الأمة بالفواصل، التي تفصلها في الخط الفكري عن الآخرين، وما إلى ذلك، وإبعادها عن حالة الخدر. السياسي، الذي يسلمها إلى الضعف والسقوط، واختصار المراحل في عملية تكثيف للمرحلة، بدلاً من تحريكها في خطة تصاعدية رتيبة.

وقد لا يختلف المفكرون في هذه النقاط، كأهداف للساحة، وكشعارات للعمل، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه على الساحة هو، كيف نحرك الخط العملي، الذي يحولِّها إلى نقاطٍ واقعيةٍ متحركة، بدلاً من أن تبقى مجرد نقاط مضيئة في بدايات الطريق؟

تفجير المواقع وحرية التحرك

قد يفكر البعض، بأن من الضروري أن تحول الساحة إلى مواقع متفجرةٍ في كل اتجاه، وتمنعها من الإستقرار، فتثير فيها المشاكل الكامنة في الأعماق، لتطفو على السطح.. ثم تبدأ الحركة في استيعاب الأرض لمصلحتك، لأنك ـ بذلك ـ تشغل الفئات الأخرى بهذه المشاكل، التي تجعلها بعيدة عن مواجهتك والإصطدام بك، مما يمنحك حريَّة التحرك في أكثر من موقع، ولا فرق في ذلك بين حالة السلم وحالة الحرب، لأن امكانات التفجير متوفرة في كلتا الحالتين، وإن كانت أدواتها مختلفة، فيما تفرضه طبيعة كل منهما من مفرداتٍ واقعية على الأرض.

ولادة مشروع جديد

ولكن هناك وجهة نظر تقول، إنك لا تملك الساحة كلها، بل هناك أكثر من فريق يتحرك فيها من خلال وجوده الفاعل، وبذلك فإنك لا تملك حرية الحركة في داخلها. أمّا إذا استطعت أن تحصل على بعض الحرية، فلن تستطيع الحصول على

النتائج الإيجابية لمصلحتك، بل ربما يرتد انفجارها عليك، وعلى أهدافك المستقبلية، من خلال اغلاق الآخرين النوافذ، التي تستطيع أن تهرب من خلالها، إلى مواقع أخرى بعيدة عن خط النار. وقد تواجه ـ في حالات النجاة من ذلك ـ أنك لا تملك الأفق الذي يحقق لك الخطوة المتقدمة نحو أهدافك الكبيرة، إذ لا يكفي أن تدمر الآخرين، بل لا بد لك أن تجعل ذلك وسيلة من وسائل التغيير الإيجابي للواقع، على أساس ولادة مشروع جديد، على أنقاض مشروع قديم، لا أن تكون المسألة خاضعة لشعار «عليّ وعلى أعدائي يا رب. . ».

موقع الدعوة وموقع الثورة

وقد يثير البعض نقطة أخرى في الموضوع، وهي أن العمل الإسلامي يتحرك في موقعين؛ موقع الدعوة من أجل تغيير القاعدة الفكرية للإنسان، وموقع الثورة من أجل تغيير القاعدة السياسية للحياة من حوله، ولا بد من إيجاد حالة توازن بين حركة العمل في الموقعين، لأن لكل واحد منهما مناخاً ومنهجاً وأسلوباً، قد يختلف عن الآخر، مما يخلق في بعض المراحل، حالة ارتباك في الموقف، وربما تعيش الساحة في هذه المرحلة، بعض الإهتزاز، الذي يجعل الثورة تتحرك من دون فكر، أو يوحي للفكر أن يبتعد عن خط الثورة ـ وفي كلتا الحالتين، يخسر الإسلام موقعه الحقيقي الثابت في حركة الحياة، لأن الثورة عندما تتحرك بدون فكر، فستواجه فكراً آخر بعيداً عنها، في محاولةٍ لاحتوائها ومصادرتها لمصلحة الإتجاه المضاد، كما نلاحظه في بعض الثورات التي انطلقت باسم الإسلام، ولكنها وقعت في قبضة الرأسمالية، أو الماركسية في نهاية المطاف!!، لأنها لم ترتكز على أساس المنهج الإسلامي الحركي في خط الثورة، بل ارتكزت على قاعدة من الفراغ الرهيب ـ إن صح التعبير ـ فلم تعرف الملامح الحقيقية، التي تميز بين الحق والباطل، في ميزان التقويم الدقيق للحركات والأساليب، أمّا إذا انطلق الفكر بعيداً عن خط الثورة، فسيقع في قبضة التخلف عندما يبدأ في التجمد والإنحسار عن الواقع، ليتحول إلى حالة تجريدية تفكر في المطلق، أو تتحرك في الدائرة المغلقة، أو في الحلقة المفرغة، بعيداً عن الموقع الحي المتحرك، الذي يغني الفكرة من خلال التجربة الغنية، بالمزيد من حركة الواقع المتنوع الحافل بألوان الأفكار، وبذلك تبدأ القوى المضادة، لتفرض سيطرتها على الواقع

الإسلامي، الذي يبدأ في التقلص والإنكماش، لينتهي إلى كمية مهملة من الحياة، التي لا تمثل شيئاً إلا ما تمثله الدمى المتحركة في متاحف الشمع.

نتائج الأساليب المطروحة

وفي ضوء ذلك، لا بد لنا ـ فيما يقول هذا البعض ـ من دراسة النتائج السلبية والإيجابية للأساليب المطروحة في الساحة، على مستوى الدعوة، والثورة معاً، لنتعرف المرحلة التي نستطيع أن نخطط لها، من أجل تربية القاعدة الصلبة من جماهير الأمة، وطلائعها الواعية، التي يمكن أن تواجه الرياح العاصفة، من مواقع الأرض القوية، والأقدام الثابتة. فلا تتزلزل أمام أية ريح، ولا تهتز أو تضعف أمام أي تحدٍّ للموقف، لتكون الفكر الذي يخطط ويحلل، والعين التي تراقب وترصد، واليد التي تمسك الأرض وتحفظها من الإهتزاز، من أجل البدء بعملية البناء، تماماً كما هي تجربة الرسول الأعظم (ص)، في حركة الدعوةِ التي سبقت مرحلة حركة الثورة، في اتجاه بناء الدولة، فقد كان (ص) يجد من مصلحة الإسلام أن يخطط للنفاذ إلى القلوب والأفكار والمشاعر والأساليب، في نهج واقعي حكيم، قبل أن يخطط للنفاذ إلى حركة الواقع في الحياة ـ وهكذا استطاعت حركة الدعوة في بناء القاعدة، واكتشاف الأرض، وصنع الأجواء، أن تقود الخطى الثابتة في مواقع الفكر والروح، إلى أن تنطلق بعيداً في خط الثورة، وقد يحتاج العاملون ـ في هذا الإتجاه، إلى المزيد من الصبر والمعاناة وتحمّل الآلام، من أجل التغلب على كل المشاعر السلبية المنطلقة أبداً من نزف الجراح، وأنين الأحزان والآلام، لئلا يؤدي ذلك إلى السقوط السهل أمام التحديات.

عملية الهجوم وعملية الدفاع

أمّا إذا فرضت المعركة، فلا بد لنا من مواجهتها، بالطريقة التي لا تلغي المرحلة في نطاقها الموضوعي، بل تؤكدها لتعطي الموقف حجمه الطبيعي في اعتبار الصراع العنيف حالة طارئة، تدخل في أجواء الدفاع عن حرية الحركة، من أجل الدعوة، في تغيير المسار العملي لاتجاه جديد، قبل أن يخطط المهندسون للطريق التي يسلكها العاملون.

إن هناك فرقاً، بين أن تدخل الحرب من خلال التخطيط لها بطريقة مستقلة، كقاعدة للإنتقال إلى عالم جديد، واسقاط كل الطروحات الموجودة في الساحة، من أجل استكمال عملية التنفيذ، لتكون حركتك نهاية المطاف في المواقع المتحركة نحو التغيير، وبين أن تدخلها لمواجهة مخططات الآخرين، في محاولة التحضير لهزيمتك في بداية الطريق، حتى لا تفرض فكرك في الساحة، ولا تبني الحياة على طريقتك في التخطيط.

إنه الفرق بين عملية الهجوم، وبين عملية الدفاع، اللتين تتفقان في الموقف الحاسم، الذي يفرض المواجهة عليك، ولكن الأولى، تطرح نفسها كحركة فعل متحرك من موقع الخطة، بينما تطرح الثانية نفسها، من موقع رد الفعل لاعتداءات الآخرين، لكي تمنع هؤلاء من إيقاف حركتك عن التقدم.

وهذا هو ما نريد أن ندرسه في حركة الإسلام في الحياة، لنتعرف الساحة التي تحتاج إلى حركة الدعوة، من أجل إنضاج الثورة في الداخل، والساحة التي تحتاج إلى حركة الثورة، من أجل تحويل الدعوة الناضجة، في الفكر والروح والشعور، إلى واقع حي، يشمل كل حياة الإنسان في تطلعاته الفكرية وأفاقه الروحية، ومواقفه العملية.

الدقة في الخط الشرعي والتمييز بين الذات والرسالة

وقد يطرح بعض الناس في هذا المجال..، موضوع الدقة في ملاحقة الخط الشرعي للحركة، فقد لا يكفي أن تجد الفرصة سانحة للتقدم الواقعي للحركة، في هذا الموقع أو ذاك، بل لا بد لك من أن تضمن خضوع الفرصة للحكم الشرعي، الذي يحكم الموقف، لئلا ينحرف خط التحرك عن خط النهج.. وبذلك تواجه حالة ربح للفرصة، في مقابل هزيمة للفكرة، مما يجعلك مهزوما فيما تخطط له، من خلال كونك منتصراً فيما وصلت اليه.

وهذا هو ما نواجهه في الكلمة المأثورة عن أمير المؤمنين علي (ع)، وفيما روي عنه «قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة ودونها حاجز من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين».

فقد كان الكثيرون، يريدون أن يغروه بالفرص السانحة، والحيل الجاهزة، التي

تدفعه الى المزيد من الأرباح، على مستوى النجاح في الحكم في ساحة الواقع، ولكن على حساب الانحراف عن خط الله، فيما يأمر به أو ينهي عنه، وهذا هو الذي يواجه فيه الانسان، الصراع العنيف بين مصلحته الذاتية على مصلحة الرسالة، فيحاولون الايحاء له، بأن ذلك هو السبيل الى تحقيق غايات الرسالة في نهايات المطاف، لأن قوته الجديدة، ستكون قوةً لرسالته في المستقبل، مما يجعل من الانحراف عنها في طريق تحصيل القوة الذاتية، حالةً طارئةً، لا تلبث أن تزول أمام النتائج النهائية للحركة.

وربما غفل هؤلاء، عن الحقيقة الواقعية، التي تقول، أن الاخلاص للذات في المرحلة الأولى، سوف يترك تأثيره على خط السير في المراحل التالية، لأن لكل مرحلة تحدياتها الفكرية والعاطفية والعملية، التي يقف فيها الانسان في مواقع الصراع بين الذات وبين الرسالة، مما يجعل من تبرير الانحراف في البداية، وسيلة لتبريره في الخطوات السائرة نحو مشارف النهاية، لتجعل منه قاعدة للحركة، ووجهاً للموقف:

وقد لا تكون المسألة في بعض المواقف، شأناً ذاتياً بالمعنى الشخصي للذات، فلا يكون هنا شخصٌ يراد نجاحه، بل يكون لدينا حزب، أو مؤسسة سياسية أو اجتماعية، يراد الوصول بها الى موقع متقدم في السلّم السياسي أو الاجتماعي، مما قد يفرض نوعاً من الأساليب، أو الوسائل المثيرة، التي قد تخلق حالة حماسية أو انفعالية تثير الجماهير، بعيداً عن مصلحتها الحقيقية، على مستوى الحاضر أو المستقبل، لأن الغاية هي مصلحة المؤسسة كإطار للتحرك، لا مصلحة الناس في عمق قضاياهم المصيرية. . وذلك فيما تتميز به الحالات الاستعراضية، من زهو وخيلاء، في مواجهة الآخرين، في حالاتهم الاستعراضية على أكثر من صعيد.

إننا نؤكد على دراسة الخطة الشرعية، من خلال مفردات الحكم الشرعي الكلية والجزئية، لنستطيع احراز الطاعة لله فيما نتقدم به أو نتأخر. . فلا نشعر ـ في الطريق ـ، إلا بما يشعر به الجندي في المعركة، فيما ينفذه من أوامر القيادة، بعيداً عن مزاجه الذاتي، ومصلحته الشخصية، أو تفكيره الخاص، ليكون الهدف هو الله، لا الشخص، كما توحي به كلمة الامام علي (ع)، في مخاطبته لأصحابه الذين كانوا يفكرون بوحي الذات بعيداً عن وحي الله. «ليس أمري وأمركم واحداً إنني أريدكم

لله وأنتم تريدونني لأنفسكم . . ﴾ .

تقييم الساحة والحذر المطلوب

وربما كان علينا في هذا المجال ـ كمسؤولين ـ أن نستعمل الدقة في تقييمنا للحكم الشرعي، من خلال تقييمنا للساحة التي نتحرك فيها، والأجواء التي نعيش معها، والمشاكل التي نواجهها، والآفاق التي نتطلع إليها، فلا نبادر إلى إستنباط الحكم من خلال نظرة سطحية ارتجالية، تبصر الحكم الشرعي من حالة طارئة سريعة، لا تدخل في حسابها عمق الواقع، بل تعمل على دراسة الحالة من جميع جوانبها في حسابات الحاضر والمستقبل، في علاقتها بالساحة ككل، وفي اتصالها بالمواقع المحدودة لخصوصياتها في هذه الساحة أو تلك، لأن ذلك هو الذي يحدد موقع الحكم الشرعي، الذي قد يختلف حاله في العنوان الأوّلي، عن موقعه بحسب العنوان الثانوي. فقد يكون الشيء حلالاً في ذاته، ولكنه يتحول إلى حرام، عندما يستلزم ضرراً عاماً بالشخص أو بالأمة أو بالخطة العامة لحركة الإسلام في الحياة، وربما كانت بعض الأشياء محرمة في ذاتها، ولكنها تصبح حلالاً، عندما تفرض مصلحة الأمة القيام بها، لدفع ضرر كبير أو جلب نفع عظيم، ولا بد من الحذر في تقويم الحالة، لئلا نتجاوز حدود الله، من حيث لا نريد، أو من حيث لا نشعر.

الثورية الاسلامية والجو الهادىء

وقد يكون هذا، هو ما نواجه مشكلته في بعض ساحات العمل الإسلامي، التي تأثرت ببعض الطروحات السياسية في ساحة العمل السياسي، على مستوى الفكرة أو على مستوى الأسلوب، مما يرتبط بالفكر الماركسي في بعض جوانبه، أو بالمنهج الليبرالي في بعض آخر، ولكنه يحمل لوناً إسلامياً في مضمون الحركة، وفي مدلول العمل، فيخيل للكثيرين أنه المنهج الإسلامي، وليس كذلك، لأنه لم ينطلق من حسابات الواقع الشرعية، بل انطلق من حالاته الإنفعالية، فإذا طرحت الحكم الشرعي في اجتهاداته المتنوعة، وطالبت بالدقة في تحديده وتحريكه، كانت المشكلة عند هؤلاء، أنهم يعتبرونك بعيداً عن خط الثورية الإسلامية لأنك تناقش في

الجزئيات، وتتوقف عند أشياء هامشية، ولا تعيش رحابة الثورة في أفاقها الواسعة، وأبعادها الشاسعة، التي تتجاوز خصوصيات الأمور، لتقف عند كلياتها. وقد يحسنون الظن بك، فيقولون عنك، إنك عشت في جوٍ هادىء عقلاني، يحسب الثورة تهوراً أو يرى في الحركة القوية اندفاعاً، ولذلك فإنك لا تفهم جيداً، معنى ثورية الأسلوب، وثورية الهدف.

المضمون الاسلامي للتحرك

أمّا تعليقنا على ذلك، فهو أن القاعدة التي تحكم العمل الإسلامي، هي التي تحدد وسائل التغيير وأساليب الثورة. فليست القضية، هي أن تكون عقليتك حادّة أو هادئة، أن يكون شعورك حاراً أو بارداً، بل القضية هي المضمون الإسلامي، الذي يبني عقليتك، ويحرّك شعورك، فلا بد من دراسة الفكر في مصادره الموثوقة، ومعرفة الساحة في أبعادها الواقعية، فقد نكتشف أن الثورة ترتبط بالخط الهادىء في بعض المراحل، الذي يقود المسيرة إلى الهدف من أقرب طريق، لأنه يضمن للخطة أن تتحرك في مسارها الصحيح، من دون تعقيدات أو تشنجات، كما ترتبط بالخط العنيف، الذي قد يشارك في تسريع الحل في بعض المراحل، وهكذا لن يكون لدينا أسلوب واحد للعمل، بل، قد نلتقي بأكثر من أسلوب في الطريق، من موقع الحكم الشرعي، الذي يستهدي كتاب الله وسنة نبيه، فيما يرسمان من خطوط عامة، ويتتبع حركة الساحة، فيما تحققه من مفردات وتفصيلات.

الاقتداء بالقرآن والسنة

ولعل دراسة الأسلوب القرآني، فيما يطرح من خطوط متحركة لمواجهة المشاكل، والتدقيق في الأسلوب النبوي فيما تتحرك به مسيرة الدعوة والجهاد، المنطلقة في اتجاه التغيير، في حياة النبي (ص)، في أقواله وأفعاله، في حالات الحرب والسلم، هذا بالإضافة إلى تنوع الأسلوب في تجربة الأئمة من أهل البيت(ع)، لعل ذلك كله، يضع أيدينا على طبيعة المرونة التي ينبغي أن تحكم الأسلوب العملي لقضية التغيير للواقع، في مجالات الحكم والتشريع وواقع الحياة.

ولهذا، فإننا ندعو العاملين، إلى أن يدرسوا المسألة من هذا المنطلق، بعيداً عن كل الطروحات الجاهزة، التي تمثل خطوطاً متنوعة، لا تمت إلى الإسلام بصلة، لأنها ولدت في مناخ غير إسلامي، وانطلقت من قاعدة غير اسلامية.

موقف للهدف ومواجهة للتحدي

وفي ضوء ذلك، لن نطرح العنف كأساس للحركة، كما لا نعتبر الرفق هو الطابع الذي يطبع منهج السير، بل نجد فيهما أسلوبين طبيعيين، فيما تختزنه الحياة من أساليب، لنضع كل واحد منهما في موضعه، ولنتحقق من توفر شروطه، لنندفع مع هذا أو ذاك، بكل قوة وعزيمة واخلاص، فلا نتنازل عن موقف يحتاجه الهدف، بل نعطي كل واحد منهما موقع القوة من أنفسنا، وبذلك تكون الثورية تعني الإلتصاق بالهدف، من خلال كل القضايا مهما كانت قسوة الظروف، فذلك هو الذي يحدد لنا خط السير.

وتبقى التفاصيل خاضعة لتطور التجربة، وطبيعة التحدي، في مواجهتنا لحركة الكفر، وهجمه الإستعمار، لتدرس الخطة الواقعية الحكيمة، التي تواجه بها خطة مضادة أخرى، ولتتعرف علاقة هذا الأسلوب بمشكلة الحاضر، في مقارنة واعية، لأسلوب آخر، يتعلق بمشكلة المستقبل، لتوازن بينهما، لتختار لنفسك الأسلوب الأكثر تأثيراً والأقرب منفعة، فيما يحقق مصلحة الإسلام والمسلمين، وتلك مهمة الذين يقودون الساحة، ويراقبون متغيراتها، ليحددوا لها ما تحتاجه، وما لا تحتاجه، من هذا الأسلوب أو ذاك.

تجربة الثورة الاسلامية

وقد يطرح بعض الناس سؤالاً، حول التحليل الذي قدمناه في الحلقة السابقة، أو في مطلع هذه الحلقة، في أسلوب العمل التغييري للأمة، فيقول:

لماذا هذا التنظير والبحث عن الأسلوب العملي في نطاق الفكر التجريدي، نحن نعيش التجربة الناجحة الفريدة ـ على الأرض، في حركة الثورة الإسلامية في إيران.

فقد انطلقت هذه الثورة، في أسلوب قائدها الكبير السيد الخميني رضوان الله

عليه، من موقع المواجهة الحاسمة للطاغوت بعيداً عن أي عمل تجريدي، مما يحاوله هؤلاء المنظرون. . الذين يملأون الصفحات تحليلاً وتفسيراً للظروف وللشروط الموضوعية للحركة، وللمراحل الفكرية والثقافية والسياسية والعكسرية، وإلى غير ذلك من الأمور، في أسلوب تبريري لكل الحالات الإنهزامية، التي تحاول تبرير الهزيمة بالظروف فالأوضاع والأحداث، مما يجعل منها قضاء الحياة وقدرها الذي لا مجال للخلاص منه.

ويتابع هؤلاء أن التجربة تمثل الجانب الوجداني للنتائج، الذي يطرح المسألة في حركة الواقع، بينما يمثل التنظير، الجانب الفكري النظري، الذي يبحث عن أرض تسمح له بالتجربة. فلماذا لا نختصر الدرب، ونأخذ الفكرة من التجربة، بدلاً من أن نبحث للفكرة عن أرض تنغرس فيها، لنعرف طبيعة الخطأ والصواب، مما نريد أن نواجهه أو نسير فيه؟

دراسة الظروف الموضوعية

. . ولكننا نحب أن نثير أمام هؤلاء سؤالاً يطرح أمامنا أبعاد الجواب. .

هل التجربة تمثل المطلق في أفاقها، أو نتائجها، أو تمثل الحدود الزمانية والمكانية والإنسانية في ذلك كله؟

وإذا كان لنا أن نجيب بأن التجربة محدودة، فإن ذلك يعني أن نتائجها لا تتجاوز حدودها في حركة الواقع، مما يجعلنا في موقع الدراسة الدقيقة، التي تبحث عن الأرض التي عاشت فيها، وعن البذور التي طرحت هناك، والينابيع التي تدفقت في أعماقها، وعن الإنسان الذي عاش هناك، وعن التاريخ الذي كانت نتاجاً له، ثم ماذا عن الظروف الموضوعية، في طبيعة الحكم الذي سقط أمام الثورة، ونوعية الوضع السياسي، الذي كان يحوط البلد والمنطقة والعالم، ومدى تأثير ذلك في نجاح الثورة. هذا بالإضافة إلى نوعية القيادة، من حيث الشخص الذي قاد الثورة، ومن حيث الخلفيات التاريخية والدينية التي تكمن وراءها، ومن حيث العمق الديني، الذي يعمّق الصلة بين القيادة والقاعدة، ليجعل العلاقة شيئاً يشبه الصلة العضوية، التي يتحرك فيها الدم الواحد، ليضع الفكر الواحد والشعور الواحد، وهكذا تتابع هذه

المفردات، لتشكل الهيكلية المتكاملة، التي تعني شخصية التجربه، في حدود الأسباب والمسببات والأجواء والأشخاص والمواقع.

. . إن ذلك كله، يحتاج إلى دراسة تفصيلية عميقة، قبل أن يتحدث الإنسان عن الغيب في حركة المطلق، فيما ينصر الله به عباده، لأن للنصر الإلهي مقومات، فيما يعنيه اللطف الإلهي، وفيما تمثله سنن الله في الكون، وربما احتاج الدارس إلى أن يتوفر على معرفة الإجتهادات الكلية والجزئية في التخطيط الكلي للثورة، وفي مفردات التعليمات اليومية التي توجه للثائرين، ثم في نوعية القوى التي تمثل قوى المساندة، أو قوى المعارضة، ما هو حجمها؟ وما هو أسلوبها؟ وما هي خلفياتها المحلية والإقليمية والدولية؟ ومدى تأثير ذلك على حركة الثورة؟

ثم. . هل نتوقف عند النتائج الإيجابية، فلا نتساءل عن حجم السلبيات؟ وماذا عن الثورة المضادة، فيما يمثلها النفاق والمنافقون!؟ وعن أساليب المواجهة، ومدى فاعليتها، وعن حسابات الخطأ والصواب، في هذا أو ذاك، في حركة لا تدّعي العصمة لنفسها، ولا تريد لأحد أن يدّعيها له. . لأن إدّعاء العصمة يثقل الحركة، فيما يفرضه عليها من أخطاء مقدسة لا تستطيع التراجع عنها، إلى غير ذلك من علامات الإستفهام التي يغيب الكثير منها في ضباب الحماس والإنفعال.

ثم بعد ذلك، ما هي طبيعة هذه الساحة أو تلك؟ وما هي نوعية الأرض هنا وهناك؟ وهل تقبل هذه الغراس أن تنزرع فيها؟ وتكرُّ كل علامات الإستفهام، لتضع لها مواقع في كل زاوية للأرض وللحركة والإنسان، ولتقف في حالة تأمل وتفكير، لتبحث عن الجواب في حركة الفكر الذاتي، أو لتطلبه من الآخرين في أجواء استلهام فكر الآخرين.

تطوير الظروف وتميز المواقع

إننا لا نمانع في تطوير الظروف في هذا الموقع، لتتلائم مع موقع آخر، ولكننا لا نستطيع أن نغمض أعيننا عن التمايز بين المواقع، في خصوصيات الأشياء، مما يفرض علينا أن نأخذ الفكرة المشتركة، ثم نواجه التفاصيل بعمق وتأمل وحذر، لنعرف كيف نصل إلى النتائج الإيجابية الحاسمة الصادقة من أقرب طريق.

إن الفكرة تولد من التجربة، كما تولد من التحليل النظري، ولكن لا بد من دراسة التجربة بعمق وشمول، لنعرف كيف نطرح الفكرة، وكيف نؤطرها، وكيف نمتد بها إلى أفق أوسع من ساحتها المحدودة، لا سيما إذا كانت التجربة خطوة متقدمة نحو التغيير، ولا سيما إذا كانت الفكرة التي نريد أن نستنبطها من التجربة، محاولة جادة من أجل التخطيط الشامل لمستقبل التغيير.

خط التوتر والهدف

وأخيراً، نحن مع التحرك في الساحة، لا من مواقع إبقاء خط التوتر، الذي يطوّق كل القوى المضادة بكل الأفكار والمشاعر والمواقف، ولكن نفهم من التوتر الموقف الذي لا ينفصل لحظة عن الهدف، في عملية مراقبة وحركة وتقدم وانتظار، ولكنه يراقب من مواقع الفكر، ويتحرك من مواقع الخطة، ويتقدم من خلال الحساب، وينتظر في كل مواطن النجاح والإنتصار، ليستقبل النصر، في حالة استعداد للفرح الروحي الكبير.

كيف نواجه قضية التغيير في الأمة « ج »

* بين قائل بأن :

*التغيير من داخل النظام
محكوم بأصول اللعبة وقواعد التوازن .

* والتغيير من خارج النظام
يملك الحرية ولا يعاني مشكلة التوازن .

* وعي النظام وأساليب الثورة
يبعدان السلبيات عن العمل .

* العمل داخل وخارج النظام
لتحريك خيوط التغيير وتجميع عناصر الثورة .

١ ـ التغيير من داخل النظام

الدخول في اللعبة السياسية

يرى البعض أن عملية الثورة قد تحتاج إلى وسائل من داخل المؤسسات التقليدية الموجودة في الأنظمة غير الإسلامية، فيما تشتمل عليه من مواقع إدارية أو سياسية أو اجتماعية أو عسكريّة، وذلك بالعمل على الدخول إلى هياكلها المتنوعة، من أجل الوصول إلى مواقع متقدمة هناك، ليسهل ـ من خلال ذلك، العمل على تحويل الإتجاه السياسي إلى إتجاهات جديدة، تلتقي بالتطلعات الإسلامية للإنسان، فيما تتحرك نحوه من تغيير الواقع المحلي والإقليمي، للتأثير على الواقع الدولي في المواقع، في خلق الأجواء الملائمة، وفي إفساح المجال للأجيال الطالعة بالنمو والحركة في الإتجاه السليم، وفي إيجاد الأرضية الصالحة لبذور المستقبل، وفي مواجهة القوى المضادة للعمل على إضعافها، وتحجيم مواقعها، وخلخلة توازنها من الداخل، وفي التأكيد على ملاحقة المتغيرات الداخلية والخارجية، للتأثير على معطياتها في الجانب الإيجابي للقضية، بدلاً من إهمالها وتركها لمصلحة الجانب السلبي للواقع.

ويضيف هذا البعض، إن مثل هذه المعطيات، لا يمكن أن تحقق، إذا لم تكن هناك في داخل اللعبة السياسية واجهة بارزة، تفرض نفسها على ساحة الواقع من داخل حركة الواقع، لأن العمل من الخارج، قد لا يملك الفرصة الكبيرة، لتحقيق كثير من المعطيات والنتائج، ولذلك فإن على القائمين على شؤون العمل التغييري من قاعدة إسلامية، أن يدرسوا أفضل الوسائل للحصول على تلك المواقع من أقرب طريق..

منح الشرعية للنظام

ولكن هناك رأياً آخر، من موقع النظرة الإسلامية السياسية للحياة، يختلف عن هذا الرأي، ويجد فيه انحرافاً عن الشرعية الإسلامية، فيما تريد أن تحققه من عملية التغيير للواقع.

ويرى أصحاب هذا الرأي، أن مثل هذا الإتجاه يمنح الواقع الفاسد الكافر ـ إن

كانت الواجهة المسيطرة على النظام كافرة بشكل مباشر ـ، أو الضال المنحرف، إن لم تكن الواجهة كافرة بطريقة واضحة ـ شرعية اسلامية لا تملكها، لأن معنى الدخول في هيكل النظام. . الإعتراف به، وبقاعدته كأساس للحكم، وكقاعدة لحل مشاكل الناس، لأن المواقع المتقدمة التي تحصل عليها الطليعة المسلمة الملتزمة، تمثل المفردات التفصيلية للخط العام للنظام، مما يعني بأن الحركة في نطاقها سلباً أو إيجاباً، تدخل في نطاق التحرك في التفاصيل، مع الإلتزام بالمبدأ، وبذلك تفقد الطليعة خطها الأصيل، وتخسر مواقعها الحقيقية، في مقابل ما تربحه من مواقع مزيفة، قد تحتفظ لها بالإطار، ولكن على حساب الصورة.

ضغط النظام على الحركة

ويضيفون إلى ذلك، أن النظام الكافر أو المنحرف، قد يستفيد من وجود هذه الجماعات في داخله، من أجل أن يقوّي مواقعه في ساحات أخرى، في خطة إيحائية، بما تقدمه من معطيات لقضية الحرية، في مناخ سياسي، تلتقي فيه الأفكار المختلفة، والتيارات المتصارعة، بعيداً عن كل عوامل القهر والضغط.

ولكنه ـ في الوقت نفسه، يمارس الضغوط القاسية على الإتجاه الإسلامي بوسائل متنوعة، بما يثيره في وجهه من مشاكل معقّدةٍ، من خلال إفساح المجال للقوى المضادة أن تضغط عليه، أو إشغاله عن القضايا الكبيرة، التي تمثل قضايا المصير، أو إدخاله في نزاعات داخلية في أسلوب سياسة المحاور، لتستنزف قوته من الداخل، وهكذا، حتى يتحول إلى مجرد شبح أو كيان ضعيف، لا يوحي بالإحترام فضلاً عن القوة. .

فقدان الثورية الاسلامية

إما إذا حصل على بعض القوة والتماسك، فإنها تبقى قوة محاصرة لا تملك إلا أن ترفع الصوت، لتسجل موقفاً، أو لتربح نقطة، أو لتثير جدلاً، ويبقى للنظام أن يأخذ كل شيء، ويمنعها من كل شيء، باسم القانون والدستور والديمقراطية، لأنها لم تستطع أن تربح أكثرية الأصوات التي يملكها النظام، أو القوى المضادة، التي

تدور في فلكه. وبذلك يستطيع النظام أن يضعفها تدريجياً، أو يحصرها في دائرة ضيقة، لأنه يفرض عليها الصراع الدائم، من أجل الدفاع عن مواقعها، بعيداً عن اكتشاف مواقع جديدة.

ويرى هؤلاء، أن مثل هذه النظرة في العمل السياسي الإسلامي، تُفقد الإسلام ثوريته، وحرارة الحركة في داخله، وتثير فيه الإستسلام للواقع، بالإيحاء الدائم بروح العقل والإعتدال والتوازن، ومحاولة الوصول إلى النتائج الحاسمة بالنفس الطويل، لأن أسلوب العمل في داخل النظام، يختلف عن أسلوب العمل في خارجه، لأن العمل من الداخل، يظل محكوماً بأصول اللعبة، وقواعد التوازن، لأن وسائل النجاح في هذا الجو، محدودة بحدود خاصة، وضوابط معينة، تفرض الوفاء بالإلتزامات، والمحافظة على الجو العام، في إطار المحافظة على النظام، برموزه وشعاراته ومبادئه العامة.

٢ ـ التغيير من خارج النظام

لا مشكلة توازنات

أما العمل من الخارج، فيستهدف الجذور في عملية اقتلاع، وينطلق نحو الجسور في عملية نسفٍ، ويواجه الأوضاع في حركة تغيير، لأنه يريد أرضاً خالية، يغرس فيها الغراس الجديدة، بعيداً عن كل العوامل المضادة، التي تمنع من حركة النمو والإرتفاع. ولذلك، فأنه يملك الحرية في التحرك، لأنه لا يواجه مشكلة في قضية التوازنات المحلية، أو الإقليمية، ولا يحترم أي التزام لا يتناسب مع القضايا المصيرية، ولا يجد في النظام أي شيء مقدس، لأنه يعمل من أجل تحطيم هذه القداسة، وذلك بتحطيم قواعد هذا النظام.

وفي ضوء ذلك، يمكن له أن يجعل الجذوة مشتعلةً في الأفكار والمشاعر والمواقف، لتبقى للحركة حيويتها وقوتها، وتبقى للإنسان ثوريته وحركيّته، فلا يستريح لعوامل التخدير، ولا يسترخي أمام دعوات الإسترخاء، لأن الثورة تأبى أن تتخدّر أو تسترخي

أو تستريح، بل هي تبقى عنصر هدم من أجل البناء، وعامل تعب من أجل الراحة، ومصدر فوضى من أجل النظام، على أساس المنطق القائل، ليس في الثورة شيء محترم أو مقدس، إلا مبادىء الثورة، فلا قيمة لأي شيء يخضع لمبادىء الآخرين.

سقوط الثورة أمام النظام

ويضرب هؤلاء المثل، ببعض الحركات الإسلامية، التي انطلقت لتكون الثورة الإسلامية في وجه كل الواقع اللاّإسلامي، على مستوى العالم كله، ولكنها وقعت في قبضة الأنظمة التي استغلت نقاط الضعف فيها، وإستفادت من دعوات التعقل والإتزان والإعتدال المنطلقة من بعض قياداتها، فأوحت لها، بأن بإمكانها أن تخدم الإسلام من الداخل، أكثر مما تخدمه من الخارج، بأسلوب الثورة، لأن النظام يمنحها امكاناته في الإعلام، وفي التربية، وفي المواقع السياسية، وفي العلاقات العامة، مما لا تستطيع أن تحصل عليه في مجالات أخرى، فاستسلمت لهذا المنطق الخادع، الذي يوحي بالإخلاص، خلف قناع من الخبث والمكر والخديعة، فتحولت هذه الحركات، ببركة هذا المنطق، إلى جمعيات اسلامية ثقافية، أو اجتماعية، أو خيرية، بدلاً من أن تكون حركة إسلامية ثورية تغييرية، وسقطت الثورة أمام منطق النظام، وانطلقت اللعبة، لتحتوي كل دعوات الخروج على أصولها.

اللمعان الثوري وتغيير الواقع

ويضرب هؤلاء المثل، ببعض الشخصيات الإسلامية، التي تملك بعضاً من عبقرية الفكر، وحركية الإتجاه، وفاعليّة الموقع، فقد بدأت هذه الشخصيات، في مواقع مختلفة، من أجل التغيير، من خلال الإسلام، وأعطت الفكر والحركة والموقف، وعانت الكثير الكثير في مواجهة التحديات، ثم بدأت تفكر في التغيير من داخل النظام، وانطلقت في حركة إصلاحية، في نطاق المؤسسات الثقافية والإجتماعية والخيرية، فيما تعتبره أسلوباً من أساليب احتواء القاعدة الشعبية، لمصلحة التغيير، ولكنها بدأت تغرق في التفاصيل، وفي التعقيدات الجزئية، حتى إذا بدأت العمل

السياسي من الداخل، كانت اللعبة بانتظارها في خطّة ذكية محكمة، فاعطتها بعض الإنطلاق، وغذّت ثوريتها، بالطريقة التي استطاعت أن تلهب بها الساحة حماساً وانفعالاً، وتصل بها إلى ما يشبه القمة في الموقع السياسي، ثم بدأت عملية الإحتواء في الأجواء الداخلية والطائفية، حتى استطاعت، أن تجعلها في أساليبها وعلاقاتها وامتداداتها، تتحرك في أجواء اللعبة تماماً، مع بعضٍ من اللمعان والشكل الثوري، الذي يدعو إلى الإعتدال، ويحافظ على توازن النظام، من خلال توازن اللعبة الداخلية والإقليمية في الساحة. وهكذا جاءت هذه النماذج، لتغيّر الواقع على أساس الإسلام، فاستطاع الواقع أن يغيّرها لمصلحة النظام.

وهكذا رأينا العمل الإسلامي يتجمّد، ويتجه إلى الجوانب الإصلاحية، بدلاً من أن يتحرك وينطلق في اتجاه الجوانب التغييرية. وهذا هو الذي يؤكد النظرة القائلة، بأن على الإسلام أن يبتعد عن الدخول في نطاق اللعبة السياسية للأنظمة غير الإسلامية، كوسيلة من وسائل العمل التغييري، لأن ذلك يؤدي إلى عكس المطلوب.

ردود على ما سبق!؟

ولكن أصحاب الرأي الآخر. يحاولون أن يسجلوا عدة نقاط حول هذه القضايا المثارة حول الموضوع، في نقد رؤيتهم لحركة الإسلام في الساحة.

المشاركة بضوابط فكرية وعملية

إن مسألة إضفاء صفة الشرعية على النظام، من خلال المشاركة فيه، لا تخضع للتقييم الدقيق، لأن طبيعة المشاركة هي التي تحدد الموقف من النظام، تبعاً لاختلاف الأسس التي ترتكز عليها الوسائل التي تستخدمها، والآفاق التي تتحرك فيها، فإذا كانت الخطة، متحركةً في ضمن ضوابط فكرية وعمليّة، خاضعة للخط العام، الذي تقوم عليه الحركة الإسلامية، في ظل الأجواء المتطلعة إلى التغيير، في تأكيدها على رفض الواقع، من خلال الدعوة إلى تغييره، بإظهار مفاسده، وتحريك مشاكله، والتركيز على سلبياته، إذا كانت الخطة في هذا النطاق، فكيف يمكن أن يكون ذلك

تثبيتاً للشرعية؟

إن النظام لا يمثل ـ في هذه الحالة ـ، إلا إحدى ساحات العمل، التي تمثل المنطلق الذي يتجاوز، من أجل أن يغير الصورة والإطار معاً، وبهذا، فإن المسألة تمثل مرونة في التحرك، واستفادة من ظروف الساحة، التي قد تضيق في بعض الظروف، وتتسع في ظروف أخرى.

المرونة ثمن الحرية

أمّا الحديث عن الربح الذي تحصل عليهِ الأنظمة، من وجود الحركة الإسلامية في داخلها، فقد لا نستطيع إنكار سلبياته، ولكننا نعتبر ذلك حالة طبيعية في حركة العمل، ولكنها لا تمثل السلبيات التي تُسقط العمل وتحاصره وتحتويه، بل تمثل الثمن الذي قد تدفعه الحركة، في سبيل الإستفادة من حريّة الساحة، من أجل الحصول على المزيد من حريّة الحركة، في ضمن الظروف الخانقة في بعض المراحل.. وقد، يكون ذلك أمراً حتمياً في كل مرحلة، فقد يكون الثمن سجناً واضطهاداً وتشريداً، وقد يكون شيئاً يحصل عليه العدوّ..

ولكنه على أي حال لا يمثل مشكلة خانقة، إذا أحسن العاملون الإستفادة من محاولة تفتيت القوة المضادة، بالبحث عن نقاط الضعف، والتعامل معها بمرونة ودقة وذكاء، مما لا يستطيع أن يحصل عليه في غير هذا الموقع.

إن المسألة، تتوقف على نوعية حركة العمل في احتواء الساحة، فذلك هو الذي يمنع من اللعب على الحركة في عملية الإحتواء، بالطريقة التي يستطيع أن يهدم فيه الملعب على رؤوس اللاعبين.

إن حركة الصراع في الداخل، فيما يملكه المتصارعون من وسائل النصر والهزيمة، هي التي تحدد نهاية المعركة في المدى الطويل.

الثورية داخل المعارضة

إن قضية إبقاء الثورية حيّةً في وعي العاملين، لا تقتصر على البقاء بعيداً خارج نطاق الأنظمة، بل يمكن تحريكها في ساحة المعارضة، التي قد تسمح بها ساحة هذا

النظام، أو ذاك، وذلك بتطوير أدواتها، وتوسعة ساحاتها، وتكثيف قوتها، من أجل ممارسة الضغط الذي يحقق كثيراً من عوامل الإثارة في الموقف.

ولا بد لنا من أن نلاحظ في هذا المجال، أن وجود الحركة في الداخل، لا يعني أن الداخل يمثل كل ساحة الحركة، فقد يكون الثقل الأكبر موجوداً في الخارج، على أساس من التخطيط الدقيق، الذي يتوزع فيه العاملون الأدوار، من أجل احتواء الساحة كلها، ليلتقي الداخل والخارج في تحريك خيوط التغيير، وتجميع عناصر الثورة. وبذلك لا يشعر العاملون بالحصار المضروب عليهم من قبل النظام، لأنه إذا كان يملك أن يحاصرهم من الداخل، فإنهم يملكون محاصرته من الخارج، مما يمكنهم من فك الحصار من جهة، وإحكام الطوق عليه من جهةٍ أخرى.

إن المسألة التي تفرض نفسها على الساحة، هي أن القائمين على الحركة، هل يغرقون في أحلام الإسترخاء، لينتظروا النصر من الله قادماً على أجنحة الملائكة، بعيداً عن الجهد الذاتي في المعاناة والمصابرة والمرابطة والمجاهدة، أو يتحركون من أجل أن يصنعوا للنصر وسائله، فيما رزقهم الله من طاقات؟ ليأملوا ـ بعد ذلك ـ أن يفيض عليهم من لطفه ورحمته ورضوانه، فيعجل لهم النصر، الذي صنعوا بعض مقدماته فيما يملكون أمره، ليمنحهم ما لا يملكون الوصول إليه بطريقة ذاتية.

النماذج السلبية وسقوط التجربة

أما حديث الحركات الإسلامية، التي عاشت الإسترخاء في أحضان الأنظمة، أو الشخصيات التي فقدت حيوية الحركة الثورية في مواقعها الرسمية أو غير الرسمية، فلا يمثل التجربة الشاملة لكل الساحة، بل يمثل بعضاً من حالات الضعف والسقوط، التي قد تصاب بها الحركات، ويضعف أمامها العاملون، وقد نجد في المقابل، نماذج أخرى، لا تزال تعيش في حالة تمردٍ ومعارضة وثورة، بالرغم من أنها لا تبتعد عن الساحة، ولكنها لا تخضع لكل وسائلها وأوضاعها.

إن التأكيد على المظاهر والنماذج السلبية، لا يعني سقوط التجربة، ولكنه يعني الحاجة إلى البحث عن إيجابياتها من جهة، ومحاولة البحث عن جذور هذه السلبيات في حركة الواقع من جهةٍ أخرى. فقد نكتشف، أن عملية السقوط، لا تمثل الوقوع

في أحضان الهاوية، بل تمثل بعضاً من مشاكل انخفاض المستوى، الذي قد يرتفع من جديد، إذا قُدّر له الظروف الموضوعية، التي توحي له بالآفاق الروحية المتطلعة إلى الآعلى، في انطلاقها مع الله.

وهكذا نجد، أن من الممكن أن نتجنب الوقوع في فخّ المشاكل الجانبية، والنزاعات الطائفية، والتعقيدات الذاتية، إذا استطعنا أن نعي آفاق النظام، ووسائل الثورة المضادة، وحاولنا أن نواجهها بالوعي والتعقل والاتزان، في حالة صاعدة من حالات التوتر الروحي، الذي يبعث في الإنسان الحركة والحيوية والإندفاع.

وبذلك لا يبقى هناك مجال للإستغراق في الضباب، أو الإندفاع في الفراغ، أو الإسترخاء في أجواء الأحلام الوردية الغارقة في أمواج العبير.

كيف نواجه قضية التغيير في الأمة؟ « د »

بين قائل :

* بالمقاطعة والرفض
للنظام وعدم تأييده ودعمه .

* والتأكيد على المرونة
والإستفادة من ضمن صيغ النظام .

*العمل في ساحة اللعبة السياسية
قد يمنع سقوط الأمة .

* الخوف من تحول
التخطيط الثوري إلى قفزات وأحلام .

رفض التعاون مع الظالم

قد يطرح بعض الناس المسألة من ناحية فقهية، وهي مسألة التعاون مع الظالم، سواء كان شخصاً أو مؤسسة أو نظاماً. فقد رفض الفقهاء ذلك واعتبروه جريمة وخطيئة دينية، يعاقب عليها الله، وأكدوا على أن الدخول مع الظالم في ولاية، أو مشروع، أو معاهدة يمثل لوناً من ألوان الركون إليه، مما يجعل ذلك مشمولاً لقوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ ١١/ ١١٣ لأن ذلك يعني الإطمئنان إليهم، والإستسلام لحكمهم، ولطريقتهم في الحياة والتعامل، ولتطلعاتهم في الأهداف، فيما يعيشه المتعاملون معهم، من مفردات حياتهم اليومية، في علاقاتهم بالأجهزة المتنوعة، التي تتحرك في مجالات نظامهم اللاّشرعي.

وربما نجد في الأحاديث المأثورة، الكثير من الدعوة، إلى رفض الإرتباط بالنظام الظالم، أو الحاكم الجائر، حتى في الأمور التي لا تمثل محرّماً في ذاتها، فقد ورد في بعضها عن رسول الله (ص) قوله: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين أعوان الظلمة ومن لاق لهم دواة أو ربط لهم كيساً أو مدّ لهم مَدة فاحشروه معهم». . وجاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق (ع) أنه قال: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم». .

مسؤولية الأمة

وقد نستوحي من ذلك، أن المطلوب شرعاً مقاطعة هذا النظام، والوقوف منه ومن الحاكم الذي يشرف عليه، موقفاً سلبياً. . لأن أيَّ موقف إيجابي، يمثّل لوناً من ألوان تقوية كيانه، وتأكيد سلطانه، باعتبار ما يمثله من رضىً به، ودعم لمسيرته، وتسهيل لأموره، مما يجعل الناس تطمئن له، وتستريح إليه في ترتيب أمورها، وقضاء حاجاتها، وحلّ مشاكلها. بينما نلاحظ في المقاطعة، تعقيداً لأوضاعه ورفضاً لسلطته، وتهديماً لمشاريعه، مما يؤدي إلى سقوطه في النهاية، عندما يفتقد الأعوان الذين يعينونه على بناء الدولة، وإقامة النظام. . وهذا هو ما عبرت عنه الكلمة المأثورة عن الإمام جعفر الصادق (ع) «لولا أن بني أمية وجدوا لهم من يكتب ويجبي لهم الفيء، ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا. . » فقد نستوحي منه،

أن الأمة التي تتعاون مع النظام الظالم، مسؤولة عن إبعاد السلطة الشرعية عن ساحة الحكم، بمقدار ما تساهم في تركيز ذلك النظام، ولو كان ذلك في نطاق الأمور العادية في حركة الحكم في حياة الناس.

الرفض النفسي للظالم

وقد نجد في بعض الكلمات المأثورة، ما يوحي، بأن التعاطف معهم من أجل انتظار وصول الإنسان إلى حقّه المشروع لديهم، أمر مرفوض ومحرم.. فقد جاء في رواية صفوان الجمال قوله: دخلت على أبي الحسن «موسى الكاظم» (ع) فقال لي: يا صفوان، كل شيء منك حسن جميل، ما خلا شيئاً واحداً فقلت: جعلت فداك ـ بأي شيء، قال إكراؤك جمالك من هذا الرجل ـ، يعني من هارون، قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا لصيد ولا لهو، ولكن أكريته لهذا الطريق ـ يعني طريق مكة، ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني فقال لي: يا صفوان؛ أيقع كراؤك عليهم؟ قلت نعم ـ جعلت فداك ـ قال: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك قلت: نعم قال من أحب بقاءهم فهو منهم ومن كان منهم كان وروده إلى النار.

فقد نفهم من هده الرواية، ان المطلوب هو الرفض الداخلي النفسي، الذي لا يشعر معه الانسان، بأية حالة ذاتية شعورية متعاظمة معهم، حتى بهذا المستوى الطبيعي، الذي يحب فيه حياتهم من أجل أن يقبض اجرته.

التغيير لا الاستسلام

ولكن هناك وجهة نظر أخرى، تفسر هذه النصوص بوجه آخر، بحيث يبتعد المضمون الحقيقي لها، عن النتائج المذكورة لدى هؤلاء، الرافضين للدخول في حركة النظام من أجل التغيير.

وذلك على أساس، ان الركون إلى الظالم، الذي منعت منه الآية، يعني الإستسلام إليه في عملية تأييد وتعاطف، سواء كان ذلك من جهة ارتباطه به بأمر دنيوي أو من جهة إخلاصه له.. مما يجعل من حالة الإنسان الداخلية، حالة حميمة منسجمة معه، ويؤدي ـ بالتالي ـ إلى الموقف الإيجابي، الذي قد يتحول إلى دعم وتأييد، كلما

تطورت حاجات الإنسان عنده، فيما يحاول أن يطوّره ويكثره، للوصول به إلى الإرتباط العضوي الوثيق، كموقع من مواقع القوة التي يستفيد منها لنفسه. أمّا إذا كانت الخطة تتحرك من موقع الرفض والمعارضة، للنظام وأهله، في المواقع التي يعيش معها الإنسان، الحاجز الداخلي، الذي يوحي له بالإنفصال الروحي والعملي، من خلال إثارة نقاط التباين، التي يفترق بها عنه، في الوسيلة والهدف، وتحويل المسألة العملية، من مسألةٍ مرتبطةٍ بالنظام، إلى مسألةٍ منفصلةٍ عنه، ولكن بطريقة غير مباشرة، تستهدف فيما تستهدف، الإستفادة من حرية الحركة للساحة، من أجل الوصول إلى إثارة نقاط الضعف في داخله، للإنطلاق بها في عملية إرباكٍ لأوضاعه، وتثويرٍ للعناصر المضادة حوله.

أمّا إذا كان الأمر كذلك، فإن الأمر يختلف في الشكل والمضمون، لأن الموقع ـ في صورته ـ هو موقع المعارضة لا الموالاة، ولأن الفكرة التي تحكمه، هي فكرة التغيير لا الإستسلام للأمر الواقع، فكيف يمكن أن يكون ذلك ركوناً واستسلاماً واعترافاً بشرعيته؟.

اللعبة الديمقراطية ومصلحة الاسلام

وقد يكون نظر هذا البعض من الفقهاء، إلى طريقة الحكم في العصور الماضية، التي كانت السلطة فيها سلطة الشخص، الذي يتبعه البعض. فيفسح لهم المجال في تسلّم زمام الأمور، ويعارضه الآخرون، فيطردون ويقهرون، ولا يفسح لهم أيُّ مجال، للحصول على أيّة فرصة للتحرك، في داخل الساحة، فضلا عن العمل لتغييرها. وبذلك، فلا يستطيع الإنسان أن يفصل، بين العلاقة بالحاكم وبين الإرتباط بحكمه، لأن ذلك هو المظهر الطبيعي للتأييد والإنتماء في مثل هذه الحالات، فيما تمثله حركة العلاقات الإنسانية، في مجالات الدعم والتأييد.

أمّا في طريقة الحكم في العصور الحديثة، فإنها لا ترتكز على الشخص من حيث المبدأ، بل ترتكز على المؤسسات الديمقراطية، التي قد يملك فيها الإنسان، فرداً كان أو جهة، إمكانات الدخول الى داخلها، والحصول على حرية الحركة فيها، من خلال الحصول على أكبر قدر ممكن، من المقاعد في المجالس النيابية، أو من المواقع

السياسية والإقتصادية، التي تفسح المجال، للوصول إلى الضغط على الحكم وإضعافه، أو السيطرة عليه، في عملية احتواءٍ له، كما قد يحدث ـ في بعض الحالات ـ من انتقال الحكم من حزب إلى حزب، من المؤسسات الحزبية المتحركة في داخل اللعبة، مما يمكن حدوثه لدى المؤسسات، التي تتحرك في مفاهيمها وتطلعاتها خارج نطاق اللعبة السياسية.

وهذا هو ما وصلت إليه الماركسية في أسلوبها الجديد، في حركة الأحزاب الشيوعية في أوروبا، عندما تجاوزت النظرية الماركسية التقليدية، التي كانت تعتبر الثورة أساساً في الوصول إلى الحكم، وذلك عندما رأت، أن مثل هذا الإتجاه ليس واقعياً، في بعض البلدان التي اعتادت على طريقة معينة في أسلوب الحكم وطريقة التغيير، ولذلك فإنها ترفض العنف كأساسٍ لتبديل الحكم، فاختارت الماركسية الأوروبية، الأسلوب الديمقراطي الغربي، في الوصول إلى الحكم، وبذلك فقد استطاعت أن تقترب منه، وتضغط عليه في أكثر من بلد أوروبي، كما في فرنسا وإيطاليا وغيرهما، مما جعل قضيّة وصولها، إلى مواقع السلطة هناك، قريباً من الواقع، ولولا الضغط الأميركي المضاد، لاستطاعت الأحزاب الشيوعية الوصول إلى الحكم في أكثر من مكان.

وفي ضوء ذلك، فإننا لا نجد أي مانع من اعتماد هذا الأسلوب من ناحية المبدأ، كأحد الأساليب الواقعية، في الوصول إلى النتيجة المطلوبة، في الوصول إلى مواقع الحكم، أو الإقتراب منه، أو التقدم ـ في بعض الخطوات في حركة التغيير، وذلك بالتأكيد، على صفة المعارضة، التي تعلن منهجها وأسلوبها في العمل، وتطلعاتها للتغيير، وتركيزها على إظهار سلبيات الحكم، ومواطن الضعف فيه، في محاولةدائمة، لتحويل الأنظار عنه إلى الإسلام، في إيجابياته، من خلال مواطن القوة فيه، والعمل على اعتبار المؤسسات الديمقراطية، موقعاً متقدماً من مواقع الإعلام والتحرك، لمصلحة الإسلام في مواقعه التشريعية والسياسية على أكثر من صعيد.

رفض اللعبة الديمقراطية

وقد يثير بعض المفكرين الإسلاميين، أكثر من علامة استفهام على هذا النهج، وذلك من خلال ما ألمحنا إليه في الحلقة السابقة، من أن هذا النهج، يمثل اعترافاً

شرعياً بالديمقراطية، كعنوان سياسي للتحرك الإسلامي في السياسة والتشريع، مما لا يمكننا الموافقة عليه من ناحية المبدأ، على أساس الخط الإسلامي، الذي يرتكز، على أن حق التشريع هو لله ـ وحده، وللرسول ـ من خلاله، فلا يملك الشعب حق التشريع ـ من خلال ممثليه ـ كما توحي الديمقراطية ـ، وبذلك يتحول الموقف إلى أداة تضليل وتحريف، فيما تتحرك به الممارسة، ويوحي به الموقع، ولهذا فإن علينا الوقوف، موقفاً سلبياً من عملية الإنتخاب بالذات، لأنها غير اسلامية، والإعلان للأمة، بأننا نرفض الدخول في اللعبة الديمقراطية للوصول إلى المجلس النيابي في أي بلد من بلاد المسلمين.

حق الشعب في التشريع

وقد يضيف هؤلاء، أن هناك فرقاً، بين ما هو الإسلام، وبين ما هي الماركسية في هذا المجال. فإن الماركسية لا ترفض المبدأ، الذي يجعل للشعب حق التشريع بل تؤكده، ولكنها تعتقد، أن الثورة هي الطريقة الوحيدة للتغيير الجذري في المجتمع، فيما كان يراه ماركس، فإذا جاء بعض مفكريها بالفكرة، التي تفسح المجال للطريقة الديمقراطية في عملية التغيير، لتكون الثورة، ثورة في المضمون، لا في الشكل، على أساس دراسة المسألة، بطريقة واقعية، من خلال الظروف الموضوعية المحيطة بالساحة، فإن ذلك قد يعني المناقشة، في تفاصيل الأسلوب العملي للتغيير، ولكنه لا يحمل ـ في داخله ـ التنكر للأساس الفكري، الذي يؤكد على أن التشريع للإنسان، لا لله، لأنه لا يؤمن بوجود الله.

أما الإسلام، فإنه ينكر المسألة من خلال الأساس الفكري، لا من خلال التفاصيل.

تحفظات على ما سبق!!

ولكننا نختلف مع هؤلاء، من خلال عدة تحفظات في هذا الموضوع:

شرعية الموقف والموقع

إن مسألة الأشكال، في الإعتراف بشرعية الخط الديمقراطي، من خلال الممارسة، فيما تمثله عملية الإنتخاب من جهة، وفيما تعطيه صفة المجلس التشريعي من جهة أخرى، يمكن أن تُحَلّ، بالوسائل الإعلامية والتثقيفية، التي تعمل على تفسير السلوك العملي للإسلاميين، في اتخاذ هذا الأسلوب، كأداة للوصول إلى المواقع المتقدمة، في حركة الواقع، من أجل السيطرة على عناصر القوة فيه ليعرف المسلمون، طبيعة الموقف الذي يقفه الخط الإسلامي، في هذه الساحة، مما يمكن لهم، أن يروا فيه الأسس الفقهية الإسلامية، لشرعية الموقف والموقع.

إفساح المجال للتشريع الاسلامي

إن من الممكن للإسلاميين، أن يعّبروا في داخل الندوة النيابية، عن موقفهم الإسلامي في مجالات التشريع، بالعمل على منع التشريعات المضادة للتشريع الإسلامي، ومواجهة المشاريع الظالمة والطاغية، التي يراد من خلالها استعباد الأمة، واستغلالها واستعمارها، وتحويلها إلى أمة ضعيفة مستسلمة ذليلة، فيما يخطط له ممثّلوا الحكم الفاسد والإستكبار الغاشم، ويعبرون ـ في الوقت نفسه، عن معارضتهم للتشريع كمبدأ، فيما لا يملكون أمر الخوض فيه، ويمكن لهم ـ في الوقت نفسه، أن يفسحوا المجال للتشريعات الإسلامية، أن تفرض نفسها على الساحة، من خلال التحرك العملي، من أجل إقرارها في القانون، بطريقة وبأخرى، ويؤكد وجودها كحركة ضد الإنحراف، عندما توحي بأن شرعية وجودها في الداخل، منطلقة من مواقع الشرعية فيه، حتى في العمق العميق لقاعدتها الشعبية، لأن مسألة الإلتزام الواقعي، لا يعني الإلتزام من ناحية المبدأ، بل كل ما هناك، هو أن هذه الوسيلة قد تكون، في بعض المراحل ـ، الوسيلة الواقعية الأقرب، للوصول إلى المواقع المتقدم للإتجاه الإسلامي في الساحة.

وليست المشكلة، هي في الشكل الذي يمارسه الإنسـان، في بعض الحالات، بل المشكلـة، هي في حـركـة المضمـون في العمق، التي تجمع في داخلهـا خط الإلتـزام الشرعي، وطبيعة المرونة في الحركة.

إمكانية الثورة وواجب الاصلاح

إن الإسـلام دين يتسع للفـرد، كما يتّسع للمجتمع، ويعمل على تنظيم الحالات الفردية في خط التشريع، عندما لا يكون تنظيم الحالات الإجتماعيـة ممكنـاً في حـركـة الواقع، لأنه يريد للفرد أن يطيع الله، حتى في مجتمع الكفر والعصيان..

وعلى هذا الأساس، فإن التجزيئية في حركة الإصلاح، لا تبتعد عن خط الشرعيـة في التحرك الإسلامي، على مستوى المرحلة.. فإذا لم تكن الثورة ممكنة، فإن الإصلاح واجب.. وإذا كانت الثورة مـؤجلّة، فإن علينـا أن نعمل على إيجاد بعض الأجـواء، والتشريعات، والأساليب الإسلامية للفرد والمجتمع، ليعيش الناس الإسلام، ولو في بعض آفاقه، كوسيلة من وسائل التحضير للجـو الكبير للثـورة، أو كأداة من أدوات إبعاد المسلمين عن التأثر بالأجواء الكافرة ـ ولو بعض الشيء.

وفي ضوء هذا، ربما يكون الـدخـول في المؤسسـات الـديمقـراطيـة، أو العمل في ساحة اللعبة السياسية للحكم الظالم، مانعاً للأمة من السقوط في أحضـان التيـارات الكافرة بالكامل، عندما تفتقد اللون الإسلامي، في حركة الواقع اليومي، مفتقرة أمام الإيجابيات التي نستفيدها في النتائج العملية لمصلحة الإسلام والمسلمين.

شرعية الانتخاب والشورى

إن الحديث عن اعتبار الشكل الإنتخابي حالة غير اسلامية، هو كلام غير دقيق، لأن من الممكن اعتباره مظهراً للشورى الإسـلاميـة، ممـا يجعل الإلتـزام بـه، حتى في المجتمع الذي يرتكز على مضمون آخر في ممارسته له، ووعيه لمعنـاه، إيحاء بإمكـانيـة اعتراف الإسلام به، فيما يريد أن يخطط له في طريقة حكمـه، ولكن بطـريقـة أخـرى وبذهنية مختلفة، وذلك كما لاحظناه في الجمهورية الإسلامية في إيـران، التي انطلقت في شرعيتها، من مبدأ «ولاية الفقيـه»، ولكنهـا اعترفت بـالطـريقـة الإنتخـابيـة، في

انتخاب أعضاء مجلس الشورى، وفي مجلس الخبراء، وفي اختيار رئيس الجمهورية، باعتبار أن ذلك يمثل المصلحة الإسلامية العليا، في نظر الفقيه، مما جعله يمنحها الشرعية في نطاق الولاية للتشريع وللحكم، وذلك من خلال الشورى التي تتحرك ضمن رقابة ورعاية (الولي الفقيه).

ويبقى هنا الفرق، بين مجلس يقوم على أساس الغطاء الشرعي الإسلامي، حتى في انتخاب الأمة له، وبين مجلس يقوم على أساس اللعبة الديمقراطية، التي تخضع في شرعيتها للإنتخاب وحده..

إنه فرق كبير، ولكن المسلمين الذين يمارسونه هنا، وهناك، لا بد لهم أن يؤكدوا على الوجه الشرعي للممارسة، في هذا الموقع أو ذاك من دون إشكال.

أفكار للتأمل والمناقشة

إننا نريد أن نثير هذه الأفكار أمام العاملين للإسلام، للتأمل وللمناقشة من أجل أن يكون تفكيرنا أكثر واقعية، عندما نريد إثارة التفكير والحوار في الخطوط الشرعية، التي تحكم حركة التغيير للواقع الفاسد، لأننا في الوقت الذي نعبّر فيه عن إحترامنا للتحفظات، التي يسجلها العاملون للإسلام على هذا الأسلوب التغييري، الذي يتحرك داخل خط اللعبة السياسية للحكم اللاإسلامي، نريد ان نعبر عن خوفنا، في أن يصل التفكير في أسلوب العمل إلى طريق مسدود في بعض المراحل وفي بعض الأماكن، بحيث يتحول التخطيط الثوري لدينا، إلى ما يشبه القفز في الهواء، أو السباحة في بحار الأحلام والأوهام.

وهناك نقطة أخيرة، نحب أن نثيرها، وهي إن طريقة فهمنا وتقييمنا، للنصوص الواردة في هذا الموضوع، في مسألة إعانة الظالم، أو الولاية من قبل الحاكم الجائر، وما إلى ذلك من مسائل، لا بد أن تخضع للمحاكمة الدقيقة، فيما تمثله حركة النصوص في الساحة، التي تحيط بالحكم، وبطريقته في عصر النص، وفيما تمثله ساحة الحكم، وطريقة الدخول فيه في عصرنا هذا، أو في العصور المقبلة، فقد يكون المبدأ واحداً، ولكن التفاصيل قد تختلف هنا وهناك، ولعل من بديهيات الإجتهاد الفقهي الإسلامي أن الأحكام تختلف وتتغير، حسب اختلاف وتغير الموضوعات.

كيف نواجه قضية التغيير في الأمة « هـ »

* على الاسلاميين التمييز

بين التصريح الصحفي والخطاب الجماهيري وبين الفكر الهادف .

* الصرعات الاعلامية الاسلامية

تحركها الأنظمة كغطاء لازالة الاحتقان الثوري .

*لا بد من صنع القوة

من خلال نقاط ضعف الآخرين .

*يجب أن نخضع التغيير لخطة متكاملة

على صعيد الزمان والمكان والأشخاص والوسائل والأهداف .

* الثورة هي الوسيلة الفضلى للتغيير

متى ما توافرت الامكانيات العملية .

التعليقات الانفعالية

قد يثير بعض العاملين، بعض علامات الإستفهام، حول طريقة الحديث عن التغيير، فيما عالجناه من حديث، في الحلقة السابقة، التي أثارت الكثير من الجدل، والتعليقات الإنفعاليّة، والأفكار السطحية، فيما هي الفكرة، وفيما هو الفهم الدقيق للمعالجة، مما يوحي بأن الكثيرين، يخلطون بين أحاديث الفكر في أسلوبها العميق الهادىء، وتحليلها الموضوعي للقضايا، وبين أحاديث العاطفة الملتهبة، في حركة الشعارات في الساحة، على مستوى المشاعر والأحاسيس . . . ولذلك فإنهم لم يدققوا في مضمون الفكرة، ولم يناقشوا المسألة من ناحيةٍ علمية.

وإننا هنا لا نريد أن نطرح شيئاً جديداً ـ في هذه الحلقة، بل كل ما نريده هو أن نوضح بعضاً من ملامح الفكرة، بالمستوى الذي يبعدها عن الإستغلال، ويقترب بها من حركة الواقع الإسلامي في قضية التغيير.

التوقيت وإرباك المسيرة الاسلامية

ربما يتحدث البعض، عن مسألة التوقيت في الحديث فيقول:

إن المرحلة التي نمر بها، تتميز بأنها مرحلة مواجهةٍ حادة حاسمة، في وجه قوى الكفر والإستكبار، وأمام قوى الثورة المضادة، التي تستغل الشعارات الإسلامية، لتطرحها بطريقةٍ سطحيةٍ من أجل أن تربك المسيرة الإسلامية الثورية، العاملة في خط التغيير، فتستفيد من الأفكار الهادئة الموضوعية في المعالجة، للتنفيس من حالة التوتر الجهادي تماماً، كما هي كلمات الحق التي يراد بها باطل.

ويضيف هذا البعض، أن إثارة أحاديث التغيير من داخل المؤسسات، ربّما يعطي هؤلاء بعضاً من الفرصة الفكرية، إن صح التعبير في مخططاتهم المضادة بالإيحاء بأنهم يتحركون في الخط السليم، من خلال ما يطرحه الحديث من أفكار. ونجيب على ذلك:

إن المعالجة المطروحة في الحديث، لا تخضع للظرف الزماني في طبيعتها الفكرية، بل هي جزء من بحثٍ متكاملٍ، لا بد من أن يُدرس أوّله ليُفهم آخره، لأن ما أثير في حلقاته السابقة، من قضايا وعلامات استفهام، بالإضافة إلى ما أثير فيه من

تحفظات، يفسر كثيراً من الملاحظات المطروحة في الساحة، بما لا يدع مجالاً لأي غموضٍ، ولا يسمح بأي استغلالٍ من أيّة جهةٍ سياسية قلقة، أو منحرفة.

وقد نضيف إلى ذلك، إن مثل هذا الطرح لا يربك مسيرة الثورة في هذه المرحلة، لنقع في مشكلة التوقيت، بل ربما يغني تجربتها، فيما يريد أن يثيره أمامها من بدائل، على مستوى الحاضر، في الساحات المغلقة ـ مرحلياً ـ أمام عوامل الثورة، وعلى مستوى المستقبل، فيما يتحرك فيه من مشاكل وحواجز ومتغيرات، الأمر الذي يمنحها حرية الحركة، فيما هو المضمون من معنى الثورة، وفيما هو الإطار من أسلوب التحرك، ويجعلها أكثر واقعيةً في خططها العملية، التي تطوّق كل ثورةٍ مضادةٍ، بالتأكيد على المبادىء الأصيلة في حركة الثورة في الواقع، وبالملاحقة الدقيقة لكل عوامل الإنحراف على مستوى النظرية والتطبيق.

احتواء الثورة وتدجينها

ربما يفهم البعض من المعالجة الفكرية في البحث السابق، لوناً من ألوان التطبيق العملي، الذي لا يريد البحث أن يثيره أو يوافق عليه فيقول:

إننا نفهم من هذا الطرح، الذي يدعو إلى التحرك التغييري من داخل المؤسسات، أنه يفسح المجال للإستجابة للرغبة الكافرة، أو الطاغية، أو المستعمرة، في دخول الإسلاميين معهم في الحكم، ليمارسوا بعض الدور الذي يُراد لهم أن يمارسوه، لاحتواء الثورة الشعبية في الأمة، في عملية تدجين واقعي من جهةٍ، وفي حركة التفافٍ على كل مشاعر الثورة، ووسائلها الرافضة للواقع، العاملة على أساس التغيير من جهة أخرى.

وهذا ما لاحظناه من تجربة دخول بعض الإسلاميين، في التحرك المشبوه، الذي حاول فيه الحكم في السودان، من خلال النميري المخلوع، تطويق الثورة الإسلامية الشعبية في عمق الأمّة، بالطرح السطحي للإسلام، الذي يريد منه أن يكون أداةً للتنفيس والإحتواء، لا وسيلة للتغيير، فقد لاحظنا أنه استطاع احتواء الكثيرين من قادة الحركة الإسلامية لينقلب عليهم بعد ذلك، وليحمِّلهم مسؤولية كل السلبيات، التي حدثت في هذه التجربة المشبوهة القلقة، ليكونوا في موقع الإتهام أمام الأمة،

بدلاً من أن يكونوا في مواقع الثورة الحقيقية ضدّ النظام الكافر الظالم، المرتبط بالإستعمار في العمق وفي الشكل، من خلال الماضي والحاضر.

جنة الحكم ونار المعارضة

وهذا ما قد نلاحظه، في تجربة المعارضة، التي لا تطرح الإسلام في مضمونه الفكري، في بعض البلدان ـ ومنها لبنان ـ حيث استطاعت اللعبة السياسية الداخلية والدولية، أن تنحرف بها عن خط المواجهة الحاسمة، التي تعمل على أساس التغيير في العمق، في الثورة على الحاكم، وعلى الحكم الطاغي المنحرف، وبذلك أمكن إبعادها عن خط الثورة، لتبقى حائرة الخطوات، بين جنة الحكم ونار المعارضة، مما أفقدها قوّة الإندفاع، وأربك خطواتها في الساحة، وحوّل المسألة إلى التحرك في داخل اللعبة، للحفاظ على معادلاتها الإستعمارية، بدلاً من أن تكون ثورة على اللعبة لتغيير المعادلات.

ونحن لا نريد أن نناقش، مسألة المضمون الدقيق للخلفيّات السياسية العميقة لهذه المعارضة أو تلك، لندخل في مسألة التقويم، للطبيعة الجدية السياسية للطروحات الثورية في شعاراتها، أو في حركاتها، لنخرج من ذلك بالنتيجة، التي قد تقول، بأنها كانت تتحرك، على مستوى التكتيك السياسي، الباحث عن فرصةٍ للوصول إلى الحكم، أو إلى بعض الإمتيازات الطائفيّة، أو الشخصية، أو الحزبية، أو أنها كانت على مستوى الإستراتيجية، في حركة الثورة من أجل التغيير.

إننا لا نريد مناقشة ذلك كله، لأننا لسنا في موقع البحث عن طبيعتها، بل نحن في مواقع البحث، عن مدلول المشاركة في المؤسسات، من أجل التغيير، من خلال الشعارات المطروحة في الساحة، بعيداً عما هو العمق لحركة هذه الشعارات أو لأصحابها.

طموحات الزعماء وحسابات الدوائر

وقد نلاحظ ذلك في العلاقات، التي قد تحصل بين الشخصيات أو الحركات الإسلامية، وبين بعض الحكومات المرتبطة بالخط الإستعماري من جهةٍ، والمتحركة

تحت واجهةٍ إسلامية من جهةٍ أخرى. . فقد يدور في تفكير هؤلاء، أنهم قـادرون على إحداث التغيير، من خلال هذه العلاقات، التي تتحرك في خط الدعم أو المشاركة، لأنهم ينفذون بذلك، إلى داخل مؤسسات هذه الحكومات، أو مشاريعها الثقافيـة، للإستفادة من ذلك، في عملية التغيير الداخليّ، فيما يشبه حركة الإلتفاف عليها، أو الإتجاه بها إلى خط الإصـلاح، بعيـداً عن خط الإفسـاد والإنحـراف، ولكن النتيجـة كانت في غير الإتجاه الذي يريده هؤلاء أو يعلنونه، فقد استفادت هذه الحكومات من هذه الواجهات الإسلامية، التي يمثلها هؤلاء، في إعطـاء الصفـة الإسـلاميـة، التي تدّعيها لنفسها بُعداً جديداً في الساحة السياسية، قوّةً مضاعفةً في تمثيلها لـلإسـلام، على مستوى التحرّك في داخل الأمة، من خلال رموزها الدينية والحركيّة، وإمكانـات متنوعة في التأثير، على أكثر من صعيـد في الـواقع السيـاسي والإقتصـادي والثقـافي، لحساب طموحـات زعمائهـا، ولحسـاب الـدوائر الإستعماريـة المتحـالفـة معهـا، في مخططاتها الإستكبارية ضد الشعوب المسلمة المستضعفة.

وهكذا نجد، أن مثل هذه الفكرة، لم تنجح في حركـة التطبيق العملي على صعيـد الواقع، من خلال أكثر من تجربةٍ فاشلـة، ممـا يجعل منهـا فكـرةً مثـاليـة، لا تصلح للتطبيق، فيما تـريـد أن تحققـه من أهـداف، بل قـد تتحـول إلى الجانب المضـاد من الفكرة، كما لاحظناه فيما عرضناه من شواهد وتطبيقات.

ردود على ما سبق

ونجيب عن ذلك، بأنّ الحديث الـذي عـالجنـاه، لا يتسع لهذه النماذج، أو، لا يلتقي بكل تفاصيلها، وذلك على أساس عدة نقاط:

بين الثورة والحركة

النقطة الأولى: إن المسألة التي يطرحها الحديث، هي مسألة التغيير في الأمة، على أساس الإسلام في صعيد الـواقع. ولعلّ من الطبيعي، أن تكـون كل حـركـة في هـذا الإتجاه، خاضعةً لعناصر التغيير في الأسلـوب والمضمـون، فيما يجب أن يتـوفّر لها من أجواء وشروط، وفيما يمكن أن تتأثر به من عوامل وأحداث، وفيما يمكن أن يتحرك بها

من قيادات وأتباع، على مستوى المرحلة والهدف معاً، لأننا ندرك ـ جيّداً ـ أن التغيير لا بدّ أن يخضع لخطةٍ متكاملةٍ، على صعيد الزمان والمكان والأشخاص، والوسائل والأهداف. وبهذا لا يختلف أسلوب الثورة في عملية التغيير، عن أسلوب الحركة من داخل المؤسسات، في مسألة الشروط الموضوعية، التي يجب أن تتوفر في الحركة.. فإن الثورة، إذا لم ترتكز على أساس الخطة المتكاملة، لا تستطيع أن تحقق النجاح لفكرتها، أو الإستقامة لخطّها، أو الوصول إلى النتائج الحاسمة لأهدافها، لأن المسألة في الثورة، ليست أن تهدم واقعاً فاسداً من خلالها، بل المسألة أن تبني واقعاً جديداً يحمل فكرها وتطلعاتها وينفذ برنامجها ومخططها العملي في الحياة..

الحكم وركوب الموجة الاسلامية

النقطة الثانية: إن التجارب المذكورة في هذه الملاحظات، لا تسجّل أية نقطة سلبية ضد الفكرة، لأنها لم تستوف الشروط المطلوبة، التي تطرحها الفكرة ـ الخط ففي التجربة الأولى في السودان، كان من المفروض على الإسلاميين أن يعرفوا، أن مثل هذه الصرعة الإعلامية الإسلامية، لا تتحرك من أيّة جذور «إسلامية» في حركة التغيير، بل تنطلق من حاجة الحكم الطاغي المنحرف، إلى غطاء إسلامي، يسيطر من خلاله على البسطاء الطيبين من المؤمنين هناك، ليزيل «الإحتقان» الشعبي الثوري ضدّ حكمه، من خلال الأزمات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية، التي حطمّت حياة الناس، وأثقلتهم بالمشاكل المتنوعة، وأرهقتهم بالقيود والأغلال، وليحوّل المسألة إلى ملهاةٍ، تشغل الناس عن الجذور العميقة للنظام، في مرتكزاته اللاّإسلامية، فيما يمثله من قواعد سياسية وفكرية، مرتكزةٍ على المفاهيم والأسس الإستعمارية الكافرة.. ولهذا، فقد كان الأمر واضحاً كل الوضوح منذ البداية، أن المسألة لن تتعدى ركوب الموجة الإسلامية العاطفية، للحصول على عطفٍ شعبي، للإلتفاف بعدها على الإسلاميين لضربهم، وتحميلهم مسؤولية النتائج السلبية للتطبيق الجزئي الإستعراضي للحدود الإسلامية، بعيداً عن قاعدة الحكم الإسلامي الشامل، لاستعمال ذلك أداة للضغط على خصومه الآخرين، وهذا هو ما حدث.

ولهذا فإن الإقتراب من الحكم، لا يحمل أيّة ضماناتٍ، أو أيّة ظروفٍ موضوعيةٍ للخط التغييري، بل كان مجرد استغلال رخيص من قبل السلطة، لم تنتبه إليه القوى

الإسلامية ـ فيما يظهر، هذا إذا لم يكن لهذه القوى هدفٌ آخرٌ مـرحليٌّ، أو نهائيٌ، من خلال ذلك، فيما ننتظر أن تكشفه تطورات الأحداث، التي بدأت تتـلاحق بسرعـة، في الإنقلاب، الأخير، هناك.

المعارضة وجماعة المنتفعين

وفي تجربة المعارضة في لبنان. لم يكن وارداً ـ فيما يبدو ـ أيّة خطة للتغيير، بل كل ما هناك، أن في الساحة مشاريع إقليمية أو دولية، تفـرض على الأشخـاص والأحـزاب والحركات، أن تتحرك ضمن دائرةٍ سياسيةٍ وأمنيةٍ معينةٍ، لتحقّق حالـة خـاصّة، من خلال اشتراكها في الحكـومـة، فيما يتعلق بـالشخص، أو بـالطـائفـة، أو بـالمحـور السياسي الخاص.

إنها جزء من حركة اللعبة المحسوبـة بـدقّةٍ، فيما تتحـرك فيـه من واجهـات، وفيما تنفّذه من مشاريع، وفيما تثيره من أجواء استعـراضيّة، لحسـاب العـواطف الشعبيّة، التي يثيرها الزهو بالحركات الانفعاليّة، التي توحي بالشجاعة الكلامية المتفق عليهـا بين الأطراف، في حروب الاستعـراض السيـاسي، الـذي يـراد من خـلالـه، تخفيف الاحتقان الداخلي للساحة، وتنفيس الحالة الشعبية، بعيداً عن أيّ حلّ للمشكلة من قريب أو من بعيد.

وفي تجربة الشخصيات والأحزاب الإسلاميّة، مع الحكومات، المدّعية للإسـلام، لا نجد هناك أيّ تخطيط لقضية التغيير، على مستوى شموليّة الإسـلام في واقع الحكم والحاكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع، بل كل ما هناك، أنّ هـؤلاء، بين من يعيش معهم عقلية الباحث عن مصدر لـلإثـراء، أو عن مـوقع للسلطـة، وبين من يعيش معهم ضمن مفهوم مختلف، لا يجد في انحـراف الحاكم مشكلـة تـدعـو إلى الثـورة، وتدفع إلى التغيير، ولا يجد في الارتباط بالإستعمار، مسألة تـدين الحكم وتبعـد بـه عن الإسلام، ولا يفكر بالتطبيق الشامل للإسلام، بل كل ما هناك أن تكثـر المسـاجـد، وتطبع المصاحف، وتتحرك الدعوة للإسلام بطريقة تقليديّة، لا روح فيها ولا حيـاة، لأنها لا تتحرك من مواقع الإسلام الفكـريـة في خط التغيير الفكـري والسيـاسي، بل تنطلق من المفاهيم العامة، التي لا تلتقي بالمشاكل الحيـاتيّة لـلإنسـان المسلم إلاّ من

بعيد، بالمستوى الذي يلامس المشكلة بحذر، ولا يتعامل مع العمق الساكن في الأعماق.

ومن خلال ذلك نعلم، أن هؤلاء لا يمثلون حركة الإسلام في الواقع، من خلال الإنتماءات والعلاقات بالحكم والحاكمين، بل يمثلون جماعة المنتفعين، الذين يريدون أن يعطوا الحكم غطاءً إسلامياً، من دون أن يقدّم لهم وللحياة أيّ إسلام ينفتح على قضايا الأمّة ومشاكلها في الحياة.

وفي هذا الجوّ الذي عشناه، في مناقشاتنا لهذه التجارب، **نستطيع أن نخلص إلى** الفكرة التي نريد أن نؤكدها في هذا المجال، وهي أنّ هذه التجارب، لا ترتبط بالخط العملي، الذي تثيره معالجتنا لقضية التغيير بالأسلوب الواقعي، من قريبٍ أو من بعيد.

رفض التحرك العشوائي

النقطة الثالثة: إن الفكرة المطروحة في هذه المعالجة، ليست مطروحة على صعيد بلدٍ معيّن، أو على أساس أن تكون الحلّ الأوحد لعملية التغيير، بل هي مطروحة على صعيد الساحات، التي لا تملك الحركة الإسلاميّة فيها مجالاً للثورة، أو تكون الثورة فيها مصدراً لكثير من السلبيات السياسيّة، أو الأمنيّة، التي لا يتحملها الواقع، بشكل مطلق، أو على مستوى المرحلة، مما يجعل الأمر ضرورياً للبحث عن بدائل للتحرك، في اتجاه إيجاد مواقع متحركة، من أجل الوصول إلى إمكاناتٍ أكبر في حركة الإسلام في الواقع. ولكن ليس معنى ذلك هو التحرّك العشوائي، الذي يفكر فيه العاملون بطريقةٍ غير متوازنةٍ، مما يتيح لهم الغرق في موجات الكفر والضلال، في الوقت الذي يعملون فيه، على الوصول إلى الإسلام في حركته الصاعدة نحو الانتصار والنجاح.

إن القضية ليست هي قضية الهرب من فكرة الثورة، هرباً من نتائجها، بل القضية هي قضية الوصول إلى إنطلاقة الإسلام في حكم الحياة، من أيّ طريقٍ شرعي، يملكه العاملون، للوصول إلى هذا الهدف الكبير. فإذا كانت للثورة إمكاناتها العملية، في أيّ ساحةٍ من الساحات، من دون سلبياتٍ كبيرةٍ صاعقةٍ، فإن الثورة تصبح الوسيلة

الفضلى للتحرك نحو الهدف، أمّا إذا لم يمكن ذلك، أو كانت السلبيات فيه أكثر من الإيجابيات، فـان الـوسيلـة المشروعـة، هي التحـرك في طـريق آخـر، يخضع للحكم الشرعي الذي يريد الله للحياة أن تخضع له، في مستوى الوسيلة وفي مستوى الهدف.

الثورة والخيار الوحيد

ربما يطرح بعض الناس، في هـذا الاتجاه في خط السير، فكـرة تقـول: إن الـذين يحرسون معادلات الإستكبار العالمي، في صياغة الساحة على صورته، ومن خلال مـا يملكه من مفاهيم ونظم وشرائع، لا يمنحون الفرصة المعقولة لأية حركة إسلاميّة، أن تنفذ إلى داخل المعادلـة لتهـدّمهـا، من خـلال مـؤسسـاتهم ومشـاريعهم السيـاسيّة والتنظيميّة، التي يملكون مفاتيحها، ويعرفون مساربها، ويسيطرون على مصـادرهـا ومواردها، . . فإذا اجترأت على دخول الهيكل، وحاولت أن تعبث بمحتوياته، وقفوا أمامها بكل قوّتهم، وعملوا على أن يعبثوا بكل مفـاهيمهـا وقضـايـاهـا، وأن يحتـووا ساحاتها من خلال ساحتهم، ليهزموها من حيث تريد النصر، ويسقطوها من حيث تريد النجاح، الأمر الذي يجعل من الثورة، الخيار الوحيد الذي يملكه الإسـلام، في الوصول إلى الحكم، لأنـه يستطيع من خـلالها، أن يحاصر المعـادلات الاستكبـاريـة بضرباته المتلاحقة، التي يكتشف فيها كل يوم أسلوبـاً جـديـداً للحصـار، ووسيلـة متقدمة للمواجهة، حتى يسقط الهيكل على رؤوس اهله وحرّاسه.

إن القضية هي أن تتحرك من حيث تملك الساحة، فتعيش حريّة الحركة من موقع خطتك وإرادتك، لا من حيث يملكهـا الآخـرون، فيما يحددون لها مـن حـدود، ويخططون للسير عليها من خطوط.

مسؤوليّة صنع القوّة وإيجاد البدائل

ونجيب على ذلك، إن مشكلـة الإسـلاميين العـاملين في سبيل تغيير الـواقع على أساس الإسـلام، ليست هي مـا يفكـر فيـه المستكبرون، ومـا يعملـون لـه، فإنّ من الطبيعي أن يعملوا على تهديم كل ما نبنيه، واحتواء كل ما نخطط له، وإسقـاط كل ما نريد أن نحقّقه، بل هي، ماذا نريد أن نعمل في مواجهة ما يعملون، وماذا نـريـد

أن نخطط في مقابل ما يخططون، لأن الساحة في كل أبعادها مفتوحة للصراع على أكثر من جهة، سواء في الآفاق التي نحاول أن نفتحها وننطلق بها في حركة الثورة، أو في المجالات التي نريد أن نتحرك فيها، في حركة المؤسسات القائمة في الساحة.

و إذا كانوا يملكون ساحة مؤسساتهم، «للعبث» أو للتآمر أو الإحتواء، فإنهم يملكون الكثير من الفرص والأشخاص، والمؤسسات، والمصالح المرتبطة بهم في ساحاتنا العامة، فيمكنهم أن يهزموا، من خلال ذلك، إنطلاق الثورة، كما يمكنهم أن يهزموا حركة التغيير في نطاق المؤسسات، فإن علينا أن لا ننتظر في الثورة، أن يجلس الإستعمار في انتظار أن ندخل عليه الهيكل لنهدمه على رأسه، بل سيعمل بكل جهده، قبل إنطلاقة الثورة، في مواجهتها بأساليبه، لئلا تنطلق، وسيعمل بكل وسائله ـ بعد إنطلاقتها، في مواجهتها بالثورة المضادة، لكيلا تستمر، تماماً كما هو الحال في الأسلوب الآخر للتغيير.

وقد يكون الأمر مختلفاً بعض الشيء، في هذا الأسلوب أو في ذاك الأسلوب، ولكنه لا يختلف في مسألةٍ واحدةٍ، وهي، أن عليك أن تخطط لمسيرتك، فلا تتركها للرّياح القادمة من بعيد، لتبقى في قبضة التمنّيات الغيبيّة، وإذا كنت تنتظر الغيب، فعليك أن تنتظره، بعد استكمال عملك من خلال سنن الله. .

وقد يكون من مسؤوليتك، أن تفكر دائماً في قوّة الآخرين من خلال نقاط ضعفك، بل يجب أن تفكر في عمليّة صنع قوّتك، من خلال نقاط ضعفهم، لتتوازن عندك المسألة، فلا تنهزم قبل الدخول في المعركة، بل تضع في موقع كل نقطة ضعفٍ لديهم، عنصر قوّةٍ في المواجهة، وبذلك يمكن لك أن تواجه قوّتهم، بعد بناء قوّتك الذاتيّة.

إن ما نريد تأكيده في كل هذا الحديث، هو ضرورة التفكير في البدائل دائماً، في أيّ موقع من مواقع الحركة، لئلا تحشرنا الظروف المتغيّرة المتنوعة، في زاويةٍ مغلقة لا نملك معها حراكاً، لنظل نتحرّك في أكثر من اتجاه، في طريقنا نحو الهدف. وهذا هو ما نفهمه من أسلوب الإسلام المتحرك في خط الرفق، وفي خط العنف، وهذا هو ما نلاحظه، في سيرة النبي محمد (ص)، وفي سيرة الأئمة والصحابة والأولياء (ع)، في تنوّع الأسلوب، مع وحدة القرار الحاسم، والفكرة الثابتة.

وإذا أردنا دراسة البدائل، فعلينا أن لا نتجمدّ أمام السلبيات، بل يجب أن نقارنها بالإيجابيات، والعكس صحيح أيضاً، لأن السبيل السويّ، هو الذي يحسب حساب القضايا من جميع الجهات، لا من جهةٍ واحدة.

وربما كان من الضروري ـ في هذا الإتجاه، أن لا ندرس الفكرة في المطلق، من خلال تجربةٍ محدودةٍ، في نطاق الزمان والمكان، بل علينا أن ندرسها، من خلال أكثر من تجربةٍ وأكثر من فرصةٍ، لأن نجاح تجربة في زمان ما، أو مكان ما، لا يعني نجاحها في كل زمان أو مكان، إلاّ إذا استطعنا، أن ندرس التجربة بطريقةٍ علميةٍ موضوعيةٍ، تحقق لنا القناعة الحاسمة، بأن خصوصية الزمان والمكان، لا تمثّل أيّ تأثير في طبيعة النتائج العمليّة في ذلك.

مناقشة المصادر الاسلامية

وأحب في ختام هذا الحديث، أن أوجّه ندائي إلى كل العاملين للإسلام، أن يبتعدوا عن العاطفة في تقييم الأفكار، وأن ينطلقوا في قناعاتهم، أو رفضهم، من خلال مناقشة المصادر الإسلاميّة، لما يطرح من أفكار، وأن يفرقّوا دائماً، بين ما هو التصريح الصحفي، أو الخطاب الجماهيري، أو الشعار الانفعالي، وبين ما هو الفكر، الذي يرسم للمستقبل طريقه الطويل، من أجل أن يستقيم بقوّةٍ ووعي، نحو الهدف.

من الذي يقود عمليّة التغيير
حزب الأمّة أو أمة الحزب « أ »

* القائلون بالنظرة السلبيّة للعمل الحزبي يعتبرون أن :

* الحزبية ليست أسلوبا إسلاميا
مسجلين مشكلة العصبية والعقلية وشرعية القيادة .

* التغيير نتيجة طبيعية
لقوّة الأمة ووعيها وتنظيمها المنفتح الشامل .

دور الحزب والأمّة

كيف يتحرك خط التغيير في حركة الإسلام في الواقع؟ وما هو الإطار العملي الـذي يتحـرك العـاملـون في داخلـه؟ هل هـو الجزب، الـذي تخضع فيـه الحركـة لتعليمات محدّدة، وتنظيم دقيق، ودرجات متفاوتة، وخطط مرحليه متدرجّة في عمليّة الدعوة، وفي انطلاقة التغيير الواقعي السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فيطبع الأفراد بطابعه المميّز، فلا يتحركون إلا من خلاله كما يؤطر شخصية الأمّة بإطار شخصيته؟

أو هو الأمّة التي تمثل الساحة الواسعة لحركة التغيير، من خلال حركة الإسـلام في وجدانها الفكري والشعوري، وذلك في نطاق الأمواج البشريّة، التي تتدافع وتندفع، لتكون التيّار، الذي يجرف أمامه كل التيارات الأخرى، بكل قوته واندفاعه؟

وبالتالي هل هو حزب الأمة أو أمة الحزب؟

هذه علامامت استفهام، بدأت تتخذ لنفسها مكاناً في دائرة الصراع، في سـاحـة العمل السياسي الإسلامي التغييري، تبعاً للأجوبة الحاسمة في هذه المسألة.

الحزب وقيادة الأمّة

فهنـاك من يعتبر الحزب، هـو الأطـار العملي الـواقعي لعمليّة التغيير، ويـرى في التنظيم الحزبي، الخاضع لهيكليّة معينة في أسلوب العمل، أسـاسـاً للنمـو والتطـور والوصول إلى نتائج حاسمة، فهو الذي ينظم لـلأمّة طـاقـاتها، ويحدّد شخصيتهـا، ويقود خطواتها إلى الهدف الكبير. وبذلك يحقق للساحة قيـادتها الطليعيـة والـواعيـة المتقدمة، التي تعرف ما تريد، وتتحركُ بخطىً ثابتة، نحو تحقيق ما تريد.

وهذا هو النهج الذي درجت عليه الحركـات الإسـلاميّة السيـاسيّة، التي عملت على أساس المنهج الحزبي في تحركهـا السيـاسي، مثل «حـزب الأخـوان المسلمين»، و «حزب التحرير»، و «حزب الدعوة الإسلاميـة»، وغيرهـا من الأحـزاب الإسـلاميّة، التي تأخذ لنفسها صفَة الحزب، وقد تختار الحركة أو المنظمة.

التنظيم والجوّ الاسلامي ونشوء «حزب الله»

وهناك من يعتبر الحزبية حركة بعيدة عن الجوّ الإسلامي، الذي يحمل صفة الدين في شخصيته، ويعمل على احتواء الأمة في فكره، فيتحول إلى عبادةٍ في إيمان الفرد، وحركةٍ في إيمان المجتمع، وانطلاقة تغيير شامل، في مواجهة كل الأوضاع المنحرفة في حياة الأمة، مما يفرض على العاملين، أن يخاطبوا الأمة ككل، لتكون الثقافة للمجتمع بشكل جماعي، ويكون التخطيط للكل بطريقةٍ شاملة، لتنمو الفكرة العامة في ذهنية الأمة، من موقع عمقها وشموليتها، فيحدث التغيير من مواقع الأمة، بدلاً من أن يحدث من خلال النخبة، لأن ذلك يعني حدوث انفصال في عملية الوعي التغييري، بين ما هي الطليعة، وبين ما هي القاعدة، وعندما تختزن النخبة كل مخططات التغيير ووسائل الحركة، ويبقى للأمة أن تنفعل بنداء الثورة وبدعوة التغيير، من دون وعيٍ للخلفيات الكامنة وراء حركة الثورة ودعوة التغيير.

وفي هذا الجوّ، برزت فكرة «حزب الله» أمام فكرة التنظيم الحزبي، لتعتبر نفسها البديل له، حيث يحقق كل إيجابيات التنظيم، بعيداً عن كل سلبياته، ولكن من دون تنظيم، وذلك من خلال نجاح التجربة للتغيير من خلال هذه الفكرة، وفشل فكرة التنظيم فكيف نواجه المسألة؟

العقلية الحزبية والتفاعل

لعل من الأمور التي يثيرها خصوم فكرة «الحزبيّة التقليدية»، هو.. مسألة «العقلية الحزبية»، التي تفصل شخصية الحزبيّ عن الأمّة، وتحوّله إلى عنصر معزول عنها، فيما يوحي به لنفسه، من الفكر الخاص والجوّ الخاص والشخصيّة المميّزة، مما يفقد معه حالة التفاعل مع المجتمع في الأمة وأحلامه، بل ربما يتحوّل إلى شخص، يعيش الاحتقار لمن حوله من غير الحزبيين، لأنهم لا يملكون الوعي الذي يملكه، ولا يحملون الفكر المميّز الذي يحمله، فإذا كان يعمل على أساس إسلامي مثلاً، فإنه يرى في نفسه «المسلم الواعي»، بينما يرى في الإنسان الآخر «المسلم التقليدي»، وهكذا يفقد الحزب، فيما يربي به شخصيّة أفراده، إمكانية قيادة الأمة نحو التغيير، لأنه لا يختزن ـ في داخله الانفتاح المتفاعل على الساحة كلها، الذي يؤدي به إلى أن

يفهم خلفياتها وامتداداتها وآفاقها في حركة الأمّة.

إطار العصبية الحزبية

وربما كان من بين هذه الأمور «العصبية الحزبية»، التي تؤكد فيها التربية على الاخص للحزب، بالطريقة التي لا تقبل معها أيّ نقد أو مناقشة، للأفكار الرسمية المتبنّاة من قبل قيادته، بحيث يتحوّل الأمر إلى تعصب للإطار، بعيداً عن حركة الفكرة في العقل أو في الواقع، وقد يصل إلى الحالة العدوانية، فيما يستثيره من الحساسيات المضادة، التي قد تؤدي إلى المواجهة النفسية والعملية ضد الحزب الآخر أو الفريق الآخر، مما يجعل الأمّة منقسمة على نفسها في قضاياها العامة، فتبدد طاقاتها في صراعات سياسيّة، تتعلق بالشكل وتبتعد عن المضمون. وهكذا تساهم العصبية الحزبية، في إبعاد الحزب عن احتواء الأمّة، وتوجيهها إلى الأهداف الموحدة في الساحة الواحدة.

شرعية القيادة الحزبية

وقد يتحدث البعض، عن شرعية العمل الحزبي بطريقة سلبيّة، لأن النهج الذي سار عليه النبي (ص) والأئمة (ع) والصحابة والتابعين في العمل للإسلام، يختلف عن هذا النهج، فقد كان الخطاب للأمّة بالمفاهيم الإسلاميّة العامة، كما كان العمل علنيّاً، على مستوى شخصية القائد، أو على مستوى حركة العمل. وهذا هو النهج الذي يحقق للإسلام امتداده في حياة الأمّة، ويحقق له الروحية العميقة، التي يلتقي فيها الجميع في الساحة العامة على كلمة الله وعلى إسم الإسلام، من دون أيّة حواجز تنظيميّة معقدة، ومن دون أيّة شخصيات طارئة، وهذا هو الذي نستوحيه من الأسلوب القرآني، الذي يخاطب فيه الله المؤمنين كافة، كأمّةٍ مسؤولةٍ، وهو الذي يمكن أن يحوّل المسلمين إلى أمّة، بدلاً من أن يكونوا كجماعات.

وقد يتحدث البعض عن الشرعية من ناحيةٍ أخرى. وهي أن طريقة الإسلام في العمل، تتمثل في القيادة المتمثلة بالنبي أو الإمام أو الأمير الذي يبايعه الجميع، ويلتقون عليه في نطاق المسؤوليات الشرعية للقائد وللقاعدة، وبذلك تتحرك شرعية

العمل من خلال شرعية القيادة في إشرافها عليه، وفي التزامه بها، عندما يكون القائد مصداقاً لأولي الأمر، سواءً في ذلك على أساس نظرية الشورى، أو نظرية ولاية الفقيه. وهذا ما يفتقده العمل الحزبي، الذي يخضع فيه نظام القيادة للطريقة التنظيمية، التي تفرض القيادة من موقع التنظيم، لا من موقع الشرعية الإسلاميّة لشخصيّة القائد.

ومن خلال ذلك، تتحرك قضية الالتزام، فيما يصدر من أوامر ونواهي وتعليمات محدّدة، فقد لا يجد العمل الحزبي أساساً ملزماً للمؤمنين العاملين في إطاره، إلا فيما يلزم به الإنسان من يمين أو عهد ونحوهما، مما يفسح المجال للكثير من إمكانات الانسحاب منه، على أساس المبررات التفصيلية للخروج من إلزام اليمين، ببعض وسائل الرُّخَص الشرعية التي وضعها الفقهاء. وربما يساهم مثل هذا الخط، في إيجاد حالة من الإرباك والخلل، على مستوى حركة التنظيم في داخل الحزب.

ولكن هذا لا يحدث في العمل الإسلامي المنفتح على الأمّة ككل، في نطاق القيادة الشرعية، كالولي الفقيه، أو الذي تعيّنه الشورى، أو الذي يبايعه المسلمون، فإن الولاية والشورى والبيعة ونحوها تمثل حالة شرعية، ملزمةً للمسلمين، في تنفيذ كل ما يراد لهم أن ينفِّذوه من تعليمات ومخططات.

السرية الحزبية والرقابة

وقد يتحدث البعض عن «العمل السري»، كنقطةٍ سلبيّة في العمل الحزبي، لأن ذلك يبعد الأمّة عن الارتباط الوجداني بقيادتها، ويفسح المجال للكثير من أساليب اللعبة السياسيّة، من خلال الأجهزة الخفية، في إبعاد الكفاءات الشرعية عن مركز المسؤولية القيادية، وبتحريك الخلفيات المشبوهة، لتنحرف بالخط إلى غير الاتجاه المستقيم، بعيداً عن الرقابة الشاملة للأمّة، لأن رقابة التنظيم، قد لا تكون بالمستوى الدقيق، الذي يسمح بالاطلاع على خفايا الأمور، وقد لا يكون قادراً على تنفيذ ما يراد تنفيذه، لخدمة مسألة الإصلاح، وقد تملك القيادة السرية من الإمكانات، الكثير من الوسائل التي تستطيع ـ من خلالها ـ السيطرة على كل حركة مضادة، من دون أن يملك القائمون بهذه الحركة، أيّة إمكانات قويّةٍ في المستوى نفسه، بينما

يستطيع هؤلاء في نطاق حركة الأمّة، في مواجهة القيادة العلنية المعروفة، القيام بكثير من أوضاع التغيير.

الحزبية أسلوب غربي

وقد يتحدث البعض عن الطريقة الحزبيّة في العمل من زاويةٍ أخرى، وهي أن مثل هذا الأسلوب، ليس أسلوباً إسلامياً، فيما يعرفه المسلمون من أساليب العمل المفتوح، الذي لا تعقيد فيه ولا إلتواء، بل هو أسلوب غربيٌّ، خاضع للعقلية السياسيّة، التي تتحرك بالطريقة الميكافيليّة، في ترتيب الأوضاع السياسيّة ضد الفريق الاخر الذي تتصارع معه دائرة النفوذ، وبذلك تلتقي الأساليب بالذهنية المعقّدة، الباحثة أبداً عن انتصارٍ، أيّ انتصار في حركة اللعبة السياسيّة، التي لا تمنح الأمّة حرية المعرفة للواقع، إلا بالمقدار الذي تسمح به مصلحتها الفئوية الخاصة. .

ويضيف هذا البعض إلى هذه الملاحظة، أن مصلحة العمل الإسلامي في دائرته الفكرية أو السياسيّة، أن ينطلق في أساليبه من داخل الروحيّة الإسلاميّة، ليلتقي الأسلوب بالفكرة، في عملية توازن وتكامل، ليكون النموّ الحركي للشخصيّة الإسلاميّة نموّاً طبيعياً متوازناً، تتوفر فيه كل عناصر القوة الذاتية، من الفكرة والروح والمنهج والأسلوب، لأننا إذا لم نتحرك في مثل هذا الجوّ، فإننا سنكون كمن يزرع النباتات الشتوية في أجواء الصيف، أو كمن يزرع نباتات الجبل في السهل من دون تحضير الأجواء الملائمة البديلة، مما يؤدي الى ضعف في النموّ، وإلى فقدان الكثير من الخصائص الحيّة، أو إلى انعدام النموّ من حيث الأساس.

منطلقات أمّة «حزب الله»

وقد يعتقد هؤلاء، الذين يثيرون علامات الاستفهام حول التنظيم الحزبي، أن مثل ذلك، قد يكون حجّة مقنعة في ترجيح الاتجاه الآخر، وهو العمل في نطاق «حزب الله» الذي يتبنى الأمّة كإطار للحزب، ولا يتبنى الحزب كإطار في الأمّة، فإن النقاط السلبيّة في الاتجاه الحزبي، تتحوّل إلى نقاط إيجابيّة في الوجه الآخر في حركة الأمّة.

العمل بعقل مفتوح

فإذا كان العمل السياسي يتحرك في ساحة الأمّة، فلا يمكن أن يكون هناك فرز داخلي، يفصل شخصية العاملين عن الأمّة، لأنهم يعملون في داخلها بالعقل المفتوح، الذي يحتوي كل الناس في اهتماماته الفكرية والروحيّة والسياسيّة.

ظاهرة تنوع لا صدام

ومن الطبيعي، أن لا تكون هناك عصبيّة على المستوى الفئوي الضيّق، لأن العمل ليس عمل فئةٍ في مقابل فئةٍ، بل هو عمل الأمّة كلها في مقابل التحديات الآتية إليها من فريق الباطل، وبذلك يكون الاختلاف في وجهات النظر من خلال هذه الروحيّة، اختلافاً في الدائرة الواحدة الواسعة، مما يعطي للظاهرة معنى التنوّع بدلاً من معنى الصدام.

الوعي الشرعي والسياسي

أمّا مسألة «الشرعية»، فان الأمّة تتحرك في خط القيادة الفقهية المبدعة التقية العادلة، التي تملك الوعي الشرعي، الذي تستطيع من خلاله أن تعرف ما هو الإسلام في مفاهيمه وعقائده وأحكامه، فلا تنحرف بالناس عن الخط من الناحية الفكرية، كما تستفيد من ذلك في إستقامة الخط من الناحية العملية، فيما تمارسه من عمل قيادي على أساس إسلامي.

وتملك الوعي السياسي، الذي يجعلها تفهم الساحة جيداً في خلفياتها، وفي مشاريعها، وفي أوضاعها، وفي كل الأجواء التي تتحرك في داخلها، فتبعد بذلك عن السذاجة السياسيّة، التي تتيح للآخرين أن يلعبوا بها، في عمليّة الخداع والتضليل، ليقودوها إلى بعض التحالفات، التي لا تكون في مصلحة الأمّة، أو إلى بعض المخططات التي تسيء إلى حاضرها ومستقبلها.

إن مسألة الوعي السياسي في القيادة، بالاضافة إلى الإرادة القويّة، والعدالة في الروح والسلوك، هي الضمانة للانسجام مع المصلحة العامة للأمّة.

علنيّة القيادة ورقابة الأمّة

أما مسألة النتائج السلبيّة للسريّة، فانها ليست بذات موضوع، ما دامت القيادة تتحرك في مواقع المسؤولية بشكل علنيّ، وما دامت المواصفات الشرعية للقائد، هي التي تمنحه الموقع الشرعي القيادي، على مستوى مسؤولية الأمّة في العمل الإسلامي.

فإن ذلك لا يسمح بالأساليب الملتوية، التي قد يسمح بها العمل السري، لأن فكره وسلوكه وأوضاعه العامة والخاصة، وماضيه وحاضره، ليس أمراً بعيداً عن تجربة الأمّة وعن رؤيتها، وملاحظاتها النقديّة ورقابتها الواعية، التي تنعكس إيجاباً على حركة القيادة، فيما تواجهه من مسؤولية الالتزام والانضباط في خط الشريعة، من خلال رقابة الله ورقابة الأمّة. وبذلك تستطيع الأمّة، الحصول على معرفةٍ شاملة لشخصية القائد وحركته، وأسلوبه في العمل القيادي، وأمانته في حفظ المسؤولية، وإخلاصه لله، لتقرر بعد ذلك، فيما إذا كان من الواجب الانسجام مع حركة قيادته، أو المواجهة لها، مما يمثل الضمانة القويّة لحاضر الأمة ومستقبلها.

الأمّة والقرار السياسي

وتبقى للإسلام أجواؤه الروحيَّة والعملية في حركة الأمّة، عندما تتحول المساجد كما كانت، إلى ساحات للعمل السياسي والجهادي والثقافي، كما هي ساحة للعمل العبادي، فيلتقي العاملون للإسلام بالأمّة بطريقةٍ مفتوحةٍ، فيحدثونها بكل الأحداث التي تتحرك في الساحة، ويبلغونها الخطط الموضوعية من قبل القيادة في مواجهة التحديات، ويثيرون أمامها المشاكل المنتظرة، التي تحتاج إلى استعداد وإلى حلول، ويعدون لها المواقف التي يجب عليها أن تقف فيها، ويستمعون إلى وجهات نظر أفرادها، ويناقشونها بكل ما فيها من تفاصيل، فيما تثيره من نقاط الضعف أو من نقاط القوّة، ليكون القرار الحاسم، منطلقاً من القناعة القائمة على الفهم الواعي في حركة الأمّة والقيادة..

ومن خلال ذلك، تحصل الأمّة على الثقافة السياسيّة الواعية، التي تجعل للأمّة الرقابة على حركة الواقع السياسي، من مواقع الرؤية الواضحة للأشياء، ومن موقع المعاناة الذاتية في ممارستها للموقف، ومن طبيعة المشاركة الفاعلة في ولادة القرار وفي

صناعته، مما يزيد القرار السياسي قوّة ومصداقيّة وفاعليّة، لأنه لا يكون قـرار النخبـة أو الطليعة بل يكون قرار الأمّة. .

التفاعل بين الأمّة والفقيه

وإذا كانت نظرية ولاية الفقيه، هي التي تحكم الساحة العامة للأمّة، فان القيـادة للعلماء الفقهاء الواعين، هي المؤهلة لتسلم زمام الأمور، في إنطلاقة العمل السياسي، كما كانت كذلك في العمل التبليغي والعبادي، فـلا نقع في الازدواجيـة في شخصيـة العالم الديني المسلم، بين ما هو الداعية، وبين ما هو الإنسان المتحرك، لنجمِّد فيـه حركيّة الأنسان، ونحرّك فيه جانب الدعـوة فقط، بل نـدرس شخصيتـه من خـلال إمكاناته الفكرية والروحيّة والعمليـة، لنعـرف كيف نلتقي فيهـا بشخصيـة القـائد، الـذي يملك وعي التخطيط ووعي التنفيـذ، فنضعـه في مـوقعـه من مـوقع شرعيــة الكفاءة، بعيداً عن أيّة حالةٍ تقليديّة للقداسة والاحترام. وفي ضوء ذلك يتم التفاعل بين شخصية العالم وشخصية السياسي والمجاهد، لتتكامل لـلإنسـان شخصيتـه من جميع الجوانب.

ولن يكون ذلك كهنـوتـاً ـ على كل حـال، بل يكـون نـوعـاً من أنـواع المسـؤوليـة الخاضعة للكفاءة، فيما يراد للمسؤوليّة أن تخضع له من فكر وشريعة ومنهج، ويبقى للأمّة دورها الكبير، في عمليّة التفـاعل والتكـامل والتخطيط مع القيـادة، ومهمتهـا الكبيرة في التأييد والتنفيذ خلفها.

وبهذا فلن نحتـاج إلى تغيير صيغـة الـوضع الاجتماعي العـام لـلأمّة، في أسلـوب العمل الجماعي، ولن نعزل الأكثرية عن عالم التخطيط للمستقبل، بل نجعلها تتطور وتنمو وتتحرك وتجاهد، وتؤيد وتعارض من ساحاتها الواسعة، فتتحول إلى قـوّة كبيرة لحماية نفسها من التحديات الخارجية، التي تتحدى عقيدتها وشريعتهـا ومنهجهـا في الحياة، كما تتحدى حريتها وكرامتها واستقلالها، ولحماية المستقبل من القيادة المنحرفة الضعيفة، لأنها تعرف خطورة دورهـا في عمليّة المواجهـة، وفي عمليّة البنـاء، كـدور أساسي وليس على الهامش. .

وهكذا يتحرك التيـار في انـدفـاعـه الكبير، من دون حـاجـةٍ إلى الأشيـاء الصغيرة

التقليديّة، التي تنظّم له إنتسابه للحركة من بطاقات معينة وسمات خاصة، لأن ذلك هو شأن الزوايا الصغيرة، لا شأن الساحة الكبيرة المنفتحة على كل الحاضر والمستقبل، فلا يحتاج الحركي في إنتمائه إلى الأمّة، إلا إلى ارتباطه برسالتها، وإلتزامه بمنهجها، وإستعداده للجهاد في سبيل الله، وإستقامته على الطريق المستقيم، فيما يمثله ذلك كله من القيم الروحيّة للأمّة، التي إذا انتمى إليها الإنسان المسلم، كان منتمياً للأمّة وللحزب الذي يشمل كل ساحاتها الفكرية والسياسيّة . .

وإذا استطاعت الأمّة أن تصل إلى هذا المستوى من الوعي، ومن التنظيم المنفتح الواعي الشامل، فان التغيير سيكون نتيجة طبيعية، للقوّة الكامنة في حركة الأمّة، التي ستتحوّل إلى تيّار قويّ جارف، لا تستطيع المحاور الصغيرة أن تنال من قوته، أو تخفف من اندفاعه، أو تحوّل انطلاقته إلى الشاطىء، الذي تتكسر الأمواج عليه لمصلحة الطغاة والمستكبرين . .

هذه هي وجهة نظر الذين ينظرون نظرةً سلبيّةً إلى التنظيم الحزبي، ويرون أن عملية التغيير تحتاج إلى حركة الأمّة لا إلى حركة الحزب . .

فهل هي النظرة الواقعية للساحة؟

هذا هو الحديث الذي سنحاول إثارته في الصفحات التالية .

من الذي يقود عملية التغيير،
حزب الأمّة أو أمّة الحزب؟ « ب »

* الحاجة إلى الواقعية

هي التي تحدد أسلوب العمل الإسلامي .

* العمل الحزبي

كالعمل الثقافي أو السياسي يخضع للحكم الشرعي .

* مشكلة العمل الحزبي

هي مشكلة العاملين للإسلام والسبب خلل في التربية .

* التنظيم في العمل الإسلامي

هو السبيل للوصول إلى الاهداف الكبرى .

تحديد دائرة التحرك

قد يطرح «الحزبيون» و «دعاة العمل التنظيمي» سؤالاً، يراد ـ من خلاله ـ تحديد الدائرة، التي يتحرك فيها البحث، لئلا يضيع الحديث في متاهات الافتراضات والاتهامات اللاّمسؤولة . . .

وقد نحتاج إلى تبسيط السؤال! في البداية، ليكون الخطوة الأولى في حركة المعرفة السياسيّة، التي تنطلق لتحدّد إنطلاق التغيير، مع القيادة وخط السير.

هل نحن بحاجة إلى التنظيم في العمل السياسي من أجل التغيير؟

وهل يمكن ـ لنا الإنطلاق إلى ساحة العمل الجماهيري في الأمّة، بعيداً عن الأسلوب العملي، الذي ينظّم طاقات الجماهير، ويحوّلها إلى طاقةٍ موحدةمن أجل تحقيق الهدف الكبير للأمّة؟

الأسلوب النبوي في مواجهة التحديات

ربما يكون الجواب بالإيجاب، بتأكيد الحاجة إلى التنظيم، كاسلوب عملي من أجل التغيير، ولكن قد يرى هؤلاء، في الأسلوب النبويّ الذي مارسه النبي محمد (ص) في حركة الإسلام في الدعوة، وفي الممارسة والمواجهة في ساحة الصراع، الأسلوب الوحيد، الذي ينبغي للمسلمين السير عليه في عملهم السياسي الإسلامي، لأن ذلك هو الذي يمنح العمل صفته الإسلامية، ويبعده عما استحدثته الساحة من أساليب عمليّة في حركة الكفر والضلال، ويوضح هؤلاء، أنّ من واجب المسلمين الالتزام بالإسلام في خط الوسيلة والهدف، وذلك من خلال الخطة التكاملية التي يريد الإسلام من خلالها، أن يجعل التحرك خاضعاً في أخلاقيته للأجواء الأخلاقيه في كل نشاطاته الفكرية والسياسيّة.

. . ولكننا نتحفظ أمام هذه الملاحظة، لأننا نلاحظ في الأسلوب النبويّ في الدعوة وفي الحركة، اختلافاً في الشكل، تبعاً لاختلاف المرحلة التي كانت تحيط بالواقع، وذلك فيما نلاحظه من اختلاف الأسلوب المكّي عن الأسلوب المدني، كما نجد تنوعاً في داخل كل منهما، فيما كان تنوع ميزان القوى وطبيعة التحديات.

فقد نقرأ في بعض كتب السيرة، أن النبي (ص) دعا إلى الله سبحانه وتعالى ثلاث

سنين سراً، ثم أعلن الدعوة بصراحة بعد ذلك، وأنه لم يتعرض لألهة قريش في البداية، بل كان دوره هو دور الدعوة إلى التوحيد في مواجهة الشرك العقيدي، مما كان لا يمثل المواجهة للمجتمع المشرك بشكل مباشر، ثم انطلق في خط التحدي في رفض عبادة الأصنام، وفي تسفيه أفكار المشركين، والتعرض للأصنام وجهاً لوجه، مما جعل الدعوة تواجه الصراع بشكل حادّ، وأدى إلى الحصار التمويني والاجتماعي ضد المسلمين، واعلان الحرب الاعلامية والجسدية على النبي محمد (ص) بالذات، وعلى المسلمين معه، وهكذا تطورت المسألة، حتى بدأ النبي ينقل دعوته إلى خارج مكة، كما في موقفه في الطائف ومواجهة الآخرين له، حتى كانت قضية الهجرة.

الخطة العملية ومصلحة الرسالة

فإذا صحّ هذا العرض التاريخي الذي ذكرته كتب السيرة، فاننا نستوحي من ذلك، أن الموقف لم يكن خاضعاً لتعبّدٍ شرعي حاسم تخضع له المسيرة، بل كان منطلقاً من الأسلوب الواقعي في مواجهة التحديات، مما يجعل نوعية التحدي، أساساً لنوعية الرد والتحدي المضاد، على أساس الخط العام للدعوة.

وبذلك لا يكون هذا الأسلوب المتنوع حالة توقيفية شرعية، لا مجال ـ معها ـ لحرية الحركة في العصور التالية، فيما يريد العاملون أن يمارسوه من خطوات وأساليب، بل يمكن لهم أن يستوحوا منها الفكرة العامة التي يتحرك فيها الأسلوب، تبعاً لطبيعة التحديات في الساحة، وللخطة العملية التي تفرضها مصلحة الرسالة في حركة الواقع.

فنستوحي من فترة العمل السري في الدعوة، مثلاً، شرعية السرية على أساس المرحلة الضاغطة، التي لا تسمح فيها الضغوط للرسالة أن تتحرك بالمستوى الواقعي، ليكون العمل السرّي، لوناً من ألوان الحماية للبذور الأولى، التي يراد لها أن تنمو في جوّ طبيعي ملائم، لا مجال فيه للعواصف، ووسيلة من وسائل تركيز القاعدة، على أساس ثابت معقول، وذلك من خلال العمل على بناء قاعدة أولى للعمل الإسلامي، من أجل مواجهة المتغيرات، من موقع ثابت قوي.

طبيعة المرحلة وشرعية الأسلوب

ثم قد يمكننا إستيحاء الحاجة إلى بعض المواقف الصلبة المتحدية أمام كل تهويل الضغط، وآلام العذاب حتى الموت، كموقف شرعيّ في سبيل الرسالة، فيما رأيناه من موقف الصحابة في بداية الدعوة، فيما عاشوه من الضغوط والآلام، حتى استشهد بعضهم تحت التعذيب، كالشهيدين ياسر وزوجته سميّة، وعاش البعض أشد العذاب، كبلال، من دون أن يخضع أو يستسلم لما يريدونه من النطق بكلمات الكفر، وقد نجد من الموقف الآخر الذي وقفه عمار بن ياسر، من النطق بكلمة الكفر من دون اختيار تحت ضغط التعذيب، وجهاً آخر للصورة في الموقف الإسلامي، الذي يمكن فيه للمسلم، أن يتكلم بما يريد له الكافرون من كلمات لا يؤمن بها، ليتخلص من العذاب الذي لا يطاق، أو من الموت. . . فلا يجب عليه تحمّل ذلك كله، فقد نجد في رضى الرسول(ص) عن الموقف الأول وعن الموقف الثاني، أساساً لشرعية اختيار المواجهة للباطل حتى النهاية، أو التخلص من الموقف الصعب بطريقة معينة، من دون أن يجد أصحاب الموقفين انحرافاً عن خط الاسلام.

وهكذا نلاحظ في حركة الرسول(ص) في الدعوة، وأسلوبه في العلاقات، وطريقته في المواجهة، وانفتاحه الروحي في مواقف التحدي، وصبره أمام الكلمات القاسية الموجهة إليه، والأساليب التعسفية التي استعملت ضده. . فقد نلاحظ في ذلك، وفي طريقته في التحرك الخفيّ، في انسحابه من ضغط الأعداء في عملية الهجرة. . ، أسلوباً متنوعاً في موقف الداعية المتحرك أمام التحديات، في المرحلة التي قد تحتاج إلى اللين والإنفتاح والمرونة والصبر، من أجل احتواء الساحة لمصلحة الرسالة، من دون الوقوع في المشاكل الصعبة، التي قد تُسقط الواقع كله، لفقدان القوة المادية، التي تستطيع مواجهة ذلك بقوة مادية مضادة. . ، إلى غير ذلك من الأساليب الواقعية، التي تتنوع تبعاً لتنوع الواقع من حول الدعوة. . ، مما يوحي إلينا بأن الداعية، أو العامل في سبيل الاسلام، في أيّ موقع من مواقع الدعوة والعمل، يستطيع أن يملك حرية الحركة في اختيار الموقف الملائم لحركة التحدي من حوله، بشرط أن يدرس طبيعة المرحلة، ليحدد شرعية الأسلوب من خلال ذلك.

تطوير الوسائل العملية

وفي ضوء ذلك، قد نستطيع الخروج بنتيجة عامة، وهي أن الاسلام لم يحدد أسلوباً معيناً للعمل الاسلامي في سبيل الله، على مستوى حركة الدعوة، أو حركة المواجهة للتحديات المضادة، بل يمكن تحديد الأسلوب تبعاً للحاجة الواقعية إلى ذلك. .

وقد تكون دراسة أساليب النبي محمد (ص) بعد الهجرة، في معاهداته الداخلية والخارجية، وحربه وسلمه، كما قد تكون دراسة طريقة الأئمة من أهل البيت(ع)، سبيلاً لتأكيد هذه الفكرة التي ألمحنا إليها، فيما تؤكده من إمكانية تطوير الوسائل العملية، في سبيل الوصول إلى الهدف الكبير، من احتواء الاسلام للحياة كلها، في مجالاتها العامة والخاصة. . ، بشرط عدم منافاة ذلك للأحكام الشرعية العامة.

الحاجة إلى التنظيم

وعلى هذا الأساس، يمكننا الجواب عن السؤال الذي يطرح أسلوب العمل في بداية الدعوة، أو في أجواء ما بعد الهجرة، كأسلوب وحيد للعمل، فاننا نتعامل معه على أساس استيحاء الفكرة العامة، المتحركة مع تطور وسائل العمل في الحياة، لا على أساس الوقوف عند الوجه التاريخي، الخاضع لظروف معينة محدودة، لنتجمد عنده، فلا نتعداه إلى غيره.

وبذلك نستطيع الجواب عن الحاجة إلى التنظيم في العمل الاسلامي، على مستوى العمل الفكري في خط الدعوة، أو العمل السياسي في خط التغيير الواقعي، لأن ذلك، هو السبيل للوصول إلى الأهداف الكبرى بطريقة حاسمة معقولة. . ، لأن العمل الذي لا يخضع للتنظيم، يفتقد التخطيط الواقعي في مواجهة الواقع، مما يجعله خاضعاً للمؤثرات المعقدة والتغيرات السريعة، ويحوّله إلى حركة ضائعة في الرمال المتحركة، في متاهات الأجواء السحيقة، وفي جنون الرياح العاصفة، ويؤدي بالنتيجة، إلى سيطرة التيارات الأخرى عليه، فيما تخطط له من احتواء ساحاته، وبعثرة جهوده، واهتزاز خطواته.

الخطة الاسلامية المرنة

وهذا هو ما فعله الرسول (ص) في تخطيطه الواقعي، لمواجهة خطط المشركين، بالخطة الاسلامية المرنة، المتحركة على أكثر من صعيد، في حركة فعل من جهة، فيما يريد أن يصل إلى أهدافه بشكل مستقل، وفي حركة رد فعل من جهة أخرى، فيما يريد أن يواجه به الأعداء في خط المواجهة، وهذا ما يجب أن نواجهه، في عملية رسم الخطة، من خلال طبيعة الظروف الموضوعية المحيطة بالمرحلة، ونوعية الأساليب المتحركة في الساحة، في عملية انسجام مع الواقع، في طريقة الحركة، لئلا نعيش الغربة الموحشة عما حولنا، مما قد يؤدي إلى العزلة عن كل المؤثرات الفاعلة في حركة التغيير.

وليس معنى ذلك أن نكون صدى لما يثور حولنا من أصوات، أو صورة لما يتمثل في واقعنا من مشاهد، أو انعكاساً لما يحدث في الساحة من تأثيرات، لتكون ظلاً للشخصيات الأخرى التي تصنعها الأفكار المضادة، كما ينادي به البعض، ممن تأثروا بالطريقة الغربية للحياة، في أفكارها وأساليبها، فاعتبروها الوجه الحضاري لأي نشاط اسلامي، بينما رأوا في الأساليب المغايرة وجهاً للتخلف الذي يريد أن يوقف حركة التطور في الحياة.

إختلاف أساليب العمل والتعبير

بل معنى ذلك، فيما نحاوله، أن لا نتجمد عند أسلوب معين، على أساس حالة تاريخية محدودة، بل نعمل على الأخذ بالوسائل الجديدة، التي استحدثتها تجارب الأنسانية، في شتى جوانب الحياة مما لا يختلف في منهجه مع الحكم الشرعي، فيما نستفيده من المنهج الشرعي، القائم على حرية الحركة في العمل، فيما نختاره مما حولنا من أساليب، أو فيما نستحدثه منه، من خلال دراستنا للحاجات الواقعية للمسألة، لنواكب حركة الحياة في مواقعها الطبيعية، لنؤثر فيها، من خلال التفاعل مع المؤثرات الواقعية، التي تتحرك على أساس تغيير الواقع بأدوات الواقع، في أجواء الكلمة الحكيمة التي تقول: لا ينتشر الهدى الا من حيث انتشر الضلال.

أو الحديث المأثور عن النبي محمد (ص): إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس

على قدر عقولهم. فقد نستوحي منهما، أن ملاحقة الضلال في أساليبه، تمثل عملية حكيمة واقعية، من عملية الإحتواء والتطويق، كما أن التحدث للناس بمقدار عقولهم، يعني مواجهة الأساليب، التي تحكم طريقتهم في التفكير، وفي الحركة، وفي المواجهة، لأن ذلك هو ما يعنيه حجم العقل، في مواجهة الأفكار، فيما يتأثر به من الأوضاع المحيطة به، على مستوى الأفكار والأساليب، الأمر الذي يجعل مخاطبته بالفكرة، بعيداً عن الأجواء الداخلية التي تحكم طريقته في التفكير، شبيهاً بالتخاطب معه بلغة أخرى لا يفهمها.

وخلاصة الفكرة التي نريد إثارتها، أن اختلاف أساليب العمل في التحرك، كاختلاف أساليب التعبير في الدعوة، فلا تقبل الوقوف عند نموذج معين، بل تخضع لتطور الحياة، فيما تستحدثه من ذلك كله، مما ينعكس على الحركة الداخلية والخارجية للانسان. . ، فلا بد من الأخذ في ذلك، بما يتناسب مع حاجة الواقع، من دون الالتزام بنموذج واحد، أو نماذج محدودة إلا فيما تحدده أحكام الشريعة من حدود، أو من خطوط عامة.

مناقشة التفاصيل

ونطرح ـ بعد ذلك ـ سؤالاً ثانياً، هل العمل التنظيمي في الأطار الحزبي، يتنافى مع الأسلوب الاسلامي للعمل من ناحية المبدأ، بحيث يكون مخالفاً للحكم الشرعي، أو للجو الاسلامي الذي يريد الإسلام إثارته في الحياة؟ . .

أو ان المسألة تتعلق بالمناقشة في التفاصيل، من خلال المصلحة الاسلامية العليا، على مستوى المشاكل، التي قد يخلقها للساحة من تأثيرات في روحية العاملين، أو في خطواتهم العملية في دائرة الممارسة الذاتية، أو العلاقات العامة والخاصة.

شرعية العمل الحزبي

قد لا يجد الانسان حكماً شرعياً منافياً للعمل الحزبي، بحيث يوجب حرمته، ليكون الانسان العامل على هذا الخط، مرتكباً لحرام شرعي، إلا فيما قد يحدث من تفاصيل، من الالتزام بما لا يجوز له الالتزام به، من شعارات وممارسات، مما يصدر

من جهة لا تملك شريعة الالزام، أو لا تملك معرفة الأحكام، أو لا تعي طبيعة الواقع . . ، أو غير ذلك من الأمور، التي لا تتصل بأسلوب العمل من ناحية الدائرة التي فيها، بل تتصل بالجهة المسؤولة، التي لا تملك شرعية الموقع، أو شرعية المعرفة، فهي تشبه في الدائرة العامة، الالتزام بفتوى غير المجتهد، أو المجتهد الفاسق، أو غير الأعلم، ممن لا يجوز تقليده. فهل يمكن أن نقول بأن أسلوب الخط الفتوائي، أو خط التقليد لا ينسجم مع الاسلام؟

ان العمل الحزبي، يمثل شكلاً معيناً من أشكال العمل السياسي أو الثقافي، الذي يخضع في مفرداته وتفاصيله للحكم الشرعي، الذي يمثل الحزب الوسيلة العملية لتطبيقه في عمل الأفراد أو الجماعات، أو الأمة كلها. فمن الطبيعي أن يقف الحزبيون الاسلاميون، موقفاً سلبياً من بعض التفاصيل، التي لا تتناسب مع الخط الاسلامي الشرعي، تماماً كما يقف الاخرون من غير الاسلاميين، نفس الموقف، من المفردات التي لا تتفق مع خطهم الفكري، وكذلك فان هذا ليس مطروحاً في مسألة شرعية العمل الحزبي، بل المطروح في الساحة هو شرعية الشكل العام كأسلوب للعمل.

إستئذان الفقيه

قد يطرح البعض المسألة من ناحية أخرى، وهي أن شرعية أي عمل على مستوى الشكل والمضمون، لا بد أن تخضع للاذن من الفقيه، الذي يملك الولاية العامة على المسلمين، مما يفرض عليهم، أن لا يقوموا بأي نشاط سياسي أو اجتماعي، إلا بعد الاستئذان منه . . فاذا لم يصدر منه الإذن في ممارسة العمل الحزبي، فان ذلك يعني فقدان العمل لشرعيته، لا سيما في المجالات، التي يؤدي فيها ذلك إلى إنهاك الساحة السياسية الاسلامية المتحركة تحت سلطة الفقيه الولي، وبعثرة مواقعها، واهتزاز مواقفها، فيما يمكن أن يحقق من التجاذب والتنازع الاختلاف، في أجزاء العمل وخطواته، الأمر الذي يقف حائلاً بين الاسلام في حركته السياسية، وبين الأهداف المصيرية التي يريد الوصول إليها.

ولكن هذه المشكلة، لا تمثل مشكلة ـ من ناحية المبدأ ـ، لانها تتصل بموقف

الفقيه، الذي قد يجد في أسلوب العمل الحزبي ـ ولـو في بعض المراحل على الأقل ـ، أسلوباً شرعياً، فيما يمثله من العلاقة بالمصلحة الاسلامية العليـا، كما نجـده في رأي بعض الفقهاء الواعين، الذين أعطوا الضوء الأخضر، للسير في هذا الاتجاه، أو قادوا العمل في بعض مواقعه، أو وافقوا عليـه، فلم يعترضـوا عليـه، وقـد يجد ـ في بعض المراحل ـ، ضرراً فيه على الواقع السياسي، كنتيجة لبعض الأوضـاع، أو السلبيـات، أو المواقف، فيرى ضرورة تجميده أو إلغائه.

ولذلك، ان المسألة تدخل في صميم البحث، الذي يتصل بشرعية هذا اللون من العمل، من ناحية الداخل، فيما يشتمل عليه من عناصر ذاتية.

حدود ولاية الفقيه

ثم ان موضوع الاذن من الفقيه في الحصول على الشرعية، قد لا يكون ضرورياً، إلا في الساحة التي يمارس فيها الولي الفقيه حركة ولايته، سواء كان ذلك في داخل الدولة التي يشرف عليها أو يحكمها، أو في خارجها، مما يتصل بالسياسة الاسلامية العـامـة التي يقودها، في نطاق خطة متكاملة، في حركة الشكل والمضمون، إذا كـان يـرى في هذا الأسلوب خطـراً على الـواقع، أو على الخطـة، أو إذا كـان يـؤدي إلى الاربـاك في عملية تنفيذ الخطة، بحسب طبيعة الأشياء.

أما إذا لم تكن في المجالات، التي يعمل فيهـا ولايتـه، أو في المواقع التي لم يصـدر فيها «حكماً شرعيّاً ولايتياً» بالمنع من ذلك، فلا نجد هنـاك أي أسـاس فقهي للمنع، لأن المسألة هنا، ليست مسألة البحث عن مصدر الشرعية، بل عن المانع عنها، لأن العمل الاسلامي، في أسلوبه العملي، يخضع لقاعـدة الابـاحـة، فيما لا يشتمل على عناصر التحريم في داخله، ما دام منسجماً مع الخط العام للدعـوة، ولعمليـة التغيير الواقعي.

التخطيط العام للحركة الاسلامية

وقد يثير البعض ـ في هذا المجال، مسألـة «التعـدد» في ولايـة الفقيـه، إذا لم تكن الوحدة لازمة بالعنوان الثانوي الذي قد يفرضها، انطلاقـاً من المصلحـة الاسـلاميـة

العليا، فقد يمكن للفقيه في أي منطقة، أو أي موقع، أن يحكم بشرعية مثل هذا الأسلوب في العمل السياسي، لأن الظروف السياسية تفرضه، إذا لم يصدر من الفقيه العام حكم آخر بالتحريم، مما يفرض نظرية ولاية الفقيه، أو «نفوذ حكم الحاكم» الأخذ به. وقد يتحدث بعض آخر، أن مسألة «ولاية الفقيه»، ليست من المسائل المجمع عليها بين الفقهاء، ليتحدث الناس عن ارتباط الشرعية لأي عمل، بانسجامها مع حركة النظرية في الواقع، فهناك من لا يقول بالولاية المطلقة، وهناك من لا يرى نفوذ حكم الحاكم في الموضوعات، خارج نطاق القضاء، أو نطاق بعض الأشياء الأخرى التي تتنوع حسب تنوع الاجتهاد.

وقد يعتبر البعض الشورى، كنظرية اسلامية، في الأساس الاسلامي للشرعية في حركة الواقع السياسي، على مستوى الحكم، أو الممارسة العملية للحركة السياسية. . ، وبذلك تخضع المسألة للتخطيط العام للحركة الاسلامية، في أساليبها وأهدافها.

وبذلك نعرف أن للمسألة ـ من ناحية نظرية ـ أكثر من مصدر فقهي، مما يجعل القضية تختلف باختلاف هذه الأبعاد، ولا يحاصرها في نطاق واحد، ليجعل الشرعية دائرة مداره، سلباً أو إيجاباً، فتدخل المسألة في دائرة المصلحة الاسلامية العليا، التي يدرسها الفقيه، من خلال أهل الخبرة فيما لا يملك خبرته، أو من خلال نظرته الموضوعية، فيما يملك معرفته، أو تدرسه الشورى، أو يتحرك بحرية، من خلال العاملين المنفتحين على الحكم الشرعي، باجتهاد أو تقليد، فيما لم يكن للشورى أو الفقيه سلطة الولاية التنفيذية على صعيد الواقع، أو فيما لم يمارس دوره فيه لسبب أو آخر.

بحث المسائل

وإذا كان العمل الحزبي، لا يتنافي من خلال هذا العرض ـ مع الشرعية الاسلامية، في دائرة التحفظات التي أثرناها، في نطاق هذا الحديث، فلا بد لنا من أن نواجه المسائل الأخرى، التي تدخل في خط السلبيات العملية، التي تحدث للاسلام وللمسلمين في العمل الحزبي، فيما أثارته النقاط المذكورة في الحلقة الأولى من

هذا الحديث.

١ ـ مشكلة التربية الاسلامية

النقطة الأولى: «العقلية الحزبيـة» التي تضع الفـرد الحزبي، أو مجتمع الحزب، في دائرة مغلقة، أو في برج عـال مفصـول عن المجتمع، في ذهنيـة تشعـر بـالتعـالي على الآخرين، وبالتميز عنهم في مستوى الوعي، أو في طريقة التفكير، مما يبعد «الحزبي» عن الانفتاح على واقع الأمة وبالتالي عن التفاعل لآلامها، والوعي الواقعي لمشاكلهـا وقضاياها.

ولكننا نعتقد، أن مثل هذه النقطة، لا تواجه «العمل الحزبي»، بل تـواجـه بعض تجاربـه في بعض عنـاصره، ممن يعيشـون التخلف في ذهنيتهم، والبعـد عن وعي المفاهيم الاسلامية الأخلاقية والـروحيـة. . .، وينفصلـون ـ عن المجتمع على أسـاس العقلية، التي تعتبر المستوى الثقافي، أو الموقع القيادي امتيازاً لصاحبـه، فيما يثيره في داخله من زهو الشخصية، وغرور الذات بينما يؤكد الاسـلام، على اعتبـار التميـز في المستوى، مسؤولية جـديـدة، تضـاف إلى مسـؤوليـات الإنسـان التي يتحملهـا تجاه الآخرين، فيتواضع لهم، وينفتح عليهم، وينظر إليهم من موقع الإنسان المسـؤول، الذي يعيش القلق الروحي أمام المسؤولية، بعيداً عن أي زهو ذاتي بالموقع المميز.

وهذا من الأمور التي تتصل بالتربية الاسلامية، التي يخضع لها الانسان المسلم في بناء شخصيته، على الأسس الاسلامية الصحيحة، في العقيدة والأخـلاق والتشريع، والمنهج العملي في حركة العلاقات العامة والخاصة، وفي النظرة إلى الواقع وإلى النـاس من حوله.

تضخم الشخصية مشكلة عامة

ولا فرق في ذلك، بين الأشخاص الـذين يعملـون في داخل العمل الحزبي، أو في خارجه في الاطار العام، فيما تتمثل في خط حزب الله. لأن المسألة تتصل في طبيعتهـا السلبية أو الايجابية، بالجانب التربوي للانسان، فقد رأينا في النطـاق الحزبي، نماذج انسانية مخلصة، في المستوى الأعلى من الروحية والاخلاص والتـواضع والإنفتـاح على

الناس، من مواقع التقوى في الدعوة والممارسة، بحيث لا يشعرون بأي عنصر ذاتي في علاقتهم بالناس. . ، وقد رأينا في الدائرة العامة ـ إذا صح التعبير، نماذج إنسانية تحمل كل العناصر الذاتية، في جو مشبع بالأنانية المعقّدة، التي تمنع الثقافة الاسلامية التي يحملونها، أن تتحول الى حالة روحية، على مستوى الشعور والسلوك، فيتحولون إلى مجرد أشخاص، يعيشون «تضخم الشخصية»، بالطريقة التي ينفصلون فيهاعن الواقع من حولهم، فلا يجدون الا ذواتهم رموزاً للاسلام، وقادة للساحة، فيما يجب على الساحة أن تواجه ذلك، بكثير من ألوان الخضوع والاحترام.

وإذا كان للأسلوب الحزبي، أن يترك تأثيره السلبي على الذات، من خلال طبيعة الدائرة التي يتحرك فيها الانسان، بالاضافة إلى العوامل الأخرى، فان ذلك قد يعود إلى طبيعة الحدود، التي يمثلها هذا العمل، تماماً كما هي الحدود العائلية، أو الاقليمية، أو القومية، التي تحمل بعض المميزات، في الموقع أو الخصائص الأخرى، ولكن الحل، هو في الخطة التربوية، التي تعمل على أن توحي للانسان العامل في هذه الدائرة أو تلك، بأنها لا تمثل حداً يفصله عن الآخرين، بل تمثل موقعاً من مواقع الانفتاح عليهم، في نطاق المسؤولية الثقافية والسياسية، كأيّ شخص يحمل قوة مميزة أمام الأخرين الذين لا يملكونها، أو يحتاجون إليه فيها، مما يحولها إلى موقع للمسؤولية لا للذات، فيما انطلقت به التعاليم الاسلامية، التي أكدت أن مواقع حاجة الناس إلينا، هي من مواقع النعم التي أغدقها الله علينا ـ فيما يجب علينا أن نشكره عليها.

ان التربية يمكن أن تترك أثرها الايجابي، في التخفيف من هذه الحالة الذاتية السلبية، في أي مجال من مجالاتها، على مستوى الحزبيين أو العلماء أو المفكرين أو الشخصيات القيادية، في الموقع السياسي أو الاجتماعي.

٢ ـ الحالة الانفعالية والتعصب الأعمى

النقطة الثانية: «العصبية الحزبية»، التي تُحوّل الانسان إلى عبد للحزب، أو أداة صماء، تتحرك بطريقة ألية، تبعاً للجهاز الذي يحركها، من دون أن يكون له رأي أو كلام أو إعتراض، كما تدفعه إلى التعصب له في كل شيء، فلا يقبل عليه أي نقد، أو أي مناقضة، بل ربما يعتبر الذي يختلفون معه في الاطار الآخر أعداء له وللاسلام،

وقد يؤدي به الأمر إلى العدوان عليهم، مما يشكل عنصراً سلبياً ضد الأمة.

ولكننا نجد في هذه النقطة، ما وجدناه في النقطة الأولى، حالة سلبية، على مستوى الخلل في التربية الاسلامية للعاملين في هذا النطاق، لا على مستوى طبيعة الخصوصية في هذه الدائرة بالذات.

ان النقطة تثير أمامنا مشكلتين: الأولى.. ، هي مشكلة الحالة الألية التي يتحرك فيها الحزبي أمام تعليمات القيادة، بحيث لا يجد مجالاً لأي أعتراض، بل قد يعيش معها حالة انفعالية تقديسية.

الثانية، مشكلة التعصب الأعمى، الذي يجعل الانسان رافضاً لأية مناقشة للقيادة من قبل الأخرين، ومعادياً لأية حالة أخرى، مخالفة لما يعيش فيه، أو يتحرك معه.

الطاعة الحزبية والثقة بالقيادة الشرعية

أما المشكلة الأولى، فلا نظن أن الحالة الحزبية هي التي تثيرها في وجدان الشخص، بل هي طبيعة الثقة بالقيادة، بالمستوى، الذي يجعلها تمثل في وعيه ـ، الجهة الشرعية، التي تمنح كل أعماله الصفة الشرعية، على أساس انها تبرىء ذمته أمام الله، من عهدة التكليف، وهذا هو ما نجده، في انفعال المقلدين بفتوى المجتهد، الذي يرجعون إليه في أحكامهم، أو في السائرين على خط «ولاية الفقيه»، فيما يصدره المجتهد من فتاوى، أو يحكم به الولي الفقيه من أحكام، فإن الانسان المؤمن لا يجد مجالاً للاعتراض أو المناقشة، أو الرفض، لأن ذلك يعني نوعاً من أنواع التمرد على السلطة الشرعية.

بل ربما نجد، أن الطريقة الحزبية تسمح لعناصرها التي تملك الفكر والرأي، والتحدث عن أفكارها المعارضة بكل حرية، وذلك على أساس طبيعة التنظيم، القائمة على الشورى، في نطاق عملية صنع القرار أو مناقشته، لأن مسألة الطاعة لا تتنافى مع عملية المناقشة.

ولعل المشكلة تكمن في النظر إلى بعض التجارب الحزبية، التي قد تختزن في داخلها، بعض التخلف، أو الضعف في قيادتها، أو في طبيعتها، مما يمنع من

إعطاء الحرية في المناقشة، لأن ذلك قد يسيء إلى مصداقية القيادة، أو التنظيم في نظر القاعدة، على أساس الفكرة، التي تعتبر الخطأ دليلاً على السقوط، لا مجرد حالة طارئة في حركة التجربة. . ، ونجد إلى جانب هذه التجارب، لوناً آخر، يتوزع فيه الحزب إلى أجنحة متعددة، تمثل عدة تيارات، أو إلى جناحين، لليسار أو اليمين، كما نجده في الكثير من الأحزاب السياسية في الغرب، أو في بعض التجارب الاسلامية المحدودة.

الحالة النفسية المعقدة والذهنية الضيقة

وأما المشكلة الثانية، فهي ـ كالأولى ـ ناشئة من ضعف الموقف، أو الثقافة الحزبية أو الفكرية، التي قد يشعر فيها بأن المناقشة تظهر عجزه، أو عجز التنظيم، أو تسيىء إلى هيبته، وتسقط مصداقيته.

وقد تكون منطلقة من حالة نفسية ضاغطة معقدة، تتعقد من أي ملاحظة، كما في الكثير من الناس، الذي يعتبر قناعاته بديهيات واضحة، لا تحتمل المناقشة، لأنها كالشمس في رابعة النهار، مما يضع مسألة المناقشة أو الرفض، في دائرة التمرد أو إنكار الواضحات، أو يرى في ذلك إساءةً لشخصه، فيما يراه من أن النقد مظهر عداوة، باعتباره إظهاراً للعيب، لأن الخطأ يمثل لوناً من ألوان العيب للذات.

وليست هذه الحالة مختصة بالعاملين في النطاق الحزبي، بل هي موجودة لدى الذين يخلصون لبعض القيادات الدينية أو السياسية أو الاجتماعية، أو بعض الدوائر الخاصة، التي تتمحور حول جهة أو شخص أو فكرة معينة، ويتعصبون لها، فلا يسمحون لأحد، أن يوجه إليها أية كلمة نقد، أو أي حالة إتهام، وربما يتحول الأمر لديهم، إلى حالة عدوانية ضد الآخرين. واننا نلاحظ في التجربة الواقعية الموجودة في الساحة، أن الناس يعيشون العصبية للمذاهب وللطوائف وللعلماء المراجع، وللشخصيات العامة، بنفس المستوى، مما جعل من هذه الحالة، حالة محكومة بالذهنية العامة في طريقة التعامل مع الانتماء، بالنظرة الانفعالية، لا بالنظرة الموضوعية، الأمر الذي يجعل الموقف خاضعاً للجانب العاطفي للشخصية، بدلاً من الجانب العقلاني. . ، بعيداً عن خصوصية الاطار الحزبي كأسلوب عملي في الواقع

السياسي . .

ولعل من الطبيعي أن يعمل المخلصون، على محاولة تغيير هذه الذهنية السلبية الضيقة، لئلا تؤثر على الذهنية الموضوعية، التي يريد الاسلام للناس أن يعيشوها في أية حالة انتماء، حتى حالة الانتماء إليه ـ بالذات، لأنها السبيل الأفضل للوصول إلى قناعات الناس المخالفة من أقرب طريق.

وقد لا يفوتنا التذكير بالملاحظة البارزة التي تشير، إلى أن تجربة حزب الله، التي تعتبر بديلاً عن الحزبية، قد بدأت تختزن هذه الحالة، انطلاقاً من الذهنية العامة التي تحرك الشخصية، بطريقة لا شعورية، نحو النتائج السلبية، ضد كل مخالف للرأي، شخصاً كان، أو جهة معنوية.

٣ ـ السرية والظروف الضاغطة

«النقطة الثالثة» «السرية»، التي تطبع العمل الحزبي بطابع الضبابية في شخصية القيادة، وفي حركة التنظيم، مما يجعل الأمة تتحرك من خلال شخصية الاشباح، الذين يصدرون التعليمات، من دون أن يعرف الناس شخصيتهم وطبيعة كفاءتهم ونوعية عملهم، الأمر الذي قد ينعكس سلباً على الحالة الشعورية الحميمة التي تربط الأمة بقيادتها، فيما يحققه ذلك من نتائج إيجابية على مستوى العلاقة بين الأمة والقائد . .

ولكن قد يلاحظ التنظيميون الحزبيون على هذه النقطة فيقولون: أن السرية ليست وليدة الطبيعة الحزبية، بل هي وليدة الظروف الضاغطة الصعبة، التي قد تعمل على الضغط على الحالة الفكرية، أو السياسية، في عملية تصفية جسدية للقيادة، أو تجميد أو محاصرة للعمل كله، بطريقة تدفع الحركة إلى شلل كامل في أكثر من موقع، وهذا هو الذي جعل من «التقية» أسلوباً عملياً واقعياً، يفرض على العاملين الاختفاء وراء الكلمات، التي تحمل أكثر من معنى، أو تتحرك في أكثر من اتجاه، أو تشير إلى أكثر من موقع، أو وراء المحاور، التي قد تأخذ لنفسها أكثر من صفة، وأكثر من واجهة، أو تختفي عن الساحة في حالة من الغياب الموقت، أو في طريقة تفسح المجال للتحرك «الشبحي»، في حركة الأشباح، أن تواجه الساحة بأكثر من أسلوب

من وراء الستار.

ولا مجال للقول أبداً، بأن زمن التقية قد ولى، لأنه ربما كان ذلك صحيحاً على مستوى ما يفهمه بعض الناس خطأ، بانه يعني الاختفاء الدائم عن المسرح، وتجميد التحرك على مستوى القضية، والخضوع لعوامل الخوف الانهزامية، من دون دراسة لعناصر القوة الموجودة في الواقع، والاستسلام للتهاويل، التي تثيرها المعادلات السياسية للدول الكبرى، أو للقوى المسيطرة، بل ان كل عمل ثوري، لا بد ان يختزن التقية في تفاصيله، والسرية في كثير من تخطيطه.

سرية الادارة السياسية

وليس من الضروري دائماً أن تكون القيادة للأمة سرية، ولكن قد يكون من الطبيعي، أن تكون الادارة السياسية التي تدير الأمور، خاضعة لبعض الأوضاع الأمنية، التي تجعلها بمنأى عن الأنظار، في مواجهة بعض الضغوط الصعبة، والتحديات الكبيرة، التي قد تحطم كل العناصر الحية للحركة.. حتى اذا انتهت تلك الحالات الاستثنائية برزت للواقع بطريقة علنية..

ان المسألة في مثل هذه الأمور، لا تخضع لضوابط تفصيلية على مستوى المفردات الجزئية للحركة، ولكنها تخضع لضوابط كلية على مستوى الخطوط العامة، التي توزع التفاصيل على الظروف، تبعاً للحاجة التي تقتضيها الأوضاع، وتفرضها مراحل العمل، فقد تكون العلنية هي طابع التحرك حينا، وقد تكون السرية هي الأفضل حيناً آخر، وقد يحتاج الموقف إلى حالة متوازنة متحركة بين الخط السري، وبين الخط العلني، حسب الحاجة.

ولعل من الطبيعي، أن يكون تحديد نوعية الأساليب العملية في هذا المجال، خاضعاً للحكم الشرعي، الذي يحدد للعمل طبيعته، وللحركة خطواتها ووسائلها، ليكون العمل منسجماً مع الشرعية الاسلامية في كل أوضاعه وتفاصيله.

الزوايا الضيقة والأفق المفتوح

وربما يثير البعض في هذا المجال، ان السرية تمنع الأمة من الانفتاح على القضايا الكبرى، لأن العمل السياسي، يجعل المواقف الفكرية السياسية في نطاق دائرة معينة، تحكمها نظرية الخلايا الحزبية، التي ينقلها مسؤول إلى مسؤول في حركة سرية، لا تسمح بأن يتسرب منها شيء إلى الجو ـ وبذلك تفقد قضية الأمة حيوية المشاعر الجماهيرية والمواقف الحاسمة، التي تمثل الاندفاع الكبير في مواجهة الطاغوت، على مستوى الشخص، أو النظام، وتتحول المسألة إلى عملية رتيبة، تتحرك بهدوء، في نطاق تقليدي، لا يحقق الا بعض النتائج البسيطة، التي لا تكتفي بالتغيير الشامل. . ، وبذلك يبرز الفرق بين «العمل الحزبي»، الذي يتحرك في الزوايا الضيقة المغلقة، وبين العمل الجماهيري، المسجدي، الذي يتحرك في الأفق المفتوح الواسع.

السرية ليست نصاً منزلاً

ولكن مثل هذه الفكرة، قد تكون ناشئة من تجربة محدودة فاشلة، لا من خلال مناقشة الفكرة على أساس المبدأ. . ، لأن نظرية «الخلايا الحزبية»، ليست ضرورية في العمل الحزبي، بل هي وسيلة من وسائل السرية في ضبط الأسرار وتنظيم الأسلوب، الذي يمكن للخطة أن تتحرك في ساحة أمينة من ساحات العمل، وقد تكون أسلوباً تربوياً، ينطلق في إتجاه تعميق الفكرة في ذهنية العاملين في عملية التثقيف السياسي، الذي حاول أن يحافظ على وحدة الفكر والأسلوب.

وقد تفرض الأوضاع تجاوزها، والانتقال إلى أسلوب آخر، في المرحلة العلنية، أو في الحالة السرية، التي قد تكتشف فيها أسلوباً يغذي الحالة الجماهيرية والمنفتحة، وذلك من خلال تنظيم الطاقات المثقفة، لتستطيع تحريك الفكرة في الساحة العملية بشكل منظم دقيق. . ، لأنها ليست نصاً منزلاً لنقف عندها بروح تعبيرية خاضعة، بل هي مجرد تجربة، حملت بعض نتائج النجاح في بعض نماذجها الواقعية.

عقلية الطبقة وعقلية الرسالة

وهناك جانب آخر لا بد من دراسته، بان مثل هذا الأسلوب، «أسلوب الخلايا»، لا يعني انغلاق المسألة السياسية عن الأمة، بل يعني بناء الطليعة الواعية من العلماء والمثقفين الذين يديرون الأمور، ويفكرون فيها بطريقة مدروسة، ليتعرفوا كيف ينفتحون على الجمهور من موقع الحكمة والتخطيط، لتكون الحركة أو الثورة سائرة في الاتجاه الصحيح، عندما يقودها الطليعيون، الذين لا يعيشون امتيازات الموقع الطلائعي المميز، الذي يفصلهم عن الأمة من ناحية ذاتية، بل يعيشون مسؤولية ذلك، ليلتقي في العمل الجماهيري، الفكر المنظم الموحد والساحة المفتوحة المتحركة في اتجاه التغيير.

ان هناك فرقاً بين صناعة النخبة في عقلية الطبقة، وبين صناعتها في عقلية الرسالة والمسؤولية. فان الأولى تعيش في عزلة عن الأمة، ولكن الثانية تعيش في قلب الأمة، لتحركها وتثيرها، وتوجهها إلى الأفاق الرحبة، تماماً كما هي قصة المدرسة التي يتخرج منها القادة، لا ليجلسوا في الأبراج العاجية ليتطلعوا إلى الأمة من أعلى، بل ليجلسوا في مقاعد الجماهير، ليعيشوا معهم كيف تكون التجربة حية واقعية، على مستوى الممارسة والمعاناة، بعد أن عاشتها على مستوى الفكر والتأمل.

الحزبية ووحدة الثقافة والفكر

وهناك بعض النقاط التي قد يثيرها «التنظيميون»، كعلامات جيدة للعمل الحزبي، مما يقوّي العنصر الايجابي، الذي يجعل منه فرصة كبرى للنجاح. من هذه النقاط وحدة الثقافة والفكرة، لأن الذين يتولون عملية التثقيف، لا بد ان يكونوا خاضعين لدراسة منظمة واسعة، توحي تصورهم للمشكلة وتحليلهم للحل، وطريقتهم في العمل، وأسلوبهم في التبليغ والتنفيذ، حتى لا ترتبك الأمة أمام الطروحات المتنافسة، التي قد يثيرها هذا «العالِم»، الذي قد يكون خاضعاً لعوامل ثقافية ذاتية في اختزانه للفكرة، أو يقررها هذا المثقف، الذي قد يواجه المسألة السياسية أو الفكرية من تجربة معينة تختلف عن تجربة الانسان الآخر. وهكذا يحدث الأهتزاز في حمل الفكرة، وفي ممارساتها، وفي طريقة الدعوة إليها.

وقد يحدث في بعض الحالات أن لا يكون هؤلاء الذين يتحملون مسؤولية العمل على أساس صفة معينة، ممن يملكون الثقافة، التي تؤهلهم ليكونوا في الموقع المحدد في خط المسؤولية، أو ممن يملكون التجربة العميقة في ذلك كله، الأمر الذي يجعل الحركة غير ناضجة، لأنها لا تحمل في داخلها عمق التجربة وانفتاح الثقافة.

صعوبة اختراق العمل الحزبي

ولعل من هذه النقاط «النقطة الأمنية»، التي قد تضبط الوضع الأمني، بالمستوى الذي لا يجعل إختراق العناصر المعادية أمراً سهلاً، كما هو الحال ـ على العكس ـ في الحالة الجماهيرة المنفتحة، التي لا تخضع لضوابط أمنية دقيقة، نظراً للانفتاح الواسع في مثل هذه الحالة، لأن الطريقة الحزبية، تجعل الدخول في الحركة السياسية، في مواقعها القيادية والعملانية، خاضعة لتنظيم دقيق يشبه التنظيم العسكري، ولشروط قاسية لا تتوفر في الكثيرين، مما يصعب على الآخرين اختراقه، إلا في دائرة محدودة، الأمر الذي قد لا يلغي الاختراق أساساً، ولكنه يعرقل أكثر خطواته. . .

ولا يزال الذين يعملون، بعيداً عن الطريق الحزبي، يشعرون بالحاجة إلى البحث عن سبيل عملي للوصول إلى الضمانات الأمنية الدقيقة، في نطاق هذا العمل، في الحالات التي لا يكون فيها العمل خاضعاً لحماية دولة، بل كان حالة جماهيرية تعيش في ظل دولة معادية، كما في أكثر الحالات المعاصرة.

الصيغة المثلى!!

هذه هي بعض الأفكار، التي يثيرها دعاة الحزبية، في أسلوب العمل السياسي، ويسجلون فيها الملاحظات على الوجه الآخر للعمل.

فهل هي الصيغة الوحيدة المثلى في حركة التغيير. ؟

وهل تمنع قيام صيغة أخرى، منفتحة على الحالة الاسلامية الجديدة، أو أن هناك نوعاً آخر من العمل، يجعل لكل صيغة موقعاً لا تلغيه الصيغة الأخرى، بل تنطلق الصيغتان في عمل اسلامي متكامل، يحمل في داخله امكانات التجديد للصيغة الحزبية، كما يحمل في داخله ـ أيضاً ـ إمكانات التنظيم للصيغة الجديدة التي تطرح

الأمة كواجهة للتغيير؟

أين هي الصورة الحقيقية . . بين هاتين الصورتين؟ . . .

من الذي يقود عملية التغيير
حزب الأمة أم أمة الحزب؟ ـ ج ـ

* الأحزاب الإسلامية
صنعت قاعدة وقدمت الإسلام كمشروع متكامل .

*الحزب المتطور والمنفتح
يمثل الدور الطليعي في تحريك الأمة .

*ضرورة تكامل المرجعية
مع الحزب والتقاء الحزب بالأمة .

*لا بد من
تبلور فكرة حزب الله في صيغة واضحة ودقيقة .

دور الحزب ودور الأمة

قد يكون الحديث، عن وجود صيغتين شاملتين متعارضتين في حركة العمل الإسلامي، بحيث يكون الموقف، هو رفض إحداهما، وقبول الأخرى، قد يكون مثل هذا الحديث، ناشئاً من نوع من الإلتباس، بين مهمة الحزب في الأمة، وبين حركة الأمة في خط التغيير، مما يوحي بأن الحزب يريد أن يأخذ دور الأمة، فيحاول أن يحشرها في زاويته، أو يسلبها فاعليتها، ويجعلها مجرد تابعٍ للنخبة، أو أن الأمة في حركتها تلغي دور الحزب، وتعمل على تصفيته، وإبعاده عن مواقع المسؤولية، لا سيما في أجواء «ولاية الفقيه»، التي تتسع في حركتها لكل ساحات الأمة، فلا تترك فراغاً لأحد، ولا تسمح لأي موقع بأن يتدخل في حركة القيادة ليكون بديلاً عنها، لأنها هي التي تعطي الشرعية للساحة، فلا شرعية لأية حركة بدونها.

خصوصية الاسلام الدينية

ربما كان للإسلام خصوصيته المميزة، أمام التيارات الأخرى، التي تريد أن تتحرك في الساحة العامة كمشروع سياسي، في ما يحتوي من أفكار ومناهج، في ما ينطلق فيه من أساليب وأجواء. .

وتلك هي الخصوصية الدينية، التي يعيش الإنسان فيها ذاته في أجواء الروح، في عمق المعنى الروحي لحركتها في دائرة الإيمان بالله والإرتباط به والخضوع له، ومن خلال ذلك، فإنه يبحث عن الإمتداد في الجانب الفكري والشعوري والعملي، في عمق الفرد وفي حركة الأمة، في داخل الحكم وخارجه، مما يجعله يمنح لأي فردٍ صفة الإنتماء إليه، ولو في المستوى الشكلي، فيكفي في الشخص المسلم أن يتلفظ بالشهادتين، مع احتمال جدّيته، أو إمكانية وصوله إلى حالة الجدّية في المستقبل. ولذلك كان هناك تفريق بين الإسلام والإيمان، فالإسلام بالمعنى القرآني هو الإلتزام بالمعنى الظاهري، بالعقيدة وبفروعها، حتى لو لم يكن ذلك منطلقاً من الوعي الداخلي لمعانيها في التزام الفكر والروح، أما الإيمان فهو الإلتزام القلبي والعقلي بالإسلام، بالإضافة إلى الإلتزام الظاهري. . .

ولهذا كان النبي (ص) يقبل الذين يدخلون في الإسلام، رغبة أو رهبة، كما يقبل

الذين يدخلون فيه عن قناعة، بل كان يفرض لبعض الناس نصيباً في الزكاة لتأليف قلوبهم، ولتقريبهم إلى الإسلام، بالتأثير على مشاعرهم من ناحية سدّ احتياجاتهم المالية . .

وقد كان الهدف من ذلك، إخراج الناس من أجواء الكفر، وإدخالهم في أجواء الإسلام، ليكون ذلك بمثابة الإعداد الفكري والروحي للإقتناع به، أو تحييدهم ـ على الأقل ـ في معركة الكفر والإسلام، لئلا يبقوا في الموقع المضاد، وليقتربوا من هذا الموقع .

النداءات القرآنية

وربما كان مثل هذا الإتجاه، في احتواء الناس في الساحة الإسلامية، بكل وسيلة سبباً في انفتاح الإسلام على الواقع كله، بعيداً عن التحفظات الأمنية والفكرية، في امتداد الأمة، ليلتقي الجميع على صعيد واحد في المسجد، وفي غيره من المواقع الهامة، في الحرب والسلم، فليست المسألة مسألة النفاذ إلى العمق، بل هي مسألة الإجتماع على الكلمة والموقف . .

وهذا هو الذي يجعل التوجه إلى الأمة في النداءات القرآنية بشكل مطلقٍ، من دون الدخول في الأساليب التنظيمية المعقدة، مما يجعل الأمة بكل فئاتها، معنية بالنداء، ومسؤولة عن تفاصيله، فعلى النبي أو الداعية، أن يطلق الكلمة، ليسمعها الجميع، وعلى السامعين أن يفهموا ويلتزموا وينفِّذوا، من موقع الملازمة بين الإيمان والتسليم العملي .

﴿فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يحكمِّوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ ٤/ ٦٥ .

تفاعل الأمة مع الموقف

إن هذه الخصوصية التي يملكها الإسلام في طبيعته، وهي الخصوصية الدينية، تفرض عليه أن يتحرك بطريقةٍ مغايرةٍ لما تتحرك به التيارات الفكرية السياسية الأخرى، التي تريد أن تمتد في الأمة على أساس التخطيط للمسألة الإجتماعية، بعيداً

عن المسألة الفردية، مما يجعل الإهتمام مرتكزاً على حركة الأمة، لا على حركة الفرد من الناحية الذاتية. ولذلك كان أسلوب الحركة السياسي في الإسلام، هو الأسلوب الذي يعتمد على إفساح المجال للفرد أن يدخل في الأمة، ليستفيد من الأجواء الروحية التي تحكمها في العمق، ولينمو في داخلها بعفوية وبساطةٍ، من دون تحفظات عامة وخاصة، فيما يتحرك في رحابها من عبادةٍ وحركةٍ وإيمان.

ولهذا، فلا بد أن تكون لدينا ساحة مفتوحةٌ، لا حدود لها في حركة التوعية الإسلامية في الدائرة الفردية، وفي الدائرة الإجتماعية، من أجل الوصول إلى ثقافةٍ عامة على جميع المستويات، على الطريقة التي انطلق منها الأسلوب القرآني في مخاطبة المؤمنين كافة، ومن النداءات الموجهة إلى الناس جميعاً، في عملية توزيع شامل، للمضمون الفكري والروحي والعملي للرسالة الإسلامية، ليعيها الجميع، من دون أن يكون هناك ثقافة خاصة لفريق دون فريق، لتشعر الأمة بالمساواة بين أفرادها؛ فيما يراد لهم من اختزان الفكرة واحتضان التجربة ومواجهة المشكلة، والتفاعل فيما بينهم فيما يتفقون في فهمه، وفيما يختلفون فيه، وحتى المواقف السياسية والجهادية، لا بد من إثارتها في حياة الناس، وإعلانها للجميع، وتحويلها إلى فكر عام، في عمليةٍ تعبويّةٍ عميقة، بحيث تحمل الأمة هموم الموقف ومشاكله، وسلبياته، وإيجابياته، من موقع الوعي الكامل لكل جذوره وامتداداته، فلا يكون الإلتزام به خاضعاً لحالة انقيادية تعبدية، منفعلة بروح الطاعة للقيادة، بل يكون منطلقاً ـ بالإضافة إلى ذلك، من موقع الإلتزام الواعي بالموقف، على أساس القناعة به، والمعرفة بكل جوانبه، وملامحه الداخلية والخارجية،..

ومن خلال ذلك، تحصل للأمة المناعة، من التأثر بالتيارات المضادة في الساحة السياسية والجهادية، لأن المسألة، هي أن التحدي المضاد، يمثل التحدي للفكر الذي تحمله وتؤمن به، مما يجعل من مسألة الدفاع عنه، حالة ذاتية مقاومة، كما في أية قضية تتحول إلى رأي عام.

الأسلوب الجماهيري وتحريك القضايا

إننا نؤكد على الإتصال المباشر بين القيادة والجماهير، لتحويل الحالة الفكرية السياسية إلى حالة وجدانية، تماماً كما هي الحالة الشعبية، التي تتحول إلى تيار جارف، تصعب مواجهته بشكل مباشرٍ، ولكن ذلك يحتاج إلى الكثير من المتابعة والدقة والتركيز، في احتواء الجوانب النفسية والروحية، والتحرك بلباقةٍ، في التعرف على نقاط القوة والضعف لدى المجموعات الشعبية. ولعلنا نستذكر في وعينا الإسلامي، كيف استطاعت الأفكار العامة لدى الأمة، أن تصمد أمام مختلف التيارات المضادة زمناً طويلاً، حتى أننا نلاحظ بعضها، الذي سقط بفعل الضغوط القوية، كيف ترك رواسبه في العمق الداخلي للأمة حتى الآن.

إن ذلك كله، يدل على أنَّ الأسلوب الجماهيري، الذي ينفتح على الأمة بشكل مباشر، هو الأكثر تأثيراً في تحريك القضايا الكبيرة في حياتها، من خلال عناصر الإثارة المتنوعة، المتصلة بالعمق الداخلي للجماهير، لا سيما في المواقع التي تملك فيها القيادة امتداداً كبيراً في حياة الناس، انطلاقاً من الصلة الشرعية العضوية التي تربطها بهم، كما نلاحظه في مركز المرجعية الرشيدة، المتفاعلة مع قضايا الأمة، حيث تلتقي المسألة السياسية بالمسألة الشرعية، فتحول الموقف السياسي إلى حالة دينية مقدسة، في خط الطاعة لله، تماماً كما هي الصلاة والصوم، في تأثيرها الروحي في أعماق الذات. وبذلك لا تكون الكلمة الثائرة أو الموجهة أو المحللة، مجرد كلمةٍ مثيرة أو منبهة، أو مفسرة، بل تكون كلمة، تأخذ صفة القانون والشريعة، في خط الفتوى أو الحكم، مما يجعلها تفقد الصفة الإستهلاكية، لتتخذ صفة الكلمة المنتجة في حركة الذات والواقع.

أطروحة حزب الله

ولعل التجربة الرائدة، التي قام بها الإمام الخميني (قده)، في ثورته الإسلامية، التي حولت الشعب الإيراني المسلم، إلى شعب ثائر، من موقع الوحدة، المرتكزة على أساس الوعي الشرعي للثورة، في الخطوط السياسية المستقيمة.. لعل هذه التجربة، أبلغ دليل على قيمة الأسلوب المنفتح على الأمة، في تجميع قواها من أجل التحرك

بقوة. في مواجهة القوى المضادة، وتحريك كل العوامل المؤثرة في هذا الإتجاه، في الوقت الذي لم تنجح كل القوى الأخرى المنظَّمة، في الوصول إلى بعض هذه النتائج، مهما تحدث القائمون عليها، في عملية مشاركتهم في صنع الثورة، أو في تحضيرهم الأجواء العامة لها، مما يوحي بأن التنظيم الحزبي ليس هو العنصر الأمثل في تنوير الأمة وإسقاط الطاغوت، الشخص، أو النضام، وتلك هي أطروحة حزب الله، ... ى القرآني الذي يتسع لكل أفراد الأمة، الذين يلتزمون فكر الرسالة الإسلامية، ويـ...ون أحكامها..

وخلاصة الفكرة، إن صفة الإسلام كدين ينطلق في حياة الناس، بالجانب الروحي والفكري والعسي، ويرتكز على حركة القيادة المتصلة بالأمة، في عملية وعي وتفاعل وانفتاح، تفرض على العاملين فيه، في خط الدعوة، وفي خط الحركة، أن ينفتحوا على الواقع كله، ليحققوا الحالة الجماهيرية المنفعلة بالفكر، الخاشعة بالروح، المتحركة بالثورة، من دون حواجز ولا قيود، بل هو القلب المفتوح، الذي يلتقي بعقول الناس وقلوبهم، بالكلمة الشاملة، في المسجد والشارع والمدرسة والنادي، في المناسبات العامة والخاصة.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه، هل يلغي هذا دور الحزب، أو يؤكده. ؟ وكيف يكون دوره ـ إن وجد، في التخطيط الإسلامي الشامل للحركة، على صعيد الحياة في موقع القيادة؟

الفكرة الحزبية والخط القيادي

هذان هما السؤالان، اللذان ننتظر الإجابة عليهما فيما نثيره من حديث.

أما الجواب عن السؤال الأول، فهو أن الفكرة الحزبية تعني في مفهومها ـ الشكل التنظيمي، الذي يخطط لحركة الفكرة، في عملية توزيع مدروس، للمفردات التفصيلية للواقع، ليضع كل واحدة في موقعها الملائم، بحيث تتكامل حركتها في الساحة، ويثقف الطليعة بالفكر الإسلامي الشامل في جوانبه، إلى البحث عن الوسائل العملية، التي تدفع الأمة إلى التحرك، وتقودها إلى خط التغيير، ولكن ليس بالمعنى الذي تتحول فيه الطليعة إلى طبقة مميزة، مفصولة عن الشعب بروحيتها،

وتفكيرها، وأبراجها العاجية، وامتيازاتها الطبقية النخبوية، بل بالمعنى الذي يجعل منها الخط، القيادي على مستوى التوعية والتوجيه و إدارة الحركة، لأن الأمة لا تستطيع أن تتفرغ بأجمعها لذلك، وهذا هو ما عبرت عنه الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نفر من كل فرقةٍ منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ ٩/ ١٢٢.

فإننا نفهم من ذلك، الدعوة إلى إعداد فئةٍ متفقهةٍ في الدين، للقيام بمهمة التوعية الفقهية على الصعيد الشعبي، وليس من الضروري أن يكون التفقه بالطريقة التقليدية، بل قد يكون سبيله، هو دراسة كل ما تحتاجه الأمة في إدارة أمورها العامة، في قضاياها الثقافية الشرعية، وحركتها السياسية، لأن التفقة قد يتحرك في الجانب النظري من الواقع، وقد يتحرك في الجانب العملي منه، مما يفرض الوعي الشامل لحركة النظرية في نطاق التطبيق.

وقد لا يكون من المفروض، أن تتجمد طريقة الإعداد في صيغةٍ معينة، بل قد تتنوع في أكثر من صيغةٍ، تبعاً لتطور الوسائل التربوية والعملية، [illegible]د يكون نظام الحلقات المغلقة، في المراحل السرية التي تضغط على الحركة في عملية حصار ضاغط، يجمد الموقف ويشل التقدم، وقد يكون نظام الحلقات المفتوحة، في دائرة ضيقة تارة وواسعة أخرى، وربما تقتصر على الجانب الفردي في بعض الحالات. .

ثم تبدأ الطليعة في التحرك، نحو توسيع نموذجها في الأمة، في المواقع المتدرجة، في خط الصعود والنزول في المسؤولية، لتتسع القاعدة وتتمدد، تبعاً للحاجات المتطورة في ساحة الدعوة والصراع. . وتكفل للقضية، كل عناصر القوة الفكرية والسياسية، وتوحد لها نظرتها في رؤيتها للأمور، فلا تتباعد المسافات بين الأفكار، ولا ترتبك المواقع في مناهج التربية وأساليب التحرك، عندما يتخذ فريق لنفسه موقعاً في خط هذا المنهج، ويتخذ الفريق الآخر موقعاً آخر في خط منهج آخر، لأن النجاح في أية حركة، لا بد من أن يخضع للتكامل بين المواقع والمواقف في الطريق العملي نحو الوحدة.

وهكذا يتحدد دور الطليعة في تموين الأمة بالعناصر القيادية، في مختلف مراكز المسؤولية، من أجل إدارة الخطة، وتحريكها في العمق والإمتداد، في مواجهة قضية

البناء، الذي يبني للأمة كيانها الإسلامي، في ملامحها الفكرية والعملية، وفي مواجهة قضية الهدم، الذي يرصد التحديات الداخلية والخارجية، ليدرسها بطريقةٍ دقيقةٍ واقعيةٍ في خلفياتها السياسية، وفي خصوصياتها الأمنية، وفي حجم تأثيرها على حركة الإسلام في الحاضر والمستقبل، من أجل إثارة فكر الأمة، نحو التعامل معها بقوةٍ وتخطيط، لإرباك مخططاتها وهزيمة مواقعها واسقاط مشاريعها، في إضعاف الأمة في قضاياها المصيرية الكبيرة، وذلك بتوزيع الأدوار على صعيد الرصد والتخطيط، والمواجهة بالتحدي، ورد التحدي بمثله، وحماية التحرك المضادّ في وجه القوى التي تثير التحديات.

حاجات الأمة الخاصة والعامة

وفي هذا الجو التنظيمي، لا بد من دراسة الحاجات الخاصة والعامة للأمة، وطبيعة الظروف المحيطة بها، لمعرفة السبيل الأفضل للصيغة التنظيمية في نطاق إعداد الطليعة وتربية القاعدة، وتخطيط الحركة في خط إدارة الواقع وتوزيع المسؤوليات، فقد يختلف الأمر في ذلك، بين المرحلة السرية، التي تخضع فيها الحركة لضغوط قوية لا يمكن تجاوزها إلا بالعمل السري، الذي يحصر التنظيم في دوائر صغيرة مغلقة، تركز العمل وتحمي حركته، وبين المرحلة العلنية، التي تتمتع فيها الأمة بظروف طبيعية ممتازةٍ، من حيث ساحة العمل وحرية التحرك الثقافي والسياسي، مما يجعل للعمل التنظيمي حرية واسعة في الحركة، في نطاق الدوائر الواسعة المفتوحة، التي قد تستوعب قدراً أكبر من القاعدة.

وقد يطرح في هذا المجال، التثقيف الخاص، الذي لا يعزل الثقافة عن الأمة، لتكون هناك ثقافة للنخبة وأخرى للأمة، بل يتحرك في مستوى معين، من أجل أن تقوم النخبة التي تستوعبها، في اختيار أفضل الأساليب، لايصالها إلى أفراد الأمة بطريقة تدريجية، في نطاق الخطة الثقافية العامة.. فهي الثقافة التي تتجمع في هذه الدائرة، لتنطلق في الدائرة الواسعة، لتغذي أكبر عدد ممكن من الناس، وبذلك تلتقي الثقافة الخاصة، بالفكرة التي يثيرها التفقه والانذار في مدلولها العملي، في مسألة الإستيعاب الذاتي، الذي يمتد في حركة استيعاب الآخرين.

ويبقى الطوق الأمني، الذي يؤكده التنظيم، في دراسةٍ للضرورات الأمنية، في حماية الأمة من المندسّين في صفوفها للتخريب، ومن المخترقين لساحاتها، من أجهزة المخابرات الكافرة والطاغية، ثم في اختراق صفوف الآخرين، وإرباك مواقعهم الأمنية، من اجل إضعاف قدرتهم السياسية والعسكرية.

دور الحزب المتطور

وخلاصة الجواب عن السؤال، إن الحزب المتطور في صيغته، المتجدد في تفكيره، المتحرك أبداً في خط قضايا الأمة وحاجاتها، يمثل الدور الطليعي الرسالي، الذي يقوم بعملية التحضير لتثوير الأمة، من خلال الإنفتاح عليها، ولإيجاد الأجواء العامة، التي تجعل الرسالة حالة جماهيرية شاملة، وتحصن الساحة من الأخطار القادمة إليها من الداخل والخارج... ولذا فإن الدور الحزبي لا يذهب، بل يتأكد، من خلال الحاجة إلى الضوابط العامة والخاصة، لتكون عملية الانفتاح على الأمة كلها، خاضعة لخطة دقيقة وتنظيم واسع، فإن الشمولية في الدعوة لا تلغي التخطيط، وإن الجماهيرية في العمل لا تُبعد التنظيم، لأن البديل عن ذلك هو الفوضى في الحركة، والضياع في الطريق.

ومن خلال ذلك، نستطيع أن نوفق بين عمل الحزب وبين عمل المسجد، فيعطي الحزب للمسجد العناصر المثقفة، أو يساعد الذين يتحركون فيه، واللجان التي تشرف عليه، بالدراسات وبالأفكار التنظيمية للعمل، وبالتخطيط المدروس لكثير من نشاطاته، من دون أن يحصره في الدائرة الحزبية، ويعطي الجو المسجدي، والأسلوب العلمائي للحزب، الروحية والإنفتاح والشمولية، والإندماج في مجتمع الأمة، ومرونة التحرك في العلاقات، مما يحقق التكامل بين الطريقتين والمنهجين.

بين الحزب والشورى

أما الجواب عن السؤال الثاني ـ وهو كيف يكون دور الحزب، إن وجد، في التخطيط الإسلامي الشامل للحركة، على صعيد الحياة في مواقع القيادة؟

فقد يحتاج إلى مقدمة، وهي إن هناك نظريتين في مسألة القيادة الشرعية، فهناك

نظرية الشورى، التي ينطلق الحكم فيها، من موقع آراء الطليعة أو الأمة أو الفقهاء، أو أهل الحل والعقد، أو نحو ذلك، فهي التي تعطي لأيّ حكم ولأي عمل شرعيته، وهناك نظرية ولاية الفقيه، التي تنطلق شرعية الواقع كلها من رأي الفقيه العادل الجامع للشروط الشرعية..

وفي كلا الحالين، قد تفرض المسألة، في الظروف التي يحكم الإسلام في دولةٍ إسلاميةٍ، وقد تفرض في خارج نطاق الحكم الإسلامي..

ففي خط الشورى، ربما يكون الحزب، بقيادته المشتملة على بعض أهل الفكر، أو أهل الحل والعقد، أو بعض الفقهاء، وبأجهزته العاملة في أكثر من حقل، المتحركة في أكثر من موقع، جزءاً من الشورى. أو يكون هو الشورى، عندما تتوفر فيه الطاقات المستوعبة للساحة، حسب الشروط الشرعية، وبذلك يكون في موقع القيادة جزءاً أو كلاً، ويكون ملزماً في قراراته من خلال الشورى، التي تخطط للواقع، وتدفع الموقف إلى خط التنفيذ، في داخل الحكم أو خارجه.

بين الحزب والمرجعية

وفي خط ولاية الفقيه، يتحرك الحزب، ليقوم بإعداد الساحة للفقيه، من خلال الخطة الموضوعية، من قبل مفكريه وأجهزته، في العلاقات العامة والخاصة، فيما يحتاج إليه من خبرة بالواقع، ومن مساعدة على تنفيذ الولاية، ليكون العين التي يبصر بها، والأذن التي يسمع بها، والعقل الذي يفكر فيه، واليد التي يضرب بها، فيما يتميز به الحزب، من خبرة ودراية بالفكر والتجربة، فيكون الجهاز الذي يملكه أداةً بيده، فيما يريده من أعمال الولاية في شؤون الناس، وفي توزيع المسؤوليات على الساحة، سواءً في ذلك في داخل الدولة، عندما يريد الفقيه رعاية الحكم فيها، أو في خارجها، عندما يريد تثوير الناس ضد الواقع الجائر، وتنظيم العمل الثقافي والسياسي والإجتماعي والأمني، من أجل الإسلام، وذلك في المرحلة التي يتحرك فيها الفقيه في هذا الإتجاه، ممن يرى الولاية العامة على الناس، إذا لم تكن المرجعية، مؤسسة منظمة شاملة على مستوى الأمة، تحتوي كل شيء من حولها، وبذلك يمكن أن تتكامل المرجعية كجهاز محدود، مع الحزب كمؤسسة تدير الواقع في الأمة، من

اجل تنميته وتطويره وتثويره ورعايته، ويبقى للمرجعية أسلوبها ودورها، وحركتها التوجيهية في حياة المؤمنين، في نطاق الواقع المسجدي، الذي يتحرك فيه العلماء والوعاظ والمرشدين، في دائرة التثقيف العام أو التثقيف الخاص، بالطرق التقليدية أو بالوسائل المتطورة. بالتنسيق الكامل في المجالات السياسية مع الحزب الذي ينال ثقة الفقيه.

لقاء الحزب بالأمة

إن خط «حرب الله» الذي يعني الأمة الواسعة المتحركة في خط الإسلام، لا بد أن يبقى هو الدائرة الواسعة، التي تحتوي الجماهير، بإدارتها وتنظيمها والتخطيط لها، في معاركها وصراعاتها السياسية والأمنية، وحمايتها من الإختراقات المعادية..

ولكن لا بد أن يكون لهذا الخط، جهاز واسع شامل في داخل جسم الأمة، ليمارس شؤون الإدارة في حركتها، وليستثير بخطته كل طاقاتها، وليحفظ وحدتها الفكرية، فيما يثيره في ساحتها الفكرية من فكر، وليحمي لها مسيرتها الأمنية، فيما يحركه فيها من وسائل الأمن.

ولا بد من إنشاء هذا الجهاز بطريقة منظمة، تلتقي بالتنظيم الحزبي في أكثر من موقع وخط، مما قد يحوّل حزب الله إلى حزب منظم بالمعنى المصطلح، إذا احتوى كل الساحات، وقد يبقيه في نطاقه الواسع، إذا كان يتولى عنصر قيادته في مركز الطليعة القائدة من الأمة، ليدفع بالأمة إلى أهدافها، من الأبواب الواسعة، التي تنفتح على الجميع.. وبذلك يلتقي الحزب بالأمة، في عملية قيادة وتكامل، فلا تلغي الأمة دور الحزب، ولا يأخذ الحزب مكانها في حركة الواقع.

ويبقى الدين في حركته الواسعة، التي تدعو إلى الإنتماء إليه، حتى في المواقع الشكلية والسطحية من التزام الإنسان، عباداته ومعاملاته وسياساته واندفاعاته الثورية والحماسية، ويتحرك الحزب في خط القيادة وبركتها، من وراء ذلك كله، أو أمام ذلك كله، ليحفظ التجربة، وليوزع الأدوار، وليصون المسيرة من الخلل والسقوط والضياع.

الأحزاب والقاعدة السياسية

وربما كانت المشاكل التي حدثت، أو لا تزال تحدث، بين فكرة قيادة المرجعية وبين قيادة الحزب، أن المرجعية ـ في أكثر أدوارها ونماذجها، لم تتحرك في الخط السياسي، الذي يدفع الأمة إلى التحرك نحو قضاياها المصيرية، على أساس الخطة الكاملة الشاملة، في مواجهة التحديات، لتملأ الفراغ في كل المجالات العامة. ولذلك بقيت ساحة العمل السياسي فارغة بشكل هائل، بحيث كانت فرصة للتيارات الكافرة أو الضالة أن تملأها، لتزرع الكفر والضلال في قلب الأمة وحياتها، من خلال الحركة السياسية، فيما كانت تطرحه من الفكر المتكامل، الذي يطرح السياسة من قلب الفكر، الأمر الذي دعا الفئة الواعية من العلماء ومن المثقفين، أن يبادروا إلى الأخذ بالتنظيم، كأسلوب يواجه الحاجة إلى حركة إسلامية تدخل الصراع، من أجل أن تكون البديل عن الآخرين، من تيارات الكفر والضلال.. وهكذا دخلت الأحزاب الأسلامية ساحة التجربة، واستطاعت أن تنجح في إيجاد قاعدة إسلامية في الدائرة الجامعية، وفي أوساط الطلاب والمثقفين في أكثر من صعيد، ولكنها لم تستطع أن تمتد إلى الأوساط العمالية والفلاحية والجماهير الشعبية العامة بشكل واسع.. وقد بقيت بعض هذه الأحزاب في الظل، وتحرك البعض الآخر في دائرة الصراع السياسي، في ظل المرجعية تارة، وبشكل شبه مستقل أخرى، في أجواء انفعالية، لم يتمكن القائمون عليها من حفظ المواقع، في حالة من التوازن، في دائرة التخطيط الهادىء، مما أدى إلى نوع من الإستعجال، أو الإعجال من قبل الدوائر المعادية، الأمر الذي سهّل محاصرتها وإرباكها وضرب قيادتها وقاعدتها في النهاية.

إننا لا نستطيع أن ننكر، أن الأحزاب الإسلامية، قد استطاعت أن تصنع قاعدة إسلامية ممتدة في الدائرة السياسية، التي قدمت الإسلام كمشروع متكامل، يختزن الجانب السياسي، إلى جانب الداوائر الأخرى، وذلك في غياب حركة المرجعية في هذا الإتجاه بالنظرة الشاملة، لأن ما كان يحدث بين آونةٍ وأخرى من نشاطات سياسية أو فورات ثورية ضد بعض الأوضاع أو القوانين أو الأحداث والأشخاص، لم يكن متحركاً من مواقع التخطيط للوصول إلى الحكم، ليكون البديل للأنظمة القائمة، لأن ذلك لم يكن وارداً في الحساب، من خلال الذهنية التقليدية، التي كانت تواجه

المسألة بالكثير من التحفظات الشرعية، التي كان يثيرها الإجتهاد القائم على الخط الفردي، الذي يدرس المسائل من ناحية الأوضاع التي يعيشها الفرد في حركته نحو أهدافه وقضاياه، لتثير أمامه مسألة الخط الأمني، الذي يمنعه من إلقاء النفس في التهلكة، أو تعريض الساحة للأخطار، بعيداً عن الدائرة الواسعة في حركة الأمة نحو أهدافها وقضاياها الكبيرة، التي لا يمكن أن تتحقق إلا بالتضحيات الكثيرة . .

الحزبية والخصوصية الدينية

وهكذا كانت الأحزاب الإسلامية، لا سيما في الساحة العربية، منطلق يقظةٍ وحركةٍ بناءٍ وتركيز، في مواجهة الأحزاب الأخرى الكافرة، التي كادت أن تسيطر على الساحة الإسلامية كلها، من خلال الفراغ السياسي الهائل، الذي كان يسيطر على الواقع العام، بالرغم من التحديات الكبيرة القادمة من الإستعمار، ومن الأنظمة المتحالفة معه.

وقد لاقت هذه الأحزاب صعوبة كبيرة في حركتها، من خلال الجانب المعادي المتمثل بالحكومات والأحزاب والقوى الإستعمارية، ومن خلال الجانب المتدين، المتمثل ببعض خطوط المرجعية، التي ترى في حركة السياسة في النطاق الإسلامي خطراً يتهدد الإسلام والمسلمين، تبعاً للمفهوم الضيق الذي يحمله بعض القائمين عليها أو المرتبطين بها، وبالواقع المتخلف الذي يختزن في داخله مسألة الفصل بين الدين والسياسة.

هذا إلى جانب الخبرة المحدودة، التي كان يملكها القائمون على هذه الأحزاب، والنظرة الضيقة الجامدة التي لم ينفتحوا ـ من خلالها ـ على التجارب الأخرى لشكل العمل الحزبي، التي تختلف عن الشكل المألوف في الساحة العربية، على خط الشكل الحزبي، الذي تعيش فيه الأحزاب الماركسية، ولم يعملوا على تطويره في نطاق التطوارت الجديدة، ولم يحاولوا التوفيق بين الخصوصية الدينية للإسلام، وبين طبيعة العمل التنظيمي، فاستغرقوا في المسألة التنظيمية، حتى أدى إلى نوع من الإنغلاق عن الأمة في امتداداتها الواسعة، ولم يدرسوا مسألة المرجعية في علاقة التنظيم بها، أو علاقتها به بشكل عضوي متكامل، مما جعل الجو بعيداً عن الواقعية، وقريباً إلى

التنظير المثالي .

تبلور فكرة حزب الله

أما فكرة حزب الله ، التي ترتبط بالمرجعية في خط ولاية الفقيه ، فأننا نعتقد أنها لا تزال غير متبلورة في صيغة واضحة ، محددة الملامح والمعالم ، بل تحتاج إلى دراسة واسعة ، لحركة الفكرة في الواقع ، وطبيعة التجربة الموجودة على الأرض ، ومدى ما أعطت من نجاح في مسألة الثورة ، وفي مسألة التخطيط السياسي ، ثم معرفة نوعية الأجهزة الفكرية والسياسية والأمنية ، التي تتحرك في دائرة القيادة مع الولي الفقيه ، فيما تملك من خبرة ودراية وإخلاص ، وكيف تكون صلتها بحركة الأمة ، سواءً في نطاق الدولة أو في خارجها ، لأن نجاح التجربة في ظل الإمكانات الهائلة للدولة ، لا يعني نجاحها في ظروف أخرى . وإذا كانت بعض التجارب السابقة على الدولة ، قد حققت بعض النجاح أو الكثير منه ، فإن علينا أن ندرس الظروف الموضوعية التي كانت محيطة بالتجربة ، لنحدّد أسباب النجاح في طبيعة الصيغة ، أو في العناصر الأخرى المحيطة بها . .

إنها فكرة جديرة بالإهتمام ، لأنها استطاعت أن تثوّر الشعب بطريقة أكثر حرارةً من الطريقة التي مارستها الأحزاب ، ولكنها مع ذلك تنظر إلى الأمور من زواياها الظاهرة ، بعيداً عن العمق الضارب في الجذور.

علامات استفهام؟

إننا نريد في هذا البحث أن نثير أفكاراً وعلامات استفهام حول التجارب المطروحة في الساحة ، سواءٌ فكرة التنظيم الحزبي ، أو فكرة أمة حزب الله ، لندرس المسألة من غير مواقع الإنفعال ، بل ندرسها من موقع الفكر والتأمل ، لنعرف كيف نجعل الأسلوب الإسلامي في العمل ، قريباً من الواقعية وبعيداً عن المثالية في أجواء التفكير بالمطلق . .

الحركة الاسلامية بين الانفتاح والانغلاق ـ أ ـ

* بين سياسة الانفتاح والانغلاق
أين تكمن السلبيات و الايجابيات ؟ ؟

* الانغلاق يؤدي
إلى عزلة التيار الاسلامي واستغلال الآخرين لاعماله .

* الانفتاح انطلاقة اسلامية
لابراز أهداف الاسلام وابعاده عن الدائرة الطائفية .

الاسلام والتيارات المختلفة

كيف يواجه الاسلام الحركي التيارات الفكرية والسياسية الموجودة في صعيد الواقع؟ فهناك تيارات دينية غير اسلامية تتحرك في خط سياسي من أجل ما يسمى بحرية الوجود المسيحي في الشرق، او من أجل تحوُّل المفاهيم المسيحية إلى دائرة سياسية متحركة، تتخذ الديمقراطية المسيحية عنوانا لها، كما نلاحظ في الاحزاب الديمقراطية المسيحية في الغرب.

وهناك تيارات غير دينية، قد تقترب من الاسلام في بعض ملامحها وخطوطها، وتختلف عنه في الكثير من ركائزها وافكارها، كما في الاحزاب القومية العربية المتنوعة الأسماء والخلفيات والدوائر، فيما تختزنه من انفتاح على الاسلام من خلال التاريخ او التراث، وفيما تستحدثه من نظريات وآراء على مستوى الفكر والسياسة والاقتصاد. وهناك تيارات لا دينية ملحدة في تفكيرها الفلسفي، ثورية في التفكير السياسي والاقتصادي، بعيدة عن الاسلام من حيث الركائز الفكرية، وقد تلتقي مع حركته في بعض المواقع السياسية، كما في الاحزاب الماركسية المتنوعة في دوائرها المختلفة في الواقع السياسي العالمي.

وهناك تيارات سياسية محلية واقليمية، لا تنطلق من حالة فكرية في العمق، بل تنطلق من واقع محلي او اقليمي في مستوى القضايا المحلية والاقليمية، على خط القضايا الحياتية والاجتماعية، التي تتحرك من موقع سياسي سلبي او إيجابي، وربما تأخذ بُعداً طائفيا او شخصيا، او فئويا.

أسئلة لا بد من الاجابة عليها؟

هذه هي العناوين العامة للتيارات الموجودة في الساحة على مستوى حركة الواقع السياسي في العالم الاسلامي، فكيف يقف التيار الاسلامي الأصيل منها في حركته السياسية؟

هل يقف بعيداً عنها وينعزل عنها ليمارس خطته وحده، ويحاول أن يحقق اهدافه بمفرده؟

او يعمل على دراسة التيارات، فيلتقي بالتيار الذي يقترب من بعض ملامحه

وخطوطه، ويبتعد عمن يختلف معه في الأساس والتفاصيل، ليحفظ للقاعدة توازنها في الاساسيات، ويتصرف بمرونة في القضايا المتفرعة عنها. ؟

او يواجه الموقف بطريقة واقعية، تضع في حسابها مواطن اللقاء ومواطن الخلاف مع هذا التيار أو ذاك، ثم تدرس حاجة الأهداف المرحلية أو النهائية إلي اللقاء، لتحدد الجهة التي تلتقي معها في الطريق إلى تلك الاهداف سواء بالمواجهة لتيار آخر مضاد مشترك في الداخل، او بالتحرك معه، بعيداً عن مواجهة الداخل، او بالانطلاق نحو الهدف الخارجي المعادي، أو بالاكتفاء بالتواجد على ساحة الصراع السياسي في المواقف المتحركة للصراع، التي قد تتداخل او تتقاطع او تتباين تبعاً لما يفرضه الواقع، أو تؤكده الحاجة، من حركية التيار الاسلامي ووجوده الفاعل على الساحة كقوة واقعية، بين القوى الأخرى، في مشاريعها وخططها المتحركة نحو الاحداث؟

هذه علامات استفهام، يواجهها العمل الاسلامي في موقفه من التيارات السياسية الفاعلة المخالفة، على مستوى الواقع الحركي الحزبي، بعيداً عن صفة الدولة كإطار يحيط به.

وقد يواجهها على صعيد الحكومات التي تختلف افكارها وشعاراتها وتشريعاتها وخطوطها السياسية عن الاسلام، في فكره وشريعته وخطه السياسي، كما يلتقي بعضها مع بعض الملامح الاسلامية في بعض ذلك. . .

وربما كان بعضها في مواقع الدول المستضعفة، كما في دول العالم الثالث، بينما يقف البعض الآخر في مواقع الدول المستكبرة، كما في الدول الكبرى وما يلحق بها. .

فكيف يتصرف معها التيار الاسلامي كحركة، وكيف يتحرك معها عندما يتحول إلى دولة؟

هذا ما نريد أن نبحثه وندرسه، كدراسة تستهدف تركيز التحرك الاسلامي السياسي في التحالف والتخالف على قاعدة اسلامية ثابتة، وعلى نهج واضح محدد المعالم والخطوات والأهداف.

خياران أمام التيار الاسلامي

أولاً: الانغلاق السياسي

(أ) الانفصال الحاسم: ربما يجد بعض المفكرين الاسلاميين ان الموقف الاسلامي يفرض على العاملين المقاطعة التامة لهذه التيارات الكافرة أو الضالة، لأن أي شكل من أشكال العلاقة يمثل لوناً من ألوان «الموادة» و «الموالاة» اللتين أكد القرآن الكريم على المؤمنين الابتعاد عن تقديمهما للكافرين وللخائنين والمنحرفين فيما جاءت به الآيات الكريمة كما في قوله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإليه المصير﴾ ٢٨/ آل عمران.

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ ٥٨/ ٢٢.

وقد انطلقت امثال هذه الآيات في أكثر من سورة، لتركز هذه الفكرة كقيمة اسلامية عامة.. فيما يجب أن يعيشه المجتمع المؤمن من انفصال حاسم عن أية حالة كافرة أو ضالة، فلا مجال لأية علاقة عاطفية أو سياسية أو اجتماعية من قريب أو من بعيد، لأن ذلك يعني معنى من معاني المودة والموالاة.

(ب) رفض الاعتراف: ويضيف هؤلاء ـ إلى ذلك ـ ان العلاقة السياسية مع هذه التيارات تمثل اعترافا بشرعيتها كفريق سياسي في الساحة الاسلامية، فيما يوحيه ذلك بأن له الحق في المشاركة في تخطيط مستقبل البلد وإدارة شؤونه.. وهذا أمر غير جائز شرعاً، لأن الاعتراف بالخط الكافر أو المنحرف لا يمثل أية شرعية اسلامية، بل هو النقيض البديهي لذلك.

(ج) الحاجز النفسي: وقد يثير هؤلاء ـ فيما يثيرونه من ملاحظات ـ أن مثل هذه العلاقات، تفسح المجال للنفاذ إلى داخل التيار الاسلامي في عملية اختراق أمني أو سياسي، مما يهدد حركته بالخطر، ويعرض أسراره للظهور، ومواقعه للاهتزاز، كنتيجة

طبيعية لما يمكن أن يؤدي إليه انفتاح الآخرين على الساحة الاسلامية من خلال علاقتهم التحالفية بالحركة المهيمنة عليها . . . بينما تمثل المقاطعة حاجزاً نفسياً يمنع من الانفتاح ، وسداً سياسياً يمنع من الاختراق ، وحركة مضادة تدفع إلى المواجهة وتؤكد التحدي وتفرض الحذر، ولعل هذا ـ فيما يقوله هؤلاء ـ هو ما تشير إليه الآيات الكريمة التي تعمل على توعية المؤمنين على الواقع الداخلي ، الذي يتمثل فيه المنافقون والكافرون من أعداء الاسلام ، ليحذروا منهم وليبتعدوا عن جو الاستسلام إليهم ، وليمتنعوا عن الحالات الاسترخائية التي يفرضها الجو الحميم الذي يوحي بالاطمئنان ، كما في قوله تعالى :

﴿يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * ها انتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور * إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط﴾ آل عمران ١١٨ ـ ١٢٠ .

قد نفهم من هذه الآية رفض الاسلام لاقامة العلاقات العامة والخاصة مع غير المسلمين ، ممن يختلفون معهم في الفكر والخط والاتجاه، انطلاقا مما يفرضه الاختلاف ، من المشاعر المعادية والخطط المضادة، وما تؤدي إليه العلاقة من تسهيل وصول هؤلاء إلى غاياتهم المشبوهة .

وقد نستوحي منها تحذير المسلمين من السذاجة العاطفية التي تجعلهم يستسلمون لمشاعر الحب الساذجة تجاه الذين لا يحبونهم ، غير المدركين للاخطار المترتبة على ذلك فيما يمارسه هؤلاء من مشاعر سلبية وأوضاع شريرة . . وكأن الآيات تقول لهم ان اتخاذهم بطانة في اطار العلاقة الحميمة يعتبر عملاً خاطئاً ساذجاً لا بد لهم من التراجع عنه .

(د) الخوف على الجماعة المسلمة : وقد يتحدث هؤلاء المعارضون عن مبررات معارضتهم بطريقة أخرى . . وهي ان العلاقة مع هذه التيارات ، قد تساهم في إضلال الجماعة المسلمة ، فيما يفرضه ذلك من إسقاط الحواجز النفسية التي تحجز المسلمين عن التأثر بهم ، وإفساح المجال للأجواء الحميمة التي قد يعيشونها ، من

خلال الاساليب الخادعة الساحرة التي يستخدمونها معهم، وتوجيه الانظار إلى الايجابيات المثيرة فيما تمثله مواقع اللقاء بهم، مما يؤدي ـ بطريقة وبأخرى ـ إلى امكانية النفاذ إلى قناعاتهم وإلى نجاح عملية التضليل والاحتواء الفكري والعملي لأوضاعهم ومواقعهم الخاصة والعامة.

هذه هي أهم الملاحظات التي يطرحها القائلون بضرورة مقاطعة التيار الاسلامي الاصولي للتيارات الأخرى غير الاسلامية، واعتبار اسلوب الانغلاق السياسي هو الاسلوب الامثل.

ولكن هناك رأيا آخر لا يلتقي بهذا الرأي، بل يجد الأسلوب الافضل هو أسلوب الانفتاح السياسي على الآخرين، ولكن لا بشكل عشوائي مطلق، بل بشكل مدروس غير معقد، مما يفرض علينا دراسة التحفظات لمعالجتها، ومواجهة السلبيات في محاولة لتخفيفها، أو تحويلها إلى إيجابيات.

ثانياً: خيار الانفتاح السياسي

ويتحدث هذا الفريق الايجابي في موقفه المنفتح، عن الملاحظات التي أثارها الفريق السلبي المنغلق، بإثارة الملاحظات الاعتراضية حولها.

(أ) اللقاء على أرض وأهداف مشتركة: أمّا حديث الموالاة والموادة المرفوض اسلاميا مع غير المسلمين، فلا موقع له في مجال إثارة الحديث عن الانفتاح عليهم، لأن مفهوم الموادة يعني العاطفة القلبية الحميمة العميقة، المتمثلة بالاخلاص الروحي النابع من اللقاء الداخلي في الفكر والروح والعاطفة، كما أن مفهوم الموالاة يمثل الصلة الواقعية المتحركة في خط الطاعة والاتباع والاندماج بالآخر، على مستوى الانتماء والاخلاص وهذا أمر لا نريد إثارته في ساحة العلاقات الواقعية السياسية بين الاسلام وبين التيارات الأخرى، بل كل ما نريده هو العمل على إيجاد مواقع عملية للقاء على أهداف مشتركة، فيما يهم الاسلام والمسلمين، ممّا يستهدفه الآخرون في خططهم المرسومة، بحيث يكون الجانب العملي في حركة العلاقات الخارجية، هو القاعدة التي يلتقي عليها الجميع، من دون أي تأكيد على أية حالة عاطفية في الشعور أو أية حالة سياسية في الانتماء أو أي شكل من أشكال الذوبان والاندماج في

الحالة الأخرى وبالشخص الآخر.

وعلى ضوء ذلك نعرف، ان الموادة شيء، وأن الارتباط في علاقة عملية شيء آخر. كما نفهم، أن الموالاة تختلف عن معنى اللقاء على أرض مشتركة في بعض مراحل الطريق، لأنهما يتّصلان بحركة العلاقة من الداخل، بينما يتمثل التحالف أو التلاقي بحركة العلاقة من الخارج.

(ب) الاعتراف بالوجود لا بالشرعية: أمّا حكاية الاعتراف بشرعية التيارات اللاإسلامية، التي لا شرعية لها في حساب الفكر الاسلامي وشرعية الاسلام ومنهجه في الواقع وفي الحياة، فهذه حكاية لا معنى لها، لأن هناك فرقاً بين الاعتراف بوجود الفريق الآخر على الارض، كفريق فاعل في الساحة فيما تفرضه الظروف له من موقع، مما يفرض على الآخرين الصراع معه في مواقع الصراع، والتنسيق معه فيما لا يضر بالساحة، أو فيما يلتقي مع مصلحتها لحساب المسلمين في مجالات التنسيق، وبين الاعتراف بشرعية وجوده فيما يحمل من مضمون فكري وخط عملي وحركة هادفة.

إن اللقاء في موقع تحالف مرحلي، أو تنسيق عملي موضعي، لا يعني إلا الاعتراف بالوجود كأي حقيقة موجودة على الأرض مما نحبه أو لانحبه، فيما قد تلتقي به أو تنفصل عنه، ولا يعني أبدا أي نوع من أنواع الاعتراف بشرعية الخط والفكر والاتجاه، وهل نستطيع اعتبار معاهدة الرسول (ص) مع اليهود في بداية الهجرة اعترافا بشرعيتهم؟ وهل يمكن اعتبار صلح الحديبية الذي عقده الرسول (ص) مع المشركين اعترافاً بشرعية الشرك الذي يعتنقونه كعقيدة ومنهج حياة؟

(ج) الانفتاح والحذر العملي: أمّا سلبيات هذه العلاقات على الواقع الاسلامي فيما تمثله من خطر على أسراره ومواقعه وحركته، وفيما تؤدي إليه من اختراق من جهة، وابتعادٍ عن الحذر ومواجهة التحدي من جهة اخرى، أمّا هذه السلبيات، فإن من المفروض الانتباه إليها عند اقامة العلاقات، وذلك بدراسة المسألة على أساس إثارة التحفظات الفكرية والواقعية في مضمون الاتفاق، وتخطيط الانفتاح على النهج الذي يلتقي بالواقع الموضوعي، الذي يعرف كيف يغلق الساحة بحساب وكيف يفتحها بحساب، وكيف يوجه اللقاء ليكون أساساً لتثبيت الساحة وتأكيد المواقف، بدلاً من العمل على اهتزازها وزلزلة المواقف.

إن القضية مطروحة من ناحية المبدأ، لا من ناحية التفاصيل، لأن مسألة التفاصيل تُدرس دائماً من زاوية الفكرة العامة التي أوحت بالمبدأ، بعيداً عن أية حالة عاطفية ارتجالية، أو أية حركة انفعالية سريعة.

أمّا تفسير الآيات، فانه يلتقي بالمفهوم الذي تثيره كلمة «البطانة» التي تعني الحالة الداخليةالعميقة كمثل بطانة الثوب التي تلتصق به وتقويه وتحميه، في عملية التصاق محكم لا انفصال فيه ولا افتراق. وهذا هو ما تفيده الآيات في مشاعر الحب العميقة التي يحملها المسلمون لهؤلاء الأعداء الحقيقيين، من موقع السذاجة العاطفية فيما تؤدي إليه، من اطلاعهم على الأسرار واستسلامهم للأجواء الحميمة والمظاهر الخادعة والأساليب الملتوية.

وقد يكون هذا كله مرفوضاً لدى الذي يتبنون سياسة الانفتاح فيما يؤكدونه من ضرورة التركيز على حالة الحذر فيما يترقبه من المفاجآت وفيما يختزنه من التحفظات، وفيما يثيره من ملاحظات على الأشخاص والمواقع والمواقف والكلمات ليكون الانفتاح الواقعي مقروناً بالحذر العملي.

(د) تحصين الساحة الداخلية: أمّا موضوع إضلال المسلمين فيما قد تفتحه العلاقة من نوافذ لهؤلاء على الجماعات الاسلامية، فهذا موضوع لا تفرضه طبيعة المسألة، بل يفرضه التساهل في تحريكها، وعدم الحذر في تطبيقها، لأن من الأمور البديهية في العمل السياسي لأية حركة إسلامية، أن تقوم بتحصين الساحة الداخلية بالايمان والوعي والمعرفة للأساليب الخادعة، والخطط المعقّدة، والحركات المشبوهة، والشخصيات القلقة، والظروف الخطرة، وما إلى ذلك، مما يساهم في عملية التضليل واهتزاز المواقع.. وإذا استكملت الحركة الاسلامية ذلك كله، فلا مجال بعدها لأي تضليل أو تحريف، أو لا أقل من تخفيف الخطر في حدوث ذلك كله.

سلبيات الانغلاق: عزلة التيار الاسلامي واستفادة الآخرين

وقد نحتاج إلى دراسة المسألة من جهة أخرى.. وهي دراسة السلبيات المتمثل بالإنغلاق عن الواقع السياسي والاكتفاء بإثارة السلبيات من حوله، والابتعاد عن التنسيق مع القوى الفاعلة فيما يريد التيار الاسلامي إثارته مما يتفق مع ما يريده

الآخرون من أهداف. فإن ذلك يوجب عزلة هذا التيار عن حركة الاحداث بشكل مباشر، وعدم الاطلاع على كثير من خلفياتها، التي قد يتوقف عليها الوصول إلى بعض النتائج العملية عل صعيد الهدف، كما أن الآخرين، سوف يستفيدون من كل النشاطات الجهادية والسياسية التي تتحرك في الخط السياسي الذي يتحركون عليه، لأنهم هم الذين يحركون الساحة فيما يوحون به، وهم الذي يجنون ثمارها، بينما يبقى التيار الاسلامي بعيداً عن مجرى الأحداث. . وهذا هو ما لاحظناه، في بعض الأحداث الكبيرة، التي أبلى فيها المجاهدون المسلمون بلاءاً كبيراً، في مواجهة القوى الاستعمارية والصهيونية. ولكن النتائج السياسية، كانت في مصلحة قوى محلية وإقليمية ودوليةأخرى، حاولت أن تطرح الشعارات المضادة لتلك القوى، مما جعلها تعرف كيف تستفيد من جهاد المجاهدين، من دون أن تقدم شيئاًذاتياً في هذا الاتجاه. وقد يؤدي هذا الواقع، إلى أن يتحول التيار الاسلامي، إلى أداة ناجحة للتيارات الأخرى في سبيل تحقيق كثير من الأهداف العامة، من دون أن يحصل على شيء منها، تماماً كشرطي المرور الذي يوحي للجميع بالتقدم ويظل واقفاً مكانه، كما يقول بعض الظرفاء.

إن المشاركة في النشاط السياسي، هو الذي يمكن أن يحقق الكثير من المواقع المتقدمة في الساحة بشكل منفرد، أو بشكل مشترك، لأن الخطة السياسية المتحركة في صعيد الواقع، لا بد أن تقود إلى الكثير من النتائج الايجابية لمصلحة الاسلام على أكثر من مستوى.

إيجابيات الانفتاح: إبراز أهداف الاسلام ومعرفة الكواليس

وعندما ندخل في دائرة الايجابيات، فقد نلاحظ إمكان الحصول على الكثير منها لمصحلة التيار الاسلامي، يمكن أن نلخص بعضها في عدة نقاط.

أ ـ الاطلاع على حركة الواقع السياسي من الداخل لا من الخارج، وفي العمق لا في السطح فإن من الملاحظ أن الدخول إلى النادي السياسي الذي تتحرك فيه الأحزاب والهيئات المتنوعة، يجعل امكانية الاطلاع على خلفيات اللعبة السياسية، وآفاق العمل السياسي أكثر واقعية، ويحقق للعاملين ثقافة عميقة شاملة، لأن الكثير مما

يثار في داخل الكواليس لا يسمح بالاعلان عنه في الخارج، وبذلك يمكن التحقيق لأية عملية سياسية ثورية من موقع العمق الواقعي للخطة، لا من مواقع السطح الظاهر للأشياء.

ب ـ إمكانية النفاذ إلى عمق التيارات الأخرى، من خلال الساحات المفتوحة التي يفرضها اللقاء على أكثر من صعيد، مما يسهّل عملية الاحتواء لدوائرها المتحركة من جهة، أو التأثير على قراراتها من جهة أخرى. ، أو التخفيف من مشاكل سلبياتها من جهة ثالثة، وذلك من دون الدخول في أية معركة حادة غير مأمونة العواقب. إن العاملين في هذا الاتجاه، سيتحركون بعيون مفتوحة، تعرف مواقع الثغرات، وتكتشف حركة الزوايا، وتتلمس كل مواطن الخطر، بينما يكون الاتجاه الآخر متحركاً بعينين غائمتين أو ضبابيتين، لا تعرفان كيف تلمعان في آفاق النور القادم في الساحة.

جـ ـ توجيه الانظار إلى الأهداف الاسلامية الكبيرة، .من خلال حركة الشعارات المشتركة في الساحة، التي تجعل من الاسلام عنصراً حياً فاعلاً يتقدم المسيرة بشعاراته المتقدمة أو يتحرك فيها كعنصر أصيل من موقع مميز، مما يدفع بالأمة التي يعمل الكفر والضلال على إبعادها عن الاسلام، أن تكتشف حيوية الأهداف الاسلامية من مواقع المقارنة، فيما تحمله الحركة من شعارات، وفيما يحمله الآخرون منها، وفي طبيعة حركة الشعار هنا وهناك، وفي عمق الحيوية الثورية التي يتميز بها الاسلاميون في ذلك كله.

إن الحضور في الساحة مع الآخرين، يفسح المجال لذلك كله، ويفوّت الفرصة على الخطة التي تعمل على عزل الاسلام عن الساحة.

د ـ إبعاد الاسلام عن الدائرة الطائفية التي يراد حبسه في داخلها، وتحويله إلى حالة عشائرية مختنقة بالمشاعر والأحاسيس العدوانية الضيقة، بعيداً عما هو الفكر، وعما هو التشريع اوالمنهج الواقعي الذي يخطط للحياة بعقلية واعية منفتحة من أجل التغيير، واعتبار المنطق الوطني هو المنطق الذي يمكن له أن يحقق الوحدة الجماهيرية في حركة الأمة نحو الوحدة، وهذا هوالذي يعمل له الكثيرون من حملة الشعارات العلمانية، التي ترى في الطرح الديني نوعاً من أنواع إرباك مسألة الوحدة والحرية والعدالة والانفتاح في المجتمع. . فيما يمثله من تمزيق وتفريق وتعصب واستسلام للقوى المستغلة في العالم.

الانفتاح إنطلاقة والانغلاق جمود

إن دخول الاسلام إلى الساحة التي تنفتح على الواقع السياسي، من خلال إيجابياته السياسية، وخططه الواقعية، يفوّت الفرصة على هؤلاء، ويفسح المجال للفكرة الاسلامية الشاملة التي تؤكد الوحدة من خلال الفكر، والتفاهم من خلال الحوار، والتسامح من خلال الانفتاح، والحرية والعدالة من خلال الخطة السياسية الاجتماعية الواسعة. وهكذا نجد في الانفتاح على الحركات السياسية والواقع السياسي، والنفاذ إلى عمق الساحة، انطلاقة إسلامية في ساحة الحياة، لا تختزن من السلبيات، بقدر ما تختزن من الايجابيات.

ويبقى السؤال كيف تتحرك مسألة الانفتاح؟ وما هي ملامح الصورة في ذلك كله؟ وكيف نفهم الآيات القرآنية الحاسمة في المباينة مع الآخرين؟ وهذا ما سنجيب عنه في الصفحات التالية.

الحركة الاسلامية بين الانفتاح والانغلاق ـ ب ـ

* المرونة في التواصل واللقاء
هي الأساس في المجتمع المتعدد الإنتهاءات .

* ضرورة العمل
لضمان العقيدة الإسلامية وحفظ الوجود

*الحوار والعلاقات
يتمّان في دائرة المصلحة العليا للإسلام .

*ضرورة مواجهة دعوات التسامح
بحذر وعدم الإهتزاز أمام الأعداء .

كيف نفهم الآيات القرآنية الحاسمة في المباينة مع الآخرين..؟

لقد أشرنا ـ فيما تقدم من حديث ـ إلى أن الآيات تؤكـد على رفض الموالاة والموادة، بالمعنى الذي يغيب فيه الجانب الفكري العقيدي عن دائرة الإهتمام الـذاتي في حـركـة العلاقات، ليكون مجرد حالة جانبية في المسألة فتتقـدم عليـه بقيـة الجوانب، ليكـون الأثر البارز لها في القاعدة النفسية للعلاقة بين الإنسان المسلم والآخرين. مما قد يؤثر سلباً على عمق الارتباط الداخلي بـالعقيـدة، ويـؤدي إلى نـوع من إستسـلام للعنصر العاطفي الحميم، الذي يجعل الإنسان غافلاً عن كثير من الأوضاع السلبية التي تدبر له في الخفاء، وقد تطعنه في الصميم من حيث لا يشعر فيما يتعلق بالفرد أو بالأمة.

إثارة الفواصل الفكرية: من أجل اللقاء والوفاق لا التعصب والانفصال

ولذلك كانت المسألة تؤكد على حركية العقيدة في إثارة الفواصل الفكرية والنفسيـة بين المسلم والآخرين، لتوحي بالأهميـة للجـانب العقيـدي من جهـة، وبـالحذر في الجانب العملي من جهة أخرى، بحيث يشعر بأن هناك شخصيتين في السـاحـة، هي شخصية المؤمن بالإسلام وشخصية المؤمن بغيره، ممـا يمنع من أيـة عمليـة إنـدمـاج وذوبانٍ، ويثير في الوعي نوعاً من التأمل والقلق فيما يمكن أن يقوم به الفـريق الآخـر ضده أو ضد فريقه.

وليست المسألة مسألة إيجاد حالةٍ من التعصب أو الانفصـال، أو إثـارة جـو من إنعدام العلاقة الإجتماعية في المجتمع المتنوع، بل هي مسألة إيجاد حالةٍ من الواقعية في تحديد الفواصل الفكرية، بطريقـةٍ جـديـةٍ مسـؤولـةٍ، في مـواجهـة حـالات التمايـز والإختلاف. وذلك كي يكون اللقاء من مـوقع التمايـز، ويكـون الـوفـاق من خـلال عناصر الخلاف؛ لتنطلق العلاقات من موقع القـاعـدة في الفكـرة والعقيـدة، لا من موقع الهوى والمزاج، أو من موقع الرغبة والرهبة، مما قد يؤدي إلى تأثير القوى المضادة على سلامة المجتمع كله. ولعل هذا هو ما أثارته الآية الكريمة:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليـاء بعضهم أوليـاء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلـوبهم مـرض يسارعون فيهم يقولـون نخشى أن تصيبنـا دائرة فعسى الله أن يأتي بـالفتح أو أمـر من

عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ (المائدة / ٥١ ـ ٥٢).

فنحن نلاحظ التأكيد على النظرة الواقعية للمسألة من خلال دراسة المجتمع الآخر. الذي قد يعيش التنوع في داخله، ولكنه يعيش الوحدة في مواجهة الإسلام ومجتمعه، مما يفرض على المجتمع المسلم أن يكون واعياً بالمستوى الذي يحتفظ لنفسه بالمسافة التي تحميه من إمكانات التآمر عليه، فيما إذا فكروا بذلك، لا سيما في الظروف المعقدة التي تعيش حالة المواجهة المفتوحة، فيما بين المجتمعين، في حرب معلنة أو خفية، فيكون الواقع هو دافع التصرف المتصل بالعنصر الأمني الدقيق. ولهذا يعتبر الموالاة خروجاً من مجتمع الإسلام الى المجتمع الآخر.

كما نلاحظ التأكيد على الفكرة التي تدفع الذين في قلوبهم مرض، إلى تقديم التنازلات وتغيير الشعار، فيما يعيشونه من خوف غلبة أولئك على المسلمين، فيريدون أن يأخذوا لأنفسهم الأمان، ولو على حساب مواقعهم الإسلامية، فأرادت الآية أن تنذرهم بخلاف ما أسرّوه في أنفسهم.

وهكذا نجد أن المسألة تعالج الجانب السلبي من خلال الأوضاع الخارجية التي قد تحدث نتيجة بعض النوازع الذاتية.

حصانة الأمن العقيدي والمجتمعي أولاً

وقد نستطيع استيحاء الفكرة التي ألمحنا إليها، في إعتبار الموقف القرآني منطلقاً من حماية العقيدة من الإنحراف، وحماية المجتمع من الخلل أو من الخطر، مما يجعل من هذه المسألة، مسألةً خاضعةً لعنصر الأمن العقيدي والإجتماعي تماماً، كأي فكرٍ أو دين يريد أن يمنح فكره ومجتمعه حصانةً ضد السقوط أو الإنحراف والضياع أمام فكر الآخرين أو مجتمعهم، من خلال التأكيد على الشخصية المميزة، والمجتمع الحذر، وفي ضوء ذلك، يمكن للعلاقات المتنوعة في المجتمع المتعدد الإنتماءات، أن تعيش المرونة العملية في التواصل على أكثر من خط، واللقاء في أكثر من موقع، وفي إشاعة الأجواء الحميمة البعيدة عن الميوعة والذوبان وفي تحريك العنصر الأخلاقي في البرّ والرحمة والعدل المنفتح على الآخرين بكل رحابة وإخلاص وذلك من خلال القيم الإنسانية، التي تقود الإنسان المسلم إلى التعامل مع الناس كلهم من موقع أخلاقي

شامل منفتح، على أساس أن القيمة الأخلاقية الإنسانية، لا تمثل حركة طارئة في حياة المسلم، بل تمثل عمقاً في حركة الإيمان المتصل بالله تعالى في رعاية عباده، مما يمنع من تجزئة المواقف، ومن التمييز بين الناس. ولذلك أراد الإسلام من المؤمنين أن يعدلوا بين الناس، حتى لو كانوا من خصومهم، أو من أعدائهم، لأن العدل حق لجميع الناس، وأراد لهم أن يعيشوا الرحمة مع الجميع، حتى للحيوان.

ولكن لذلك شرطاً واحداً، وهو ضمانة أمن العقيدةالإسلامية والمجتمع المسلم وهذا هو ما نلاحظه من قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ (آل عمران / ١٤٩).

وفي قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين﴾ (المائدة / ٥٧).

ضبط الشخصية والبعد عن العقد

وهكذا نلاحظ أنه في الآية الأولى، كان النهي، لحماية العقيدة في نفس المسلم من الإرتداد إلى خط الكفر، من خلال السير في خط الطاعة لأعدائها، لئلا يخسر الإنسان مصيره أمام الله.

وفي الآية الثانية، كان النهي، لحماية الدين من الإمتهان والإهانة والإبتذال، ليعيش المسلم بكرامة دينه، فيبتعد عن الذين يمتهنونه ويحتقرونه، تماماً كما يعيش الشعور الذاتي بكرامته الشخصية، فلا يوالي الذين يهينونها. وهكذا نجد أن الإسلام، لا يريد أن يعقِّد المسلم تجاه الآخرين من موقع طبيعة الإختلاف في العقيدة، بل يريد أن يجعل في داخل ذاته الضوابط القوية، من أجل تماسك الشخصية الإسلامية في داخله، أو في واقعه، أمام حالات الإهتزاز الداخلي أو الخارجي.

رفض موالاة الأعداء

وإذا كانت القضية هي قضية الأمن العقيدي والمجتمعي، فإن الإسلام يفتح للمسلمين المجال بشكل واسع، للتعاطف والتواصل مع الذين لا يتحركون بشكل عدواني ضد الإسلام والمسلمين، بالقتال أو بالتهجير أو بالفتنة عن دينهم وذلك هو قوله تعالى:

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ (الممتحنة/ ٨ ـ ٩).

فنحن نرى في الآيتين التحديد الدقيق للسلوك الإسلامي مع الذين يختلفون مع المسلمين في العقيدة لتكون القضية هي من هو الفريق الذي قاتل المسلمين لفتنتهم عن دينهم، ومنعهم من حرية الدعوة إليه، وإخراجهم من ديارهم بدون حق، ومعاونة الآخرين على ذلك؟ ومن هو الذي لم يقاتل المسلمين، ولم يناصر الآخرين على الإعتداء عليهم؟ فإن الفريق الأول هو الذي ينبغي أن يقاتل ويقاطع ويُبعد عن أي لون من ألوان التعاطف والموالاة.

أمّا الفريق الثاني، المسالم، فهو الذي لا يمانع الإسلام أن يقوم المسلمون برعايته وبالبر به، وبالعدل في التعامل معه في كل شؤون الحياة، وفي كل حركة العلاقات ومن خلال ذلك يمكن قيام علاقات تعاون بين المسلمين وبين هؤلاء أو لقاءٍ على أكثر من قضية، أو تعاهدٍ على أكثر من ميثاق.

مشكلة السلوك المنحرف والعقلية العنصرية

ولعل دراسة الآيات القرآنية التي تتحدث عن عداوة المؤمنين لليهود، وتدعو إلى مقاطعتهم والإبتعاد عنهم، تؤكد لنا الفكرة المطروحة في هذا البحث، وهي أن مجرد الخلاف لا يلغي اللقاء على الموقع المشترك، وذلك لأن الكثير من هذه الآيات يركز على السلوك المنحرف لهؤلاء، وعلى العقلية العنصرية التي تشعر بالفوقية تجاه الآخرين، وعلى الممارسات العدوانية ضد الأنبياء والأولياء والصالحين، وعلى إفسادهم

في الارض، وعلى إتّجارهم بالدين وبالكتاب وعلى غرورهم وأمانيهم الكاذبة، وعلى إستحلالهم أموال غيرهم بدون حق، وعلى خيانتهم للمجتمعات التي يعيشون فيها وطغيانهم ونقضهم للمواثيق التي يعطونها على أنفسهم للآخرين، وعلى تحريفهم لكتاب الله.

وبذلك كانت الروح العدوانية هي التي تعيش في وجدانهم وعقليتهم وشعورهم في نظرتهم إلى الآخرين، الأمر الذي أراد الله فيه للمسلمين أن ينفتحوا على وعي هذا الواقع من موقع المستوى الكبير من العداوة، الذي يعيشه هؤلاء ضد الذين آمنوا وذلك هو قوله تعالى:

﴿لتجدن أشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ (المائدة / ٨٢).

فلم يكن الخلاف العقيدي، هو الذي أكّد العداوة الواقعية في حركة العلاقات، بل الواقع العدوانيّ الذي مارسوه عملياً، ضد المؤمنين:

مسألة قيم وقضية دعوة

ولعل مما يؤكد لنا الفكرة، هوالحديث الذي أثارته هذه الأية في الفقرة التالية في الحديث عن النصارى، في قوله تعالى:

﴿ولتجدنّ أقربهم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون، وإذا ما سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾. (المائدة / ٨٢/ ٨٣).

فقد انطلقوا من خلال القيم الروحية التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام، مما يجعل من قضية اللقاء بهم، قضيةً تخضع للأجواء الخاضعة في تصورها لله، وفي حركة العبادة له، بالرغم من الإختلاف في تفاصيل ذلك كله. ولهذا كانت الآيتان تؤكدان على هذا الجانب الروحي، بعيداً عن الجانب الذاتي. فليست المسألة مسألة فئةٍ تلتقي بفئةٍ على أساس النطاق البشري الذي تمثله هذه أو تلك. ولكن المسألة مسألة قيم يعيشها ويؤمن بها هؤلاء ليكون اللقاء على أساس ذلك. وقد اعتبرت الآية وجود القسيسين والرهبان ظاهرةً إيجابية في هذا الإتجاه، فيما يمثله هذا اللون من الناس من

إنقطاع للعبادة وابتهالٍ لله، وتواضع للناس، وابتعاد عن الإستكبار. وتحدثت عن التجربة الأولى للقاء، في الوقت الذي لم يكن فيه المجتمع النصراني قد عاش عقدة الصراع ضد الإسلام والمسلمين، نظراً إلى أن القضية كانت قضية الدعوة في بداياتها الأولى. فقد تلقّى هؤلاء الذين استمعوا إلى آيات الله، تلك الآيات بروحٍ منفتحة واعية، تنفتح على الخير من كلمات البر، وتعي عمق الروح الإيماني من كلمات الإيمان، وتعيش الفرح الروحي فيما تعيشه من روحية الوحي الإلهي فتنفعل بالحقيقة الصافية، في صفاء التأمل، وإشراقه الإلهام، وتنساب الدموع التي تفيض من العيون، في انفعالات الخشوع أمام الكلمات الإلهية التي توحي بالخشوع، وتنطلق بالمحبة والرحمة، وتتفايض كالينبوع المتفجر في أعماق النفس سلاماً وانطلاقةً حيّةً تفتح على القلب آفاق الروحانية في رحاب الله.

وهكذا نستوحي من هذه الآيات أن المشكلة التي يعانيها أصحاب الديانات السماوية فيما يختلفون فيه، ليست مشكلة الفكر الذي يتنازعون في صحته وفساده، وليست مشكلة الشريعة التي يختلفون في صوابها وخطئها، بل هي مشكلة الروحية التي يواجهون بها بعضهم البعض. فقد ينطلق البعض من موقع العقدة التي تحاول أن تدخل بسلبياتها الخانقة في كل فكر، وفي كل أسلوب لتنحرف به عن مساره الطبيعي في حالة المواجهة الفكرية. فيتحول الأمر إلى حربٍ بين العواطف والتشنجات، بدلاً من أن يكون حواراً في الصراع بين الأفكار. ويشد الموضوع، إلى منطقة، الضباب النفسي الذي يمنع الجميع من وضوح الرؤية، مما يؤدي إلى التشاحن والتباغض والحرب الجسدية في نهاية المطاف.

الحوار والصداقة الفكرية

وقد ينطلق البعض من موقع الفكرة التي تتطلع إلى الوضوح، فتواجه الفكر بالفكر الذي يناقش ويحاور من أجل أن يكتشف المناطق المجهولة لديه، أو يكشف للآخرين المناطق المجهولة عندهم، ليقف الجميع، من خلال ذلك، على أرض الحقيقة الّتي يلتقي عليها الناس الذين يعشيون الشوق الروحي إلى المغفرة. وهذا هوما يهدف إليه الإسلام، في أسلوبه الفكري، في الدعوة إلى الحوار، بالروحية التي لا تتحرك من خلفيات العقدة بل تعيش إنطلاقات الفكرة الباحثة عن الوضوح في رحلة

البحث عن الإيمان، فلا يتحول الإختلاف إلى عداوة تتعمق بالممارسات السلبية، بل يتحول إلى تجربةٍ حيّةٍ صادقةٍ تفتح الطريق إلى صداقةٍ فكريةٍ تتأكد بالكلمات والمواقف الإيجابية.

وقد يكون من الأفكار التي نستوحيها من هذه الآية، أن هذه المودة القريبة التي يقررها القرآن الكريم في موقف النصارى من المسلمين، كانت بسبب هذه الروحية المتواضعة المنطلقة التي يعيشها القسيسون والرهبان فيما يستلهمونه من تعاليم الإنجيل، وفيما يستوحونه من ابتهالات التأمل بين يدي الله، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى، فانها تعودإلى الإنفتاح على آيات الله، فلا يواجهونها بالرفض السريع، بل بالتأمل الدقيق والفكر العميق.

اللقاء في أجواء المعاني الروحية: لا مجاملة ولا هروب بل حذر وواقعية

وفي ضوء ذلك نستطيع أن نشير إلى عدة نقاطٍ في الموضوع:

١ ـ إن ذلك يدفعنا إلى أن نفسح المجال ـ دائماً ـ للإنطلاق بالواقع إلى هذا الجو، فنعمل على إثارة المعاني الروحية في أخلاقيات النصرانية المستمدة من الإنجيل من أجل اكتشاف مواطن اللقاء، فيما يلتقي فيه الإسلام والنصرانية من مفاهيم في الإيمان والحياة ليكون ذلك أساساً لاحتواء كل السلبيات التي تتحرك في الساحة، فتدفعها إلى التعقيد والإرتباك. وبذلك يمكن للعاملين أن يبدأوا في عملية الإعداد لإيجاد الأرضية الصلبة التي تؤدي إلى الوقوف المشترك في موقف الإتحاد والتفاهم.

٢ ـ إن هذه الفكرة توحي لنا بالإبتعاد عما تعارف عليه الناس من أساليب المجاملة الخادعة التي تحاول أن تتغافل عن كل السلبيات بطريقةٍ سطحيةٍ مائعةٍ تواجه المشكلة في مستوى اللحظات السريعة، لتنطلق إلى الدراسة الهادئة الدقيقة التي تعمل على التعامل مع الموقف، من خلال المعطيات الواقعية الموجودة في الساحة فتثير الإيجابيات في بعض المواقع، وتشير إلى السلبيات في بعض آخر، وقد تغفلها في مواقع أخرى، لتوجه الحالة إلى النتائج الطيبة.

إن الإبتعاد عن مثل هذه الدراسة الواقعية اهادئة، والسير في خط الأساليب

العاطفية، يحوّل الموقف إلى موقفٍ مائع لا يوحي بـالجديـة، بل يـوحي بـالهروب من الواقع بالإختفاء خلف الألفـاظ البراقـة، والعـودة من جـديـد إلى تعقيـدات الـواقع الصعب ـ بعد إكتشاف السراب في لحظة الوصول إلى الأفق البعيد.

٣ ـ إن هذا الجو الإيجابي في الآيات الذي يـؤدي إلى النتـائج الإيجابيـة على صعيـد اللقاء، يدفعنا إلى اكتشاف المسألـة على مستـوى الأرضيـة التي نقف عليهـا لنتعـرّف الملامح الحقيقية للواقع، لأن العوامل التاريخية والسياسية المعقـدة، قـد تـركت آثـاراً عميقةً في داخل القلوب والعقول والأفكار، وخلّفت جـروحـاً في الأعماق، ممـا جعل الجو يختلف كثيراً عن أجواء هذه الآية، فكانت العقدة موضع الفكر، وعـاش الحقـد في مواقع المحبة، وارتفعت الحواجز أمام فرص اللقاء.

وبـدأت السـاحـة في بعض الحالات تتكشف عن نصرانيةٍ يهوديـة في حقـدهـا وعداوتها للإسلام وللمسلمين، الأمر الذي يوحي بالحذر الذي يدفع إلى الواقعيـة ولا يدعـو إلى الشلل، لئـلا يجرّنـا التسـاهل، في مثل هـذه الأمـور، إلى الـوقـوع في الفخ المنصوب لنا تحت تأثير الشعارت الخادعة الداعية إلى المحبة، في الـوقت الـذي تعمل فيه بكل جهد للتخطيط الدقيق للسير في خط الحقد والعداوة.

٤ ـ إن التأكيد على إستخـدام صيغـة التفضيل في عـداوة اليهـود والـذين أشركـوا للمسلمين، يجعلنا نواجه الموقف في علاقتنا مع اليهود والجماعـات الملحـدة والمشركـة من خـلال هـذا الخط. فنعيش معهم كما يعيش الإنسـان مع عـدوه، لأن اليهـود يخططون لاضعاف الإسلام والمسلمين، وبالتالي للقضاء على وجوده ووجـودهم، لأن الملحدين والمشركين يعملـون على نسف كل قـواعـد الإيمان في الحيـاة، ممـا يجعل من مسألة العداوة أمراً طبيعياً، لأن الذي يرى أن رسالته وعقيدته يفرضان عليـه القضـاء على فكرك، أو القضاء عليك، لا يمكنك أن تعتبره صديقاً، أو تتعامل معه معاملـة الصديق إلاّ إذا كنت ساذجاً لا تفهم الأشياء بوضوح.

المحافظة على الوجود

وفي ضوء هذا، ينبغي لنا أن نواجه الدعوات الداعية إلى التسامح في هـذا المجـال بحذر، فيما نواجهه من شعارات التسامح الديني ورفض التعصب، وما إلى ذلك من

شعارات الساحة، فقد يكون المقصود من ذلك كلّه، تخفيف حالـة التـوتـر الفكـري والروحي والعملي التي يعيشها الإنسان المؤمن المسلم، للمحافظة على خط الثبات في مواقعه الإسلامية، وعدم إفساح المجال للإهتزاز والتزلزل أمام هجمات الأعـداء، لأن الإنسان كلما اقترب من حالة الإسترخاء، في مواقع التحدي، كلما اقترب من الهزيمـة أمام مخططات الأعداء.

ربما يكون من المصلحة أن يحافظوا على نسبةٍ عاليةٍ من درجـات التـوتـر والإلتـزام بالخط، لئلا يستغل العدو حالةالإسترخاء التي يعمل لإيجادها، فيهـزمنـا بـالضربـة القاضية.

ولكن، ليس معنى ذلك أننا نواجـه الموقف بأسـاليب الإنفعـال المثيرة، التي تملأ الجو بكل عناصر الإثارة، لتخلق حرباً هنا، وحرباً هناك، وتثير الفوضى والخلافات الطائفية الحاقدة في كل مكان، لأننا لا نجد في ذلك مصلحة للمسيرة الاسلامية، بل كل معنى ذلك، أننا نواجه الموقف بأساليب الوعي التي تتحرك في الساحة، بطريقـةٍ واقعيةٍ تتعامل مع المعطيات والظروف الموضوعية من موقع المحافظة على الوجود أمـام الآخرين، الذين يعملون على تصفية هذا الوجود أو هزيمته.

وقد يفرض علينا الواقع أن ندخل مع هؤلاء في علاقات عامة أو خاصة في المجـال العلمي أو السياسي أو الإقتصادي، فليس في ذلك أي حرج من ناحية إسلاميـة، في حدود المصلحة العليا للإسلام والمسلمين، لأن الإنسان قـد يجد أن الخير أن يتعـامل مع عدوه، في حالات الهدنة والسلام، ولكن الحذر في جميع ذلك يبقى السيـد الحاكم في علاقات الساحة، وفي حركة الموقف السلبي أو الإيجابي في نهاية المطاف.

تلك هي بعض ملامح الصورة، في حركة النظرية في علاقـة المسلمين بـالآخـرين وفي حـركـة التطبيق، وتبقى للحـديث مجالات أخـرى في الجانب الـواقعي الحركي في أساليب الإنفتاح، مع أهل الأديان والعلمانيين، في حركة الواقع السياسي والثقافي، في المسيرة الإسلامية في الحياة.

الحركة الاسلامية بين الانفتاح والانغلاق ـ ج ـ

*العلاقة مع العلمانيين

لمواجهة القوى الاستكبارية .

* الانفتاح على اليهود

يواجه مشكلة القومية العنصرية والطريقة العدوانية .

* النصارى موقع مؤهل

للانفتاح في مجالات الحوار الفكري والقضايا المشتركة .

*من الطبيعي الانفتاح

على المسلمين بمذاهبهم ومحاورهم .

الانفتاح على أهل الكتاب

كيف نتحرك مع أهل الكتاب من خلال سياسة الانفتاح الاسلامي على الآخرين؟

لا بد لنا أن نحدد في الجواب، النصارى، كطرف مؤهل للحوار وللتعاون على صعيد القضايا المشتركة، لأنهم هم، الذين يمكن البحث عن مواطن اللقاء معهم في الساحة الدينية العامة، في مواجهة التيارات اللادينية، وهم الذين يتحركون على صعيد التبشير، في حركة الدعوة إلى النصرانية، فيما قد نلتقي فيه، أونختلف أو نتصارع، تبعاً للأجواء المختلفة، في مواقع الوفاق والخلاف. وهم الذين تحدث القرآن الكريم عنهم بإيجابية.

هل ننفتح على اليهود؟

أما اليهود فإن المشكلة عندهم، أنهم لا يتحركون من موقع الدعوة كدين ينفتح للحوار، بل يتحركون كقومية عنصرية، تختزن ـ في داخلها ـ الشعور بالفوقية على الآخرين، وتحرك مواقعها في مواجهة الاسلام، بطريقة عدوانية، في المواقع الثقافية والسياسية والأمنية، لاسيما بعد ولادة اسرائيل التي قامت على أنقاض الشعب الفلسطيني، مما جعل المواجهة بينهم وبين المسلمين على مستوى العالم ـ في معركة الوجود واللاوجود، الأمر الذي جعل الحوار أو التعاون يعني اعترافاً بالمواقع السياسية العدوانية، وانسحاقاً تحت وطأة المخططات المستقبلية في السيطرة على مواقع الاسلام والمسلمين على جميع الأصعدة.. وبالتالي لوناً من ألوان الانهزام أمام الشخصية اليهودية ـ الاسرائيلية.

ولهذا لم تكن مسألة الامتناع عن الحوار معهم، في المرحلة الحاضرة، منطلقاً من مبدأ سلبي من خلال طبيعة اليهودية، كدين، أو اليهود، كأتباع لهذا الدين، بل كانت منطلقة من خلال بعض المفاهيم المعقدة التي يختزنها اليهود في نظرتهم إلى الآخرين، مما يعقِّد الأمور ويحوّل الموقف إلى حالة من الاستغلال، بدلاً من أن يكون حالة من الانفتاح. كما أن المسألة السياسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية، تجعل القضية في موقع الصراع لا في موقع الحوار، لأن اليهود ليسوا مستعدين للدخول في حوار حول شرعية وجودهم هناك، بل كل ما هناك أنهم مستعدون للحديث، بطريقة

المناورة، في تفاصيل الأمر الواقع الذي يتمتع بشرعية دوليةوتاريخية، الأمر الذي يؤدي للاعتراف بوجودهم السياسي العدواني على حساب حقوق المسلمين.

جبهة المؤمنين أمام جبهة الملحدين: الحذر من استغلال الخط العام لمصلحة الحالة الخاصة.

وهكذا نجد الموقع النصراني، هوالموقع المؤهل للانفتاح في مجالات الحوار الفكري فيما هي النصرانية، وفيما هو الاسلام فيما يتفقان فيه، وفيمايختلفان، في دراسة لا هوتية فكرية، للوصول إلى الاقتناع، أو التفاهم المتبادل، كأي حوار ينتهي إلى القناعة المشتركة من خلال الحجة، أو إلى التفاهم من خلال توضيح الصورة، ثم، في التخطيط للعمل المشترك في مواجهة العدو المشترك، من الموقع الفكري، فيما يلتقيان عليه من الايمان بالله الواحد، وباليوم الآخر، وبالرسالات السماوية على سبيل الاجمال، وبالغيب كعنصر أساسي في مسألة الايمان، وذلك في مواجهة الالحاد، فيما يحمله الفكر المادي، لأي منهج فكري يلتقي بالروح وبالغيب وبالايمان بالله لتكون هناك جبهة المؤمنين، في مواجهة جبهة الملحدين، في المواقع الفكرية، بعيداً عن المسألة السياسية التي قد تتخذ للصراع وجهاً آخر، يبتعد به عن الجدية ليحوّله إلى حالة من تسجيل النقاط السياسية في مواقع التجاذب السياسي على أكثر من صعيد، كما قدنلاحظه في الصراع السياسي بين الشرق والغرب، حيث تتحرك أساليب الاعلام الغربي، ولا سيما الأميركي، لاستغلال الدين كعنصر حيوي في مواجهة الاتحاد السوفياتي، على أساس القاعدة الالحادية للنظام، للاستفادة منه في الحصول على بعض المواقع السياسية، في هذا البلد أو ذاك، من خلال التهويل بخطورة الموقف الشيوعي على العقيدة الدينية. وربما ينعكس ذلك سلباً على بعض المصالح الحيوية للشعوب المستضعفة المتدينة.

إننا لا نمانع من الاستفادة من ذلك في التخطيط المضاد للالحاد، في مواجهتنا الفكرية والعملية، لأنك لا تستطيع أن تحرم نفسك من أي موقع قوة تحصل عليه، في التأثير على نقاط الضعف ضد خصمك. ولكن هناك فرقاً بين أن يستفيد من ذلك عدو آخر لك ضد مصالحك وبين أن تستفيد منه مواقعك الاسلامية لخدمة مصالحك الحيوية.

إننا لا نجد هناك أي مانع من إيجاد جبهة دينية مع النصارى في مواجهة الالحاد، في نطاق تخطيط فكري دقيق، يؤكد على مواطن اللقاء في القضايا العقيدية والأخلاقية لأن ذلك هوالذي أكده القرآن في البحث عن مواقع اللقاء معهم، وفي واقع التعايش بيننا وبينهم. ولكن ذلك يحتاج إلى وعي كامل للحركة ودراسة لمفردات المواقف حتى لا يتحول الموضوع إلى استغلال الخط العام، لمصلحة الحالة الخاصة.

اللقاء في بعض المواقع لا يلغي الصراع في المواقع الأخرى

وإذا كنا نؤكد على مسألة اللقاء في مواجهة الالحاد، فإن ذلك لا يلغي مسألة الصراع في المواقع الأخرى، فقد يجد الداعية المسلم من واجبه الاسلامي، أن يدعو النصراني للاسلام، كما يعمل للدخول إلى ساحات الوثنيين ليدعوهم إلى الاسلام، وليؤكد الحواجز أمام الآخرين للنفاذ إلى هذه الساحات، كما قد يجد المبشر النصراني مسؤوليته التبشيرية أن يمارس نفس الدور في الموقع النصراني. وقد يستخدم كل فريق الأدوات الفكرية والاجتماعية والسياسية كي يركز مواقعه في مراكز القوة.

إن النظرة الواقعية لمواقع الاختلاف والاتفاق تفرض التخطيط لصراع لا يمنع اللقاء من جهة أخرى، أو لقاء لا يمنع من الصراع في مجال آخر، لأن ذلك هو ما تقتضيه طبيعة الواقع، ولكن قد تكون الايجابيات التي تفرضها المواقع المشتركة في مواجهة العدو المشترك، تخفف بعض حالات التشنج والتعقيد، وتمنع من تحول الصراع إلى معركة حادة على مستوى القتال الذي يحرق الأخضر واليابس، ويهدم الهيكل على رؤوس الجميع.

كيف نواجه الصراع السياسي مع النصارى؟ البعد عن الأجواء الطائفية والحرب العشائرية

وقد نلتقي ببعض المواقع التي يتحول فيها الموقف إلى صراع سياسي، يتخذ نفسه واجهة طائفية، تتحرك فيها الأوضاع على أكثر من صعيد إقليمي أو دولي، على مستوى الضغط على الوجود الاسلامي هنا وهناك، لمصلحة الوجود النصراني السياسي من خلال شعارات، حرية الوجود المسيحي، أو ضمانات هذاالوجود،

التي قد تتحول إلى امتيازات، أو هيمنة، أو وسيلة لتدخُّل القوى الاستعمارية، أو الصهيونية، بإسم الحماية للنصارى، أو للأقليات. وهذا هو ما يعيشه الواقع السياسي اللبناني، الذي يأخذ فيه الصراع صفة الخلاف النصراني ـ الاسلامي الذي يتحرك في معركة مسلحة مدمرة وذلك في دائرة الصراع حول المسألة المسيحية، وموقعها من الواقع السياسي في المنطقة الإسلامية التي يسكنها النصارى.

إننا نعتقد أن مثل هذه المسألة قد أخلّت بأبعاد سياسية على مستوى القضايا السياسية الكبرى في المنطقة، فيما يتمخض عنه الصراع الاقليمي والدولي من مشاكل وتعقيدات. وبذلك فلا بد أن تدرس في هذه الدائرة الواسعة بعيداً عن الاستغراق في المسألة الداخلية، لينطلق التخطيط الواعي في موقع الوجود الاسلامي السياسي الشامل، الذي يبحث في كل مكان في العالم عن مركز قوة، في مشروعه الثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، فيما يمثله ذلك من مصلحة الانسان، حتى الذي لا يدين بالاسلام. ولهذا فإن المشاريع المطروحة في دائرة الحلول لهذه المشكلة، لا بد أن تكون جزءاً من هذا التخطيط، لأن ذلك هو الأفق الواسع الذي يمكن أن نطل منه على كل ساحة من ساحات الصراع، على مستوى المرحلة، أو على مستوى الهدف الكبير النهائي مما قد يختلف فيه الموقف، تبعاً للظروف الموضوعية المحيطة بالمشكلة، فيما تفرضه من صيغ السلم أو للحرب، أو للتعايش والتعاون، تماماً كأية مسألة أخرى من المسائل التي تلتقي بالخطوط العامة للسياسة الاسلامية الشاملة.

وربما كان من الضروري أن نبتعد بالمسألة عن الأجواء الطائفية التي تختزن المشاعر السلبية المعقدة، وتبتعد عن النظرة الموضوعية للواقع، لأن هناك فرقاً بين أن تعيش العصبية في موقع الصراع، وبين أن تعيش الفكرة العقلانية الباحثة عن حقائق الواقع على صعيد المبادىء. فإن الموقف الأول يحول الساحة إلى حرب عشائرية تبحث عن عناصر الاثارة بينما ينطلق الموقف الثاني ليتحول إلى صراع فكري ـ سياسي يبحث عن حركة الحق والباطل في ميدان الصراع.

وبذلك تنطلق مسألة الانفتاح لتؤكد القضايا المشتركة التي يمكن ان يلتقي عليها الجميع، في ميزان القيم الروحية والسياسية المشتركة كما تثير القضايا المختلفة لتحدد لها مواقع الصراع السياسي في موقف الغالب والمغلوب، أو مواقع الحوار الذي يحاول أن يبحث عن القناعات الفكرية التي تغلق أبواب الخلاف.

التعايش هو القاعدة لا المواقع القتالية

إننا نريد ان نثير ـ في هذا المجال ـ مسألة مهمة، وهي أن موقف المسلمين من أهل لكتاب، لا يتحرك في المواقع القتالية المسلحة، وفي مجالات المشاعر المعقدة لمتشنجة، بل يمكن له أن يجد أكثر من أفق للتعايش والتعاون والحوار والواقعية، من دون أن يعني ذلك تنازلاً عن موقع اسلامي، على صعيد الاستراتيجية أو ابتعاداً عن موقع التخطيط الشامل للحركة الاسلامية في خط الواقع والانسان.

وإننا نستوحي ذلك من إقرار الاسلام للتعايش مع أهل الكتاب في دائرة الحكم الاسلامي للحياة، مما يعني إمكانية تحريك هذا المبدأ خارج نطاق الحكم عندما يفرض الواقع الموضوعي على المسلمين أن يعيشوا بعيداً عن حكم الاسلام.

أمّا كيف يكون هذا التعايش، وكيف نضع تفاصيله، وماهي الحدود التي يمكن لمسلمين أن يقفوا عليها، وما هي الخطوط التي يجب أن يتجاوزوها، فهذا مما لا ملك تقريره بطريقة تفصيلية، لأنه يخضع للظروف الموضوعية في علاقتها بالمصلحة لاسلامية العليا للواقع، وللانسان.

الانفتاح على العلمانيين تحدده المصلحة الاسلامية

كيف يمكن لنا أن نحدد مسألة الانفتاح مع العلمانيين ممن ينكرون الدين في لسفتهم، أو ممن لا ينكرونه، من ناحية فلسفية ولكنهم لا يجعلونه اساساً للواقع؟

إن الجواب على ذلك، ينطلق من دراسة المبدأ العام للمسألة وهو معرفة صلة أية قضية من قضايا الانفتاح، بالمباديء الاسلامية الكبيرة، أو بالقضايا الاسلامية المصيرية المتصلة بالواقع، على صعيد المرحلة، او على صعيد الهدف النهائي، لأن الاسلام يريد لكل قيمة من قيمه أن تأخذ مكانها الطبيعي في حياة الناس، سواء بطريقة منفردة أو متصلة بالحل الاسلامي الشامل، بقطع النظر عن الأداة التي تشارك في ذلك كما يريد للمصير الاسلامي أن يقوى ويتأكد ويأخذ دوره الفاعل في صنع الواقع، سواء قام به المسلمون من خلال جهدهم الخاص، أو شاركهم به نيرهم.

ولعلنا نستوحي ذلك من تقييم النبي (ص) لحلف الفضول، ودخوله في اتفاقات

ومعاهدات مع المشركين من قريش، ومن غيرهم، من خلال المصلحة الاسلامية على صعيد المرحلة الزمنية المعينة، فإن المسألة ليست خصوصية الحادثة بل هي خصوصية المبدأ الذي يحكم كل الحوادث المماثلة.

وعلى ضوء هذا فقد يكون الفرق بين العلمانيين من حيث التزامهم بالدين كفلسفة او إنكارهم إياه، سبباً في سعة المواقع التي يمكن الالتقاء عليها أو ضيقها، لأن الذين يؤمنون بالدين، كالقوميين العرب غير الملحدين، يمكن أن تتعاون معهم في بعض المسائل الفكرية المتصلة بالاسلام في الأمور العقيدية أو الحضارية بالاضافة إلى الأمور السياسية التي تلتقي فيها القضايا العربية بالقضايا الاسلامية فيما تلتقي فيه الصفتان، أو الأمور المتصلة بهذه القضايا من بعيد أو من قريب.

ولذلك فإننا نرى ضرورة التدقيق في دراسة علاقة العروبة بالاسلام، وعدم التسرع في اتخاذ الموقف السلبي منها على أساس النظرة السطحية التي تختزن الانفعال، ولا تلتقي بالعقل في حركة الفكر، لأن البعض قد لا يطرحها بطريقة منافية للاسلام، وقد يطرحها البعض الآخر بصيغة لا تبتعد كثيراً عن خصوصياته، كما قد نجد هنا اتجاهاً متطرفاً مضاداً للاسلام في طبيعته وفي فلسفته الفكرية والعملية.

اللقاء مع التيارات العلمانية لمصلحة الاسلام

إن مسألة الانفتاح، قد تثير أمامنا اللقاء حول المواجهة الصلبة للتحديات السياسية والأمنية التي تواجه الواقع كله، فيما يتحرك به المستكبرون ضد المستضعفين من المسلمين وغيرهم، كما في مسألة الموقف من الاستعمار، أو الصهيونية، أو التمييز العنصري، أو الظلم السياسي في الداخل، مما قد تختلف الايديولوجيات في تفسيره، في موقعه من هذه النظرية أو تلك، ولكنها لا تختلف في طبيعة الموقف العملي منه، ولو على صعيد المرحلة.

كما نجد ذلك في المشكلة الفلسطينية السياسية، التي قد يفهمها البعض في موقعها الاقليمي، من حيث هي قضية الشعب الفلسطيني، وقد يفهمها البعض الآخر، من حيث هي قضية القومية العربية، أو من حيث هي قضية تحرر من الاستعمار، كأية مسألة من مسائل التحرير وقد يراها البعض ـ كما نراها ـ قضية

إسلامية، ذات صلة بحركة الحرية في دائرة الاسلام والمسلمين.

وقد تتعدد النظرة في الموقف من اسرائيل: ـ بين الذين يعترفون بها من ناحية المبدأ، كأمر واقع مفروض دولياً، فيما تملكه من الشرعية الدولية، مما يجعل الحديث عن إزالتها من الساحة السياسية، حديثاً عن خيال متطرف في الغلو والبعد عن الواقعية، ولذلك فإن البحث يبقى في التفاصيل، في حدودها. هل هي خطوط التقسيم، أو هي خطوط ما قبل حرب ١٩٦٧م أو ماذا؟!

وبين الذين لا يعترفون بها، من ناحية المبدأ، إن ذلك يعني اعترافاً بشرعية الظلم الذي لا تملك الشرعيةَ الدولية أن تمنحه غطاء إنسانياً فيما يمثله الكيان الإسرائيلي من وجود على أنقاض شعب آخر. أمّا مسألة التطرف والواقعية، فهي مسألة لا ترتبط بالمرحلة الزمنية الحاضرة، بل هي مرتبطة بالمستقبل الذي يتسع لقضايا الحرية، بما لا تتسع له المرحلة الحاضرة، لأن الذين يحاصرون طموحات الأمة الآن، لا يملكون محاصرتها على مستوى الزمن كله.

إن من الممكن أن نتفق على قتال إسرائيل ومواجهتها في نطاق جبهة موحّدة، أو خطة واحدةٍ على صعيد المرحلة التي يلتقي عليها الجميع. فإنّ ذلك يحقق لنا بعض الخطوات المتقدمة في سبيل التحرير، حتى لو انفصل الآخرون عنا بعد ذلك.

وهكذا نجد في مسألة الصراع مع الاستعمار، أو مع بعض مواقعه، عنصر لقاءٍ مع التيارات السياسية العلمانية التي قد تصادمه في مرحلةٍ لتحقق بعض النتائج لحسابها، أو لحساب بعض المحاور الإقليمية أو الدولية المرتبطة معها برباط تحالفيّ، أو تنسيقي، أو في المطلق. فلا نتعقد هنا، لأن هذه الجهة غير حاسمة على مستوى الإمتداد، أو لأن تلك الجهة تتحرك ضد جهةٍ استعمارية لخدمة جهةٍ استعماريةٍ أخرى. أو لأن المسألة لا تؤدي إلى نتائج حاسمة على هذا الصعيد أو ذاك لأن القضية المطروحة، هي تحقيق النتيجة في هذه المرحلة، أو في هذا الجانب الجزئي أو تحريك المبدأ، للوصول إلى تحضير الواقع لنقلةٍ نوعيةٍ أخرى، من خلال جهدنا وجهد الآخرين، فالمهم هو أن تتقدّم خطوةً في الإتجاه السليم إلى الآمام، بقطع النظر عن الجهة التي تتعاون معها في الوصول إلى الهدف.

وليست المشكلة في نوعية هذه العلاقة، أو في شكل هذه الصلة، فقد تكون نوعاً

من التعاون، وقد تكون حالة من التحالف، وقد تتمثل في جبهة. فلا بد من دراسة حاجة القضية إلى هذه الصيغة أو تلك في نقاط المرحلة، أو على صعيد الامتداد في الهدف. ولكن هناك شرطاً واحداً يحكم الصيغ كلها، ويحتوي حركة الواقع، وهو الوعي الكامل لما نريد ـ كمسلمين ـ في نطاق المصلحة الإسلامية العليا، ولما يريده الآخرون، ودراسة الساحة التي نلتقي فيها بهم، والتي نختلف فيها عنهم، لنحدّد مواقع اللقاء ومواقع الفراق بطريقةٍ دقيقة لنحمي أهدافنا وخطواتنا من الاستغلال فلا نسيء من حيث نريد أن نحسن، ولا ننحرف من حيث نريد أن نستقيم، بل يبقى الهدف الكبير أمام أعيننا لنحدِّد ـ من خلاله ـ ما نريد وما لا نريد وكيف نستخدم وسائلنا العملية بطريقة سلمية.

الانفتاح على المسلمين مع اختلاف المذاهب من أجل الوحدة ومواجهة القضايا المصيرية

وإذا كنا نؤكد على الانفتاح العملي في علاقتنا بالآخرين الذين نختلف معهم في العقيدة ونلتقي معهم في بعض التفاصيل، أو في بعض المواقف السياسية أو الإقتصادية، فمن الطبيعي أن يكون الإهتمام الكبير بالإنفتاح الواسع على المسلمين الذين نختلف معهم في التفاصيل المتعلقة بمفردات العقيدة، أو مفردات التشريع، أو أساليب العمل، فلا نغلق الأبواب بيننا، لمجرّد أنّ هناك باباً مغلقاً بيننا وبين هذا الفريق أو ذاك على مستوى المذاهب المختلفة، أو على مستوى المحاور المتنوعة في العمل السياسي الاسلامي، بل نحاول أن نفتح الأبواب المغلقة بروحية الأبواب المفتوحة، لنتحرك ـ في كل ذلك ـ في الساحة الإسلامية الواسعة، لأن ما يجمع المسلمين أكثر مما يفرقهم فيما يجتمعون عليه من أصول العقيدة، وفرعيّات الشريعة، ولأنّ القضايا المصيرية التي تحكم الواقع الإسلامي لا تختص في خطورتها بمذهب دون مذهب، بل تمتد لكل المواقع الإسلامية على جميع الأصعدة، مما يفرض على المسلمين تجميد خلافاتهم، أو تغيير الروحية التي ينطلقون منها في تحريك هذه الخلافات أو تبديل الأسلوب الذي يديرونها به، للوصول إلى شاطىء الأمان.

وعلى ضوء ذلك، فإنّ للإنفتاح دوراً كبيراً في إثارة الروح الإسلامية في حياة المسلمين الفكرية والشعورية والعملية، ليتخلصوا من تغليب الروح المذهبية المغلقة

على الروح المنفتحة، لأن البديل عن ذلك هو تذويب الشخصية الإسلامية في داخل الشخصية المذهبية بحيث تتحول المسألة إلى ما يشبه الأديان المتعددة التي تنتصب الحواجز النفسية بين أتباعها، مما يلغي العمق الإسلامي في الحسّ الداخلي.

إننا لانريد إلغاء المذهبية كمضمون فكري في فهم الإسلام بأصوله وفروعه على أساس حركة الاجتهاد، بل كل ما نريده هو أن تتحرك المذهبية في داخل الإسلام كوجهة نظر فكرية، لا في خارج الإسلام كبديلٍ عنه، لأن ذلك هو الذي يؤدي بنا إلى الوحدة الإسلامية، فيما تتلاقح فيه الأفكار وتتمازج من خلال الحوار القائم على العلم والإيمان.

الانفتاح قضية الحياة وكسر الجمود والتعقيد النفسي

وختاماً، إن الإنفتاح هو قضية الحياة التي تنفتح في كل يوم على شيء جديد وليس هناك أية فائدة من إنغلاق الناس على بعضهم فيما ينطلقون فيه من فكر، وفيما يثيرونه في حياتهم من خطط ومشاريع، وفيما يتحركون نحوه من أهدافٍ لأن ذلك يجمّد الخطأ في النفس، ويحوّله بالتالي إلى حالة مقدسةٍ، ويمنع العقل من تطوير الفكرة في حركة الحوار، ويؤدي ـ بالتالي ـ إلى تجميد الحياة.

و إذا كان بعض الناس يرون في الإنغلاق حمايةً للفكرة من الإنحراف وابتعاداً عن التأثّر والذوبان في الأفكار الأخرى، ومحافظة على أصالتها ونقائها وصفائها من التلوّث والتشويه، فإنّ بعضاً آخر يرى فيه لوناً من ألوان الخوف من الآخرين، ومظهراً من مظاهر الضعف أمام التحدّيات الفكرية التي تواجهه لأن الإنسان الذي لا يسمح لنفسه بالانفتاح على الآخرين هو إنسان ضعيف الحجة في رحاب الفكرة.

إننا نعلم أن حماية الفكرة لا تتحقق بالهروب من التحدّي، بل تكون بالمواجهة القوّية لكل ما يثيره الآخرون حولها من شبهاتٍ وإشكالات، لأن ذلك هو الذي يؤكد نقاط القوّة، ويبعدها عن الإستسلام لمواقع الضعف.

وقد نرى أن الإنفتاح هو السبيل الوحيد لإنفتاح الآخرين على الجوانب المشرقة من الفكرة، وبالتالي على قناعتهم بها، لأن إثارة الخلافات من موقع الوحدة يختلف عن إثارتها من موقع الإفتراق، فيما يثيره ذلك من أجواء حميمة روحيّة، قد تكسر الكثير

من الجمود والتعقيد النفسي في مواجهة الفكرة وإدارة التفكير من حولها.

الانفتاح لا يلغي التحفظات

وأخيراً إننا نثير المسألة من ناحية المبدأ، ولكن ذلك لا يمنعنا من إثارة التحفظات، والتدقيق في مواقع الإنفتاح، ودراسة طبيعة القوّة والضعف في حركة الساحة، ومعرفة الظروف الموضوعية المحيطة بالواقع، لنحمي الفكرة من الإستغلال من الجانب الآخر، الذي قد يرى في الأجواء القلقة سبيلاً للّعب وللدس والتضليل، لأننا نريد الانفتاح لخدمة الموقف، فلا بد من تحصين الموقف في داخله، من كل وسائل اللعبة الشيطانية التي يحركها أكثر من شيطان في أكثر من موقع، وبذلك نبتعد عن أجواء السذاجة إلى أجواء الفكر، ونقترب من روحية الحذر بعيداً عن روحية الإسترخاء والإستسلام.

الحركة الاسلامية بين الانفتاح والانغلاق ـ د ـ

ـ انفتاح الحركة الإسلامية
يربك مخططات الاستكبار ويحقق المكاسب .

ـ انفتاح الدولة حاجة ضرورية
ولا خوف من الإنحراف الفكري أو السياسي .

ـ تقديم التنازلات في الحركة والدولة
لمصلحة القضايا الإسلامية الكبيرة .

الخط الأحمر والضوء الأخضر

ربما يثير البعض مسألة الإنفتاح والإنغلاق، ليضع خطاً أحمر أمام الإنفتاح فيما يتصل بعلاقات الأشخاص والأحزاب، في الدائرة الإسلامية، بالجهات الأخرى غير الإسلامية من دول وأحزاب وشخصيات، بينما يعطي الضوء الأخضر لعلاقة الدولة الإسلامية بها. .

١ ـ من سلبيات انفتاح الحركة الاسلامية في النطاق الواقعي: المحاصرة والافتراق والسقوط

ويعلل هذا البعض رأيه، بأن الحركة الإسلامية تتميز بروحية عميقة في تكوين الشخصية، وأخلاقية ظاهرة في حركة الواقع، وفهم مميز في طريقة التعامل مع الأحداث، مما يفرض عليها في جو نظيف طاهر بعيد عن الإغراءات والإلتواءات، لأنّ الأجواء الأخرى قد تطوق الإنسان الحركي ببعض الضغوط الخارجية والداخلية، التي قد تفسد عليه روحيته وأخلاقيته وفهمه بطريقة لا شعورية، فتؤدي به إلى الإنحراف في الفكر والموقف.

ولذلك، فقد يكون من الضروري أن نجنبه خطر الوقوع في التجربة القاسية الصعبة، لا سيما وأنه يعيش مرحلة النمو والتكامل في بيئة بعيدة في جوها ومفهومها عن الإسلام، لأنّ هذه المرحلة من أصعب المراحل التي تمر على الإنسان، في حاجته إلى الثبات والتوازن والقوة التي تحميه من عوامل السقوط. ويتابع هذا البعض فيطرح الفكرة في صعيد الواقع الآخر، الذي يتميز بالألاعيب الأخلاقية، والأحابيل السياسية، والمخطّطات الإنحرافية، والإغراءات المتنوعة ممّا يجعل المسألة مسألة فن متخصصٍ، يتقن إدارة الحركة في الإتجاه المضاد ويعرف كيف يستخدم وسائل التضليل، من خلال أكثر من شعار للحق يختفي الباطل في داخله، مما قد يتدخل بطريقة إيجابية، في تشويه الروح، وتضليل العقل، وإضعاف الإرادة. وقد تتوضح الصورة أكثر، إذا لاحظنا أجهزة المخابرات المتعددة، التي تعمل من أجل محاصرة الحركة الإسلامية، ومحاولة إختراقها من الداخل من خلال سياسة الإنفتاح على الدوائر غير الإسلامية، فيما قد تثير من مشاعر وأفكار بطريقة ذكية، وفيما تحققه من

علاقات ومواقع بأسلوب حميم.

وهكذا قد نصطدم بالإنحراف، فيما يشبه أن يكون خط الإستقامة، وبالضلال فيما قد يبدو حالة هدى. فكيف نعمل لحماية الحالة الإسلامية من ذلك الخطر الداخلي، إذا سمحنا لها أن تنفتح على الأجواء المنحرفة بهذا المستوى.

وفي ضوء ذلك يرى هذا البعض في الإنغلاق والإنكماش ضمانة للإستقامة على الخط الأصيل. كما ألمحنا إلى ذلك في الأحاديث السابقة.

٢ـ من إيجابيات انفتاح الحركة في نطاق الدولة: تركيز الوجود السياسي

ولكن المسألة تختلف عنده، إذا تحولت الحركة إلى دولة إسلامية. فيرى أنّ من الممكن للدولة أن تنفتح على الدولة الأخرى التي لا تدين بالإسلام أو تقف موقفاً مضاداً له، أو تتخذ سياسة مختلفة عن سياسته. سواء بالدخول في علاقات صادقة سياسية، أو تحالف عسكري، أو معاهدات اقتصادية وثقافية وأمنية، لأن ذلك هو الذي يركز وجودها السياسي ويدعم قوتها الإقتصادية والعسكرية. فيما تفرضه حاجتها إلى تلك الدول من منتجاتها الصناعية والزراعية وإمكاناتها العملية. في مقابل احتياجها إلى تصدير منتجاتها الزراعية أو ثرواتها البترولية والمعدنية، وإدارة أوضاعها الأمنية في نطاق التحديات الإقليمية والدولية. بينما يؤدي الإنغلاق إلى عزلة خانقة تفقد فيها قدرتها على النمو والتحرك والإمتداد في الأفق السياسي والثقافي والإقتصادي الدولي وتتحول إلى وجود جامد لا مجال فيه لأي حركة أو حياة.

ويضيف هذا البعض، موضحاً الصورة، في أن الإنفتاح يمثل الحاجة الضرورية الحيوية للدولة في هذا العالم الذي تتنوع فيه المحاور السياسية وتتعقد فيه الحاجات الإنسانية التي تفرض تعقيدات متنوعة في العلاقات الدولية. ولا خوف على الدولة من الإنحراف الفكري والسياسي، ما دامت تملك أكثر من موقع للقوة التي تؤكد المناعة الذاتية ضد التأثر بأفكار الآخرين ومواقعهم، فيما تملكه من عناصر الضغط الإقتصادي والسياسي والأمني. مما يجعل مسألة الصراع في أي موقع، مسألة تخضع لحركة القوة المتنوعة التي تجعل الساحة متحركة في أكثر من اتجاه، لتحقق التوازن بين

نقاط الضعف والقوة، فإذا التقت بموقف ضعف في هذا الجانب، فإنّها تلتقي بموقف ضعف آخر في مواقع الفريق الأخر. ليكون ضغط القوة عندها في مواجهته، سبيلاً للتخفيف من ضغط القوة لدى الآخر على مواقع الضعف عندها.

وقد يحدث أن يختل التوازن لديها في بعض الظروف، كنتيجة للضغوط الصعبة التي تواجهها وتطبق عليها أو تحاصرها من أكثر من اتجاه، ولكن طبيعة القوة الذاتية في خصوصية وجودها، كدولة، تحفظها من السقوط وتمنحها الفرصة للتماسك والقيام من جديد.

وهذا هو الفرق ـ فيما يقوله هذا البعض ـ بين الحركة في نطاق الدولة وبين الحركة في نطاقها الواقعي الحركي بعيداً عن ساحة الدولة. لأن الحركة لا تملك الكثير من مواقع القوة التي تحمي ذاتها من الإحتواء أو الإنحراف أو السقوط، لا سيما إذا كان الفريق الذي تنفتح عليه دولة صغيرة أو كبيرة، لأن ذلك يحولها إلى تابع لهذه الدولة، فيما يخيَّل إليها أنها في موقع الحليف أو الصديق، لأن امكانات الدولة لا تسمح للحركة أن تقف على أرض صلبة معها أو تتحرك في ظروف متوازنة في علاقتها بها، تماماً كما هي كل حالة، يتم فيها التحالف بين القوي وبين الضعيف حيث تتحول المسألة إلى حالة ابتزاز للضعيف من قبل القوي من خلال عوامل الضغط المتعددة، تحت واجهة عنوان التحالف السياسي بينهما.

هذه هي بعض ملامح الفكرة التي تمنح الدولة شرعية الإنفتاح على الآخرين، سواء كانوا في نطاق الدول أو الأحزاب، وتمنع الحركة من هذه الشرعية على أي مستوى من التحالف أو التنسيق، أو الحوار في بعض الحالات، فهل نوافق على هذا الرأي؟ وهل يملك الحجة القوية التي تفرضها على حركة الواقع؟

٣ ـ الانغلاق ليس خياراً وحيداً لاستقامة الحركة الاسلامية

ربما كان لبعض هذه الأمور التي أثارها هؤلاء، نصيب من الواقعية فيما هو الفرق بين طبيعة الدولة وبين طبيعة الحركة في حجم القوة، وفي مستوى القدرةعلى التخلص من الضغوط التي تتحرك في خط الإنحراف. ولكن ذلك لا يصلح أن يصل بنا إلى النتيجة الحاسمة في التأكيد على حرية الدولة في الإنفتاح، ومنع الحركة من ذلك لأن

الحركة قد تملك في بعض مراحل نموها وتطورها، الكثير من مواقع القوة التي تمكنها من التمرد على الضغوط التي تعمل على تحويلها الى عنصر تابع، أو ذيل عميل أو خط منحرف. وذلك بالقفز على مواقع الضغط في أكثر من اتجاه ومواجهة المواقف من خلال البدائل التي تضعها أمامها في التحالفات في أكثر من خط، سواء بالتوافق مع بعض الحركات الأخرى التي تواجه هذه الدولة الضاغطة أو تلك، أو بالتحول من مواقع الوفاق إلى مواقع الصراع باستحداث الوسائل المتعددة التي تصلح كعنصر ضغط يواجه عناصر الضغط.

وقد نجد أن الحركة قد تملك من وسائل الضغط في أجواء الثورة، ما لا تملكه الدولة التي قد تخضع لبعض القيود أو الإعتبارات الدبلوماسية التي تفرض عليها الكثير من المواقع التي تحول بينها وبين الأخذ بالوسائل الضاغطة ضد الواقع الساسي تجاه هذه الدولة أو تلك. بينما تجد الحركة نفسها أكثر حريةً في اعتماد الأساليب المتنوعة التي قد تربك الكثير من المخططات وتحقق الكثير من المكاسب وتساهم في تحقيق التوازن في حركتها الإيجابية أو السلبية في دائرة الإنفتاح أو الإنغلاق.

٤ـ الانفتاح حاجة وضرورة للحركة الاسلامية:

أـ الحاجة إلى التفاعل مع تجارب الآخرين:

وإذا كانت الدولة تحتاج إلى الإنفتاح في وجودها السياسي والإقتصادي في الوضع الدولي، لأن الإنغلاق يمثل لديها عنصر اختناق وموت وسقوط، فإن الحركة الباحثة عن إمكانات الوصول إلى أهدافها السياسية أو الفكرية، تحتاج إلى الآفاق المنفتحة التي تطل بها على ساحات الآخرين لتستفيد من تجاربهم وخبراتهم، ولتتكامل معهم في بعض الأهداف المرحلية التي لا تستطيع الوصول إليها، بعيداً عن ذلك، ولتنفذ إليهم من خلال الإنفتاح الذي يفتح قلوبهم وعقولهم وحياتهم على أفكارها وخططها وأهدافها، من خلال ما تملكه من وسائل القوة الفكرية التي تساعدها على الوصول إلى داخل شخصياتهم في أكثر من موقع.

إنّ الإنغلاق يعني عدم التكلم مع الآخرين، أو عدم التواصل معهم إلاَّ من خلال خط المواجهة التي قد تربح جولةً أو أكثر، ولكنها لن تربح حرباً على مستوى

قضايا الفكر والروح والحياة، لأنها تحتاج إلى الظروف الملائمة أو الحميمة التي تنضِّج النتائج الإيجابية في عملية الوصول إلى القناعات وتساهم في الوصول إلى الأهداف بطريقةٍ واقعية.

ب ـ الحاجة إلى تأكيد الذات:

إن الحركة الإسلامية، تبدأ دعوةً في الفكر فيما تريد به أن تخاطب عقول الآخرين، فلا بد لها من الانفتاح عليهم، سواء كانوا من الفريق البسيط الذي لا يقف في الموقف الآخر من خلال التضاد بل من موقع الجهل، أو كانوا من الفريق المعقَّد الذي يتخذ موقف العناد في خط المواجهة وبذلك فلا بد من الانفتاح عليهم جميعاً. ثم تتحول الى حركةٍ لتؤكِّد مفاهيمها ومناهجها في خط الواقع، ولتدفع بقضاياها في ساحة الصراع، ولتتحول من خلال ذلك ـ الى قوّةٍ في دوائر أصدقائها وأعدائها، ولن يتحقق ذلك إلاَّ من خلال الانفتاح على الأعداء والأصدقاء في عملية صراع سلميٍّ يعتمد على المرونة الأكثر حركةً ووعياً في الساحة، وصراعٍ عسكريّ أو سياسيّ، يرتكز على طبيعة القوى المؤيدة أو الحليفة أو الصديقة في السَّاحة نفسها.

ثم ننطلق في خط الثورة التي تعمل على تغيير الواقع في عملية انقلابيةٍ تحتاج إلى دراسة كل الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية، وإلى معرفة كل القوى الموالية والمعادية للّقاء معها، أو الإلتفاف عليها، من أجل الوصول الى النتائج الحاسمة.

وبذلك فإنّ الحركة لن تستطيع السير وحدها في الدائرة المغلقة التي تحبس نفسها في داخلها، لأنّ ذلك يعني أنّها تنفصل عن سنن الله في الكون، التي تفرض على كل حركةٍ صغيرةٍ أو كبيرةٍ أن تكون خاضعةً للعوامل الطبيعية المحيطة بها، التي تتكامل معها في عملية صنع الواقع خلقاً أو تغييراً.

٥ ـ الحركة الاسلامية أمام بعض التنازلات لخدمة الموقف الأساسي

وإذا كانت عملية الإنفتاح ـ لدى الحركة ـ في تنسيقها أو تكاملها مع الآخرين، تفرض عليها تقديم بعض التنازلات من مواقفها التفصيلية لخدمة الموقف الأساسي، ممَّا قد يُعتبر، لدى البعض، موقفاً انحرافياً يؤدي إلى التنكر للمفردات

الشرعية الإسلامية في حالات معينة، ولذلك فإنه يرى ضرورة الإبتعاد عنه للحفاظ على نقاط الفكرة واستقامة الخط.

إذا كانت المسألة هي قصة الحاجة إلى تقديم التنازلات من قبل الحركة الإسلامية لحساب الحركات أو الدول اللاّإسلامية، فإن ذلك لا يعني أن الحركة في نطاق الدولة لا تضطر إلى ذلك، بل الموقف هو نفس الموقف، لأن أيّة دولة لا يمكن أن تحقّق مكسباً للدولة الأخرى في مجالاتها السياسية أو الإقتصادية أو الأمنية إلاّ من خلال ما تحصل عليه من تلك الدولة ـ من مكاسب تماماً، على أساس عمليات التبادل بين الأفراد والجماعات، لأنّ العلاقات الدولية لا ترتكز على المجّانية أو على المبادىء الإنسانية أو العمليات المجّانية، بل ترتكز على قانون التبادل القائم على حسابات الربح أو الخسارة فلا بدَّ في أيّ موقعٍ للأخذ من أن تقدم، بدلاً منه، موقعاً للعطاء.

ولن يقتصر الأمر بالدولة على تقديم التنازلات لدولةٍ أخرى، بل يمتد ذلك إلى تقديمها لحركةٍ سياسيةٍ أخرى فيما إذا كانت مصالحها الدولية تفرض عليها ذلك.

إنَّ المسألة قد تختلف في حجم القوّة بين الدولة والحركة، ولكنها لا توجب اختلافاً في نتائج الإنفتاح من خلال المبدأ، بل قد توجبه من ناحية الطبيعة الكمية أو النوعية في مفردات النتائج السلبية أو الإيجابية.

الانفتاح في موقع القوة لا الضعف

وقد ينبغي أن لا يغيب عن الفكر أنّنا نتكلم في مسألة الإنفتاح والإنغلاق في المجالات التي نملك فيها القوة على أن يحقق الإنفتاح بعض النتائج الإيجابية للحركة أو الدولة، ولو على حساب النتائج السلبية التي تخضع لها من جهةٍ أخرى. وليس من المعقول، أو المقبول، أن نفكر بالإنفتاح في مواقف الضعف التي لن تقودنا إلاَّ إلى السقوط والتوقيع على العبودية أو الإنسحاق تحت إرادة الآخرين.

وفي ضوء ذلك، لا بد لنا من أن نفكر في القاعدة الشرعية الإسلامية التي تبّرر لنا تقديم التنازلات للآخرين لمصلحة القضايا الإسلامية الكبيرة، ليكون الموقف الذي نقفه شرعياً في خط الإستقامة. ولعلنا لا نبتعد عن الإسلام إذا انطلقنا من القاعدة الأصولية الكلامية التي تؤكد «إن الأحكام تابعة لمصالح ومفاسد في متعلقاتها» أو «في

أنفسها» مما يجعلنا ننطلق من الموقف الذي تتحرك فيه الأحكام من موقع الأهميّة في المصلحة وفي المفسدة. فإذا كانت هناك مصلحة من جهة، ومصلحة من جهةٍ أخرى، ولم نتمكن من الحصول على المصلحتين معاً، لأنَّ الظروف الموضوعية لا تسمح بذلك، فإنّنا لا بد من أن نقدِّم الأكثر أهميّةً لنجعل الحكم على صورته، بدلاً من الأقل أهميةً، لأنَّ ذلك هو الحكم العقلي القطعي فيما يكتشفه ـ بطريقته الخاصة ـ من أحكام الشرع.

وفي ضوء ذلك، يملك الخط السياسي الإسلامي المرونة في الحركة في حال تزاحم المصالح العامة للإسلام والمسلمين أو في حال تزاحم المصالح والمفاسد، عندما يملك الفقيه الخبير بالإسلام وبالواقع وضوح الرؤية في فهم المسألة العملية من جميع جوانبها، ليختار موقفاً في هذه المرحلة، قد يختار الموقف المضاد له في مرحلة أخرى.

الانفتاح حالة أصيلة

إننا نجد الإنفتاح حالةً إسلاميةً، أصيلة تفرض على الداعية المسلم، والحركّي الإسلامي، والدولة المسلمة الإنطلاق في الحياة من القاعدة الفكرية التي تؤكد أنَّ الوصول إلى ساحات الآخرين، وقناعاتهم ومواقفهم وتأييدهم، يفرض اللقاء معهم على أرض مشتركةٍ، والإنفتاح عليهم من خلال المفاهيم المشتركة، أو الآفاق المشتركة التي تختلف فيها الإتجاهات، ولذلك فإنَّ الأصل أن تواجههم ويواجهوك، وتتكلم معهم ويتكلمون معك، وتتنازل لهم ويتنازلون لك. ولكن بشرطٍ واحد، وهو أن تكون في موقع القوة التي تتيح لك أن تثبِّت أقدامك في مواقعك عندما تريد أن تقارن بينها وبين مواقع الآخرين، أن تفكر كيف تقودهم إلى الوقوف معك في مواقعك، من منطق الحوار أو منطق القوة، أو منطق الواقع المتحرك الذي يجمع لك الحياة بين الحوار، وبين القوة، وذلك هو خط الإسلام الذي أراد للإنسان أن ينطلق إلى الإنسان، وإلى حركة الحياة من حوله، ليحرِّك الفكر الذي يدعو إلى الحوار ويقوده في يدٍ، ويحرك القوة التي تعمل على أن تربح ساحة الصراع في يد أخرى، لتحقق التوازن بين مواقع الفكر الإنساني، وبين مواقع القوة في حركة الإنسان من أجل تحقيق الفكر كقوةٍ قائدةٍ للحياة في مواجهة القوة التي تقود الحياة نحو الموت والسقوط والضياع.

٦ ـ التجربة الاسلامية الرائدة في نطاق الحركة والدولة

وقد نلاحظ في هذه المسألة ـ أن أمامنا في الواقع المعاصر تجربةً حيّةً رائدة في حركة الإنفتاح في الحركة الإسلامية في نطاق الحركة والثورة، وفي نطاق الدولة، وذلك في التجربة الإسلامية في الثورة التي تحركت كحركةٍ إسلامية واسعةٍ في مواجهة الحكم الإيراني المنحرف المتمثل بنظام الشاه، فقد انفتحت الثورة الإسلامية على الكثير من الأنظمة والأحزاب والحركات التي لم تتخذ من الإسلام عنواناً لها، ولكنها تلتقي معها في المعارضة لذلك النظام، سواء في ذلك المحاور التي كانت في داخل إيران من أحزاب وطنيةٍ أو يساريّة، ومن شخصياتٍ سياسيّةٍ فاعلةٍ، أو المحاور الساسية من الدول والأحزاب والمنظّمات في خارجها، وقد استفادت من علاقتها السياسية بها وانفتاحها عليها وتعاونها معها، حتى استطاعت إسقاط ذلك النظام لتحقق استراتيجيتها في الحكومة الإسلاميّة، التي لم تستسلم لتلك العلاقات السابقة لتقدم تنازلات متنوعة لها، بل واجهت الموقف إزاءها من موقع المصلحة الإسلاميّة، مما جعل علاقاتها تتخذ أوضاعاً جديدة تبعاً لحاجة الدولة الإسلامية، في حركة الصراع السياسي والأمني والثقافي.

ثم انطلقت الدولة لتنفتح على دولٍ لا تلتقي معها في الخط الإسلامي، وربما تختلف معها في خطها السياسي، فهناك الدولة اليسارية أو اليمينية، أو الدول التي تمتلك لوناً رمادياً في هذه الإتجاه أو ذاك.

وتحركت، في الوقت نفسه، لتنفتح على بعض المنظمات أو الأحزاب التي تتبنى حركة التحرر في مواجهة القوى الإستعمارية في العالم، وأعلنت في هذا المجال الدعوة إلى جبهة المستضعفين في الأرض كقوّةٍ جديدة في حربها مع الإستعمار، في هذا الإتجاه أو ذاك.

وذلك من جهة وجود أكثر من قاعدةٍ سياسيّةٍ مرحليةٍ، بينها وبين هذه الدول أو المنظمات، في بعض حاجاتها الذاتية، أو حركتها في ساحة الصراع الإقليمي أو الدولي.

وربما امتدت تجربة الإنفتاح إلى تعقيد علاقة الدولة الإسلامية ببعض الحركات

الإسلامية السياسية، انطلاقاً من طبيعة الأولوّيات في مواجهة القضايا الإسلامية المصيرية، على مستوى التحديات الخاصة للدولة، أو على صعيد التحديات العامة للأمة الإسلامية في قضايا المصير.

الانفتاح أثبت نجاحه وواجه العزلة

وما زالت سياسة الإنفتاح تتحرك على الأسس الفكرية الإسلامية في سياسة الدولة الخارجية في علاقتها مع الآخرين من خلال العمق الحركي للإستراتيجية الإسلامية في تأكيد الوجود الإسلامي في الواقع السياسي الإقليمي والدولي في العالم، في مواجهة عملية العزلة التي يحاول الفريق الإستكباري أن يحاصر بها التيار الإسلامي المتمثل بالدولة الإسلامية الوليدة، وبالحركة الإسلامية الجديدة في الساحة الإسلامية.

ولم يحصل من هذا الإنفتاح في صعيد حركة الثورة وحركة الدولة، أيّ وضع سلبي ضاغطٍ، فيما يمكن أن يؤدي إلى السقوط الفكري والروحي والسياسي، لأن حركة القوة التي تحمي الثورة، لم تواجه الموقف بطريقة الخوف أو الإنبهار ولم تحركه بطريقة الإنفعال، بل عملت على إدارة كل مفردات القوة بعقلانية وانفتاحٍ وتركيز.

وقد أثبتت سياسة الإنفتاح في كلا المجالين نجاحها السياسي، في وصول الثورة إلى واقع الدولة وفي ثبات الدولة أمام الحصار الشامل الذي تفرضه قوى الإستكبار العالمي حولها، وما زالتَ التجربة تصنع النظرية في حركة الواقع، في أكثر من أسلوب، وفي أكثر من موقع.

وأخيراً: إن الذين يتحدثون عن الإنغلاق كخيار وحيد في حركة الثورة أو في تجربة الحركة، لا ينطلقون من قاعدة فكرية أو سياسية واقعية بل ينطلقون من تجربتهم الذاتية التي يحكمها الخوف من الواقع الآخر، والهروب من مواجهة الموقف بوسائل متطورةٍ في مجابهة التحديات، بالخطة الإيجابية التي تأخذ وتعطي، بدلاً من الخطة السلبية التي تجد في الإنغلاق راحةً تصنع للحركة دائرتها في الصراع على قياس الخطة، التي لا يريد لها الخائفون أن تثقل أوضاعهم ومواقعهم، لتدفعها إلى المسؤوليات الكبيرة على مستوى الأمة، في صعيد المستقبل.

الحركة الاسلامية بين السرية والعلنية ـ أ ـ

* بين قائل بأن :

*السرية تفقد الثقة بالحركة
وتهدد بخرقها فكريا وأمنيا .

*والعلنية تحمل خط
الطموحات الشخصية والعقليات المتخلفة .

*قوة القاعدة الاسلامية
هي التي تحدد أسلوب العمل .

ـ شبهات مطروحة

قد يطرح البعض مسألة السرية والعلنية كعنوانين للجدل الدائر حول الطابع العملي للحركة الاسلامية، فيما هي الشرعية من جهة، وفيماهي النتيجة الواقعية من جهة اخرى، وفيما هو الانسجام مع العمق الديني المتمثل في طبيعة الحركة من جهة ثالثة: وذلك من خلال بعض علامات الاستفهام التي تخطر في البال وتثير الجدل، على أساس ما قد يثيره الغموض من مشاكل، وما قد يثيره الوضوح من قضايا في عدة نقاط:

١ـ فقدان الثقة

ان السرية تدفع إلى فقدان الثقة بالفكرة، وبالخط وبالحركة، لأنها تجعلها تتحرك في جو غريب من الغموض الذي يحيط بها، مما تفقد معه الفكرة ملامحها في دائرة الوعي، ويهتز الخط أمام احتمالات الخوف من المجهول، وتستسلم الحركة للمشاعر القلقة، والأفكار الحائرة.. لأن العاملين لا يملكون الأساس الذي يوحي بالثقة، لا سيما في الدائرة التي لا يعرفون فيها الاشخاص الذين يقودون المسيرة، او يحركون المواقف.

٢ـ عزل الحركة

إن طبيعة العمل السرّي تفرض وجود الدوائر الصغيرة الضيقة التي يتحرك فيها العاملون في نطاق الخلايا المحدودة مما يجعل من الحركة حالة معزولة عن الدائرة الواسعة في حياة الأمة، فلا تسمح لها أوضاعها بالنفاذ إلى الساحات الكبيرة، والمجتمعات المنفتحة، فيؤدي ذلك إلى عدم التأثير على الأجواء العامة، بل يقتصر تأثيرها على الأشخاص المعنيين الذين تكسبهم الحركة، وتتحرك في نطاقهم المحدود.. وعلى ضوء ذلك، فان مفاهيمها لن تدخل في وعي الأمة بشكل عام، ولن تتحرك بشكل فاعل في عقليتها الواسعة واوضاعها المتنوعة، بل تبقى افكاراً تتفاعل في الشخصية الانسانية بهدوء.. وتتحرك في خطواتها العملية بهدوء بعيداً عن حركة الثورة في خط التغير الكبير.

٣ـ فقدان التفاعل مع القيادة

ان العمل السري يفقد التفاعل الحي بين القيـادة وبين القـاعـدة، لأن النـاس لا تتحرك مع شخصية البطل القائد الذي يتحرك فكره في حياتهم، ليكون الفكر الـذي يشعرون بقيمته ومصداقيته من خلال الشعور بقيمة الشخص القائد ومصـداقيتـه في مواقع ايمانهم، ، وتنطلق حركته أمام عيونهم. . لتكون خطواته التي تتحـرك أمـامهم موضع ملاحظة دقيقـة ومـلاحقـة دائمـة، لتتحـرك خطـواتهم معـه في مـواقع الثقـة والوضوح . . فيما يعرفون من طبيعة خط السير، وشخصية القيادة.

وقد نلاحظ، في هذا المجال، أن العنصر العـاطفي الـذي يكمن في عمق الحالـة الشعورية بين القائد والقاعدة الشعبية، يؤثر تأثيراً كبيراً على طبيعة العـلاقـة الحركيـة المتصلة بالعلاقة الروحية، فيما يمثله ذلك من الأجواء الحميمة والمشاعر المحببـة التي تؤكد الوحدة الشعورية المتفاعلة مع الكلمة والحركة، بـالايحاءات الـذاتيـة النـابضـة بالاحساس.

وقد لا يتحقق ذلك إلا من خلال المعرفة الشخصية التي تتأثـر بـالصـورة والنظـر وحركة الخطاب السياسي والفكري في ملامح الشخص وحركته، في المعـانـاة اليـوميـة والعلاقات المباشرة.

٤ـ فراغ المسؤولية

إن الخط التاريخي المتصل بالخط العقيدي، فيما هي النبوة أو الامامـة او الخلافـة، يفرض على الساحة أن يكون القائد معلوماً لدى الأمة سواء أكـان نبيـاً أو إمـامـاً، أو خليفة . .

وقد نستفيد ذلك من الحديث المشهور «من مات ولم يعرف امام زمانه مـات ميتـة جاهلية» مما يعني أن معـرفـة الامـام التي هي الشرط في الارتبـاط بـه والعمل بأوامـره ونواهيه، تمثل الخط الفاصل بين موقع الجاهلية لشخص وبين موقع الاسلام . .

ولهذا لم تكن هناك اية فترة زمنية في التاريخ الاسـلامي، لم يعـرف فيهـا المسلمـون إمامهم أو خليفتهم الذي يلتزمون «شرعيته» ويتحركون معه . فقد كـانـوا يبـادرون إلى الفحص عن الامام أو الخليفة فور وفاة سلفه، من دون ان تكون هناك حالـة فـراغ في

مركز المسؤولية في وعي الأمة، ولا يسمحون ببقاء المسألة سرية في التزامهم العقيدي أو العملي، مما يوحي بأن السرية ليست هي الاسلوب الاسلامي، في حركة المواقع السياسية في الأمة.

٥ـ الاختراقات الفكرية والأمنية

إن السرية قد تفسح المجال للكثير من الاختراقات الفكرية المشبوهة، عندما يدخل بعض الاشخاص المنحرفين في الحركة السرية من خلال الأوضاع الملائمة، التي يملكون حرية النفاذ من خلالها إلى داخل الحركة، بفعل الخطوط التنظيمية والعلاقات الشخصية، فيتخذون لأنفسهم مواقع متقدمة، تتيح لهم السيطرة على الخط الفكري، والموقف السياسي، لحساب تيارات فكرية أو سياسية منحرفة، من دون ان تملك الأمة الرقابة على طريقتهم في إدخال أفكارهم إلى الحركة، أو في إدارة حركتها في الحياة العامة.

كما أن السرية قد تفسح المجال لبعض الاختراقات الأمنية، التي تنفذ منها أجهزة المخابرات إلى الداخل، بعيداً عن الفرص الواسعة التي تكفل للامة الحماية من ذلك.

هذه هي بعض النقاط التي قد يثيرها الرافضون للعمل السري في الحركة الاسلامية وهناك نقاط مماثلة، قد يثيرها الرافضون للخط العلني في التحرك السياسي الاسلامي.

١ـ العلنية والعبث القاتل

«إن العلنية» قد تتحرك في الظروف الطبيعية التي تمر بها الأمة، في غياب أية ضغوط عامة أو خاصة، من قبل القوى المضادة التي تملك السلطة، أو تملك مواقع القوة في داخل الساحة، وقد تتحرك في الظروف الصعبة القلقة التي تطبق فيها القوى الكافرة والضالة على الأمة، فتمنعها من الحرية الفكرية أو السياسية، بالمستوى الذي لا تملك فيه تقديم الطروحات الاسلامية في حركة الواقع الثقافي أو السياسي، مما يجعل من الاعلان عن اية حركة اسلامية فرصة للقوى المضادة ان تدمرها وتسحقها

منذ البداية، من دون أن تملك هي الفرصة للدفاع عن نفسها وعن مواقعها.

ولعل من الطبيعي ان لا تكون الطريقة العلنية حالة واقعية، أو عقلانية في الظروف السلبية، لأن نتائجها الطبيعية سقوط الحركة في بدايتها، تحت تأثير الضغوط القاسية، التي لا تستطيع أن تتحملها في مرحلة النمو البدائية، بل قد تكون لوناً من ألوان العبث، أو نوعاً من أنواع اعطاء الآخرين الفرصة في السيطرة على الناس في ظروف سياسية ملائمة لهم من دون فائدة، بينما تكون السرية فرصة للحماية، ولتربية القوة بطريقة واقعية خالية من الضغوط الصعبة.. للالتفاف على القوى المضادة من مواقع اخرى، في عملية إرباك لمشاريعها، وتعقيد لأوضاعها، وتحريك لنقاط ضعفها، من أجل ايجاد حالة اهتزاز متنوع دائم في حركتها العامة في أكثر من موقع.

٢ـ التخريب الداخلي

ان الطريقة العلنية المفتوحة لا تتناسب مع الأوضاع الأمنية المعقدة، التي تتحرك فيها أجهزة الاستخبارات المحلية أو الاقليمية او الدولية، التابعة لبعض الدول او الأحزاب المناهضة للاسلام، في الخط الفكري أو السياسي، اوالمعادية للمسلمين في مواقعهم ومصالحهم السياسية والاقتصادية، وتطلعاتهم المستقبلية في الحياة. وذلك من خلال قدرتها على التعرف على خصائص المشاريع المطروحة والوسائل المتنوعة، والشعارات المعلنة، والعلاقات المختلفة التي تتحرك في الهواء الطلق أو في داخل الغرف المفتوحة والنوافذ والأبواب، مما يسهل على هذه الأجهزة امكانات التخريب او الإرباك، او النفاذ إلى الداخل في عملية احتواء وتحريك.

ويمكنها ـ في نفس الوقت ـ من اثارة المشاكل حولها، وفي داخلها، من خلال ما يبرز عندها، من نقاط الضعف المتنوعة، التي تتحكم في العلاقات العامة والخاصة، بينما تتكفل طريقة العمل السري، بإغلاق كثير من المنافذ التي تطل على ساحة العمل الاسلامي لحمايته من كل السلبيات الأمنية من أكثر من جانب.

٣ـ الطموحات الشخصية

ان الطريقة العلنية في العمل الاسلامي قد تفسح المجال لبعض الناس الذين

يملكون خصائص ذاتية في دائرة التأثير الشعبي، بالمستوى الذي يستطيعون فيه ان يحصلوا على المواقع المميزة بالوصول إلى مراكز القيادة، بعيداً عن الضوابط الاسلامية في خط العقيدة والتقوى، وذلك فيما يتميزون به من أساليب الاثارة والانفعال، في الكلمة والحركة والعلاقة بالآخرين . . مما يجعل الخط العملي مشدوداً إليهم، ومربوطاً بخطوطهم، وخاضعاً لطموحاتهم، التي قد تكون طموحات شخصية، لا اسلامية، بينما تعمل الطريقة السرية على تربية القيادات على أساس الخط الرسالي، وتحريكها في هذا الاتجاه، والمحاولة الدائمة للضغط عليها، لابعادها عن خط الانحراف، في دائرة الضوابط الاخلاقية والحركية، التي تعمل على إدخال القيادة في داخل الظل، إذا حاولت الأضواء التي تتسلط عليه ان تبهر روحه، وتجذب عقله بعيدا عن الخط المستقيم.

٤ ـ العقليات المتخلفة

ان الطريقة العلنية، قد تجعل الساحة خاضعة للمؤثرات العامة، التي تجتذب الجماهير، في الدائرة المذهبية أو الطائفية، التي تؤكد ثوابتها الانفعالية، تحت تأثير الضغوط العاطفية المجنونة، المعادية لكل طرح فكري، يناقش مفاهيمها الخاطئة، وخطوطها المنحرفة، وأساليبها المتخلفة، فيما عاشته من مراحل التخلف الفكري والروحي، والسقوط السياسي، بحيث لا يملك المصلحون ان يناقشوها او يتحدثوا عنها بطريقة سلبية أو يرفضوها، لأن العامة تثور عليهم، انطلاقاً من انفعالاتها وعقلياتها المتخلفة، او تأثراً ببعض القوى التي تريد استغلال مواقع الرفض لهذه الأمور، للحملة على هؤلاء المصلحين وعلى ما يطرحونه من أفكار اصلاحية . . فتبقى هذه الأمور في الدائرة البعيدة عن مواقع التغيير، مما يمكنها من الاستمرار في تأثيرها على عقلية الأمة في مدى الزمن . . بينما تملك طريقة العمل السري ان تأخذ حريتها في المناقشة العملية، التي تدير الحوار حولها، لتهذبها اذا كانت تحتاج إلى تهذيب، ولترفضها إذا كانت في مواقع الرفض، أو لتثبتها إذا كانت في مواقع الاثبات، لأن السرية تكفل للفكر الهدوء، وللحوار العمق والشمول، وللمفكر التركيز من جهة، والحماية من جهة أخرى.

٥ـ الرياح المتقلبة

ان الطريقة العلنية، قد تؤثر سلباً على مسألة تعميق الالتزام بالانتماء الاسلامي، لأن طبيعة التربية العامة للناس، لا تسمح لهم بالأخذ بالقضايا بطريقة فكريةعميقة، واسلوب مركز، بل تهيء لهم الأخذ بها بطريقة سطحية خفيفة، على أساس الأجواء المتحركة بين خط الانفعال وخط الفكر، والاساليب التي تعالج الأمور بطريقة عامة، لا مجال فيها للتدقيق، وللتركيز على جوانبها الخفية وجذورها العميقة مما يؤدي إلى سرعة الابتعاد عن الخط والانتقال إلى خط آخر. . تبعا للأجواء المتحركة التي قد تنتقل فيها الرياح من أفق إلى آخر. . أو بشكل وبآخر.

هذه هي بعض النقاط السلبية التي يثيرها الرافضون هنا، والرافضون هناك، فأين موقع الحقيقة من هذين. . ؟

هذا ما نحاول ان نراه في هذا الحديث.

العمل في الظروف الضاغطة

قد يكون من الضروري أن نؤكد على نقطة مهمة جداً وهي أن الحديث لا يدور حول المبدأ في المطلق، فليس هناك فريق يعالج المسألة في نطاق العمل السري، كأساس للعمل في جميع الظروف، وليس هناك فريق يعالجها في النطاق العلني على ذلك الأساس، بل الحديث يدور حول العمل السياسي الاسلامي في الدائرة التنظيمية، التي تعتمد على السرية في بعض الظروف الضاغطة، على صعيد مواقع الحكم الظالم أو الكافر، في نطاق البلاد الاسلامية، فيثبت البعض شرعيته وينفيها الآخر، من خلال النقاط السابقة، مع التزام هذا بشرعيته السرية في بعض مواقع التفاصيل، والتزام ذلك بشرعيته العلنية في بعض المواقع.

وربما نحتاج إلى أن نثير سؤالاً حاسماً في المسألة، ليكون الجواب النهائي هو الذي يحدد النتائج حول الموضوع.

كيف يفعل العاملون، إذا كانت هناك ظروف صعبة تحيط بالعمل وبهم، من كل الجهات، أو كان هناك حكم ظالم، يترصد مواقعهم، ويلاحق خطواتهم، في كل

المجالات العامة . . بحيث يعمل ـ بكل وسائله ـ لتدميرهم وتصفية كل مواقعهم؟

هل يواجهونه بصراحة، في مواقع الضوء التي تسلطـه على كل شخص منهم، أو كل مكان من أمكنتهم، أو كل خطة من خططهم، وكل مشروع من مشاريعهم، أو يعملون في مواقع الظل أو الظلمة، للاختفـاء هنـا والإختبـاء هنـاك، والتستر خلف بعض الأمور التي لا حقيقة لها، أو إخفاء بعض الحقائق، وإبعادها عن الضوء؟

ثم نضيف إلى هـذا السـؤال سـؤالاً آخـر، وهـو. . . مـا هـو الهدف من العمل الإسلامي؟ هل هو التأكيد على شجـاعـة الموقف الإسـلامي وصـلابتـه في مـواجهـة التحديات، بقطع النظر عن النتائج الإيجابية أو السلبية في الوصول إلى الهدف، أو في الوصـول إلى الهدف الأسـاس، وتحقيق الغـايـات المرحليـة أو الأسـاسيـة في المسألـة الإسلامية؟

وكيف نواجه القضية؟ هل نتحرك في دوائر الحكم الشرعي؟ أو في دوائر الانفعـال السياسي العام؟

المعطيات الفكرية الشرعية للسرية والعلنية

بين السرية والعلنية: قوة القاعدة الاسلامية هي الأساس

قد يكون الجواب الحاسم في هذا المجال، هو اختيار السرية في مثل هذه الظـروف في مواقع الانطلاق، وتحريك بعض مواقع الساحـة نحـو العلنيـة من خـلال ذلك، وملاحقة بعض الفرص الواقعية التي تطل على مواقع الضوء، من أجل تحقيق النتائج الايجابية لمصلحة الاسلام في دعوته وحركته، عندما تفـرض المرحلـة مـواجهـة الـواقع بالتصدي لتحدياته في ساحات الشهادة، بحيث يكون جانب التضحية أكثـر فـائدة من جانب السـلام، فيما يمكن أن يحققـه من القـوة للقـاعـدة الاسـلاميـة في العمق والشمول.

أمّا كيف نستخلص ذلك من المعطيات الفكرية الشرعيـة الاسـلاميـة، فهـذا مـا نحاول أن نثيره في عدة نقاط:

١ ـ السرية «تحريك البطولة لا البطل»

ان حركة الرسالة في الدعوة والموقف، لا تريد تقديم الانسان البطل في نطاق التجربة الانسانية، على أساس تقديم النموذج الانساني في معرض النماذج الانسانية، بل تريد تحريك البطولة في الذات، من أجل قضية الرسالة، وتوجيه الحياة إلى أهدافها، وتربية الانسان، على أن يتحرك في هذا الاتجاه، من أجل ان تكون بطولته في خدمة رسالته.

واذا كانت القضية كذلك، فإن من البديهي أن ندرس مصلحة الرسالة في الموقف، لا مصلحة القيمة البطولية في الذات، وذلك من خلال ما يعمق تأثيرها في حركة الواقع، ويحفظ وجودها في الحياة على مستوى الحاضر والمستقبل.

٢ ـ السرية «تقية شرعية»

ان «السرية» من حيث المبدأ، تملك الشرعية من حيث الرخصة في إخفاء الايمان، فيما تحدث به القرآن عن مؤمن آل فرعون الذي «يكتم ايمانه»، أو النطق بكلمة الكفر في حالة الاكراه، كما في قصة عمار بن ياسر، الذي أنزل الله فيه آية، عندما نطق بكلمة الكفر تحت تأثير التعذيب الشديد في قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ ١٦/ ١٠٦، أو في اتخاذ الكافرين أولياء من حيث الظاهر والشكل، تحت تأثير الضغوط القاسية التي قد تؤدي إلى إزهاق الروح أو الحرج الشديد، أو الضرر الكبير وذلك قوله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ ٣/ ٢٨.

مما يوحي بان اخفاء الايمان واظهار الكفر، واعلان الموالاة ـ في بعض الحالات ـ للكافرين جائزٌ شرعاً في الظروف الضاغطة الصعبة التي توحي بالخطر. الأمر الذي يلتقي بالرخصة في السرية في الايمان، وفي الموقع السياسي للفرد والمجتمع وقد نلتقي بالاحاديث الكثيرة المتواترة عن ائمة اهل البيت (ع)، في وجوب التقية في بعض الموارد، وشرعيتها على سبيل الرخصة في اخرى. وهذه نماذج منها: «التقية في كل ضرورة»، و «التقية في كل شيء يضطر إليه ابن ادم فقد احله الله له»، و «التقية في

كل ضرورة وصاحبها اعلم بها حين تنزل به»، و «لا دين لمن لا تقية لـه». أمّا حـدود التقية، ومواردها التفصيليـة وعـلاقتهـا بـالاسلـوب السري في العمل السيـاسي، او بالمرونة العملية، فقد يحتاج إلى بحث طويل قد نعالجه بشكل مستقل ان شاء الله.

٣ـ التقية بين المؤيد والمعارض: إتفاق في المبدأ واختلاف في التفاصيل

ان الجانب التطبيقي للخط الشرعي العـام، قـد تختلف فيـه الاجتهـادات تبعـاً لاختلاف النظرة إلى مدى الأهمية في الأهداف المرحلية، او النهائية الأساسية، فيما هي المصلحة الاسلامية، ومقارنتها بالحدود الشرعية في دائرة النتائج السلبية، في مواجهـة الخطر الذي يؤدي بالانسان إلى الهلاك، او يعرّض الحركة الاسلامية للخطر في النطاق المرحلي. فقد يـذهب بعض المجتهـدين، إلى ان السعي إلى اقـامـة حكم اسـلامي، فرض واجب على المسلمين، باعتباره الأساس لقـوة الاسـلام في سـاحـة الصراع بينـه وبين تيارات الكفر، ولاسقـاط الظلم على صعيـد الحكم والممارسـة العـامـة، ولأنـه السبيل الوحيد لتطبيق حكم الله على الناس في الحيـاة.. بل هـو الهدف الأخير لكل الصراع الذي دخل فيـه. وفي ضـوء ذلك، فـان الـوسـائل التي تتحـرك بها القيـادة الاسلامية المرجعية في مواجهة الحكم الظالم، وفي التحضير لاقامة حكم اسلامي على أنقاضه، لا تتوقف امام احتمال الخطر، او ضخامة التضحيات، او شـدة الضغـوط القاسية على صعيد واقع الفرد والمجتمع. وقد يضيف أصحـاب الـرأي إلى ذلك، أن الحروب التي خاضها المسلمون في عهد النبي محمـد (ص) وفيما بعـده، لم تكن أكثـر أهميـة من الحروب التي يثيرهـا المسلمـونْ المجـاهـدون ضـد الحكم الفـاسـد المرتبط بالاستعمار الظالم الكافر، من أجل إفساح المجال للاسلام ليأخذ دوره في تقرير المصير الاسلامي للأمة.

قد يرى بعض المجتهدين، أن السعي إلى حكم الاسلام على صعيد السلطـة ليس من الواجبات المطلقـة، التي يجب القيـام بها بشكل مطلق، بل هـو من الـواجبـات المشروطة بالقدرات المحددة بحدود شرعية، لا تصطـدم ببعض المحـرمـات الخاصـة والعامة، كإلقاء النفس في التهلكة، وقتل الآخرين، الذين يعارضـون هـذا الهدف، من الحكام المسلمين أو من أتباعهم.. وهذا فقـد يتـوقف هـؤلاء الـذين يـرون هـذا الرأي، أمامْ كثير من المشـاكل التي قـد تحدث للعمل الاسـلامي السيـاسي ممـا تثيره

الاجهزة من أمور، وما تهدد به من أخطار، في دائرة الاسلوب العلني في الحركة، الأمر الذي يجعل للسرية الهادئة المتوازنة دورها الكبير في حماية العمل، الذي لا يتحرك نحو الأهداف بشكل سريع، بل ينتظر الظروف الملائمة التي يصنع كثيراً من مقدماتها، ويهيء بعض مواقعها وأوضاعها، وفي ضوء ذلك قد يختلف العاملون في النظرة الواقعية للعمل السياسي في الخط الاسلامي، بين رأي لا يرى للتقية دوراً في حركة العاملين، لأن الظروف التي تتحرك في الواقع، لا تسمح بالاختفاء خلف بعض الممارسات والوسائل التي تتمثل في المناطق الخلفية... بل لا بد من التحدي الذي يصدم الواقع هنا، والواقع هناك، مهما كلف ذلك من تضحيات ومشاكل، لأن هذا هو السبيل إلى أن يكون للاسلام موقع متقدم في مجالات التحدي، وأن يكون له دور كبير في عملية التغيير، وبين رأي يرى في التقية خطاً عاماً في العمل الحركي، فيما تمثله المرونة الواقعية التي تدرس الأمور باتزان، وتعالجها باعتدال، وتعمل على أساس تفادي الأخطار المحدقة بالشخص أو بالعمل أو بالساحة، لتستمر الحياة في حركتها الطبيعية، وليتركز العمل، ولتتوازن الساحة.. ولهذا فلا بد من الابتعاد عن اسلوب الصدمات، لأن الحصول على النتائج المثيرة، لا يعني النجاح، إذا لم يقدر لها أن تلتقي بالضمانات الضرورية للاستمرار والبقاء.. ويرى هؤلاء في سلوك الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أساساً لشرعية هذا الاتجاه.

ولكن اختلاف النظرة إلى الخط الحركي في الواقع، لا يمنع من الالتقاء حول شرعية النهج السري في العمل الاسلامي، في المبدأ والتفاصيل، إذا لم يكن هناك ظروف ملائمة في النهج العلني، فيما قد يواجه الموقف من الاخطار التي قد تتجاوز الحدود الطبيعية للخطر الذي تفرضه المسألة العامة للتحرك.. مما يعني أن هناك اتفاقاً في المبدأ، واختلافاً في التفاصيل.

ويبقى للحديث عن النقاط السلبية التي أثارها هذا الفريق ضد ذاك او ذاك الفريق ضد هذا، مجال آخر في الصفحات التالية.

الحركة الاسلامية بين السرية والعلنية ـ ب ـ

*لا سرية مطلقة

بل سرية منفتحة على الواقع .

*السرية والعلنية

تتحددان في اطار المرحلة الاستراتيجية .

كيف نعالج السلبيات التي أثارها الحديث في الحلقة السابقة حول السرية في العمل السياسي الاسلامي؟

١ـ السرية: غموض الأجهزة لا الحركة

هل يوحي الغموض الذي تثيره السرية في النفس، وفي أجواء العمل، بفقدان الثقة، بالفكرة، وبالخط والحركة؟

الجواب: إنّنا لا نجد هناك علاقة دائمة بين الأمرين، لأن مسألة الثقة ليست من المسائل المحدودة بوسائل معينة، بل هي خاضعة لأكثر من وسيلة، تتصل بالواقع في حركة الأشياء، فقد نلاحظ في هذا الاتجاه، أن معرفة الأشخاص الذين يقودون الحركة، ليست هي الأساس الوحيد للثقة، فقد يكون البديل عن ذلك، مراقبة الحركة في مواقفها وطروحاتها المتحركة في الساحة، وفي مواقعها السياسية في الدائرة التي تحكمها حركة الحرية، أو في الدائرة التي تحكمها حركة الاستعباد، وفي طبيعة الاضطهاد الذي تواجهه من قوى الشر والظلام.. لأن السرية لا تعني غموض الحركة في مسيرتها وخطوطها العامة، بل تعني غموض الأجهزة التي تحركها وتتحرك في داخلها..

وفي ضوء ذلك، لا نجد أي موقع للحديث عن اهتزاز الخط أمام احتمالات الخوف من المجهول، على اعتبار أن العاملين لا يملكون الأساس الذي يوحي بالثقة، لا سيما مع عدم معرفة الأسخاص الذين يقودون المسيرة.. لأن المسألة لا تتحرك في أجواء المجهول، بل في أجواء الواقع المتحرك من خلال الأحداث التي تواجهها، والاعتقالات التي تقوم بها السلطة في أوساطها.. كما أن الرموز البارزة في بعض الساحات، يمكن أن تعطي للعاملين انطباعاً بالشخصيات القيادية التي يمثلها هؤلاء.

أما الفكرة، فإن ملامحها تظل متحركة في أكثر من موقع للوضوح على أساس المفردات المطروحة في الأدوار السرية المطلة على أكثر من صعيد، في ملامحها العامة المطروحة بشكل علني.. لأننا لا نتحدث عن سرية مطلقة، بل نتحدث عن سرية متحركة منفتحة على الواقع، كما هو المضمون الحي للعمل السياسي السري في العمل

الاسلامي .

وقد تكون دراسة التجربة الواقعية للثقة بالحركة الاسلامية في كثير من مواقعها في العالم الاسلامي ، فيما تملكه على صعيد الأمة من مواقع متقدمة ، دليلاً على صدق الفكرة التي نعالجها ، فإن مثل هذه الدراسة قد تلغي كثيراً من علامات الاستفهام التي يثيرها البعض في الفكر التجريدي .

٢ ـ السرية: انطلاق من الخلايا إلى الأمة

هل يمثل العمل السري في دوائره الصغيرة التي يفرضها ويحددها نظام الخلايا الضيقة ، حالة معزولة عن الأمة ، فلا تمتد إلى الساحات الكبيرة ، بل تظل محصورة في أشخاص معينين ، فلا تدخل في وعي الأمة بشكل فاعل . . ولا يؤدي ، بالنتيجة ، إلى التأثير في حركة التغيير؟

والجواب . . إن الدوائر الصغيرة لن تبقى معزولة عن الدائرة الكبيرة ، وهي الأمة في امتدادها الانساني الواسع ، بل إنها تتوسع في نطاق هذه الدائرة لتكون ساحاتها المحدودة مدخلاً للساحة العامة ، تماماً ، كما هي الدعوة عندما تتحرك مع الواحد والاثنين والثلاثة ، لتصل بعد ذلك إلى وضع جماهيري كبير، يفسح لها المجال للوصول إلى الأسلوب العلني الصارخ . .

وإذا كانت أفكارها لا تمتد بفعل الأشخاص المحدودين الذين ينتمون إليها ، فانها تستطيع النفاذ إلى الساحة العامة في أكثر من موقع ، وأكثر من اسلوب ، بحيث تندفع الجماهير إلى أهدافها ، من خلال اتصالها بالشخصيات المنفتحة على الساحة ، كما أنها تملك أكثر من نافذة تطل على الأوضاع الاسلامية العامة لتطلق فكرها في آفاقه ، مما يفسح المجال للنفاذ إلى عقلية الجماهير.

ولعل التجربة التي عاشتها الحركات السياسية غير الاسلامية في العمل السري ، فيما وصلت إليه من نتائج إيجابية كبيرة ، على مستوى انتصار الثورة في الساحات الجماهيرية ، أبلغ دليل على عدم دقة الأطروحة السلبية التي يثيرها السؤال المطروح . .

وقد لا نحتاج إلى التأكيد ، على أن المسألة لا تختلف بين الحركة الاسلامية وغير الاسلامية ، لأننا نتحدث عن الأسلوب ، ولا نتحدث عن المضمون .

٣ ـ السرية: ربط المسلمين بالفكرة لا بالشخص

هل يكون الغموض الذي يفرضه العمل السري على شخصية القائد، سبباً في فقدان التفاعل بين القيادة والقاعدة، مما تفقد معه الحركة الجو الحميم الذي يشيع في أجوائها، ليؤكد الوحدة الشعورية المتفاعلة مع الحركة والكلمة، بالإيحاءات الذاتية النابضة بالاحساس، لأن الفكر الذي لا يتحوّل إلى معاناة روحية حقيقية في شخصية القائد، ليتحرك في وعي الجماهير، كصورة مشرقة للفكرة، نابضة بالروحية والحياة، لا يمكن أن يفرض نفسه على الواقع.

إن شخصية البطل هي القوة التي تجتذب الجماهير للفكرة، وتدفعهم إلى الحركة وتقودهم إلى الثورة، مما يجعلها في العمق من مسألة التغيير، ويفرض حضورها في الذهنية العامة، وفي الشعور العام.. مما يجعل من تجهيله أمراً سلبياً في خط التحرك الكبير للأمة؟

والجواب: إن التأثير العميق لشخصية البطل في حركة الأمة، من الأمور الواضحة التي لا ينكرها أحد، ولذا رأينا الاسلام يربط الناس بالرسول (ص) وبالامام (ع) وبالفقيه، أو الخليفة ـ حسب اختلاف الرأي الاسلامي في مسألة الحاكم ـ ولكن ذلك لا يعني أن المسألة تتوقف على ذلك بحيث لا مجال لأية عملية تغييرية بعيداً عن ذلك، من ناحية واقعية، بل قد نستوحي من الآية الكريمة: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ بعض ملامح الفكرة التي ألمحنا إليها، فإنها توحي بأن غياب القيادة التي هي في مستوى النبي محمد (ص)، لا يعني الابتعاد عن الاستمرار مع الفكرة وتحريكها في الواقع، بقطع النظر عن الشخص الذي يأتي بعده.

إن الاسلام يريد أن يربط المسلمين بالفكرة الاسلامية بشكل جذري، ليكون الارتباط بالشخص من خلال الارتباط بالفكرة، فيما يمثله من علاقة بها من رسالة أو إمامة أو ولاية ونحو ذلك.. مما يعني أن الرسالة هي الأساس في المسألة.. حتى لو كان الايمان بالشخص جزءاً من الجانب الفكري للرسالة، كالرسول والامام.

وعلى ضوء ذلك، فإن من الممكن ارتباط الأمة بالعمل الاسلامي السري، الذي

يتحرك من موقع الرموز البارزة في صلب العقيدة الاسلامية، باعتبارها القيادة الشرعية، فيما تخطط له من أساليب العمل ومضامينه، ليكون منطلقاً من شرعية الفكرة والأسلوب، مع ملاحظة ارتكازه على الأسس الشرعية الفقهية للقيادة السرية الحاضرة.

أما مسألة التفاعل العاطفي بين القيادة والقاعدة، فقد تصيب العمل ببعض الجفاف الشعوري الحميم، ولكن يمكن إيجاد أجواء حميمة بديلة، في ربط القاعدة بالقيادات الروحية التاريخية على مستوى الرسول (ص) والأئمة (ع)، أو الصحابة (رض)، اوالانفتاح على بعض القيادات الفقهية التي تقف في خط المرجعية، فيما تلتقي به مع خط العمل السياسي الاسلامي، أو في التأكيد على بعض الجوانب العاطفية المأساوية في العمل السياسي، مما يجعل الارتباط بالحركة عاطفياً، بالاضافة إلى الارتباط الفكري، ولعل التجربة التي تعيشها كثير من شعوب العالم في ارتباط العمل السياسي بالمؤسسة لا بالشخص، تدل على إمكانية نجاح العمل السياسي الاسلامي الذي يربط الأمة بالفكرة، بقطع النظر عن الشخص.. مع ملاحظة مهمة، وهي أن المسألة تحتاج إلى مزيد من التربية الاسلامية في البلاد الشرقية، التي لا تزال شخصية البطل فيها طاغية على شخصية الفكرة، مما يحول المشاريع إلى مشاريع أشخاص لا إلى مشاريع مؤسسات.

وقد نلاحظ في هذا المجال، أن الأئمة من أهل البيت (ع)، كانوا يعملون في بعض المراحل بطريقة سرية لا تجد فيها اسم الامام واضحاً لدى الكثيرين إلا بشكل خاص، تبعاً لما تقتضيه المصلحة العامة.

ولعل مسألة غيبة الامام الثاني عشر (ع)، التي يعتقدها الشيعة الامامية، تطل ببعض الشيء عن المعنى غير السلبي للمسألة، إذ لا فرق بين الجهل بالقائد بالاسم، وبين معرفته بالاسم مع عدم حضوره كلياً، مع وجود رموز تتحرك من خلال تمثيله بشكل عام.

٤ ـ الاختراق الأمني والفكري: أمر مشترك بين العمل السري والعلني

وأخيراً، هل يعتبر العمل السري فرصة للاختراقات الفكرية المشبوهة، من خلال الأشخاص الذين ينفذون إلى الحركة السرية من خلال التدرج التنظيمي، أو للاختراقات الأمنية المخابراتية، من خلال غياب الامكانات المضادة القادرة على اكتشافها بطريقة حاسمة؟

والجواب: إن الاختراقات الفكرية والأمنية أمر مشترك بين العمل السري والعلني، بل ربما يكون العمل العلني أكثر تعرضاً لذلك من خلال غياب الاجهزة الدقيقة القادرة على الضبط، لا سيما إذا كان هذا العمل بعيداً عن الصيغة التنظيمية، التي تمارس نوعاً من الرقابة على الفكر والحركة والأشخاص. ولا نزال نشاهد الكثيرين، من الذين ينتمون إلى التفكير المنحرف أو المضاد، في الدائرة الاسلامية، ويملكون في الوقت نفسه موقعاً ثقافياً أو اجتماعياً متقدماً، فيستغلون ذلك للنفاذ إلى فكر الجماهير، للسيطرة عليه في عملية انحراف وتضليل، من دون أن يستطيع الاخرون الوقوف ضدهم إلا بجهد كبير. كما أن الاختراق الأمني يمارس حريته الواسعة في الدخول إلى الأمة من الباب الواسع.

إننا لا ننكر إمكانية سيطرة بعض الأجهزة المضادة، على بعض المواقع القيادية في العمل الاسلامي السري، كنتيجة لاستغلال بعض الأوضاع التنظيمية، ولكننا نعتقد، أن المسألة لا تنشأ من سرية العمل، بل تنشأ من العوامل الذاتية، والعناصر المعقدة في الساحة العامة.

السرية والمرحلة الصعبة

وخلاصة الفكرة، إن كثيراً من هذه السلبيات، تنطلق من النظرة إلى المسألة بطريقة تجريدية مطلقة، لا بطريقة واقعية خاضعة للظروف المحيطة بالمسألة، التي قد تختلف من تجربة إلى أخرى، ومن بلد إلى آخر، ومن قيادة الى قيادة ثانية، كما أن البعض، يتحدث عن العمل السري المطلق، الذي يمثل الطابع الدائم المستمر له، لا عن العمل المرحلي، الذي تفرضه ضرورات المرحلة الصعبة، التي تسيطر عليها

القوى الطاغية، التي لا تسمح لأحد أن يتحرك بعيداً عن سياستها، ولا تفسح المجال لأي نوع من الحرية السياسية الفاعلة التي تنمو فيها المواقف الثورية أو الاصلاحية، مما يفرض البحث عن ساحة سياسية بعيدة عن مواقع الضغط، سواء كان ذلك بالاختفاء خلف بعض المواقع الخفية، أو بالانتقال إلى مكان آخر كما جاء في قوله تعالى عن المستضعفين:

﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾، فقد نستفيد منها، ان الضغط في موقع يفرض على المستضعفين الاستسلام، يدفع الموقف إلى الانطلاق بعيداً عن هذا الموقع، إلى أرض أخرى، باعتبار أنها الوسيلة الموجودة الجاهزة لديهم، ولكن ذلك لا يمنع استعمال وسيلة أخرى تتفادى الخضوع للضغط في موقع آخر في الشوارع الخلفية للواقع.

دراسة الظروف والمرحلة

وربما كان الحديث عن النقاط السلبية في العمل السياسي العلني، بصوره المتعددة، يشبه الحديث عن العمل السري في انطلاقه من بعض التجارب أو بعض المواقع أو بعض الظروف.. أو بعض الملاحظات التي تنظر إلى الأمور من زاوية واحدة، معينة.

ولذلك، فلا نجد هناك كبير فائدة في الوقوف عندها في ساحة المناقشة، لأنها قد تكون حقيقية، ولكن بطريقة جزئية محدودة، بلحاظ بعض الأوضاع المعينة الخاصة، وينبغي أن نشير إلى حقيقة واقعية في أساليب العمل السري والعلني وهي، أن أية إيجابيات في أسلوب معين، تلتقي بسلبيات في نفس الموقع، لأننا لا نجد أي عمل يملك إيجابيات مطلقة، كما لا نجد أي عمل يملك سلبيات مطلقة، فلا بد من دراسة المسألة، فيما هو الأكثر إيجابية، أو الأكثر سلبية، كما لا بد من ملاحظة الموضوع في نطاق ظروفه العامة والخاصة، في النطاق المرحلي أو الاستراتيجي.

وربما كانت مسألة إثارة هذه الأمور في بعض الأوساط الاسلامية المتحركة في صعيد العمل السياسي، ناتجة عن بعض التعقيدات الخاصة في ساحة الصراع، أو عن

بعض الحساسيات الذاتية أو الفئوية، التي لا تعتمد الموضوعية في دراسة طبيعة العمل وأسلوبه، ولا تتوقف أمام الحقيقة الواقعية الممتدة في الزمن كله، بأن هناك ظروفاً صعبة تفرض العمل السري، لأن العمل العلني لا يملك أية فرصة حقيقية، حتى على مستوى المواجهة الانتحارية.. كما أن هناك ظروفاً تسمح بالعمل في مثل هذه الأجواء.. إلى جانب الظروف الطبيعية التي تحمل بعض الصعوبات المعقولة التي يمكن أن يعيشها الأسلوب العلني في العمل السياسي.

الحركة الاسلامية بين التطرّف والاعتدال ـ أ ـ

الطرح الشامل للاسلام
يفسره الآخرون تطرفا

ـ اللجوء الى القوة
والعمليات الإستشهادية يعتبره الغرب إرهابا .

ـ شعار «لا شرقيّة لا غربية»
غير واقعي بالنسبة للعالم .

ـ «الإعتدال» يعني التحرك
ضمن المعادلات الدولية والإقليمية المرسومة؟! .

ضجة قوية:

في الوسط الثقافي والإجتماعي والسياسي ضجة قوية حول الحركة الإسلامية في مضمونها الفكري وأسلوبها العملي وطروحاتها السياسية، فيما يثيره البعض من حديث عن التطرف الذي يطبع كل محتواها في مجرى الحياة العامة. . مما قد لا يتوافق مع خط الإعتدال المعروف عن الإسلام في انفتاحه وتسامحه ومرونته وواقعيته وقد يؤدي إلى ابتعاد الناس عنه وخسارته لجماهيره في نهاية المطاف.

فهل هو كذلك. . وكيف نفهم الحدود الفاصلة بين التطرف والإعتدال؟ هذا ما نحاول أن نثيره في هذا الحديث.

١ ـ التطرف مرونة وواقعية أم غلو وانحراف؟!

هل هو الخط الذي لا يتناسب مع الأوضاع المألوفة للناس فيما اعتادوه من قضايا حياتهم وأوضاعهم وأساليبهم العملية. . بما يفرضه عليهم من التزامات قاسيةٍ ومواقف حادّة، وقيود شديدة وشعارات متوترة، وعلاقات محدّدة تتحرك في دائرةٍ ضيقةٍ لا مجال فيها للمرونة والواقعية، اللتين ترتكزان على تقديم التنازلات العملية لمصلحة اللقاء على قاعدة مشتركة، توفر للجميع التواصل والتفاهم؟، أو أنه الخط الذي يلتقي بالتجاوز عن الحدود المرسومة للعقيدة والتشريع، في دائرة الغلوّ والإنحراف، بحيث يبتعد عن التوازن الطبيعي في النظر إلى الأشخاص أو الأحكام في عالمي النظرية والتطبيق؟

ربما نجد بعض الكلمات التي تتحدث عن المفهوم في الخط الأول كما نجد البعض الذي يتحدث عن الخط الثاني. . وما دامت المسألة نسبية في حركتها في الواقع فقد نجد من يختارهما معاً، على أساس أن كلاً منهما يقف في الطرف الأقصى للأشياء مما يجعل الجوّ متوتراً أمام حافة السقوط في الوادي السحيق من أخطار النتائج القاسية المترتبة عليه ويؤدي إلى أن يبقى الناس في حالةٍ صعبة من القلق والحيرة والتوتر الذي يثر الاعصاب ويبعد الساحة عن التوازن والهدوء. فكيف نواجه الموقف على الصعيد الواقعي للمسألة؟

شمولية الاسلام والآراء المختلفة حول التطرف!

قد يطرح البعض المشكلة في دائرة الطرح الشامل للإسلام كخط فكريّ وتشريعيّ يحمل في خطوطه ملامح الشمول للسياسة والإقتصاد والإجتماع والحرب والسلم، إلى جانب العبادة والأخلاق والجوانب الذاتية للفرد، وذلك في مواجهة التيارات الفكرية السياسية العامة التي تحاول احتواء الحياة كلها بمفاهيمها العامة والخاصة في دائرة اللون الواحد من الناس حيث يتحرك الطرح الإسلامي ليمتد في كل مواقع التحرك الإنساني، فلا يسمح لأي تيار أن يدخل إلى الساحة الإسلامية من موقع التسويات الثقافية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية، التي تعطي بعض المجالات للإسلام في دائرة معينة، ليتنازل للتيارات الأخرى في مجالات أخرى في دائرة أخرى من خلال حركة التطور التي قد لا تلتقي مع بعض المفاهيم الإسلامية في قضايا الحياة في تفصيلاتها المعقدة المتنوعة.. مما يفسح المجال للتعايش بينها وبين الإسلام ليبقى للإسلام دوره العبادي والأخلاقي، وتأخذ التيارات الأخرى الدور السياسي والإجتماعي والإقتصادي.

المغالاة في تفسير النصوص

وقد نجد البعض الذي يرى هذا الطرح للإسلام متطرفاً في المجال الفكري، ينطلق من الذهنية التي تحصر الإسلام في المجال الديني العبادي والتشريعي الفردي الذي يخاطب الإنسان في مفردات حياته الخاصة، بعيداً عن المفردات المتحركة في الحياة العامة، فيُنكر على الفكر الإسلامي أن يكون لديه مشروع كامل في الواجهة العملية، أو مشروع اقتصادي متكامل في إطار مذهب اقتصادي مميّز. ولذلك فإنه يرى في الطرح الشامل للإسلام نوعاً من المغالاة في تفسير النصوص وفهم القواعد التشريعية وتطرفاً حاداً في حركة الإسلام على صعيد الواقع.

٢ـ ابتعاد الواقع عن الطرح الاسلامي

وقد يطرح البعض المسألة في هذ الإتجاه على صعيد أخر، فهو لا ينكر على الإسلام شموليته لجميع جوانب الحياة في خطه الفكري والتشريعي ولكنه يجد ابتعاد الواقع عن

هذا الطرح، لأن انحسار الإسلام عن حركة الحياة السياسية والقانونية، وتطور الواقع في اتجاه الأفكار الأخرى، وسيطرة القوى المضادة للإسلام على المجرى الفكري والسياسي والإجتماعي والإقتصادي بطريقة شاملة ساحقة . .

إن هذه الأمور قد تجعل من طرح الإسلام بهذا الشمول، قضيةً خاسرةً على مستوى الواقع، كما تؤدي إلى خلق أكثر من مشكلةٍ في حياة الناس وتجلب الكثير من الأخطار إلى مصالحهم، وتمنع الإستقرار والهدوء عندهم، وتعقّد أوضاع الساحة بشكل غير معقول، وتفرض عليها الإهتزاز الدائم الذي قد يفسح المجال للأعداء الذين يتربصون الدوائر بالمسلمين، للسيطرة على مقدراتهم، والإستيلاء على مواقعهم، ثم لن تصل بالحركة الإسلامية إلى ما تريده من الهدف الأصيل في إقامة حكم الإسلام على الأرض وتحويله إلى نظام شامل للحياة لأن للقوى والمعادلات الدولية مرتكزات وأسس فكرية معينة قد توحي بالقوة.

حواجز ومواجهة

وقد يضيف هذا البعض إلى ذلك ملاحظة أخرى، وهي أن التعقيدات الثقافية الغربية التي فرضت نفسها على الذهنية العامة لدى المسلمين قد أعطت مفهوماً سلبياً عن الدولة الدينية والإتجاه الديني في المسألة السياسية وأفسحت المجال للمفهوم الحديث القائل بالفصل بين الدين والدولة وابتعاده عن السياسة، وبالتضاد بين نتائج العلم ونتائج الدين في حسابات الفكر والبحث . . الأمر الذي خلق عقدة متأصلة ضد حركة الدين في اتجاه تفاصيل الحياة والواقع، ورفضاً ذاتياً للمسألة الدينية على الصعيد السياسي، مما يؤدي إلى وجود حواجز كبيرة ضد الطرح الشامل للإسلام، لأنه يحتاج إلى نزع الجيل المعاصر أولاً، ثم المواجهة بين القوة الدينية الوليدة من جهة وبين القوى العلمانية المسيطرة على الواقع من جهة أخرى . . ولن يكون الربح للإسلام في نهاية المطاف لأنه سيبقى في دائرةٍ محاصرةٍ ضاغطة بين حصار الذهنية المعقدة ضد الدين وبين حصار القوة المهيمنة ضده.

٣ـ الاسلام في الدائرة الثقافية

وعلى ضوء هذا يمكن وضع هذا الطرح في دائرة التطرف لأنه بعيد عن الواقع وقريب إلى المثالية والخيالية، مما يفرض على الإسلاميين إبقاء الإسلام في الدائرة الثقافية ليبقى حياً في هذا الجانب من الشخصية الإنسانية. وتحريكه في الدائرة العبادية الأخلاقية، ليعطي للواقع شيئاً من روحية الإسلام وأخلاقيته، وتبقى الحياة في أجواء الروح وفي آفاق الله، تماماً كما هي المسيحية التي استطاعت أن تعقد صلحاً بينها وبين الواقع العلماني فتركت ما لله لله وما لقيصر لقيصر، وأبقت النشاط الديني في مواقع الإيمان وفي مراكز الثقافة، وأعطت الحق للآخرين لكي يدبروا الحياة بطريقتهم الخاصة بعيداً عن الدين، ولم تتدخل في شؤونهم إلا من بعيد.

ـ دائرة تنوع الأديان

وقد يطرح البعض المسألة في اتجاه آخر. ولكن في مواقع معيَّنة في البلدان التي يتنوع فيها الناس في أديانهم، أو تتنوع فيها الطوائف في نطاق الدين الواحد فيبحث الناس فيها عن مواقع اللقاء التي يلتقي فيها الجميع على قاعدةٍ واحدةٍ للتعايش كما هو الحال في المجتمعات الإسلامية التي تحتوي مذاهب متعددة في الدائرة الإسلامية وطوائف متنوعة في الدائرة النصرانية.. مما يجعل هناك عقدة لأي فريق تجاه طروحات الفريق الآخر في خصوصياته الفكرية والتشريعية والسياسية، لا سيما إذا لاحظنا حساسية المشاعر الدينية في ساحة الصراع، وتعقيد المواقع السياسية في هذه الدائرة.

٤ـ المشروع الإسلامي وإلغاء الآخرين

فقد ينطلق الاسلاميون ليطرحوا الاسلام كمشروع سياسي شامل يتطلع إلى الحكم الاسلامي الملتزم على مستوى فكرة الخلافة، أو فكرة الامامة الممتدة في خط ولاية الفقيه، أو فكرة الشورى التي قد تتقاطع مع الفكرتين في بعض المراحل ويعملون على الدعوة إلى أن يكون التشريع الاسلامي، هو القانون الذي يتحرك في داخل النظام كصيغة الهية مقدسةٍ لا مجال للنقاش فيها، وإلى أن تكون المواقع القيادية الكبرى للمسلمين ـ وحدهم ـ دون غيرهم، مما يجعل وجود غير المسلمين وجوداً هامشياً،

ويؤدي بالتالي إلى التمايز في المواطنية وإلى تعدد المواطنين ـ على أساس الفواصل الدينية التي يؤكدها النظام ـ في داخل الوطن الواحد، ويقود الى نوع من أنواع التعددية التي تمنع من الاندماج، وتفتح أكثر من ثغرة للخلافات التي تهدد الكيان كله، وتسيء إلى الإستقرار العام.

إن هذا الطرح يمثل التطرف في أقصى حدوده، لأنه لا ينطلق من مواقع التوازن في مسألة الحكم الذي لا يمكن أن يعيش إلا في نطاق توافق الإرادات الشعبية على صيغة معينة.. ففي المجتمع الموحد الإنتماء، يمكن الحديث عن فكر واحدٍ في خصوصياته ودوائره المحددة ذات اللون الواحد، وفي المجتمع المتعدد الانتماء لا بد من التحدث عن فكر توافقي تتوازن فيه الطروحات في القواسم المشتركة التي يلتقي عليها الجميع ويتوازن فيها الاعتراف بالخصوصيات في ضمن حصص متساوية أو متقاربة في عملية التوزيع، ليخلص الجميع له عندما يرى كل واحد فيها الملامح العامة من صورته ويرى صورة الآخر في مرآة واحدة إلى جانب صورته.

خلافات دموية أو تقسيم للحصص

وقد يستدعي هذا الطرح المتطرف طرحاً آخر من الجانب الآخر، الذي يجد في تأكيد المسلمين على خصوصيتهم التي لا يتنازلون عن شيء منها من القمة إلى القاعدة، فرصةً في الدعوة إلى ذاتيته وخصوصيته في صيغة تختزن كل مفاهيم الحكم المميز والتشريع الخاص لديه.. وتبدأ مسألة التجاذب فيما هو الطرح من هنا.. والطرح المضاد من هناك، وتكون النتيجة أن يعيش البلد في خلافات دموية خطيرة لا تقف عند حد لأنها لا تملك قاعدة مشتركة يلتقي عليها الجميع..

وفي ضوء هذا تبتعد المسألة ـ في هذا الطرح ـ عن الواقعية على صعيد حركة التطبيق ـ وبذلك تفرض على الإسلاميين أن يقارنوا بين الواقع الذي لا يحصلون منه على شيء أو يخسرون فيه أكثر مما يربحون، وبين الواقع الذي يحصلون منه على بعض التوازن في حقوقهم، أو في مصالحهم البشرية، أو في بعض مواقعهم الشرعية مما تكفله سياسة التوزيع الطائفي في عملية تقسيم الحصص، أو تفرضه الصيغة الموحدة التي تتجاوز كل خصوصيات الساحة، لتجعل القضية في دائرة الجميع.

وقد يكون من العقل أو من الحكمـة، أن يختـاروا الحل الثـاني، الـذي يفسح لهم المجال للاستقرار والطمأنينة والهدوء والحصـول على حصـة الشريك، بـدلاً من واقع اللاحصة واللاإستقرار.

وقد يطرح البعض المسألة في الوسائل التي يحركها الإسلاميون نحو الأهـداف فقـد تميزت الحركة الإسلامية المعاصرة، فيما يطلق عليها الغربيون اسم «الحركة الأصـوليـة» باللجوء إلى العنف في وسائلها السياسية. . فهي تعتمد الطريقة العسكرية في مواجهة خصومها، وفي الوصول إلى المواقع المتقدمة في الطريق إلى أهـدافهـا بحيث تتحـول في بعض الحالات إلى حركة إرهابية تتميز بـالقسـوة والـوحشيـة والشراسـة، وتعمل على القيام بالعمليات التي يسقط فيها الأبرياء، كـالخطف والتفجير والإغتيـال، وتحويل أتباعها إلى قنابل بشريةٍ متفجرةٍ في مواقع أهدافها البشريـة وغير البشريـة في أسلـوب «العمليات الإنتحارية» كما يعبر عنها البعض، أو «العمليات الإستشهادية» كما يعبر عنها أصحابها. .

وبذلك تتحول الحركة الإسلامية في هذا الجوّ العنيف الارهابي، إلى عنصر ضـاغط على الواقع بالطريقة التي لا تسمح بـالتقـاط الأنفـاس، أو بإدارة اللعبـة السيـاسيـة بشكل متـوازن، وتُحول الموقف إلى إرهـاب فكـريّ، يخنق حـريـة النـاس في اختيـار قرارهم، ويحاصر المسألة الثقافية في دائرة الحريـة، ويبقى لها وحـدهـا ـ الهيمنـة على الساحة من موقع الإقتناع. إن الحركة الإسلامية تدخل الواقع بأسلـوب الصـدمـات الكهربائيـة التي لا تترك مجالاً للتـوازن في الموقف، والهدوء في الملاحظـة، بل تظل في مواقع الإهتزاز العنيف، مما يجعلها تفقد عنصر العقلانيـة والموضـوعيـة والـواقعيـة في موقع الإنسان في حركة الحياة، وتبقى مجرد حـالـةٍ طـارئةٍ سريعـةٍ في قبضـة الظـروف الطارئة، التي لن تتعمق التجربة في داخلهـا، بل تمر بها مـروراً سريعـاً قـد يضيع في غمـرة التطـورات والمتغيرات، لأنها تضغط على الجسـد فتقهـر مقـاومتـه في لحظـات ضعفه، ولا تملك احتواء الفكر في مواقع قـوّتـه، لأنـه يـرفض الضغط بقـدر إيمانـه بالحرية. . وانفتاحه على احترام إنسانية الإنسان في عقلنة القرار.

إن هذا الإتجاه يمثل التطرف بأعلى مراحله لأنه لن يترك فرصةً للآخـرين ليختـاروا اللقاء به أو الإفتراق عنه لأنه يحشرهم في الزاوية عند ما يحاصرهم فيها، فـلا يملكـون

إلا أن يخضعوا له، لا أن يختاروه.. ولذلك فإنه لا يستطيع الإنفتاح على الواقع، بل سيواصل ـ بطريقته المعقدة ـ تجميع الخصوم ضده، وتعقيد الموقف حوله.. وقد يؤدي به هذا الأسلوب القائم على العنف والتدمير والإرهاب إلى الإنحراف عن مبادئه، والوقوع في مخالفة القواعد الشرعية الإنسانية، التي لا تلتقي ببعض أساليبه العملية، ولن تكون الساحة له في نهاية المطاف، لأن انسانية الإنسان قد تخضع للعنف بعض الشيء، ولكنها لا ترتاح له، ولا تتعاطف معه.. ولذلك فإنها سوف تثور عليه لتدفعه بعيداً عن المواقع المتقدمة للحياة.

وفي ضوء ذلك قد يكون من المصلحة للحركة الإسلامية أن تنبذ العنف كأسلوب وحيدٍ في العمل، وتتحرك في أسلوب الرفق على الطريقة الواقعية، التي يعتمدها الناس في الوصول إلى الأهداف، فإن ذلك قد يؤخر لحظة الوصول، ولكنه يضمن سلامتها في نهاية المطاف.

٥ـ واقعية الطرح وحدته في المعادلات السياسية

وقد يطرح البعض مسألة التطرف في نطاق الطروحات السياسية المتحركة، في شعارات الحركة الإسلامية، بعيداً عن الحديث عن الحّل الشامل في نطاق النظام الإسلامي، أو الدولة الإسلامية أو ما إلى ذلك.. بل في طبيعة المواقف الحاسمة ضد الواقع السياسي في المواقع الإقليمية، أو في المواقع الدولية..

فقد أصبح من المعروف أن هناك شيئاً مطروحاً في الساحة السياسية يطلق عليه اسم المعادلات الثابتة في اللعبة الإقليمية أو الدولية، التي يلتقي الجميع على حمايتها ورعايتها والحفاظ عليها لأنها تمثل قاعدة التوازن في المصالح الدولية، بحيث يجدون في اهتزازها نوعاً من اهتزاز الإستقرار الدولي الشامل الذي يجعلهم يواجهون خطر الهلاك المحقق.

وقد نجد في حركة القوة المتنوعة المتنامية، نوعاً من الثبات والتوازن، فيما هي مراكز القوى في العالم، وفيما هي طبيعة القوة الكبرى الضاغطة على موازين القوى في أكثر من موقع، مما يفرض الخضوع لها والعمل على إدارة الحسابات المتحركة من خلالها، لأن مجابهتها ومواجهتها بالقوى المتواضعة التي يملكها المعارضون لها، يشبه مجابهة

الصخرة الكبيرة الصلبة التي تكسر كل الرؤوس التي تناطحها دون أن تتفتت منها ذرة واحدة، لأن مسألة القوة والضعف في طبيعة الأشياء لا يخضع للطموحات الذاتية، بقدر ما يخضع للموازين الطبيعية في تقدير الأمور، في مصادرها ومواردها وعلاقاتها الطبيعية في صعيد الواقع.

وعلى ضوء هذا فإن الملحوظ أن الحركة الإسلامية لا تنطلق من النظرة الواقعة إلى الأمور، فيما هي المسألة السياسية أمام المعادلات الإقليمية والدولية وفيما هي القوة الأمنية والعسكرية أمام القوى الكبيرة الضاغطة على الواقع، بل تنطلق من طموحات خاصة تتحرك في المطلق، من دون خطة مدروسةٍ كاملة، وفيما هو الموقف المتوازن من المعسكرات الدولية.

فهناك الموقف الإقليمي الذي تتخذه الحركة الإسلامية من الوجود الإسرائيلي فيما تلتزمه من رفض المسألة الإسرائيلية بالمطلق، ودعوتها إلى عودة الفلسطينيين إلى فلسطين، وعودة اليهود الذين جاؤا من أقاصي الأرض إلى بلدانهم الأصلية، لتبقى فلسطين بلداً إسلامياً يحكمه المسلمون من خلال الإسلام.

فكيف يمكن أن يكون هذا الموقف واقعياً في الوقت الذي نجد فيه إسرائيل تملك القوة العسكرية التي تستطيع من خلالها السيطرة على أي بلد في المنطقة، والقوة الأمنية التي تتحرك مخابراتها لتتدخل في أكثر من موقع سياسي وأمني، لتحركه كما تشاء في خدمة مصالحها الأمنية والسياسية، والقوة السياسية التي تمتد جذورها إلى كل المحاور الدولية والإقليمية، وتستطيع من خلالها أن تدير لعبة الصراع في كثير من مفاصل الواقع الدولي، لا سيما فيما يتصل بالتحالف الإستراتيجي بينها وبين أمريكا، والتواصل السياسي مع أوروبا.. هذا مضافاً إلى القوة البشرية المتنامية في داخل اسرائيل، والمتحركة المنظمة في خارجها، هذا بالإضافة إلى المواقع المتقدمة للإمكانات الإقتصادية والعلمية في دول العالم. الأمر الذي يجعلها محاطةً بألف سورٍ وسورٍ من الحماية السياسية والعسكرية والأمنية والإقتصادية، والعلمية، مما لا يملك الإسلاميون أية قدرةٍ كبيرةٍ وصغيرة في ذلك كله، بل يمكن أن نقول أنّ نقاط الضعف تحاصرهم في وجودهم الحركي من كل جهةٍ، فيما يحيط بهم من تحديات وفيما يواجههم من عقبات، وفيما يعترض وجودهم الداخلي من مشاكل.

وكيف يستطيعون تحقيق هذا الهدف الكبير الممكن وهو إزالة إسرائيل من الوجود،

وتحرير القدس؟

وقد نجد في المحور الدولي، أن الإسلاميين يقفون موقفاً عدوانياً من الولايات المتحدة الأميركية، والإتحاد السوفياتي، ودول أوروبا الغربية والشرقية وكل مواقع الإستكبار العالمي، تحت شعار الموت للظالمين.. وللمستكبرين.. ولأمريكا ولروسيا وما إلى ذلك.. مما يوحي بأن القوة الإسلامية الوليدة، تقف موقفاً حادّاً ضد قوى العالم كله، بطريقة عنيفةٍ متوترة، وبعقلية سياسيةٍ ترفض أنصاف الحلول، وتتعقد من كل طروحات التسويات.. ويرى بعض ممثليها، بأن إقامة العلاقات السياسية والدبلوماسية والإقتصادية معها، يمثل الإنحراف والخيانة والسقوط في فخ الإستكبار والمستكبرين.. ويبقى شعار «لا شرقية ولا غربية» الذي يرفض الشرق والغرب معاً، ويقاومهما معاً يمثل الذهنية السياسية الحادّة التي يتمثل فيها السلوك السياسي الإسلامي في صيغته الأصولية الحاضرة.

فكيف نواجه الضغوط الكبيرة التي يمكن أن تحاصر وجودنا كله من أكثر من جهةٍ، في مواقعها الإستراتيجية، وفي إمكاناتها العسكرية والأمنية والإقتصادية والعلمية..؟

وماذا نملك من ذلك كله؟ وهل نستطيع إدارة ثرواتنا الطبيعية وتسويقها في العالم، بعيداً عنها.؟ وهل نملك القدرة على الوصول إلى سياسة الإكتفاء الذاتي من دون مساعدتها؟.. وكيف نستطيع محاربة واحدةٍ منها من دون التحالف مع الأخرى؟..

هل يمكن أن يكون الموقف واقعياً؟.. وما هي الإمكانات الحقيقية التي تتيح لنا تحقيق بعض أهدافنا المطروحة من خلال هذا التصور؟ وهل نستطيع إبعاد صفة التطرف واللاواقعية عن مثل هذا التفكير؟ وهل يمكن أن تكون بعض الإنتصارات ضد هذا المعسكر في بعض المواقع أو ضد ذاك المعسكر في بعض آخر أساساً للحديث عن العمق الواقعي لهذا التصور، في الوقت الذي نجد فيه مثل هذه الإنتصارات جزءَ من اللعبة الدولية التي تفسح المجال لذلك التحرك، فيما تحركه من مفردات الصراع في ساحة التجاذب الدولي.

وهكذا يمتد الموقف اللاواقعي في السلوك السياسي الحاد في داخل الأنظمة

اللاإسلامية في بلاد المسلمين، في الوقت الذي تعمل فيه الأنظمة على محاصرة النشاط الإسلامي بكل وسائله القمعية التي لا يملك الإسلاميون إمكانات المواجهة الحقيقية لها حتى في المواقع الصغيرة.

التحرك في دائرة المعادلات الدولية

ربما يجد «الواقعيون» و «المعتدلون» ضرورة لإعادة النظر في مثل هذه النظرة، وفي مثل هذا السلوك، بالتركيز على دراسة المسألة في نطاق التعامل مع الأمر الواقع في سياسة توافقيةٍ على أساس ترتيب الأوضاع بما قد يتلاءم مع بعض المصالح الإسلامية في ظل هذا الواقع، أو بالتحرك في دائرة المعادلات الدولية أو الإقليمية التي تتسع لبعض إمكانات التغيير في حركة الساحة للنفاذ إلى بعض المواقع الصعبة، في عملية مواجهةٍ وتغيير، وللحصول على إمكانات الدخول في مفردات الصراع في داخل المعادلة، بالإستفادة من بعض الفرص المتاحة للآخرين في إدارة اللعبة في مواجهة ذاك الفريق أو هذا في دائرة الخطوط المرسومة.

إن مثل هذا التصور المعتدل الواقعي لا يعطل الحركة، ولا يُسقط المبادىء ولكنه يمنحها بُعداً واقعياً في المجالات العملية المتناسبة مع سنن الله في الكون وفي الأوضاع الإجتماعية الخاضعة للقوانين الإنسانية في حركة الإنسان.

إن ذلك أفضل بكثير من السقوط تحت تأثير الأفكار الخيالية التي تصدم الإنسان عندما يواجه الواقع من دون نتائج إيجابية لمصلحة المستقبل.

هل هذه التصورات صحيحة؟

وهل يمثل الطرح الإسلامي، في مثل هذه المفردات حالة تطرف؟

وهل يُعتبر التطرف حالةً في الخيال، أو حالة في الواقع؟

وهل المقياس في التطرف والإعتدال، الظروف الحاضرة التي تحاصرها اللحظة في حسابات الزمن، أو الظروف المتغيرة في آفاق المستقبل وكيف نتصور الغيب في حركة الإسلام في الحياة وفي الإنسان..؟

وهل يمكن أن نحسب حسابه في بعض مواقع التحرك الإسلامي؟ هذه علامات الإستفهام التي نجيب عنها فيما نستقبل من حديث.

الحركة الاسلامية بين التطرف والاعتدال - ب -

*الاسلام يطرح مشروعه
الفكري والسياسي بالوسائل الحضارية

* مخابرات الدول الكبرى
تلجأ للارهاب والاسلاميون يفرض عليهم استعماله .

*الساحة للأقوى
والفكر يصارع الفكر والقوة .

*لا بد من هجمة مضادة
للحرب النفسية ضد القوى المستكبرة .

* التمييز بين المعتدلين والمتطرفين
لتحييد الشخصيات الإسلامية .

١ ـ شمولية الاسلام والتطرف

هل الحديث عن شمولية الاسلام للحياة في جميع مجالاتها العامة حديث تطرف؟

هذا ما نحاول الاجابة عليه بسؤال آخر وهو، من أين هذا التصور للاسلام، الذي يحدد له الدائرة الاخلاقية العبادية، ويفصله عن الدوائر الاخرى في الحياة ليكون التزام الشمولية في مضمونه تجاوزا عن الحد المعقول الذي يضعه في دائرة التطرف؟

لو درسنا الاسلام في امتداده الفقهي، لرأينا أنه يختزن في داخله العبادات والمعاملات والقوانين الجنائية والجزائية والعلاقات العامة مع غير المسلمين، الى غير ذلك، مما لا يترك في الواقع الانساني الفردي والاجتماعي دائرة الا واحتواها بحكم شرعي يحدد لها حركتها وحركة الانسان فيها، مما جعل المسلم يعيش تحت تأثير الاحساس الشامل بأن للاسلام حكما في كل واقعة من وقائع حياته الخاصة والعامة، بحيث يبادر تلقائيا الى السؤال عن تكليفه الشرعي في كل قضية من القضايا التي تعرض له في يومياته المتكررة على جميع المستويات، سواء في ذلك الانسان الذي يحمل الاسلام في وعيه من خلال النظرة التقليدية التي لا تحمل الشمول في فهم الواقع الحركي في قضية الاسلام في مواقع حركة الحكم في ساحة الصراع، او الانسان الذي يستوعب الاسلام في ذهنه في نظرة شاملة للحياة كلها.

لهذا نرى الانسان التقليدي، يسأل دائما عن شرعية علاقاته بالحكم القائم في بلده، وكيف يمكن له ان يوفق بين التزامه الاسلامي والتزامه القانوني، وكيف يكون موقفه من الحاكم غير المسلم او الحاكم المسلم الذي لا يلتزم بالاسلام في حركة حكمه، كما يسأل عن شرعية الانتخابات النيابية وعن طبيعة الموقف السياسي هنا، تماما كما يسأل عن أحكام الصلاة والصوم بعيدا عن كل الصراع القائم في وجود نظرية اسلامية خاصة للحكم في الاسلام او عدم وجود مثل هذه النظرية، لأن المسألة عنده، هي ان الاسلام يفرض عليه تحديد موقفه من الحكم والحاكم أيا كان ليحصل على براءة الذمة أمام الله في عمله.

واذا كان للاسلام هذا الشمول في احكامه في الفقه الاسلامي، فما الذي يجعل من التزام شخص ما، او جهة ما، بحاجة التشريع الشامل الى حكم ينظم له مواقعه وينفذ له خططه، ويحدد له اتجاهات الحركة في الواقع كحاجة طبيعية لأية شريعة، أو

أي قانون تطرفاً وذلك من خلال الفكرة القائلة بأن وجود القانـون الشـامل يختـزن في داخله فكرة الدولة التي تحمل في عنوانها نظرية الحكم التي لا بـد من استنبـاطهـا من طبيعة القانون اذا لم يكن فيها نص معين؟

الاجتهاد وخط الاعتدال

وقد نجد بعض الناس يناقش في دينية الفقه الاسلامي واسلاميته، على اساس انه فكر الفقهاء ورأي الرجال، وليس وحي الله وكلام الـرسـول، فـلا يمكن أن نحمله للاسلام كدين فيما يلتزم به الناس من الدين، لان المجتهـدين يخطئـون، والـوحي لا يخطىء وكلام الرسول في التبليغ لا يقترب من الخطأ. .

ولذلك فقد يكون من المعقول ان نتقبل الدين ونرفض الشريعـة، ليتحقق لنـا من ذلك خط الاعتدال، الذي يلتزم فيه الانسان بالحقيقة الالهية المعصومـة، ويتحفظ في الالتزام بالشريعة الاجتهادية المتحركة بين الخطأ والصواب.

وقد يضيف هؤلاء أن الاجتهـاد الفقهي، لم يكن دائما وليـد نصـوص يجتهـد فيهـا المجتهـدون، بل ربما كـان الاســاس في ذلك، بعض الافكـار والاراء الـذاتيـة، والاستحسانات والقياسات العقلية، التي تخضع لقاعدة اسلامية قطعيـة، ممـا يجعل من الاجتهاد قناعة شخصية لا رأيا اسلاميا. .

ولكننا نلاحظ على هذا الرأي، ان اسلامية الفقه ودينيته لا تعني قطعية النسبـة الى الاسلام بالطريقة التي تمثل حركة الحقيقة في الوجـدان الاسـلامي، بل ان معنى ذلك ان يكون المصدر في النتائج الفقهية الاجتهادية اسـلاميـا من خـلال النص الثـابت، السالم من الوضع والكذب، أو من خلال القاعدة الاسـلاميـة المستمـدة من النص، على ضوء القواعد العلمية في فهم النصوص في اللغة العربية، او القواعـد العقليـة في استنتاج الحكم الشرعي في الموارد التي يكون فيها للعقل طريق للمعرفة.

الحوار مع القائلين بالتطرف

ولم ينطلق المجتهدون في اجتهـاداتهم، حتى في مـوارد الاستحسـان والقيـاس من منطلقات ذاتية مجردة، بل انطلقوا من مواقع النصوص الشرعية. . وليست القضية في

عمل الناس في الخط الذي يرتبطون به، او ينتمون اليه هي قضية النتائج القطعية، بل القضية هي قضية النتائج الاجتهادية المقنعة في اثبات الحقائق، بحيث تكون حجة في دائرة الصواب، وعذرا في دائرة الخطأ، ولو كانت المسألة تقتصر على القطع في وسائل الاثبات، وفي النتائج، لتجمدت حركة العلم فيما لم يكن للقطع اليه سبيل بما كان للاجتهاد فيه مجال . .

وعلى ضوء ذلك كله، فان الحديث عن التطرف في الحديث عن شمول الاسلام للحياة لا يستند الى اساس معقول وليس لنا مع هؤلاء الا ان ندعوهم الى الدخول في حوار علمي اسلامي في القضايا المثارة في هذا المجال

٢ ـ الواقعية وتطرف الفكر التغييري وانطلاقة المستقبل

واذا كان التطرف لا يلتقي مع الحديث عن شمولية الاسلام لقضايا الحياة، فلا بد لنا ان نواجه المسألة التي تتحدث عن لا واقعية تحريك الاسلام في الساحة المعاصرة، التي ازدحمت فيها ا لمفاهيم الحديثة البعيدة عن الاسلام على مستوى العقيدة والشريعة والمنهج والحياة. . هذا بالاضافة الى الذهنية الرافضة لدخول الدين الى واقع الحياة، من خلال فكرة الفصل بين الدين الدولة، او بين الدين والقانون فيما هو الفكر العلماني، او المادي، مما يجعل من الطرح الاسلامي حالة غريبة عن حركة الانسان في الحياة، ويحمل الكثير من التعقيدات للعاملين في هذا الاتجاه، ويعطل الحركة في الوصول الى الهدف، وينعكس سلبا على الالتزام الثقافي والروحي للاسلام، هذا هو التطرف الذي تبتعد فيه الحركة عن الواقع .

ولكن هل هذا كله يعني ابتعاد الطرح عن الواقعية من حيث المبدأ في المطلق، او يعني الحاجة الى وسائل جديدة متحركة في اكثر من اتجاه، والى فترة زمنية طويلة، والى ظروف ثقافية وسياسية واجتماعية محددة، ليمكن للفكرة ان تجتاز العقبات التي تقف في وجهها، وتحل المشاكل المعقدة التي تحيط بها، وتغير الذهنيات المادية الى ذهنيات روحية، ولتحتوي الفكر العلماني بالفكر الاسلامي، ولتحرك الامة في وجدانها السياسي نحو الاسلام في مشروعه السياسي الممتد في حياة الانسان العامة؟

ان مثل هذا التفكير يحمل في داخله معنى السقوط لأية فكرة تغييرية، والاحباط

لنشاط أي مصلح في سبيل التغيير، لأن الواقع لن يكون في مصلحة الفكرة، ولن يكون في اختيار المصلح، فلا بد من التخطيط والتحرك والصبر والمعاناة وتحديد المراحل وانتظار الزمن، الذي يصنعه العاملون في دوائرهم الحركية، وتنسجم معه الظروف والاوضاع في خصوصياتها الواقعية. فاذا كانت العقبات تحيط بالهدف في حدود الحاضر، فان كثيرا من الحواجز والحدود قد تسقط أمام انطلاقات المستقبل. وهكذا تحتاج الاهداف الى خطوات المستقبليين الذين يرصدون آفاق المستقبل في مطالع الشروق، لا الى خطوات العاجزين الذين يراوحون أقدامهم في زوايا الحاضر.

الواقعية في الوسائل لا الطروحات

واذا كان الاسلام قد انتصر على كل الذهنيات المتخلفة والمعقدة، وعلى كل الافكار المضادة في الماضي حتى ساد، وتحدى كل قوى الكفر والشرك والاستكبار، حتى اصبح قوة عالمية من مواقع المعاناة والآلام والتضحيات في حركة التحدي من جهة، ومواجهة التحدي من جهة أخرى، من دون ان تكون حركته بعيدة عن الواقع، لان واقعية الحركة ليست في انسجامها مع الطروحات المتحركة في الساحة، بل في الوسائل العملية والمراحل المتعددة والظروف الموضوعية التي تتكامل بأجمعها من أجل الوصول الى الهدف الذي يحمل في داخله عوامل التغيير.

ان القوة تصادم القوة وقد تصرعها اذا استكملت عناصر المواجهة، وان الفكر يصارع الفكر وقد يتغلب عليه عندما يملك الوسائل الفكرية التي تسقط كل اطروحاته وتهزم قواعده، وان الذهنيات المضادة قد تغيرها ذهنيات اخرى على مستوى العوامل التي تملك مواقع التغيير في دائرة العقل والشعور.

ان الساحة للأقوى وللأشد صبراً وثباتاً وتحملاً للآلام. فأين التطرف من هذا كله؟

واذا كنا نتحدث عن التجربة في ميزان الواقعية والتطرف، فان نجاح الثورة الاسلامية في ايران، يعطي الأمثولة الحية على ما يحمله الاسلام من امكانات التغيير في حركة الواقع على صعيد حركة الجهاد الاسلامي، ثم هناك ناحية اخرى مهمة على هذا الصعيد، وهي ان الواقع الاسلامي يحمل في داخله العناصر الحية لانطلاقة الحركة

الاسلامية في حياة المسلمين، لانهم يعيشون افكار هذا الدين ومفاهيمه، ويتحركون في عباداته وتقاليده، ويلتزمون بأحكامه وشرائعه، ويتنفسون الهوا الطلق في ماضيه وحاضره، مما يجعل من دعوتهم إلى العودة إلى مواقع الحكم في ساحته وإلى احياء معالمه وفتوحاته، دعوة لا تبتعد عما يعيشونه من اجواء، وما يفكرون فيه من مفاهيم، وما يتطلعون إليه من أهداف.

ان الاسلام هو الحالة الشعورية التي يتحسس الناس بنبضاتها في قلوبهم وعواطفهم، وهو الحالة الفكرية الضبابية التي يتحرك فيها فكر الناس من ناحية اجمالية عامة، وهو العمق الداخلي للشخصية الاسلامية الانسانية الراقدة في رواسبهم وخلفياتهم التاريخية. ولذلك فان امكانات الاثارة السياسية والفكرية في دائرته تختلف عن اية دائرة اخرى فيما يختلف الناس فيه من مواقع الفكر والسياسة. فأين الحديث عن التطرف في ذلك كله؟

٣ - تنوع الاديان والتطرف: الاسلام يدعو للحوار بعقل بارد وقلب مفتوح

واذا كان لنا ان نناقش التطرف في طرح الاسلام كحل شامل في البلاد التي يغلب على طابعها البشري اللون الاسلامي الواحد، فكيف نواجه المسألة في البلاد التي تتنوع فيها الأديان في طوائفها المختلفة ومواهبها المتعددة، مما لا يفسح المجال لأي طرح اسلامي شامل في البلد كله، لأنهم لا يمكن ان يتفقوا معه او يلتقوا عليه؟

ولكن هل تطرح المشكلة بهذه الطريقة؟ وهل يكون التنوع مانعاً من طرح الفكرة المخالفة؟ وهل ان مهمة الفكرة ان تتناسب مع الميول العامة للناس، فلا تصدم اي جانب من جوانب قناعاتهم؟ وهل نستطيع ان نقدم فكرةً في العمق من قضايا الحياة من دون ان تصطدم ببعض التناقضات؟

والجواب، ان الاسلام عندما يطرح نفسه في الساحة المتعددة الآراء، فانه يريد ان ينقل الإنتماء من موقع العصبية الى موقع الفكر، ويحرك الدين من زاوية العشائرية الطائفية التي لا تختزن الا الحقد والتخلف، إلى أفق الحالة الفكرية التي تثير التفكير، وتطرح المشروع، وتدعو إلى الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي

أحسن ويحرك المشروع السياسي من خلال النظرة الاسلامية لتحل مشكلة المسلمين وغيرهم في نطاق حركة الحياة من حولهم، لتحل مشكلة التعددية الغارقة في ضباب الجهل بالفكر الواحد الذي يدعو الجميع إلى الاقتناع به من خلال العلم الباحث عن الحقيقة.

واذا كان الطرح الاسلامي في تقديمه للمشروع الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي المتكامل، يثير الحساسيات الطائفية لدى غير المسلمين، فان الخطة الموضوعة لدى الاسلاميين ان يتعاملوا مع هذه الحساسيات باسلوب هادىء، يتعامل معها على أساس العقل البارد والقلب المفتوح والصبر على السلبيات، ليحل العقل محل العاطفة، ولتنطلق المسألة من مواقع اللقاء ولتصل الى مواقع الافتراق، من خلال الروح المنفتحة على الحق وعلى عقل الآخرين.

النصرانية لا تحمل منهجاً سياسياً

واذا كانت المشكلة هي مشكلة الدين الآخر كالنصرانية مثلاً، فان القضية هي انها لا تمثل مشروعاً مضاداً للمشروع الاسلامي التشريعي والسياسي، لان النصرانية او المسيحية في وعي اتباعها ومفكريها لا تحمل في داخلها خط الشريعة ولا نهج السياسة، بل هي فعل ايمان. فليست هناك ساحة صراع بينها وبين الاسلام في هذا المجال، بل كل ما هناك تفاصيل فكرية في مسائل اللاهوت، وفي مسائل الاخلاق وطريقة العبادة، مما يكفل الاسلام الحرية فيه في ساحته السياسية فيما وضعه من تنظيم الحياة على أساس التعايش مع أهل الكتاب هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان النصارى يجدون في حكم الاسلام بعض القيود التي قد يرون فيها امتهاناً لانسانيتهم، وحدّاً لطموحاتهم في الوصول الى مواقع الحكم الأولى في أي حكم آخر غير الاسلام، لأن الاسلام لا يسمح للذين لا يؤمنون به أن يكونوا في مواقع القيادة التي تصنع القرار.

بين العصبية والعقلانية

ولكن هذه النقطة قد تحتاج إلى التعمق في المناقشة، وذلك بالدخول في المقارنة بين

الإسلام عندما يحكم وبين الفكر المادي العلماني الملتزم بخط معين عندما يتسلم الحكم، فإن هذا الفكر لا يمنح الناس الذين لا يلتزمونه من موقع الانتماء أن ينطلقوا إلى مراكز القيادة وما دونها، بينما يمكن للإسلام أن يمنحهم بعض المواقع المتقدمة في الدرجة الثانية، مع الإحتفاظ بإنسانيتهم، لأن ذلك لا يعني إمتهاناً لإنسانيتهم، بل يمثل الإحتفاظ بسلامة حركة الفكرة في خط القيادة، وهذا أمر يلتقي به الاسلام مع كل الأفكار الأخرى كالماركسية ونحوها من الأفكار التي لا تلتقي بالدين من قريب أو من بعيد.

واذا كان النصراني مستعداً للخروج من نصرانيته إلى الماركسية من خلال قناعته بأفكارها فيما يفرض عليه ذلك حتى الخروج من النصرانية أساساً، فان خروجه إلى الاسلام قد يكون اكثر سهولة من ذلك، لأن الإسلام لا يخرج النصراني من كثير من تعاليمه وأجوائه. . .

ان المسألة هي مسألة النظرة إلى الاسلام من موقع العصبية إلى موقع العقلانية، واعتبار ساحته ساحة صراع للفكر القائم على العقل ليقتنع به الآخرون فينتموا إليه أو لا يقتنعوا به ليفهموه ويتعرفوا مواقع اللقاء ومواقع الخلاف، وليكون الحكم للأقوى على الساحة فيمن يملك الإنتماء الأكثر والحصول على تأييد في حياة الأمة أكثر.

ان من حق الاسلام ان يطرح نفسه كبديل لكل الطروحات الأخرى بالوسائل الحضارية، من فكرية وسياسية، تماماً كما يجد الآخرون من حقهم أن يطرحوا فكرهم بطريقتهم الخاصة. واذا كان البعض يجد فرقاً بين ما هو الدين الذي يوحي بالفروق مع الآخرين، وبين ما هو الفكر العلماني الذي يمثل قاسماً مشتركاً بين كل الفئات الوطنية في البلاد، فاننا نجد مثل هذا الحديث ينطلق من اعتبار العلمانية فكراً يلتقي الانتماء عليه من خلال انه الحل الشامل للساحة. ولكننا لا نوافق على ذلك، بل نرى العلمانية ضداً للاسلام فيما هو الفكر وفيما هو المنهج، او فيما هي الشريعة، وفيما هي النظرة العامة للانسان والحياة، مما يجعل منه فكراً مضاداً لا فكراً موحداً. ولذا فان الاسلام يطرح مشروعه الفكري والسياسي بالوسائل الحضارية من فكرية وسياسية، في مواجهة اي فكر آخر واحداً او متعدداً، من دون ان يجد في ذلك اية بادرة تطرف في الشكل والمضمون، ويرى ان حريته في الساحة هي جزء من حرية الآخرين.

٤ـ التطرف الاسلامي يدعو الى الرفق لا العنف

أما الحديث عن العنف، كوجه من وجوه الحركة الاسلامية فيما تعتمده من اسلوب الصدمات القوية في تعاملها مع الاشخاص والاحداث، ومن العمليات الارهابية في مواجهة الصراع الامني والسياسي، فهو حديث غير دقيق. لأن الاسلاميين لا يرون أن العنف هو الاسلوب الوحيد للصراع، بل يرون ـ بدلا عن ذلك ـ ان الرفق هو الاصل في مواجهة المشاكل في اتجاه الحل، ويروون الحديث الشريف:

«ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لايعطي على العنف»

ويعتبرون الاسلوب العملي الناجح في العمل السياسي هو الاسلوب الذي يحول الاعداء الى اصدقاء، وذلك من خلال الاية الشريفة ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم﴾ ٤١/ ٣٤ ـ ٣٥ . ولكنهم يرون ان العنف اسلوب طبيعي تفرضه طبيعة الحياةفي صراعاتها وتحدياتها، التي تلقي عليك بثقلها بالمستوى الذي قد يلغي وجودك او يسقط قضيتك او يصادر حريتك، من دون ان يفسح لك المجال في التماسك لتفكر، او التوازن لتناقش او لتحاور، فلا يبقى امامك الا ان تقوم بعملية وقائية لتربك وضعه، ولتهز مواقعه، وتسقط خططه، او عملية دفاعية تحفظ بها موقعك وموقفك، وتملك بها قرارك. وهذا أمر لا يختص بالاسلاميين، بل يؤمن به كل الناس الذين يملكون بعض مواقع القوة في الحياة.

اما العمليات الارهابية، كالتفجير وخطف الاشخاص والطائرات، فليست من الوسائل المتبناة للحركة الاسلامية في طريقة عملها السياسي، ولكنها من الوسائل التي قد تعتمدها بعض المنظمات الاسلامية الامنية، وتشجعها بعض المحاور السياسية وتتعاطف معها او مع بعضها، بعض التنظيمات او الشخصيات الاسلامية مع التحفظ على بعض التفاصيل هنا او هناك، وذلك في نطاق ظروف سياسية ضاغطة، قد تبرر للقائمين على هذه الامور او للاجهزة التي تحركها مثل هذه الامور، انطلاقا من القضايا العامة التي قد تسقط تحت ضغط الدول المستكبرة او القوى الغاشمة المسيطرة، اذا لم تشعر هذه الدول او القوى بالضغط المضاد على امنها ومصالحها السياسية والاقتصادية. وبذلك كانت هذه الامور خاضعة للظروف القاسية الصعبة التي تعيشها بعض المواقع او الدول او المحاور السياسية الاسلامية في

مواجهة الدول الكبرى او القوى العظمى . .

الارهاب دعاية عالمية ضد الاسلام

ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة اذا اكدنا ـ في حديثنا هذا ـ، على ان اكثر الدول في العالم لاسيما الدول الكبرى، تعتمد مثل هذه الوسائل بطريقة رسمية في بعض الحالات تحت شعارات امنية معينة، او بطريقة غير رسمية من خلال النشاطات الخفية التي تقوم بها اجهزة المخابرات التابعة لتلك الدول، ولذلك فان الجميع يعتبرون هذه المسائل من قبيل الاستثناء للقاعدة العامة في العمل السياسي والامني، نظرا للحاجة الملحة التي تفرضها المصلحة العليا لحماية الامور والمشاريع التي يراد حمايتها، لانها ترقى إلى المستوى الكبير من الاهمية التي يتضاءل امامها اي شي آخر.

ويضيف هؤلاء، ان الحروب تختزن الكثير من النتائج السلبية التي تترتب على هذه «الاعمال الارهابية»، مما يوحي بأن المبدأ معترف به مع الاختلاف في التفاصيل.

ولسنا هنا لندخل في تقييم شرعي حول هذه المسائل والاعمال فيما يمكن ان يكون عنصرا مبررا او مخففا، او يكون عنصرا متحفظا، انطلاقا من دراسة طبيعتها في خصائصها الذاتية المأساوية على مستوى الحالات الفردية الانسانية، او من دراسة عناصرها على مستوى الحالات العامة التي تحيط بها الظروف الحيوية فيما تمنحها من عناوين في دائرة «العناوين الاولية» التي تختزن الاحكام الاصلية، او دائرة «العناوين الثانوية» التي تختزن الاحكام الطارئة.

اننا لانريد الدخول في التقييم الشرعي للمسألة، ولكننا هنا لنؤكد العنصر الاستثنائي لها مما لا يختلف فيه الاسلاميون عن غيرهم في ساحة الصراع المتحرك تحت تأثير الضغوط الخفيفة والثقيلة، ومما تختلف فيه الانظار في اباحته وحرمته.

وبذلك نستطيع ان نتساءل عن موقع التطرف المميز، الذي يميز الحركة الاسلامية عن غيرها من الحركات في العالم، ليكون الجواب ان ذلك مجرد وسيلة من وسائل الدعاية المضادة التي لا تعتمد على اساس.

٥ـ المعادلات الدولية والتطرف

ونقف في نهاية المطاف امام الموقف الحاسم الذي تقفه الحركة الاسلامية من المعادلات الاقليمية والدولية، ليكون موقعها في الموقع المضاد والمواجه لكل الدول والمعسكرات والمحاور السياسية في العالم، مما يجعل التطرف صفة متواضعة في هذا الاتجاه، حتى لا نمنحها صفة الجنون واللاعقلية، ولكننا نلاحظ على الامورالتي اثيرت في هذه النقطة الخامسة الاخيرة وذلك من خلال بعض الملاحظات.

الملاحظة الاولى: الطرح الحاسم: ان الحركة الاسلامية تعمل على تأصيل الفرد المستقل في نطاق الشخصية الاسلامية في حياة الامة، وتربيةالمسلمين على اساس الاسلام بكل عمق الصفاء في فكره وروحه من فكرية وسياسية، بحيث تبرز الفواصل الفكرية والعملية بين الاسلام وبين التيارات الاخرى، فلا تسمح بأي انحراف او تداخل او ضلال.

ولا بد في مثل هذا الخط من الدقة في تخطيط الخطوط، وتعميق الافكار، حتى لاتختلط الامور، وتضيع الملامح العامة للاسلام، امام الشبهات والاشكالات والاحتمالات المضادة، مما يفرض ملاحقة الكلمات لتكون دقيقة، والاساليب لتكون واضحة، والمفاهيم لتكون محددة، لأن هناك فرقا بين ضياع المفاهيم وانحرافها وبين ارتباك الخطى في الطريق، باعتبار ان انحراف الخطوة اقل خطورة من انحراف الفكرة، لان الثاني يخضع للوضوح في الرؤية وعدمه، بينما يخضع الاول للخطأ في التطبيق.

وعلى ضوء هذا فلا بد ان يكون الطرح حاسما دقيقا امام كل هذه الضوضاء الفكرية، التي تضيع معها كل الملامح الدقيقة للفكر الاسلامي في صفائه ونقائه.

الملاحظة الثانية: حالة طوارىء: ان الواقع السياسي يخضع في حركته لاساليب التمييع للقضايا، والتسوية للمشاكل، على اساس انصاف الحلول واللف والدوران في مواجهة الاوضاع الصعبة، مما يجعل من النهج الاخلاقي نهجا خاضعا للانحراف تحت عنوان الواقعية في السلوك، والمداراة في حركة العلاقات، والتقية في معالجة التحديات، وما الى ذلك من المفاهيم القلقة التي قد تملك بعض الشرعية في المبدأ، ولكنها لا تملك الكثير منها في التفاصيل، من حيث الظروف والمواقع والوسائل

الخاصة .

وعلى ضوء ذلك ، فان المرونة العملية في البـدايـة قـد تصل بـالموقف الى مستـوى الميوعة فيما يمكن ان يضغط عليه الواقع ، بينما نجد في التطرف ، او في الموقف الحاد ، حركة في اتجاه المرونة عندما تصل القضيـة الى مستـوى التطبيق ، وذلك في الجو الـذي يضع المبدأ في مكانه الطبيعي ويحميه من الانحراف .

ولهذا كانت المراقبة والمحاسبة وملاحقة السـاحـة بأسـاليب الايحاء بـالاتهام ، من الوسائل العملية لـلانضبـاط الحاسم في منهج التـوازن السيـاسي والفكـري ، بحيث يلاحق القائمون على الامر ، والسائرون في الخط الاسلامي كل حالة توحي بالانحراف او بالخيانة ملاحقة دقيقة ، تحيط بالدوائر الشعبية العامةبطريقـة تـوحي بـالـرقـابـة ، ولكنها لاتعقد الموقف .

ان عوامل الاغراء وعناصر التخويف التي تحيط بـالاوضـاع الاسـلاميـة العـامـة ، وتخاطب الشخصيات المتنوعة في مركز القيادة ، او في موقع القاعدة من الناحية المادية والمعنوية ، تفرض علينا الاحتياط الدائم الـدقيق لمواجهـة كل امكـانـات الانحـراف واحتمالاته تحت تأثير ذلك كله ، مما يجعلنا نعيش فيما يشبه حالة الطـوارىء للحفـاظ على سلامة خط السير للحركة الاسلامية .

الملاحظة الثالثة : التخطيط المرحلي والمصلحة : ان الواقعية في التحرك في القضايا الاسلامية السياسية ليست بعيدة عن الاسـلام ، وذلك من خـلال الطبيعـة المرحليـة المتمثلة في التخطيط المرحلي للوصول الى الاهداف ، ومن خلال الظـروف الموضـوعيـة التي قد تجمد بعض المخططات لمخططات اكبر ، وتحرك بعض العلاقات التي كـانت تحمل معنى سلبيا لمصلحة علاقات ايجابية اقوى ، مما يحقق نـوعـا من المرونـة التي لا تبتعد فيها الوسائل عن الشرعية عندما تقترب من الـواقعيـة . لان القـاعـدة الشرعيـة العقلية في مسألة التزاحم بين المصالح والمفاسد ، تفرض تقديم المصلحة الاكثر اهميـة على المصلحة التي هي الاقل من حيث الاهمية ، وهكـذا تسقط المفسـدة التي تـوحي بحرمة متعلقها امام المصلحة الكبرى التي تجمد الحرام ، لتحوله الى حلال في النطـاق العملي الذي تنظف فيه الغاية قذارة الوسيلة .

وعلى ضوء ذلك ، فاننا نستطيع تأكيد الحقيقة الواقعية في حركة الانسان السياسي

في ساحة الصراع التي تتجاذبها التيارات المختلفة وتحيط بها الاجواء العاصفة، مما يمنحه حرية الحركة في المواقع المتنوعة، فيما يلتقيه من مشاكل ومحاور وحواجز، فلا يشعر بأن الزوايا الضيقة تحاصره، بل يجد امامه الساحة الواسعة التي يملك فيها السير في أكثر من طريق، وفي مواجهة الزمن المستقبلي اذا كان الحاضر يحاصر الحركة الان.

الملاحظة الرابعة: اختراق الجدار الدولي: ان هناك اولويات في طبيعة علاقات الحركة الاسلامية على مستوى الدولة او على مستوى الحركة بالاخرين، في مجالات التقارب او التباعد، او في اجواء التجميد او التحريك، كما ان هناك ثغرات متعددة في هذا الجدار الدولي الذي يمكن اختراقه في صراع المصالح، او في تجاذب السياسات، مما يمكن للاسلام ان ينفذ منه الى حيث يستطيع معه التأمين على مصالحه ومواقعه.

وقد نجد هناك اكثر من تقاطع بين الدول في عملية اللقاء في المصالح الاقتصادية والسياسية، مما قد نستطيع النفاذ منه الى كثير من مصالحنا ومواقعنا، فيمكننا الحصول على بعض التنازلات هنا، وعلى بعض الارباح هناك.

وهكذا يبقى للاسلام ان يحافظ على خطه المستقيم، في الوقت الذي يملك فيه الواقعية في اكثر من موقع، ليكون دوره منفتحا على الواقع، ومنسجما مع خط الرسالة.

منطق الرسالة بين اللين والعنف

وهكذا نجد السلوك الاسلامي للحركة الاسلامية السياسية، يتصف بهذه الخصائص في اساليبه واهدافه ومناهجه وعلاقاته، فيحدد تصوره للحلول على اساس من النظرة الواقعية للمشكلة، ويؤكد شمولية هذه النظرة حتى تتسع لجميع جوانب الحياة، ويركز وسائله على منطق الرسالة والواقعية، فيلين حيث تلمس الحاجة الى اللين، ويعنف حيث تقتضي الحالة العنف، ويقيم علاقاته سلبا او ايجابا على اساس المصلحة الاسلامية العليا في حركة الانسان في الواقع، من خلال الدراسة الدقيقة التي تفرض عليه ان يقطع او يصل، على ضوء الحدود التي ينبغي الوقوف

عندها او يتجاوزها، ويثير المسألة ما بين الحسم والمراوحة والمرونة، والحدة، تبعا للظروف الموضوعية التي تحيط به فيما هي طبيعة الاشخاص والازمنة والامكنة.

الحملات الاعلامية وحرب الاعصاب

ولم تكن الحركة الاسلامية بدعا من الحركات الفكرية والسياسية في العالم بل هي في طبيعتها، لاتختلف عن اية حركة سياسية اخرى، مع بعض الخصوصيات التي تختلف فيها الحركات في عناصرها الذاتية، فيما هي الجوانب الروحية والمادية، وفيما هي الوسائل والاهداف والمناهج مما يوجب تنوعا في المواقع، ولكنه لا يمنع التشابه في الاجواء العامة.

ولكن الاعلام الكافر المستكبر، يعمل على ان يشوه صورة هذه الحركة في وجدان الرأي العام الاسلامي من جهة، وفي ذهنية الرأي العام الدولي من جهة اخرى، وذلك بالتقاط المفردات التي تحمل بعض السلبيات او توحي ببعض الانحرافات، او تثير بعض المشاعر العاطفية الانسانية المضادة وذلك في ضمن خطة مدروسة، كجزء من اجزاء الحرب المفروضة على الاسلام واهله، حتى لاينطلق التيار الاسلامي في اندفاعه نحو الحياة ليصنع الواقع الجديد للعالم، وليجعل الاسلام في حركته معادلة جديدة في حركة السياسة الدولية كبديل عن السياستين العالميتين من الماركسية والرأسمالية.

التمييز بين المعتدلين والمتطرفين لتحييد الشخصيات الاسلامية

ولذلك فان علينا ان لا نسقط او نضعف امام هذه الحملات الاعلامية، التي هي جزء من حرب الاعصاب، بل لا بد لنا من ان نثبت في مواجهتها بقوة وصمود، ثم نعمل على ملاحقتها بما نملك من اساليب الملاحقة والمواجهة والتطويق، لنتفادى الاوضاع السلبية القلقة التي تعمل على اثارتها في مواقعنا، لاسيما فيما تحاول ان تميز فيه بين المعتدلين والمتطرفين، لتوحي للمعتدلين بأنهم الذين يحملون مسؤولية الساحة ويمثلون عقلانيتها، ثم تتابعهم بالتخويف من هذا الموقف الحاد في هذه القضية المعينة لان فيها نوعا من التطرف، او من هذه النظرة المعينة في المسألة الثقافية لانها

تمثل لونا من اثارة الحساسيات. وهكذا حتى يضمنوا التزامه بحدودهم وقواعدهم وثوابتهم واساليبهم، فيحبسوه في دائرة ضيقة، لايخرج منها الى أية ساحة للانطلاق بعيدا عنهم. فاذا خرج عنها في وقت ما تحت تأثير بعض الظروف الحادة، اعادوه الى قواعدهم خاضعا، لان القصة عندهم ان يبقى معتدلا ولا يوضع في دائرة التطرف.

وفي هذا الجو، استطاعوا تحييد عدد كبير من الشخصيات الاسلامية الفاعلة، التي كانت قادرة على القيام بدور كبير في العمل الاسلامي في خط الدعوة والجهاد، انطلاقا من الايحاءات التي كانوا يثيرونها بين وقت وآخر في وعي هؤلاء وحياتهم.

وقد نحتاج الى التخطيط، للقيام بدور كبير في مواجهة هذه الهجمة الاعلامية، بالقيام بهجمة مضادة في داخل الوسط الاسلامي وخارجه، للبحث عن كلمات مثيرة، للوقوف في وجه الحرب النفسية من جهة، وللدخول في حرب نفسية ضد القوى المستكبرة من جهة اخرى، لابطال مفعولها في الفكر والحياة وفي الناس.

الحركة الاسلامية بين منطق الثورة ومنطق الدولة

ـ الدولة والثورة مصطلحان
غريبان عن الاجواء الاسلامية

ـ الثورة تتكامل
مع منطق الدولة ولا تختلف معه

ـ الدولة والثورة
يمثلان حركة الدعوة نحو الواقع

ـ قاعدة التزاحم في المصلحة
تحكم التحرك بين الدولة والثورة

ـ الدولة تحقق مواقع
قوة للثورة وتخفف من صعابها

ـ الدولة قمة الثورة
في برامجها الرسالية ولا يتغير الا الانفعال

أساليب العمل الحركي

قد يطرح الكثيرون من العاملين في الحقل السياسي التغييري، مسألة الثورة كأسلوب في العمل الحركي، في مواجهة الدولة كأداة لتنظيم المجتمع بطريقة مقننة، ويثيرون الحديث عن هذه المسألة، كمشكلة صعبة في حركة التغيير، عندما تتحول الثورة الى السير في خط الدولة، فتفقد روحيتها وعنفها وصفاءها وطهارتها واندفاعها الشعبي. ولذلك فقد يطرح البعض، البقاء في ساحة الثورة، بعيدا عن التنظيم والتقنين، وقد يخالفه بعض آخر، فيتحدث عن خطورة هذا الطرح، لانه يؤدي الى الفوضى السياسية والامنية في حياة المجتمع، فكيف نواجه المسألة في المنظور الاسلامي؟

ربما يثير البعض المسألة في الفكر الاسلامي، بأن الاسلام قد جاء من أجل تغيير الفكر والحياة، من الخط الجاهلي الى الخط الايماني، ليتحرك التغيير في داخل الانسان، لانه هو الذي يصنع التغيير في الواقع، باعتبار انه القوة التي تحركه وتديره وتدفعه في هذا الاتجاه او ذاك، سواء في ذلك الاتجاه الايجابي او الاتجاه السلبي.

القلق والاسلوب القرآني

وقد لانحتاج الى التأكيد على الخط الثوري، الذي يحيط بالانسان من الداخل والخارج، فيما يحمل من فكر، وفيما يثير من حركة، وفيما يخطط من عمل، كعنصر حيوي لانطلاقة التغيير، التي تحتاج الى العنف والحركية والاندفاع، لان المسألة تعني انقلابا في الذات لمصلحة الرسالة، على الذات في خط الانحراف، مما يفرض الكثير من عوامل الاهتزاز، التي تهز الافكار القديمة، لتخرجها من داخل الثبات المتحجر، كما يفرض لونا من الوان اثارة القلق الفكري والروحي، الذي يدفع الانسان الى البحث عن الفكر الجديد والخط الجديد، وصولا الى ادارة الحوار بينه وبين الفكر القديم، ليلتقي بالنتيجة الحاسمة في قراره الجديد لمصلحة التغيير.

ان هذا القلق المتحرك في أكثر من دائرة، هو الذي يبدع للانسان حركة الثورة في حياته، وهو الذي ينفض عنه كل الغبار المتراكم على روحه وعقله وحياته، من أوضاع التخلف في التاريخ السحيق.

ولهذا رأينا الاسلوب القرآني في مواجهة الافكار المتحجرة، التي يحملها الكفار والمشركون، يعمل على اثارة القلق الروحي في مسألة العقيدة، في مختلف الاساليب، فنراه يواجه الذين يلتزمون عقيدة الآباء والاجداد في انكارهم لله أو لوحدانيته، بالتوجه اليهم، بمناقشة المضمون الذاتي للثقة بهؤلاء، كما في قوله تعالى: ﴿أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ ليدخلهم في جو التأمل، الذي يبدأ باعادة النظر في الاسس الفكرية والنفسية التي ارتكزت عليها هذه الثقة، او باثارة الفكر الاخر امام الفكر الذي يحملونه، ﴿أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم..﴾، ليعيشوا معه كما عاشوا مع ما قبله، من موقع الصدمة القاسية، بأنه أهدى منه، أو بالطريقة الهادئة، التي تطرح الفكرتين معا، على صعيد واحد، وللايحاء بأن الذي يطرح الفكرة مستعد لمناقشتها تحت احتمالات انتقاله الى الفكرة الاخرى، من موقع الشك الذي يقدمه الاسلوب امام الحوار. وهكذا كان الاسلوب القرآني المتنوع، حركة عملية من أجل اثارة القلق، الذي يوحي بأكثر من احتمال للثورة على الواقع التقليدي في حياة الانسان، لانه الشرط الاساس للتمرد وللرفض للامر الواقع.

الامة والثورة المتحركة

واذا كانت المسألة على هذا المستوى في الحالة الفردية، في ثورة الانسان على موروثاته الفكرية التقليدية، التي تجدد فيه نظرته الى الحياة والى الفكر الذي يتبناه، فان المسألة تحتاج الى دائرة أوسع من الاثارة، في الحالة الجماعية الثورية، التي تريد ان تهدم نظاما لتؤسس نظاما آخر على أنقاضه، ليثور الانسان على التخلف السياسي في تفكيره، كوسيلة اولية، للوصول الى الثورة على الانحراف السياسي في الامة، على مستوى القيادة والقاعدة، في مواجهة التحديات الاستعمارية، فيما تحاوله الدول الكبرى من السيطرة على مقدرات الشعوب المستضعفة الفقيرة، الاقتصادية والثقافية والسياسية، أو فيما تحاوله الانظمة الجائرة، المسيطرة على بلاد المسلمين بفعل الاشراف الاستكباري، على رموزها او حركتها في خط الواقع السياسي. اننا نحتاج الى ان نحرك هذا الانسان، في عملية تواصل مع انفجارات الواقع ومع تحدياته، لنخرج من معركة الى معركة.. ونحرك ثورة هنا.. وثورة هناك، من اجل ان يظل هذا القلق الثائر في نفسه، الباحث عن الحرية في حركة حياته وحياة الاخرين.. ليتحول الى

حركة ثائرة تهدم . . وتهدم . . وتهدم ، حتى لا يبقى في الساحة أي أثر لقوة الاستكبار في العالم ، فيما تقوم به الثورة من تشويه الصورة امام الامة ، او من خلخلة قواعد الاستقرار في الواقع ، او من اثارة الرعب في داخل النظام ، ليهتز بفعل الخوف المدمر من الداخل ، لتستطيع الضربات القادمة من الخارج ، ان تعمل على اسقاطه في نهاية المطاف . ان الوصول الى هذا الهدف ، يحتاج الى ان تعيش الامة في ثورة متحركة مستمرة ، وتصل بها الى اعلى درجات التوتر النفسي ، الذي يضع الواقع في قبضة الانفجار الكبير ، ويدفعه الى الوصول الى الاهداف الكبيرة للانسان .

بين الثورة والدولة

وفي ضوء ذلك ، قد يجد هؤلاء الذين يتبنون هذه الفكرة ، أن من الضروري ، ان لاتتحول الثورة الى دولة منظمة في قوانينها وعلاقاتها مع الاخرين ، لان ذلك يعني الاستسلام بروحية النظام ، وطبيعة الاستقرار التي يفرضها ، وواقعية الحلول الهادئة التي يضعها للمشاكل ، مما يؤدي الى المحافظة على كثير من الخطوط الهادئة ، مع هذا الفريق او ذاك ، والى التدقيق في نظام العلاقات ، التي قد تسيء الى الدولة ، او قد تحسن اليها ، مما ربما لاينسجم مع المبادئ الثورية ، التي انطلقت منها رسالتها التغييرية ، لان للدولة حقوقا وخطوطا وشروطا ، لابد من رعايتها ، فيما اذا اريد لها ان تعيش وتثبت وتقوى وتفرض نفسها على الواقع ، ويتابع هؤلاء الذين يفكرون بهذه الطريقة فيقولون : ان مسؤولية الثورة قد تتضاعف ، اذا كانت آفاقها تمتد في حجم العالم ، او في حجم الدائرة الواسعة التي قد تتسع لاكثر من ساحة ، مما يجعل القيود التي تخضع لها الدولة ، سببا في سقوط كثير من المواقع السياسية في غير منطقة الدولة ، تحت تأثير هذه القيود ، كما في الثورة الاسلامية التي تتحرك من اجل تثوير العالم الاسلامي كله ، ضد الانظمة الكافرة التي تلتزم بغير الاسلام ، من اجل اخضاعها للحكم الاسلامي ، وتحريك العالم المستضعف حتى غير الاسلامي منه ، من اجل مواجهة قوى الاستكبار العالمي ، فيما تفرضه من مشاريع سياسية واستراتيجية واقتصادية وامنية مضادة لمصلحة الشعوب المستضعفة . قد لا يكون من المألوف ان تتحرك الدولة لتتبنى كل هذه الاهداف والخطوط ، مع محافظتها على علاقاتها الدولية ، ومصالحها العامة ، بل لا بد لها من الدخول في دائرة الاختيار

الصعب، بين ما هو مصلحة الدولة في حدودها القانونية، وبين ما هو مصلحة الثورة في الدائرة الواسعة في حركة المستضعفين.

وقد يلاحظ هؤلاء اننا نرى بعض الدول التي قد تتبنى الماركسية في نظامها الدستوري، وتضعه واجهة لتحركها الايديولوجي، في الوقت الذي قد تدخل في علاقات مع بعض الدول، التي تقف ضد الحركة الماركسية عندها بحيث تؤثر تأثيرا سلبيا على تلك الحركة، وقد تتطور المسألة بطريقة وبأخرى، الى حالة من السكوت على اضطهادها من قبل تلك الدولة، بل قد يتحول الموقف الى حالة من التشجيع غير المباشر، كما ربما تقع في ذلك بعض الدول، التي قد تتبنى الاسلام في خطها الفكري والعملي ونظامها الدستوري، وقد لايعدم هؤلاء تبريرا لهذا الموقف، بأن المسألة هي مسألة المصلحة العليا للماركسية او الأسلام، مما قد يتقدم على بعض الاضرار، التي قد تصيب الحركة الماركسية او الاسلامية في بعض مواقعها، ويعود — بالتالي — بالنفع على هذه الحركة من موقع آخر.

واقعية الثورة ومنطق الدولة

وقد يثير البعض الاخر، الذين يبررون منطق الدولة، المسألة بأسلوب آخر، مما ربما يعني الابتعاد عن منطق الثورة، ولكنه يعطيها بعدا آخر، في حركة النظام الانساني في الواقع.

فيؤكد هؤلاء بأن التغيير هو الاساس في العقيدة والتشريع في تخطيط الاسلام للانسان وللحياة، ويوافقون «الثوريين»، على ان من الضروري خلق الاجواء الملائمة التي تصعد درجة التوتر، وتعمق الثورة في الداخل الفكري والروحي والشعوري، كقاعدة للتغيير في الخارج، ولكنهم يطرحون المسألة على اساس سؤال حاسم في العمق الفكري للثورة، ليتحدد مسارها في الخط المستقيم الذي يربطها بالهدف من ناحية واقعية.

هل الثورة حركة في المطلق، أو هي حركة في الواقع الذي تحكمه الحدود والقيود؟

والجواب، انها حركة الانسان في الارض التي تتحرك في ضمن الشروط الطبيعية، فيما تحيط بها من ظروف موضوعية، او فيما تنتصب امامها من حواجز طبيعية، او فيما

تحاصرها من حدود الزمان والمكان، او فيما يصادمها من حركات مضادة، مما يفرض على القائمين عليها أن يواجهوا ذلك كله بالدراسة والتفكير، وأن يضعوا الخطط الدقيقة الواقعية، التي تتعامل مع هذه الامور كلها بطريقة عملية، فتصنع ظروفا ملائمة في مواجهة الظروف المضادة، وتهدم هذه الحواجز المنتصبة في الطريق، لتقيم حواجز أخرى امام الحركات الاخرى، وهكذا تتواصل الحركة في خط السير، لتلتقي ببعض الهزائم في الطريق، فتتراجع في خطواتها قليلا او كثيرا، او لتتجمد في مكانها بفعل ضغط التحديات الصعبة، او الحصار الشديد المفروض عليها، او لتلتقي ببعض الانتصارات، التي تدفعها خطوات الى الامام، فلا بد لها من ان تضع ذلك في حسابها، انطلاقا من حركة السنن الكونية في طبيعة الكون وفي وجود الانسان، لتتحرك في تخطيطها من منطق الواقع، الذي يتغير بحساب، ويتجمد بحساب، مما يفرض عليها التواضع في طموحاتها، والواقعية في بعض مخططاتها

السنن الالهية والعناية الغيبية

وقد يتحدث البعض في مناقشة هذا الجواب، عن الامدادات الالهية، او العناية الغيبية، التي قد تخرق الكثير من القوانين الطبيعية التي يخضع لها الواقع، وذلك فيما يوحي به التوكل على الله او «نصرالله لعباده المؤمنين»، وما الى ذلك من المفاهيم الروحية التي تختزنها العقيدة بالله الواحد، ولا يحس بها الا الذين انفتحوا على الله، من خلال المعاناة الروحية والجهاد الايماني.

وقد نلاحظ على هذه المناقشة، اننا لاتنكر مسألة الايمان بالغيب، كقاعدة ثابتة من قواعد الايمان، بل نؤكد على مستوى النظرية والممارسة، فيما حدثنا الله عنه من فيوضات ألطافه الغيبية على النبي والمؤمنين معه في معركة بدر، وفي غيرها من المواقف التي نصر الله بها نبيه محمد(ص) في ليلة الهجرة حيث أنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها، وأعد له كل الاجواء التي تولت حمايته من الاعداء وفيما وعد به عباده المتقين، بأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيما ورد في القرآن الكريم من ذلك أو بأن يحرسهم من حيث لا يحترسون، فيما ورد به الدعاء: . . ونحو ذلك، وفيما رأيناه في أنفسنا وفي الناس الاخرين معنا، او قبلنا في المواقع الفردية او الجماعية، من تدخل الاسرار الغيبية في النصر والنجاح والانقاذ، مما لا يملك الانسان له تفسيرا ماديا

بالمعنى المحدود للجانب المادي في حركة الواقع .

اننا نؤكد ذلك ، ولكننا لا نعتبر ذلك في مستوى القاعدة العامة للقانون الالهي للانسان ، بل اننا نعرف من خلال القرآن الكريم ومن سنة الرسول ، في كلامه وفي فعله ، ان الخط العام الذي كان يحكم المسيرة ، هو الاخذ بالسنن الالهية في الاعداد والاستعداد ، ودراسة كل الشروط والظروف والساحات والاشخاص في وضع الخطة التي تهيء للهجوم او للدفاع ، والانطلاق بعد ذلك لاستلهام القوة ، والاندفاع نحو آفاق المجهول الذي قد يحمل الكثير من المفاجآت غير المنتظرة . .

لقد كان الغيب هو الروحية العميقة التي تدفع الانسان للانفتاح على المستقبل من أوسع الافاق ، فهو لا يتجمد امام الحدود المنتصبة امامه كالحواجز التي تقيد خطواته ، وتربك مسيرته ، بل يمتد مع الافاق الغيبية التي لاتطوف مع الخيال ، الذي لايهتدي طريقه ، بل مع الله الذي يهديه سواء السبيل ، فيعطي الحياة في عقله وفي روحه وفي حركته ، قوة وحيوية واندفاعا الى الامام .

وهذا هو الذي ينبغي للتوعية الاسلامية ان تثيره في وجدان الانسان المسلم ، لتؤكده كحقيقة ايمانية تحلق به في رحاب الله الممتدة في اعماق الغيب الكامن في اسرار علمه ، ولكنها لا تلغي السنن التي اودعها الله في حركة الانسان والكون من حوله ، ليتوازن الفكر في داخله كشرط لتوازن الخطوات في مسيرته .

الثورة الواقعية والخيالية

واذا كانت الثورة حركة الانسان في خط الواقع ، لاحركة المطلق ، فان من الطبيعي ان يتلمس الثائر بحسه الثوري ، كل الساحات التي يمكن ان يتحرك فيها بواقعية ، او يعمل على توسيعها ليكفل لها ذلك ، بعيدا عن الحواجز التي تجمد حركته ، او تجعل من التقدم حالة مستحيلة في نطاق الظروف الموضوعية ، ولو على مستوى المرحلة الحاضرة ، مما يجعل الساحة ساحة الثورة الواقعية ، لا ساحة الثورة الخيالية او المثالية ، الباحثة عن الافكار المزروعة في المطلق .

في ضوء ذلك يبرز امامنا سؤال آخر وهو؛ اذا كانت الثورة حركة في الواقع ، فهل يعني هذا ان تبقى مجرد حركة منطلقة الى خط اللانهائية؟ أو أن معنى ذلك هو ان

تستقر مفاهيمها وخططها في دائرة نظام معين يختزن كل معانيها، ويحمل كل افكارها، ويستوعب كل برامجها، حتى يكون الصورة المتجسدة لكل شعاراتها وواجهاتها، والامتداد العملي لكل خطها المستقيم؟

ان من الطبيعي ان يكون الجواب هو اختيار الشق الثاني من السؤال، لان الثورة هي للانسان، لتكون التمرد الثائر على الواقع الفاسد، من اجل ان تبني واقعا جديدا على انقاضه، ليتمكن الانسان من الاستقرار في ظل نظام ثابت، على قاعدة صلبة من فكر الثورة، فيما يتحول منه الى مفردات قانونية، على مستوى الوسيلة والهدف في نطاق العقيدة والشريعة.. والا فانه يبقى مع الفراغ الباحث عن ارض ينغرز فيها، او يقف عليها.

ولهذا، فان النظام في خط الثورة، هو النتيجة الطبيعية لحركة الانسان فيها، مما يجعل منه الهدف لكل مشاريعها وخطوطها وخطواتها، لان الله يريد للحياة ان تعيش في ظل النظام، بعيدا عن كل اوضاع الفوضى العملية، ليتكامل الانسان مع الكون الذي خلق الله فيه السموات والارض بالحق. ﴿وما خلقناهما الا بالحق..﴾، الذي هو تعبير حي عن النظام المتوازن الحكيم، الذي ترتكزان عليه كما يرتكز عليه واقع الانسان

حركة الثورة نحو الدولة: السلبيات والايجابيات

ولكن، هل معنى ذلك، ان تقف الثورة فتكف عن العطاء وعن الحركة في اتجاه التغيير؟ والجواب ان الذين يحركون الثورة في اتجاه الدولة، يتحركون في خطين:

الحرية في الثورة والدولة

الخط الاول، ابقاء الروح الثورية في عمق التقنين الذي تخضع له الدولة، وادخالها الى كل المواقع المتحركة في حياة الانسان، حتى لا تبتعد الروح عن الجسد، او تنفصل النهاية عن روحية البداية.

وقد يكون ذلك صعبا في الجانب التطبيقي منه، لان الروحية التي تحكم حركة الثورة، كانت تملك الحرية في الساحة الواسعة، التي قد لا تملكها في ساحة الدولة،

التي تضيق كثيرا فيما يفرضه التقنين من حدود وقيود، لان طبيعة التقنين تفرض الحدود التنظيمية لاية فكرة، وتدفع بالعلاقات الى ضوابط معينة في نطاق مصلحة الدولة، فقد تقدم بعض التنازلات من التزامها لحساب هذه العلاقة او تلك، فيما تفرضه من توازنات المواقف السياسية او المصالح الاقتصادية او الاوضاع الامنية. وهكذا تدخل المسألة في اجواء جديدة، قد لا ترضي زهو المتحمسين في الثورة، او السائرين في الخط الثوري المتحرك في امتداد الرياح العاصفة.

ان هناك فرقا في حرية الفكرة في حركة الثورة، وفي حريتها في حركة الدولة، وهو اختلاف المساحة التي تتحرك فيها الفكرة في دائرة الثورة، التي تملك ارضا واسعة تقل فيها الحواجز، . اما في دائرة الدولة، فهناك ارض خاضعة لاكثر من هندسة مدنية وسياسية واقتصادية، لايمكن التحرك فيها الا ضمن خطوط الخريطة الموضوعة.

وبهذا يمكن لنا القول، ان هناك ثورة في الروح في كلا المجالين من اجل تحقيق الهدف، ولكن المسألة هي ان الثورة، في الثورة، هي الحركة التي تنطلق من اجل التحضير للهدف، بينما هي في الدولة، النتيجة الطبيعية لذلك، انه الفرق بين المطلق والمقيد.

الدولة قاعدة للثورة

الخط الثاني، تحريك الثورةفي المواقع الاخرى البعيدة عن ارض الدولة، وذلك بالاستفادة من مواقع القوة في حركة الدولة، لتحقيق انتصارات جديدة للثورة في تلك المواقع، لان ذلك هو من فوائد وجود الدولة، التي تعمل على تغذية الكثير من النشاطات الثورية في العالم، وبهذا تكون الدولة في موقع، قاعدة للثورة في موقع آخر..

وقد لاتلتقي الدولة بايجابيات كبرى في حركتها تلك، وذلك بالحصول على مواقع قوة مزدوجة، فهي في الوقت الذي تحقق فيه امتدادا واسعا للثورة في خط الرسالة او القضية، فانها قد تمنح الدولة بعض مواقع القوة لحساب وجودها او التزاماتها، او الشروط القوية التي تفرضها على دولة اخرى، او قد تحقق لها بعض التخلص من الضغوط المفروضة عليها، من خلال بعض القوى الدولية او الاقليمية، او التخفيف

من الاوضاع الصعبة التي تحيط بها، وبذلك فانها قد توسع ساحتها في تحقيق مشاريعها الثورية في الداخل، من خلال الثورة في مكان آخر من الخارج.

وقد تلتقي بعض السلبيات، عندما تكتشف القوى الأخرى التي تتحرّك الثورة في ساحتها، أن دولة الثورة تمثل القوة الكاملة خلف ذلك كله، مما يوجب تعقيداً في علاقاتها بها، أو في إرباك أوضاعها المتصلة بها من ناحيةٍ سياسيةٍ أو اقتصاديةٍ أو أمنيةٍ، أو في تعريض وجودها للخطر، من خلال المؤامرات التي تدبر لها في الخفاء، من خلال اكتشاف الدور القوي الذي تختفي خلفه بمختلف الأقنعة والأغطية التي تشفّ عمّا تحتها.

العلاقات بين الثورة والدولة

وعلى ضوء هذا، فإنّ المسألة قد تختلف في بعدها الحركي، في علاقة الدولة بالقوى المضّادة للثورة، بفعل الانعكاسات الإيجابية أو السلبية للنتائج الحادّة على صعيد الواقع، كما تدفع بالثورة الى أن تنكمش في بعض امتداداتها، للمحافظة على توازن الدولة في وجودها أو في مصالحها العامة، مما يجعل من الثورة خادمةً للدولة في بعض المواقف فيما تمنحها من تسهيلاتٍ كبيرةٍ، بفعل ما تملكه من امتيازاتٍ واسعةٍ لتسريع حركتها وتقوية مواقعها، وربّما تتحول إلى مشكلةٍ لها في مواقف أخرى، عندما تضغط عليها أو تثور عليها، للحفاظ على المصالح الحيوية لوجودها..

هذان هما الوجهان البارزان للمسألة، في حسابات العاملين في هذا الاتجاه أو ذاك، فكيف يكون موقفنا الحاسم أمامها؟

وهل نختار منطق الثورة؟

أو نختار منطق الدولة؟

غرابة المصطلح

إننا نلاحظ أن هذين المصطلحين غريبان عن الأجواء الاسلامية العامة، بحسب العمق الفكري لما هو الخط الإسلامي، في حركة الدعوة على صعيد النظرية أو التطبيق، فإن الدولة والثورة هما حركة الدعوة في مسألة التطبيق، كما أن الدعوة هي

النظرية في خط الثورة والدولة في حركة الانسان في الواقع، ويبقى الفرق بين الدولة والثورة، إن الثورة تعني التحرك نحو تحقيق الشروط الموضوعية لتحضير الأرض، وتنقيتها من كل العوامل المضادة للتغيير، وتهيئة الأوضاع الملائمة في الجوانب السلبية والإيجابية، لحركة الدولة في تنظيم الأوضاع الانسانية والحياتية، على أساس الواقع الرسالي الجديد.

ولذلك فإن الثورة لا تعبر في طبيعتها عن منطقٍ مخالفٍ لمنطق الدولة، لأنهما يمثلان المنطق التكاملي في تحويل الدعوة في خطها النظري إلى حركةٍ حيةٍ في الواقع التطبيقي، فيما هي المقدمات والنتائج، مما يجعل من الدولة قمّة الثورة، عندما تصل إلى تحقيق برامجها الرسالية على صعيد الواقع، ممّا لا يبقى في الساحة فراغاً لأيّ هدفٍ آخر، في نطاق المرحلة أو في نطاق الهدف الكبير، بل كل ما هناك أنّ الأجواء المتحركة المتوترة المتصاعدة، فيما يشبه الانفعال والحماس التي يعيشها الانسان في أجواء الدولة، كما هو معلوم...

وقد يخطر في البال، أن الذين يتحدثون عن صراع بين المنطقين، قد يريدون بذلك منطق الدولة، في الموقع الذي يتحرك فيه القانون الذي يحدد التشريعات والعلاقات، فيما ينعكس سلباً على الموقع الآخر، الذي يبحث عن حركة الثورة في داخله، فيؤدّي به منطق الدولة الى سيلٍ من التحفظات، التي قد تصادر حرّية الثورة في حركتها المتحدية، التي قد تسقط الكثير من مشاريع الدول التي ترتبط بها الدولة المعنيّة، بأكثر من علاقة، ليكون الحفاظ على الدولة أساساً لإسقاط مصالح الثورة في المناطق الأخرى، فيحاولون في كلامهم هذا، أن يتحدثوا للدولة بأن لا تبتعد عن روح الثورة، لتكون الأهمية عندها هي الحفاظ على مصالحها على حساب الثورة لمصلحة المستضعفين الآخرين.

وقد نلاحظ على هذا الطرح أن المسألة لا تعالج بهذه الطريقة، بل قد يكون الأولى بنا ان ندرس قضية الاهمية في مقام التزاحم بين الطرفين، على اساس ما هو الافضل او الاقرب للمصلحة الاسلامية العليا، التي تخضع لها كل المشاريع العملية سلباً او ايجابا، لتكون عملية الاختيار منطلقة من النتائج الحاسمة الحاصلة من عملية المقارنة الواضحة، فقد يكون ثبات الدولة في مرحلة وحمايتها من الاهتزاز، هو الاولى بالملاحظة، لان سقوطها يعني سقوط القاعدة التي يمكن ان تستند اليها الثورة في

مرحلة اخرى فتكون التضحية ببعض مكاسب الثورة الآن، موجباً لتحقيق بعض المكاسب لها في صعيد آخر، او في مرحلة اخرى، وبذلك فلن تكون هناك خسارة مطلقة في هذا الاتجاه.

واذا كان ذلك يعني تقديم التنازلات لحساب القوى المضادة، فانها حاصلة على كل حال سواء على حساب سقوط الدولة لمصلحة الثورة، او سقوط الثورة لمصلحة الدولة، الامر الذي يوحي بضرورة التخفيف منها، من خلال الظروف الملائمة والمضادةفي كلا الاتجاهين، لأن إبقاء الدولة على حساب إسقاط بعض مواقع الثورة في بعض المراحل، قد يهيء لمستقبل ثوري يحقق دولة جديدة من خلال الثورة المستمرة.

إن دراستنا للمرحلة الرائدة القائدة، التي مثلت حركة الرسالة في خط الدعوة النبوية في مرحلة ما قبل الهجرة، وما بعدها، وفي التفاصيل الصغيرة، في داخل كل منهما، تعطينا الفكرة التي توحي إلينا بأن النبي(ص)، كان يلاحظ في حركته في الواقع ما هو الاوفق بمصلحة الاسلام والمسلمين، بعيدا عن هذا المنطق او ذاك، في القضايا الكبيرة والصغيرة...

وهذا هو ما نتبناه، كحركة اسلامية تعمل لتحقيق الاسلام على ارض الواقع، من اجل الوصول الى الاهداف الكبرى، ليتوازن فيها خط التحرك على صعيد الدعوة، في خط الدولة والثورة معا عندما يلتقيان، او في الخط الاقرب للمصلحة الاسلامية العليا... عندما يفترقان، ولن يكون الافتراق الا مرحليا لا نهائيا، ليكون كل واحد منهما في مرحلة انفراده عن الاخر، حركة في طريق الوصول الى الاخر، لا حركة من اجل منع وجوده في الواقع... وفي حركة الانسان في الحياة.

الحركة الاسلامية بين الثقافة الخاصة والثقافة العامة

*الثقافة الموجهة

تعبر عن وحدة الحركة في وحدة الفكر.

* الحركة الاسلامية

تدعو للنقد والالتزام وتنادي بالمراقبة والانضباط .

* الالتزام بالثقافة الخاصة

لا يعني قمع حرية الفكر.

جدل حول الثقافة

هناك حديث يدور الجدل حولـه ، في داخل الحركـة الإسـلاميـة ، حـول الثقـافـة الملتزمة ، التي تقدمها الحركة للملتـزمين بخطهـا الفكـري والعملي ، ليطـرح السـؤال التالي : هل من الضروري ، او من المناسب ، ان تكون هناك ثقافة خاصـة في الـرؤيـة الإسلامية للمفاهيم العامة ، وللمناهج والأساليب الحركية في الدعوة والحركة ، بحيث تفرض على أتباعها ، أن يلتزموا الدقة في ذلك ، على أساس أن للحركة فكراً إسـلاميـاً خاصاً ، يحدّد للإنسان شرعية الانتماء ، من خلال التزامه بمفردات هذا الفكر ، ليكون الشخص الذي يبتعد عن الخطوط العامة او التفصيلية ، بعيـداً عن خط الإستقـامـة والاخلاص للحركة؟ او ان المسألة تفرض إعطاء المنتمين ، حرية الانفتاح على الثقافـة الإسلامية من بابها الـواسع ، الـذي ينطلق فيـه الانسـان المسلم ، ليطّلع على كل مـا يستطيع الوصول إليه ، من النتاج العلمي للفكر الإسلامي ، في قواعـده ومتفـرعـاتـه ومناهجه العلمية ، ليختار لنفسه ما يقتنع به من ذلك ، وليصنع شخصيته الاسلامية على هذا الأساس ، حتى يكون انتماؤه للحركـة ، منطلقـاً من خـلال رؤيتـه الثقـافيـة لأبعادها وأوضاعها وقيادتها ، من دون تقيّدٍ بالأفكار التي يلتزمها القـائمـون عليهـا ، لأنهم لا يمثلون أيّة سلطةٍ ، على فرض التزاماتهم الفكرية على الناس من حولهم .

العقلية الحزبية والمنفتحة

وهذا هو الفرق بين العقلية الحزبية ، التي تريـد أن تضع النـاس في قـالـب فكـريّ جامدٍ ، لا يسمح لهم بحريـة التفكير المستقل ، وبين العقليـة المنفتحـة على الإسـلام كله ، التي تتحرك في الهواء الطلق ، الذي يتيح لها الحرية في اختيار الخط الإسـلامي ، الذي تقتنع به من خلال تأملاتها الفكرية ، على المستـوى الـذاتي والموضـوعي ، أمـام التنوّع الاجتهادي ، الذي يتمثل في اختـلاف المفكـرين الاسـلاميين ، في إجتهـاداتهم المتنوعة في فهم النصوص والقواعد الإسلامية .

و لعلّ هذا ، هو الذي يمثل حركة الصراع ، بين أسلوب العمل الحزبي في الوصول الى الأهداف الإسلامية ، وبين العمل اللاّحزبي الذي قد يطرح نفسه ، بعنوان «حـزب الله» الذي يقدم نفسه ، على أساس أنـه يمثل حـركـة الامـة الـواسعـة ، في جماهيرهـا

الممتدة، بدلاً من الدوران في الدائرة الضيقة، التي يفرضها التنظيم الحزبي، الذي ينفتح على مواقعه التنظيمية، أكثر مما ينفتح على الأمة كلها.

هذا هو السؤال المطروح، في حركة الخط الاسلامي، الذي ينفتح على الساحة السياسية الواسعة، من أجل تركيز الاسلام على صعيد الواقع، كقوّةٍ فكرية سياسيةٍ قائدةٍ، ليكون الحكم للإسلام، من خلال الحركة الاسلامية.

فكيف نواجه الموقف أمامه؟

هل نختار أحد الخيارين، أو أن هناك خياراً آخر للعاملين فيما بينهما؟..

الثقافة الخاصة ووحدة الأمة

ربما يؤكد القائمون بالثقافة الخاصة الموجهة، في حركة العمل الإسلامي السياسي، بالملاحظة التالية:

إن الحاجة إلى الثقافة الخاصة، تنطلق من الحاجة إلى وحدة التصور للجماعة، التي تلتزم بوحدة الحركة الاسلامية، باعتبارها القاعدة التي تتحرك من خلالها نحو الهدف، مما يجعل من أفرادها، مجتمعاً موحداً منسجماً، في علاقاته ومفاهيمه وأوضاعه، لكيون منسجماً في حركته ومنهجه، وذلك من خلال وحدة الثقافة التي تمثل، في الخط الحركي، وحدة الموقف، ووحدة الشعور العام. وبذلك يمكن توزيع الأدوار في الساحة العملية، على أساس الخطة العامة التي يتوحدون فيها، وفي الالتزام بها. كما يمكن مواجهة التحديات المضادة في الخط الفكري، بالخط الواحد الذي يمنحه كل فردٍ قوّةً جديدةً، من خلال دوره، لتتكامل الأدوار على هذا الأساس.

بينما يمثل الاختلاف في الذهنية الثقافية، الذي يستتبع الاختلاف في الاجتهادات، على مستوى الخط والخطة والاسلوب والهدف، لوناً من ألوان الضياع، الذي يوحي بالاهتزاز، ويفسح المجال لأكثر من مشكلة، على صعيد الواقع الحركي، الذي تتنوع مفرداته، تبعاً لتنوّع الآراء المتحركة في داخله، ويقود الأوضاع نحو التنافر والتجاذب والارتباك.

ويتابع هؤلاء القول، بأنّ الحاجة إلى الحركة الإسلامية من أجل تغيير الواقع،

تفرض الحاجة إلى رؤيةٍ موحّدة للصيغة الفكرية أو العملية، التي تجسد صورة الـواقع البديل، كما تفرض تكامل المجتمع حولها، ليأخذ كل واحد دوره، في هذا الجانب أو ذاك من الصورة، لأن البديل عن ذلك هو الفوضى، عندما يتحرك فـريق في جـانب اليمين، لأن ثقافته الذاتية تؤكـد لـه صـلاح ذلك، ويتحـرك فـريق آخـر في جـانب الشمال، لأنه يرى في هذا الخير للمجتمع، مع انطلاق كليهما من مفهومه الاسـلامي للنظرية أو للتطبيق.

وهذا هو ما يواجهه المسلمـون في اختـلاف الاجتهـادات الفقهيـة، التي أدَّت الى انقسام الامة الاسلاميـة إلى مـذاهب، وإلى مـرجعيـاتٍ فقهيـةٍ متنـافـرةٍ، في فهمهـا للأحكام الشرعية، مما أربك الواقع الاسلامي، ومنع الوصول إلى المجتمع الواحد، في صورة المفهوم الواحد والاسلوب المشترك، والأحكام الموحّدة.

إن المسألة المطروحة هي هل نحن بحاجة الى حركةٍ واحدةٍ فلا بدَّ من ثقافة واحـدةٍ يلتقي عليها الجميع، وإذا كنا نلتزم حرية الحركيّ في قناعاته الثقافية، وفي أوضـاعـه الحركية المتفرعة من ذلك، فلا بدَّ أن نطلق للمجتمع أو للأفراد، الحرية في التعدديـة على مستوى المواقف والحركات، مما يـوحي بأن لكل فـرد الحق في اختيـار اسلـوبـه، الذي يختلف عن أساليب الآخرين.

الثقافة العامة وحماية الأمة

أمّا القائلون بضرورة إعطاء الأمة حريتهـا، في اختيـار الثقـافـة التي تنفتح عليهـا وتلتزمهـا، فيثيرون مسألـة حـريـة كل إنسـان فيما يعتقـد وفيما يقـرأ، وفيما يلتـزم من مفـاهيم، وليس لأحـدٍ الحق أن يفـرض عليـه رأيـه في فهمـه لـلإسـلام، وفي وعيـه للأسلوب الذي يرتضيه لنفسه في حركة الدعوة، أو الجهـاد، لأن المسألـة هي مسألـة قناعته التي يرى فيها طريق الخلاص، سواءً كانت قناعةً يقينيةً نـابعـةً من المعطيـات الذاتية التي يملكها، أو كانت قناعةً تقليـديـةً من خـلال الحجـة التي يملكهـا على تقليد هذا المجتهد أو ذاك، فكيف تستطيع الحركة الاسلامية، أن توجب عليه التـزام هذا الرأي أو ذاك على خلاف رأيه، أو تفرض عليـه تفسير هـذا المفهـوم الاسـلامي، بهذه الطـريقـة أو تلك، أو تجبره على السير في الطـريق، الـذي يختلف عن الطـريق

الذي يراه مشروعاً، في قناعاته الفقهية أو غير ذلك، ومن هو الذي أعطاها الولاية الثقافية أو الفقهية على المسلمين؟

ويتابع هؤلاء القول: إن الثقافة الحزبية المغلقة، تمثل حالة تجميدٍ للفكر الإسلامي في الانسان، لأنها تدخل في نطاق علبةٍ مقفلةٍ، لا تسمح للنور أن ينفذ إليها، ولا للهواء أن يتحرك فيها، فتقول له، إن عليك أن لا تفكر لنفسك، لأن الحركة تفكر لك، وإن عليك أن تبتعد عن الخروج عن الثقافة الخاصة التي يلتزمها التنظيم الحزبي، لأن ذلك يمثل الانحراف عن الخط السليم، وتمرّداً عن الالتزام الحزبي، فيما ألزمت به نفسك من خلال الإنتماء السياسي، مما قد يصل بالموقف إلى مستوى الخيانة، عندما تتعرض سلامة الحركة للخطر، من خلال الاهتزاز الذي يربك الساحة من أكثر من جانب.

إن هذا الأسلوب في التعاطي مع المحازبين، يوحي إليهم بالقصور الفكري، وبالحصار الروحي، وباليأس من الوصول إلى حالةٍ إبداعيةٍ في اكتشاف الجديد، أو في تغيير المفاهيم السائدة، لأن الطليعة ـ وحدها ـ هي المؤهلة للتفكير وللتخطيط وللتجديد، وبذلك تتحول العقلية الحزبية، في دائرة الثقافة الخارجية الموجهة، إلى ببّغاواتٍ تقلد القيادة في كلماتها، من دون أن تتحرك لاستيحاء المضمون في فكر جديد.

ويضيف هؤلاء القول، إن التأكيد على فتح باب الاجتهاد في فهم العقيدة والشريعة والمنهج، هو الذي يوحي، بأنّ للمسلمين الحق في أن يختاروا الطريق للوصول إلى الاسلام، في مفاهيمه وأحكامه، من موقع الوسائل الفكرية التي يملكونها في تحريك إدراكاتهم، وفي مناقشة قراءاتهم، وفي الحصول على النتائج الحاسمة في ذلك، لأننا عندما نتحدث عن حرية الثقافة، فإننا لا نتحدث عن ثقافةٍ لا يملك أصحابها الأسس الفكرية لتكوينها وتركيزها، من خلال المعطيات الحقيقية المتوفرة للمثقفين، لأن المسألة ليست مسألة الواجهات الثقافية، بل هي مسألة العمق الثقافي للفكر الملتزم، في خط الاسلام.

وهذا، هو الذي يحمي الامة من الاختناق، في سجن الأفكار الرسمية المعلّبة، التي تتحول فيه القيادة إلى سلطة، تمارس الإرهاب الفكري، فيما تفرضه على الفكر من قيود قاسية، بفعل الوسائل الضاغطة على تفكير الناس.

ملاحظات ومواقف

ولكن دعاة الثقافة الخاصة الموجّهة، قد يلاحظون على هـذا المنطق، أنّه لم ينـاقش الفكرة بدقّةٍ وأمانة، لأنهم لم يحجروا على حرية الانسان المنتمي إلى الحركة الإسلاميـة، في تفكيره، ولم يلتزموا بثقافةٍ جامدةٍ، لا تتحرك من مـواقعهـا الفكـريـة، إلى الآفـاق المنطلقة في أجواء التغيير، لأن الحركـة التي تعمل على تغيير الـواقع على صـورتها، في مواجهة الصورة القائمة المشوّهة، لا ترفض تغيير بعض ملامح الصورة، إذا اكتشفت فيها تشويهاً أو ظلاماً، فيما يكتشفه الفكر العميق والنظر الدقيق، لأن الـرفض يعني التمرّد على عمق معنى التغيير، في التزام المسؤولية في الاخلاص لحياة الانسان.

إنهم يطرحون المسألة، على أساس معنى الإنتماء، فيما يلتزمه المنتمي على نفسه من موقفٍ وحركةٍ، في قناعاته بالقاعدة الفكرية للحركة، وبالامتدادات الحركية في خطها العريض، وفي تفاصيلها المتفرعـة عن ذلك، لأن الإيمان بـالأصـول، يفـرض الإيمان بالفروع بشكلٍ تلقائيٍّ، مما يجعل للحركة الحق في محاسبتـه على مـواقفـه، من خـلال مطالبته بتعهده بالالتزام الفكـري والعملي بخطهـا، على مـا هي القـاعـدة المعـروفـة «الزموهم بما ألزموا به أنفسهم . . » مما يجعل القضية، قضية صفتـه الحركيـة في إيمانـه بالخط وبالقيادة، على أساس أن هنـاك خطـاً للحـركـة، يلتـزم بـه الجميع، وخطـاً للقيادة، يسير عليه الجميع.

الثقافة الموجهة والعامة

وقد لا يعني ذلك، أن الذين يحركون الثقـافـة الموجهـة في واقع الحركـة، يمنعـون الناس الحركيين من الأخذ بالثقافة العامة الـواسعـة، فيما يقـرأون وفيما يسمعـون وفيما يشاهدون، وفيما يدخلون فيه من صراعٍ وحوارٍ في القضايا الفكرية والسيـاسيـة، فهم قد يدفعونهم إلى الإستزادة من ذلك، لأنه يعتبر إغناءاً للتجـربـة وتـوسيعـاً للثقـافـة وتعميقاً للوعي، وتأصيلاً للشخصية الإسلامية التي تلتزم بقناعاتها، من موقع الفكر المقارن، والعقل المقارن، مما يدفع بها إلى مواقع القيادة الأمينة على مستقبل الاسـلام، من خلال الأفق الواسع الذي تتحرك فيـه، من أجل أن يكـون ذلك وسيلـةً، لإيجاد آفاق واسعة لحركة الاسلام في الحياة، على مستوى العالم، بدلاً من تجميـده في الحدود

الضيقة في الواقع.

الثقافة بين الإنسان والحركة

وإذا كانت هذه الثقافة، موجبةً لتغيير ذهنية الانسان الحركي، إلى ما يخالف المرتكزات التي يقوم عليها الفكر الحركي، فإن ذلك لا يؤدي إلى إخراج هذا الانسان من الحركة، أو اضطهاده من قِبَل قياداتها تماماً، كما لو كان قد قام بجريمةٍ تمرّدٍ على الخط، أو انحرف عن الالتزام، بل إن القضية تطرح في دائرة الصعيد الحركي، على أساس أن رأيه لا يلزم الحركة، ولا يفرض عليها تغيير مسارها، كما لا يفرض على الحركيين الآخرين ذلك، فليس له أن يلزمها بما لا تلتزم به، لأنها لم تقتنع به، بل كل ما هناك أن يتحرك نحو إقناع الآخرين برأيه، فإذا اقتنعوا به فقد وصل إلى ما يريده عندما يتحول الخط، وإذا لم يقتنعوا به، فإنّ عليه أن يبقى في خط المعارضة لتأكيد فكره، بالوسائل الشرعية في المنهج القرآني، الذي وضعه الله لحركة الخلاف الفكري، مع التزامه بالخط العام للحركة الاسلامية، من دون أيّ لونٍ من ألوان الإثارة الانفعالية، التي تثير الفوضى وتؤدي الى الإرباك والاهتزاز. إن الحركة الاسلامية التي تلتزم بثقافةٍ خاصةٍ، تثير القضية من خلال الفكرة التي تقول: إن القاعدة الفكرية في خطوطها العامة والتفصيلية، قد انطلقت من قناعاتٍ في فهم الاسلام، واتبعها الناس الملتزمون بها، من خلال اقتناعهم بها وثقتهم بقيادتها، بعيداً عن أيّة حالةٍ قمعيةٍ ضاغطةٍ، وهي مستمرة في خطها الممتد في الحياة، ما دامت معتقدة بأنه يمثل الخط المستقيم المتحرك، على اساس الحقيقة... ، فإذا استطاع الناس أن يكتشفوا الخطأ في ذلك، فيما يكتشفونه من الخلل في طبيعته، أو في تفاصيله، فإن الحركة الاسلامية المخلصة لله وللإسلام، لا بدَّ أن تغيّر مفهومها القديم الخاطىء، إلى مفهومها الجديد المصيب، تماماً كما هو المجتهد الذي يكتشف خطأ اجتهاده، الذي اتبعه عليه مقلدوه، فيرجع عنه، ويتبعه المقلّدون في ذلك من دون أيّ حرج أو مشكلة.

بين الدليل والحجة الشرعية

ولا نـريـد أن نجعل المنتمين إلى الحركـة مقلـدين لها، ليتحـدث بعض النـاس في الدليل الشرعي على حجة هذا التقليد، بل إننا نريد أن نتحـدث عن القنـاعـة، التي يمتلكها المنتمون فيما يملكونه من حجةٍ شرعيةٍ، على هذا الإنتماء، سواءٌ كانت حالـةً إجتهاديةً فيما يتوصلون إليه من اجتهادٍ جزئي في شرعية الحركة، فيما يصلون إليـه من الخطوط العامة، أو كانت حالة تقليدية فيما يأخذون به من رأي المجتهد المقلَّد في هذا الإنتماء أو فيما تتحرك فيه الحركة لا من قيادةٍ اجتهاديةٍ في مستوى المرجعية، التي يرجع الناس فيها إليها في حركتهم الإسلامية.

دور الحركة الإسلامية

ان الثقافة الموجهة لا تلغي حرية حركة الفكر، بل هي تعبير عن وحـدة الحركـة في وحدة الفكر، مع إبقاء النوافذ على كل الفكر الآخر الذي يـرصـد الخطأ والصـواب، ليستطيع تغيير القاعدة الفكرية للحـركـة، من خـلال تغيير الـذهنيـة التي أدت إلى الإلتزام الخاص، من خلال القناعة الخاصة.

إن الحركة الاسلامية، تدعو إلى النقد كما تدعو إلى الإلتزام، وتنادي بالمراقبـة، كما تنادي بالانضبـاط، ولا تـدّعي العصمـة لنفسهـا إذا لم تكن قيـادتها معصـومـة «ولا عصمة لأحد في كل قيادات الحركة الاسلامية المعاصرة». وعلى ضوء هذا، فإن الفكر الاسلامي، يبقى متحركاً في ساحة التغيرات الاجتهادية أو الموضوعية، من خلال كل عنـاصر التغيير، لتبقى الحركـة الإسـلاميـة في حـالـة تقـدّم وتطـوّر، في البحث عن الحقيقـة، التي قـد يلفهـا الضبـاب، لتشرق عليهـا الشمس بعـد ذلك، وفي خط الاخلاص لله ولرسوله، الذي يفرض الاخلاص للإنسان وللحياة.

الحركة الاسلامية بين الايجابية والسلبية

* الاوضاع السياسية في العالم
تحتاج الى السلبية لتأكيد الطريقة الاسلامية .

* التجربة الايرانية أغنت الساحة
بمفردات العمل السياسي السلبي والايجابي .

* الاجتهاد الاسلامي يملك المرونة
لتحويل السلبية الى ايجابية لحساب الهدف .

* الاسلوب الايجابي
هو الاسلوب العملي الذي يرتبط بحركة الواقع .

* من الضروري ان يكون لنا
في كل قضية رأي وفي كل ساحة موقع .

أساليب العمل

هناك في الواقع العملي اسلوبان في حركة العاملين، الاسلوب الايجابي والاسلوب السلبي ـ ونعني بالاسلوب الايجابي، النهج الذي يواجه الواقع بالافكار التي تحدد الموقف في كل ساحة، وتضع الحلول لكل مشكلة، وتدير المسألة بالطريقة التي لا تترك فراغاً في التصور او في الحركة، بحيث لا يشعر الناس ـ معها ـ باللاموقف. اما الاسلوب السلبي، فهو النهج الذي يواجه الواقع، بالافكار التي تبقى القضية معها جامدة في مكانها، رافضة للافكار المتحركة في الواقع، من دون ان تضع في الساحة افكارا بديلة، ليكون الجو للرفض المطلق، الذي يعمل من اجل الهدم لا من اجل البناء.

وقد يكون من الطبيعي، ان يكون الاسلوب الايجابي هو الاسلوب العملي، الذي ينبغي للحياة ان تأخذ به وتتوفر عليه، لأنه، هو الذي يرتبط بالحركة الواقعية التي تحتوي قضاياها، وترتبط بها بشكل مباشر، وتمنحها نموا وتطورا في الحركة التصاعدية للاشياء، بينما لا يحقق الاسلوب السلبي لها اي شيء، لان العدم لا يحقق وجوداً، والنفي لا يؤكد الحياة.

واذا كان الموضوع بهذا المقدار من الاهمية في الواقع العملي، فقد يكون من الضروري، ان يكون لنا في كل قضية رأي، وفي كل ساحة موقع، وفي كل حركة موقف، لنستطيع تأكيد وجودنا في ساحة الصراع الفكري والعملي، لأن ذلك هو الذي يمنحنا الصفة الحركية الانسانية في خط الزمن.

الإسلاميون والسلبية

وقد يثير البعض في هذا المجال، أن الاسلاميين في حركتهم السياسية، يرتبطون بالسلبية بدلاً من الايجابية، لأنهم يقفون أمام الأهداف البعيدة المدى، التي تمثل الاستراتيجية المبدئية في آخر الطريق، مما يجعلها تواجه قضايا الواقع العملي فيما يشبه الفراغ، الذي يؤدي إلى اللاموقف في ساحة مواقف الاخرين، وإلى اللامبالاة في مواقع اهتمامات الحياة التفصيلية في مفردات الواقع، في الوقت الذي يتقنون فيه عملية إرباك الساحة بالاتجاهات الرافضة، التي تتقن صناعة الهدم بشكل حاسم

فاعل.

وربما كان الهدف الذي يضعونه في دائرة الشعار قريباً من الفكر المستحيل، على مستوى الظروف الموضوعية المحيطة بالساحة، في المراحل العملية التي تتحرك في المستقبل المنظور، مما يجعل الناس يتطلعون الى الأفق الماثل أمامهم، فلا يجدون هناك بارقة أملٍ فيما يفكرون فيه، في مواجهة الفرص الواقعية التي تنتظر مشاريع الاخرين، الامر الذي يؤدي إلى أن يتحولوا إلى الخط الآخر.

ولعل ذلك الذي يغري التيارات الفكرية او السياسية المضادة، ان توحي بان الحركة الاسلامية لا تملك عناصر الثبات المتجذرة في الواقع، ولا تجد الوسائل العملية التي تمنحها إمكانية الوصول الى النتائج الواقعية الحاسمة، بل تبقى في دائرة المثال، الذي يثير في الناس كثيراً من المشاعر المؤثرة او الاحلام الجميلة، ولكنه لا يغني عنهم شيئاً، ولهذا فانهم يعتبرون انها حركة طارئة، لا تلبث ان تتبخر وتذوب امام حركة التطور الصاعدة، وذلك في الاجواء الاعلامية المضادة.

هل هذه هي الحقيقة؟

وكيف نواجه المسألة في ساحة التحدي؟

التقليديون بين الغيب والتقية السلبية

ربما نجد في بعض الافكار الموجودة في الساحة الاسلامية شيئاً من هذا القبيل في دائرتين:

الدائرة الاولى: التي يتحرك فيها التقليديون الذين يمثلون المحور الفكري، الذي يرى في كل الواقع السياسي والتشريعي الذي تتحرك به الحياة في دنيا الناس، واقعاً بعيداً عن الشرعية الاسلامية، ولكنه لا يجد فرصةً لمواجهته بوسائل التغيير، لأنه لا يجد شرعية الحركة المضادة، التي تؤدي إلى هلاك الأنفس والأموال، بالمستوى الذي لاتساعد عليه القواعد الشرعية، لأن الوصول الى حكم الاسلام كبديل عن حكم الكفر، يتوقف على مقدمات لايجب على الناس تحصيلها، لانها من «شرائط الوجوب» كما يقول الاصوليون لا من شرائط الواجب، بل قد يحرم عليهم السعي اليها، لانها تلتقي ببعض المحرمات، ولذلك فان هؤلاً ينتظرون الغيب الالهي في

الوصول الى الاهداف في آخر الزمان، ويعتمدون على بعض الاحاديث المأثورة، التي تتحدث عن لا شرعية كل حركة للوصول الى الحكم فيما قبل ذلك، ولذلك فانهم يتحركون في خط «التقية المطلقة»، التي تتجمد في خط الحذر الشديد المغرق في استثارة عوامل الخوف في الساحة، للتأكيد الدائم على العناصر اللاواقعية في التحرك السياسي، لينطلق الاخرون في مشاريعهم العامة، ليؤكدوا وجودهم الكافر او الضال في الواقع الاسلامي، من دون أن يواجهوا مشروعا اسلاميا مضادا . .

ولكن هؤلاء الاسلاميين في الفكر، قد يتحركون في رفض الفكرة المضادة من الاساس، في تثقيف الناس ضد التيار الماركسي أو التيار القومي أو الوطني أو العلماني، في حركة ثقافية، تبقي المسلمين في خط المواجهة الفكرية للاخرين، وقد ينطلقون في خطوات سياسية رافضة لبعض المشاريع التفصيلية، في الدائرة السياسية في ساحة الاخرين، ليكونوا القوة التي تثير الجو لاسقاط حكم معين، ولكن لا لمصلحة حكم الاسلام، بل لمصلحة حكم آخر غير اسلامي، ليعود المعارضون الاسلاميون الى دائرتهم الثقافية الاسلامية، ليعارضوا فكر هذا الحكم أو ذاك من دون مشروع عملي .

وقد نلاحظ في هذه الدائرة فريقا من الناس، الذين يدعون الى الاستسلام المطلق الذي لا يعمل على تحريك الرفض للواقع، بل قد يدعو الى التعامل معه بواقعية، تختلط فيها السلبية الفكرية الرافضة بالايجابية العملية المنسجمة مع المشاريع العامة، مما يجعلهم سلبيين امام حركة الهدف الاسلامي الكبير، او الهدف المرحلي في قضايا الانسان، ولكنهم ايجابيون في الانفتاح على الانحراف من ناحية عملية .

الاسلاميون في دائرة التنظير

الدائرة الثانية : وهي دائرة الاسلاميين الذين يعملون على الوصول الى حكم اسلامي بالعمل التنظيمي، الذي يحتوي الثقافة الاسلامية في جانب العقيدة والشريعة، وفي ساحة الحركة السياسية في الواقع الاسلامي، بحيث يتحركون في عملية صنع الشخصية المسلمة المنفتحة سياسيا، والمتحركة في خط الحركة السياسية التنظيمية، ويعملون على نقد الواقع والانفصال عنه في ساحة المواقف، بالتحديد

الحاسم للخط الفاصل، بين ما هو الموقف الاسلامي في هذه المسألة أو تلك، وبين ما هو الموقف المرتكز على الفكر الكافر، ولكنهم يظلون في دائرة التنظير، الذي لايعمل على الضغط على الواقع بقوة، كما أنه لا يحرك أي مشروع سياسي مرحلي على مستوى القضايا المرحلية التي يعيشها الناس، لان المسألة عندهم، هي ان تكون المشاريع السياسية في نطاق الدائرة الاسلامية العملية، وقد يرون ان ذلك لن يتحقق، الا في الحالة التي تصل فيها الامة الى النضج الفكري السياسي، الذي يجعلها في مرحلة استلام الحكم ليقوم حكم الاسلام.

وفي ضوء ذلك، فانهم يرفضون الواقع، ويعملون على تهديم قواعده، ويتطلعون الى المستقبل البعيد، ليضعوا المشاريع البديلة عنه، مما يجعلهم سلبيين أمام الساحة، فلا يرسمون لها حلولا مرحلية تملأ الفراغ، بل ينطلقون الى التحديق بها، لاكتشاف سلبيات الاخرين، لتسجيل النقاط السلبية عليهم في ساحة الصراع الفكري والسياسي.

الموقف الرمادي

هذه هي بعض الملامح البارزة في الساحة الاسلامية، ولكن هناك دائرة ثالثة تتحرك في ساحة أوسع من الدائرتين المذكورتين، وهي دائرة الاسلاميين الذين يقفون ضد المشاريع اللااسلامية في مسألة الحكم، ليكون الحكم الاسلامي هو الهدف الكبيرفي حركة الصراع، ولكنهم لا يظلون في مكانهم ليتجمدوا امام الهدف، بل يعملون على التخطيط للوصول الى الهدف، من خلال خطط مرحلية، تواجه المسألة الاستراتيجية بالاسلوب المتحرك بمرونة وفاعلية على مستوى الطروحات العملية، التي تزيل بعض الحواجز، وتقرب المسافات البعيدة، وتحرك بعض المشاريع العملية، وتعمل ـ في بعض الحالات ـ على تحريك العلاقات مع الاخرين والانفتاح عليهم، من اجل الوصول الى بعض الاهداف المرحلية المشتركة في مواقع اللقاء مما يجعل من حركتهم السياسية حركة ايجابية في اسقاط بعض المشاريع، وبناء مشاريع اخرى.

وقد يثير البعض في هذا المجال، ان ذلك يعني الدخول في اشكالات شرعية، من خلال احتضان بعض الخطط العملية، التي قد لايكون لها اساس شرعي، بل قد

يكون لها في بعض العناوين عنوان شرعي مضاد، فنحن لا نستطيع ان ندخل في مسألة التشريع لاحكام لم يشرعها الله، مما قد يؤدي الى الوقوف جامدين في مواقعنا، فاما الحصول على الاسلام كله، واما الابتعاد عن كل مواقع اللااسلام في الساحة، مما يجعل الموقف دائراً بين اللون الابيض والاسود، فلا مجال للون الرمادي، بحيث تكون السلبية هي العنوان الطبيعي لكل عنوان.

ولكننا نلاحظ على ذلك، ان المسألة ليست بهذه المثابة من الضيق، فهناك اكثر من فرصة للحركة في اتجاه تحريك المسألة السياسية، لاسقاط بعض المواقع أو الرموز الكافرة والطاغية، او المشاريع الخاصة المضادة، للانتقال الى مرحلة متقدمة في خط الاسلام، من دون الوقوع في اشكال شرعي، لأننا في هذه الحالة، لانتبنى عنوانا غير اسلامي من عناوين التيارات السياسية الاخرى، بل قد نفسح المجال امامها من دون معارضة، باعتبارها قريبة من الهدف، مما قد يمنحها بعض الشرعية المرحلية، لاكتسابها بعدا اسلاميا في نطاق المصالح والمفاسد الطارئة، التي قد تخضع لها الاحكام الشرعية في تقدم بعضها على البعض الاخرى، في دائرة التزاحم بين ملاكات الاحكام الشرعية، ولكن التبرير الشرعي لمثل هذه الامور، لا بد من أن يخضع في المسألة الاعلامية، للعناوين الشرعية المتحركة لا المحدودة، بحدودها الواقعة في تلك الدائرة، ولا العناوين المطلقة، التي قد تسيء الى التصور الاسلامي في الساحة الشرعية، مما قد يوحي بأن الحركة الاسلامية تتجاوز شعاراتها لتتبنى شعارات الاخرين. وعلى ضوء ذلك، لا بد من التأكيد على العناوين الثانوية، التي تخضع لها الحركة السياسية الاسلامية في خط المعارضة للواقع..

الاجتهاد السياسي والعناوين الثانوية

اننا نريد ان نثير في هذا المجال، ان الاجتهاد الاسلامي يملك الكثير من المرونة الفكرية والحركية، التي يمكن لها ان تحرك ايجابيات الساحة في دائرة الطروحات العملية، التي لاتترك هناك أي شلل في التحرك، وأي فراغ في الواقع، مما يؤدي الى ان تجتذب الحركة السلبية حركة ايجابية مقارنة لها، لحساب الهدف الكبير، فلا يكون الاسلاميون في الموقع الذي يتحركون فيه لخدمة الاخرين، بل يعملون على اثارة الحركة لحساب الاسلام، لانهم يملكون الاسس التي تثير امامهم الحلول العملية للمشاكل

الطارئة، في نطاق القواعد الاسلامية العامة، في دائرة العناوين الثانـويـة، التي تمنح الموضوعات العملية بعدا شرعيا جديـدا، وفي دائرة التـزاحم بين المصـالح والمفـاسـد الواقعية، التي قد تجمد حكما اسلاميا معينا لمصلحة حكم اسلامي آخر، في حساب الاهمية في الملاك، وهكذا ينطلق الاجتهاد الشرعي في دراسة الواقع المتحـرك، ليلتقط منه المفردات الشرعية التي يتحرك فيها الاجتهاد السياسي، في نطاق التخطيط للحركة الاسلامية في ساحة الواقع.

ولن نطلق المسألة في دائرة النظرية، التي قـد تـدخلنـا في متـاهـات الفـرضيـات والاحتمالات، بل اننا نستطيع الاشارة الى التجربة الاسلامية الـرائدة في حـركـة الثـورة الاسلامية في ايران، التي انتصرت في ادارة المسألة الاسلامية الثورية في خط المعارضـة للحكم الـلااسـلامي، كما انتصرت في تأسيس الحكـومـة الاسـلاميـة، على اسـاس الخطوط الشرعية المرحلية في التخطيط للحركـة، وفي اللقـاء بـالاخـرين، وفي تحريك المواقع المختلفة في الساحة، وقد تمكنت من اغنـاء السـاحـة الاسـلاميـة في مفـردات العمل السياسي، في نطاقها السلبي والايجابي، مما ترك للحركـة الاسـلاميـة في المواقع الاخـرى، أو في مستقبلهـا العملي، الكثير من التجـارب والمواقف والمواقع، التي نستطيع الافادة منها في الحركة السياسية.

وقد كان البعض ممن يتهمون العمل الاسـلامي الان بـالسلبيـة، يـواجهـون تلك الثورة بنفس التهمة، لانهم لم يتعودوا على السلبية الحاسمة التي تنتظر ايجابيـات كبيرة بنفس المستوى، بل كانوا معتادين على الاسلوب الخائف الذي ينتظر النتيجـة بشكل سريع، بحيث لو تأخرت قليلا، خافوا على الموقف من الانهيار.

ان كثيرا من الاوضـاع السيـاسيـة في العـالم، على صعيـد الاوضـاع والاشخـاص والمواقع، قد يحتاج الى الكثير من المواقف السلبية التي تهزمها نفسيا، لتؤكد الاسلوب الجديد البعيد عن الاساليب المألوفة الخاضعة للطريقة الغـربيـة في العمل السيـاسي، ولتؤكد الطريقة الاسلامية في الواقع الاسلامي السياسي.

الحركة الاسلامية وصيغ العمل

*بين خط التنظيم وخط المرجعية :

* العاملون للاسلام
امام صيغ الحزبية والمرجعية والشورى

*الهدف من الصيغ
الوصول الى خدمة الاسلام لا تشكيل اطار خاص

*التنظيم المشبع
بالروح الاسلامية موقع مهم للعمل .

الرأي الاول: التنظيم مفسدة وتعصب

لايزال الجدل يدور بين العاملين لـلاسـلام في تحديد الصيغة التي يتحرك فيها العمل. . فهناك من يعتبر التنظيم السياسي مفسدا للعمل، ومخرجا لـه عن طبيعته الاصيلة، التي تتمثل في الخط الاسلامي الروحي، الذي يترك للانسان المسلم حرية الانطلاق في العمل، فـلا يحبسه في اطار ضيق، من حيث تحديد المسـؤوليات التنظيمية، التي تربطه بأجهزة وخلايا وقيادات، لا تملك من أمر القرار الشرعي شيئا. . كما هو شأن الصيغة الحزبية للتنظيم، وبذلك يرى هؤلاء. . أن هذا الاسلوب غريب عن ثقافتنا ومفاهيمنا وأساليبنا الاسلامية في العمل، ولم نعهد في خطوات رسول الله «ص» الذي هو هدانا في النظرية والتطبيق، ان قام بمثل هذا الاسلوب في عمله في الوقت الذي كانت الرسالة تواجه أخطر مشاكل الوجود، ويطرح هؤلاء خط المرجعية، التي تستوعب كل النشاطات العملية للمؤمنين، في صيغة ادارية، تنظم لهم علاقاتهم بالقمة، في اوضاعهم المالية والعملية والحركية. . وتوضح لهم خط العمل المتحرك، من خلال الفتاوى الشرعية والتوجيهات العملية. . من موقع القيادة الاسلامية الشرعية، التي تصلح ان تكون عذرا للمؤمن امام الله. وربما يثير البعض شيئا غير المرجعية فيما يتصورون، من اساليب الارتباط بين القاعدة المؤمنة والقمة المشروعة. . فيما يثيرونه من فكرة« الشورى»، التي يرونها بديلا عن فكرة «ولاية الفقيه». وفي جميع الاحوال، لامجال للحزبية في التحرك، لانها اسلوب غربي، لا يلتقي مع القواعد الفكرية التي نؤمن بها ونسير عليها.

وقد يضيف البعض الى سلبيات هذا الاسلوب التنظيمي في العمل، سلبيات في تكوين الشخصية الداخلية للانسان الحزبي، فانه يثير في داخل هذا الانسان شعورا عميقا بالانتماء الى الصيغة والاطار. . حتى التعصب، بعيدا عن الانتماء الحي الى الاسلام والايمان، بحيث يشعر بالانفصال عن المؤمنين الاخرين، الذين لا يلتقون معه بالانتماء الخاص، بالمستوى الذي يصل الى العداوة، او ما يقرب من العداوة، تماما كما هي الحدود، التي تفصل بين دين ودين. . وربما كان من مظاهر هذه السلبية، التعبير المتعارف لدى هؤلاء عن غيرهم من المؤمنين، بالمسلمين التقليديين، أو غير الواعين، أو الذين لا يفهمون الاسلام جيدا. . وربما تتصاعد حمى هذه النظرة، فيتحول الحديث عن هؤلاء بأنهم غير مسلمين، لابتعادهم عن الخط الاصيل

للاسلام، والمفهوم الحقيقي له . . بينما يتحرك خط «المرجعية»، أو «الشورى . .»، فيقود المسلمين الى الشعور بالانتماء الى العقيدة والشريعة المتمثلة بحكم الله، الذي تمثله الفتوى، من خلال النظرية والممارسة، لا الى الشخص والجهة، ولذا فانه لا يعيش الشعور السلبي تجاه المؤمنين الاخرين، في حجم الحدود الذاتية للشخصية، بل قد يحس احساسا خفيفا بخطئهم في التحرك، او في النظرة، مما لا يحقق اي انفصال عنهم في مشاعره وعواطفه، وبذلك لا يدخل في دائرة التعصب الذاتي المرفوض اسلاميا، لانه يشعر بأنه يلتقي معها في هذا الانطلاق الاسلامي، في خط العبادة والمعاملة والجهاد، فلا اطار الا الاطار الاسلامي، الذي يتحرك الجميع فيه، فهو سر الشخصية . . وهو حدها الاصيل الفاصل .

. . وقد يجد هؤلاء في هذا الاسلوب التنظيمي، ما يوحي بالخروج عن دائرة الاحكام الشرعية، لان اهتماماتهم تتركز على اطاعة الاوامر المباشرة من قياداتهم المسؤولة في نطاق التنظيم، الامر الذي يجعلهم يبتعدون في عمق الشخصية، عن مراعاة الحكم الشرعي في هذا الموقف او ذاك، من حيث موافقته لهذه الاوامر وعدم موافقته .

الرأي المقابل: التنظيم تركيز للخطوات وصنع للقيادات

وهناك رأي مقابل لهذا الرأي، يعرض القضية في وجهة نظر مختلفة عن وجهة النظر هذه فيرى هذا الفريق، ان الاسلوب التنظيمي في الاطار الحزبي، لا يشكل خطورة على سلامة العمل من ناحية فكرية، كما لا يشكل انحرافا عن خطه الاصيل من ناحية عملية، بل هو على العكس من ذلك ـ يضمن للاسلام التركيز في خطواته المرحلية نحو الوصول الى الهدف، لان من اصول التنظيم، ان يحدد للعمل مراحله، من خلال الظروف الموضوعية المطروحة في الساحة، التي قد تفرض السرية تارة، وقد تفرض العلنية اخرى . . وقد تثير البعد عن الدخول في الصراع السياسي في وقت، لتكتفي بالدعوة الى الله في مجالاتها العامة والخاصة، وتربية القاعدة على اساس المفاهيم الاسلامية الاصيلة، التي تحفظ لها التوازن في شخصيتها الاسلامية، من اجل ان تعرف كيف تطلق التفكير، على اساس الفكر الاسلامي، فيما يطرحه الواقع الفكري من قضايا ومشاكل ومفاهيم وتحديات، فان التربية العامة التي تقوم على

المواعظ والنصائح والوصايا والتوجيهات، والمفاهيم العامة الغائمة التي تظل تعيش في بعد عن الواقع، لايمكنها ان تحفظ للشخصية أصالتها الفكرية، بينما تتحرك التربية الخاصة المنظمة، لتصوغ الشخصية صياغة هادئة منهجية، منتقلة بين قضايا الفكر وقضايا الواقع، لينطلق الانسان في هذا الاتجاه مع الفكر في حركة الواقع، ومع الواقع في منطلقات الفكر، فلا يبقى حائرا بين ما يفكر به وبين ما يعيشه من قضايا، فاذا انتقلت الحركة الى المجال السياسي، لتخوض الصراع مع الاخرين، فيما يطلقونه من سياسات، وفيما يخططونه من مناهج للعمل، كانت الساحة جاهزة للتحرك في الصيغة الاسلامية الصحيحة، التي لا تضيع عن خطوط الواقع، ولا تنحرف عن حركة المفاهيم الاسلامية الحقيقية، فلا يختلف الخط السياسي عن الخط الفكري، لان التربية السياسية في المجال الثقافي، كانت سابقة للتحرك السياسي، مما يجعله بعيداعن التحرك في الفراغ، كما لو كان يريد ان يستوحي الفكر من خلال التجربة، ولا يحرك التجربة في خط الفكر، ليوجهها في هذا الاتجاه وهكذا تبدأ الممارسة في المرحلة السياسية، لتربي الجيل والقادة على التقدم في خطوات هادئة منظمة، من أجل مسؤولية المستقبل في حياة الناس. . وهكذا يتحرك الخط السياسي، ليحدد للامة الخط العسكري، في صراعها المرير مع اعداء الله وربما تقتضي الظروف المحيطة بالامة، ان تتداخل المراحل مع بعضها عندما تعيش الهجمة الاستعمارية الكافرة على الايمان والمؤمنين، فيضطرهم ذلك الى الدخول في مرحلة متقدمة، تحمي لها مواقعها، وتحفظ لها خطوطها، تماما كما هي الحالات الطارئة التي تمر بالامة، في اوضاعها السياسية والاقتصادية والعسكرية.

وفي جميع الحالات، نلتقي بالعناصر القيادية المتنوعة، التي امكن للتنظيم ان يصنع منها القيادات، التي تستطيع ان تقود التحرك في خط الاسلام الحق، بعيدا عن الضغوط الخانقة التي تفرضها الاوضاع والظروف الشاذة، فلا نحتاج ـ عند نجاح الحركة ـ الى ان نستعير قيادات من هنا وهناك، ممن ليس لهم سابقة في دين، ولا تقدم في يقين. . الامر الذي يوجب انحراف الحركة عن هدفها وفكرها واسلوبها العملي الواعي، والدخول في متاهات روحية لا يعرف اولها من آخرها.

التنظيم باشراف المرجعية

اما قضية الشرعية في خطة القيادة ومقرراتها وتعليماتها، فانها لا تمثل مشكلة صعبة غير قابلة للحل، فيمكن ان يشرف على ذلك كله فقيه كفؤ، او مجلس فقهاء، ممن تقوم به او بهم الحجة على الناس، لا سيما اذا كانت اغلب القضايا التي تعرض في الساحة، من الموضوعات التي يرجع فيها إلى اهل الخبرة، حتى من قبل الفقيه، وليست من الاحكام التي يرجع فيها الى الفقيه.. وهي على كل حال، ضرورة شرعية، لا بد لكل من يعمل للاسلام في أي خط من الخطوط، وبأي اسلوب من الاساليب، من ان يعمل على احراز تكليفه الشرعي، او تكليف الاخرين الذين يعملون ويتعاونون معه..

واما فكرة الغربة عن اساليب الاسلام، واساليب النبي محمد (ص)، في دعوته الى الله، وفي العمل في سبيل الله، فهي فكرة لا تخلو من غرابة، لان الاسلام لم يفرض على المؤمنين اسلوبا معينا، وطريقة محددة، في طريق الدعوة الى الله، بحيث يحتاج العاملون الى نص خاص، في كل اسلوب، وفي كل طريقة، بل وضع لهم المنهج العام في الدعوة، بأن تكون بالحكمة والمواعظ الحسنة، والجدال بالتي هي احسن، وفي العمل، بأن أراد لهم، ان تكون الخطوات، خاضعة للاحكام الشرعية العامة، فلا ينحرف خط عن حكم شرعي، مهما كانت الاوضاع والظروف، الا في الحالات الصعبة، التي تفرض فيها قاعدة التزاحم بين الملاكات، ان يتجمد الحكم الشرعي في هذه الواقعة او تلك، امام الهدف الاهم، الذي يفوق الملاك الذي يتحرك فيه الحكم الشرعي، الامر الذي يترك للعاملين الداعين الى الله، حرية اختيار الاسلوب الذي يريدونه، في سبيل الوصول الى الهدف الكبير، في دائرة الاحكام الشرعية..

المرجعية ليست بديلا عن التنظيم

اما المرجعية.. في خطها وحركتها، فانها لن تكون بديلا عن التنظيم، ولكنها تتقوى به وتقويه، عندما تشرف عليه، من خلال الفكر الاسلامي، وتتحرك من اجل ان تفتح له الابواب المغلقة، وتنظم له بعض خطواته وطريقة مساره، وتوجهه في الاتجاه السليم، اذا انحرفت به الاوضاع في غير الاتجاه الصحيح..

ان المرجعية، قد تستطيع ان تدفع التحرك بعيدا، في عملية اثارة الامة، وتحريك المشاعر، نحو مواجهة السلطة الغاشمة، فيما توجيه للمؤمنين من تكاليف شرعية تفرض عليهم هذا الامر او ذاك، وتضمن لهم من خلال ذلك، الشعور بالرضا، والامن من عقاب الله، فيما يتحركون فيه، لان المرجعية، تحرز لهم سلامة التكليف الشرعي في هذا الموقف او ذاك.. انها قد تستطيع ذلك في بعض المراحل الناضجة سياسيا، ولكنها قد تلاقي جهدا كبيرا ووضعا صعبا، في الحالات التي لم تنضج فيها التجربة، مما يقتضيها تنظيم اوضاعها وخطواتها، وتحريك مراحلها، من اجل تنضيج الواقع من حولها، من اجل ان يصل الى هذه المرحلة، التي تقوده الى الواقع الاصيل، مما لم يحصل لها الا في الاطار التنظيمي المسؤول.

.. وفي موضوع الاحساس بالتعصب ضد المؤمنين الاخرين، لا نجد هذا الموضوع يصل الى حجم الظاهرة، التي ترتبط بهذا الاسلوب العملي، بل قد تتمثل في بعض الظواهر المتصلة بهذا الشعور.

الحزبية موقع لتنظيم العمل

ونحن امام وجهتي النظر هاتين، نتحفظ في هذا الاستقطاب الذي يعرض فيه كل فريق وجهة نظره، لاننا عندما نثير هذا اللون من الاسلوب او ذاك، لا نريد ان نتجمد امام الصيغة المطروحة كما هي، سواء في ذلك، خط المرجعية، او خط التنظيم.. بل نعمل على اصلاحها فيما تشتمل عليه من انحرافات او سلبيات.. فاذا كانت الحزبية تقود الى التعصب، وتعمل على الايحاء للانسان بالانحراف عن خط الشريعة.. فان علينا ان ندخل فيها الروح الاسلامية التي تجعل منها، مجرد موقع من مواقع العمل من دون ان يكون للاطار اية قيمة في تكوين الشخصية، وذلك بالمزيد من التعليمات، التي تؤكد على الشخصية الاسلامية للعاملين، بالايحاء الدائم لهم، بان الاختلاف في اساليب العمل، وفي وعي حاجات الساحة، وفي حركة العاملين، لا يعني الغاء الشخصية الاسلامية، وانكار دورها في تعميق الصلات الروحية بين المؤمنين، وبذلك تبقى للعاملين مشاعرهم الاسلامية العميقة المتعاطفة مع كل مؤمن ومسلم، مهما كانت طريقة فهمه للاسلام، وذلك من موقع الحاجة الى اصلاحهم بالمحبة، وهدايتهم بالفكر والرحمة، اما الانحراف عن الشريعة، فلا بد لنا

من ان نقف امامه وقفة ايجابية، ترصد الظاهرة في مفرداتها الجزئيـة الصغيرة والكبيرة، ثم تعمل على مواجهتها بالثقافة الشرعيـة، كأسـاس من أسس الثقـافـة التنظيميـة، والعمل على تربية الخوف من الله، ومحبته، ومراقبته في نفس كل عـامل، والتأكيـد، على أن الاسـلام لايعني شيئـا خـارج نطـاق الالتـزام الشرعي، في الاشيـاء الجزئيـة والكلية، لانه لاقيمة للدعوة للاسلام لدى الدعاة الى اللـه، اذا لم يعيشـوا الالتـزام، فكرا وعاطفة وعملا وحركة حياة. . لان فقدان الالتزام، يمنع العمل من التجـذر في نفوس الاخرين الذين ندعوهم. وخـلاصـة الفكـرة، ان التنظيم لاي عمل هـو روح العمـل، كمبـدأ لايعنـي اهمال التفـاصيـل، بـل يعنـي التـأكيـد على طبيعتهـا وخصوصياتها، من اجل الحفاظ على سلامة المبدأ في حركته وانطلاقته.

انسجام الحزبية مع المرجعية

واذا كانت المرجعية لا تستوعب الجماهير، في حركة تنظيميـة فـاعلـة، ولا تعمل على تربية القيادات السياسية والاقتصاديـة للمجتمع، فـان من الممكن العمل، على التأكيد على هذا الدور الاساسي في حركتها، وذلك بايجاد الانسجام بينها وبين الصيغ الاخرى المطروحة في الساحة، بحيث تمنحها الرعاية والتوجيه والعنـايـة، التي تخفف الكثير من سلبياتها، وتحقق لها الكثير من الايجابيات. .

ان الصيغ العملية في أي جانب من الجوانب، مطروحة للدخـول في عمليـة تغيير متطورة، متجددة، تبعا للاخطاء التي تبرز في حركة العمل، سـواء في ذلك المرجعيـة التي تمثل ولايـة الفقيـه، او الشـورى، او التنظيم لان القضيـة، كل القضيـــة، هي الوصول الى خدمة الاسلام، وقوته في العالم، وحركته المتصاعـدة، في سبيل الـوصـول الى اهدافه الكبيرة في الحياة.

. . وفي ضوء ذلك، نحب للعاملين، ان لا يعيشوا التشنج ازاء بعضهم البعض، فيما يختلفون فيه من صيغ العمل، بالمستوى الذي يصل الى حـد التراشق والاتهامـات واثارة علامات الاستفهام، والشك من دون اساس او مبرر، واغلاق بـاب الحوار، في تفاصيل القضايا المختلف عليها. . فان مثل هذه الروح، لا تعبر عن روح اسلامية، لان معنى ان يكـون الانسـان مسلما، ان يعيش اخـلاقيـة الاسـلام في العمل، وفي

اسلوبه، وفي علاقاته واوضاعه الجزئية والكلية.

وبذلك ـ فقط ـ يمكن ان نصل الى المستوى الاسلامي الحق، في الفكر والممارسة والحركة، وذلك بتعميق الشخصية الاسلامية، المنطلقة من خوف الله وتقواه، فان ذلك هو السبيل للنصر وللنجاح، وللوصول الى الهدف الكبير

الحركة الاسلامية واجازة السلطات

* الاختباء وراء العنوان غير الاسلامي
يبعد الاسلاميين عن ساحة الصراع ويهمش دورهم

* البقاء خارج اطار السلطة الرسمي
افضل من التحرك في داخله

*معركة فصل الدين عن الحياة
والسياسة لاتزال مفتوحة

*الحزب ليس حركة بديلة
عن الامة بل لتحريك الامة

حديث في الوسط السياسي

يدور حديث منذ مدة ـ في الوسط السياسي الرسمي ـ، في بعض البلدان العربية الاسلامية، حول مسألة اجازة النشاط الاسلامي السياسي الحركي، المتمثل بالحزب الاسلامي، او الحركة الاسلامية، في الوقت الذي لا يمانع فيه القائمون على هذه البلدان، من اجازة بعض الاحزاب الشيوعية والاشتراكية او الوطنية او القومية. . ويقدمون، امام هذا الموقف حجة، اسلامية الشكل، منحرفة المضمون، وخلاصتها، ان الحزب ـ أي حزب ـ يمثل مجموعة من الامة او الشعب ممن ينتسبون اليه، تقابلها مجموعة اخرى لاتنتسب اليه، وبذلك ينقسم الناس ـ من خلاله ـ الى قسمين، وهذا لا يمثل اية مشكلة في دائرة غير الاسلاميين، لان انقسام الشعب الى شيوعي وغير شيوعي، او اشتراكي وغير اشتراكي لا يثير اية حساسية او عقدة، لان من المألوف لدى الناس الاختلاف في الانتماء السياسي الذي قد يحبذه فريق ويرفضه فريق.

الحزب الاسلامي وموقف السلطة

اما الحزب الاسلامي، فانه يختزن في مفهومه، اخراج الذين لا ينتمون اليه من الاسلام، عندما ينقسم الشعب عليه بين اسلاميين وغير اسلاميين، مما يؤثر سلبا على الواقع الشعبي العام، ويثير الحساسيات التي قد تؤدي الى التنازع والتقاتل، لان من الصعب على الانسان المسلم العادي، الذي لاينتمي الى الحزب الاسلامي، ان يقال عنه انه غير اسلامي، لمجرد رفضه للانخراط في التجمعات السياسية، مع العلم، ان الاسلام يحتوي في خط الانتماء اليه، كل من شهد الشهادتين، حتى اذا كان غير مؤمن في عقيدته، كما في الاشخاص الذين دخلوا في الاسلام رغبة او رهبة، ممن جعل التشريع الاسلامي لهم سهم المؤلفة قلوبهم في فريضة الزكاة، او اذا كان غير ملتزم بالاحكام الاسلامية. . فكيف ننفي الصفة الاسلامية عن من لا ينتمي الى الحزب؟ وعلى ضوء ذلك، فان اجازة الحزب الذي يقوم على الانتماء الاسلامي، يسيء الى الذهنية العامة، ويخل بالنظام العام، ويؤدي الى كثير من المشاكل الاجتماعية والسياسية، التي قد تقود الى التحاقد والتقاتل بطريقة مباشرة او غير مباشرة.

حركة النهضة في تونس

وقد كان من نتائج هذا المنطق السياسي الرسمي، الذي تحول الى قرار حاسم بالمنع من اجازة الحزب، الذي يقوم تفكيره على اساس الاسلام، ان حاولت بعض الاحزاب الاسلامية، كالاتجاه الاسلامي في تونس، ان تقدم طلبا بالترخيص لها بالعمل السياسي، باسم حركة «النهضة»، التي لا توحي بالاسلام فيما هو العنوان العام، وفيما هي الخطوط السياسية العريضة، كوسيلة من وسائل الالتفاف على هذا المنع، بالابتعاد عن العناوين المثيرة للحساسيات في الدائرة الشعبية، حسب زعم السلطة، ولكن ذلك لم يجدهم شيئا، لان المسألة في عمقها تتصل بمنع النشاط الاسلامي السياسي على اساس الخطة المرسومة.

وقد رأينا بعض الاسلاميين في مصر، التي تتحدث بهذا المنطق، قد لجأوا الى العمل في صفوف حزب يحمل الصفة العلمانية، من اجل ان يكون لهم حرية العمل السياسي الاسلامي، ولكن بعناوين غير اسلامية، بعد ان استنفدوا الجهد في الحصول على رخصة بعنوانهم الاسلامي الحركي.

سلبية ترك العنوان الاسلامي

ولعل من الواضح، ان مثل هذا الاسلوب في الانسحاب من العنوان الاسلامي، في العمل السياسي الحزبي قد يترك تأثيراته السلبية على حركة الاسلاميين في المستقبل، من خلال الاجيال المقبلة، التي قد تنسجم مع العنوان الجديد تدريجيا، فتختزن شعاراته في وعيها السياسي، بفعل الترداد الكثير لكلماتها، وبواسطة الموقع السياسي، الذي قد يدفعهم الى مواقف معينة في الاطار العام، وبذلك تفقد الحركة الاسلامية حيويتها وعمقها وامتدادها في الامة، عندما تقدم نفسها الى الامة في صفتها الرسمية بعنوان آخر، فتنسى الامة الاسلام الحركي في ذلك كله.

الخطة الاستكبارية

وربما كان هذا، هو بعض الخطة المرسومة لدى الجهات السياسية الحاكمة، في ارتباطاتها الخفية بالخطة الاستكبارية الكافرة، في ابعاد الاسلام عن حركة الحياة،

والاقتصار في دوره على الجانب العبادي والاخلاقي في الوعي العام، لان الاختباء وراء العناوين غير الاسلامية، يبتعد بالاسلاميين عن الوقوف في قلب الساحة الكبيرة للصراع، ويقف بهم على هامشها الفكري والسياسي، فلا يكون الاسلام في مواجهة الماركسية والاشتراكية او القومية في ابعاده المتنوعة، بل تكون العناوين النائمة، التي قد تنسجم مع تلك الطروحات الفكرية في التيارات السياسية، واذا كان الاسلاميون يقولون: ان العمق في الداخل سوف يكون اسلاميا في الثقافة والمنهج والتخطيط والتطلعات، فاننا نتصور ان ذلك كله، لن يكون له القوة على تعميق الاسلام في الوعي الفكري والروحي للانسان المسلم، ما دامت التحفظات تحيط به من كل جانب، حذرا من اكتشاف السلطة الصفة الدينية في الحركة، فتبادر الى الغاء الحزب بفعل ابتعاده عن القانون العام للاحزاب، وتحوله الى حزب ديني اسلامي.

بين العمل السري والتحرك غير المعنون

اننا لانريد أن نثير السلبيات أمام هذه المسألة، لنوحي بأن التحرك الاسلامي في هذا الخط، لايختزن الكثير من الايجابيات، التي تنطلق من افساح المجال للاسلاميين أن يتحركوا بحرية، مما يجعل الناس المؤمنين بالاسلام، ينجذبون اليهم، بفعل معرفتهم بالقادة وصفتهم الاسلامية الحركية، الامر الذي قد يدفع بالحزب الى مواقع القوة الكبيرة، التي تكفل له الحصول على امكانات الضغط على الدولة في اعطاء الاجازة الرسمية باسم الحزب الاسلامي، وربما كان ذلك أفضل من اللجوء الى العمل السري، الذي سرعان ما ينكشف لدى أجهزة المخابرات الداخلية والخارجية، فتبادر الدولة الى اسلوب القمع، الذي يضعف الحركة ويقيد حركتها ويمزق جماهيرها، التي قد لاتملك القوة على التحمل، أو التي تخاف من الانتماء الى الحزب المطارد من قبل السلطة.

وقد يتحدث هؤلاء بأن العبرة ليست في اللافتة التي توضع أمام المراكز الحزبية، بل العبرة هو في المضمون الذي يلتزمه الحركيون، وتتحرك من خلاله جماهيرهم، وهو النهج الذي يؤكدونه في خططهم ووسائلهم الفكرية والروحية. ولكننا مع ذلك كله، نعتقد بأن القضية لاتنحصر في دائرة معينة أو حالة طارئة، لتنفتح في ساحة أخرى، أو لتنتقل الى حالة أخرى، بل القضية تمثل نهجا سياسيا، في ابعاد الاسلام عن مواقع

الحركة السياسية بشكل رسمي، بحيث يمتد في الساحة الاسلامية كلها، مع اقرار لذلك من قبل الاسلاميين في التزامهم بتحفظات الدولة، وفي انسحابهم من شعاراتهم الكبيرة.

موقع التقية في التحرك

اننا قد لانمانع في اللجوء الى بعض هذه الاساليب في بعض المراحل والظروف الصعبة، التي قد يدور الامر فيها، بين التجميد بشكل كبير أو نهائي، وبين التحرك بهذه الطريقة، حيث يبدو الامر شبيها بالعمل السري، تحت لافتة علنية، بعنوان لا يوحي بما في الداخل، وذلك فيما قد يشبه مبدأ التقية، الذي يلتزمه بعض المسلمين، انطلاقا من النصوص الشرعية التي تبيح ذلك في حالات الضغط في دائرة الكافرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير﴾.

ويرون أن ذلك لايقتصر على تعامل المؤمنين مع الكافرين، بل يمتد الى تعامل المؤمنين مع المسلمين، الذين يتحركون في خطط الكافرين أو يمثلون ذهنيتهم، فيمارسون الضغط على أهل الحق لمصلحة الباطل، بحيث يتعرض هؤلاء للخطر على حياتهم، أو على الخط الذي يلتزمونه.

أين يكمن الخوف؟

وفي ضوء ذلك، يمكنهم أن يلجأوا الى عناوين أخرى قد توحي بالباطل، أو لا توحي بالحق، ليتخلصوا من الضغوط القاسية الصعبة، ريثما تبتعد الظروف التي تملي مثل هذا السلوك، أو ترتفع تلك الضغوط، فتكون التقية أسلوبا للمرونة العملية، التي تحفظ الحق وأهله، فتمنعهم من السقوط أو الضلال في المدى البعيد. اننا لانمانع في ذلك، ولكننا نخشى أن تتحول القضية الى خط عام في المناهج السياسية الرسمية، بحيث تتحول الذهنية بفعل القانون، الى ذهنية عامة لدى المسلمين، فتؤكد المفهوم، بفعل خضوع الاسلاميين له رسميا، بحيث يستنكر المسلمون

العاديون، التحرك في الخط السياسي بعنوان الاسلام، تماما كما حدث في العقلية الشعبية العامة، التي زحفت الى أذهان بعض علماء الدين والمثقفين المسلمين، في مسألة فصل الدين عن السياسية، بحيث استطاعت أن تترك تأثيراتها السلبية على الخط الثقافي العام، حتى بات التقييم الروحي للشخصيات الاسلامية في نظر العامة من الناس، منطلقا من دائرة ابتعادها عن السياسة واقترابها منها سلبا أو ايجابا، فكلما اقترب العالم الديني من السياسة كلما كان أقرب الى الله!!

وهكذا يتحول السلوك الى تأكيد المفهوم المنحرف، الذي يحاصر الاسلاميين في٥٧ المستقبل، ليكون عونا للكافرين عليهم باسم الاسلام.

الموقف المطلوب والمعركة المفتوحة

ولذلك فاننا نتصور ان البقاء خارج الاطار الرسمي للسلطة، أفضل من التحرك في داخله بهذه الطريقة، لان ذلك سوف يبقي الموقف قويا صلبا في خط المواجهة، ويحول الحركة الاسلامية الى حركة مضطهدة في نظر الامة، مما يزيد في التعاطف الشعوري معها، ويؤكد النهج السياسي الاسلامي في وعي الناس بشكل تدريجي، من خلال حوادث الاعتقال والتشريد والاضطهاد والتعذيب والقتل ونحو ذلك، بحيث يتجذر ذلك في عمق الواقع السياسي للناس، ويجعل غير الاسلاميين في دائرة الاحراج السياسي في انسجامهم مع السلطة، لاسيما اذا استخدمتهم السلطة في ازعاج الاسلاميين او في اضطهادهم. ان القضية التي نريد اثارتها - في هذا الحديث -، هي ان المعركة التي لا تزال مفتوحة بيننا وبين العلمانيين، هي قضية فصل الدين عن السياسة وعن الحياة، ولذلك فلا بد لنا من مواجهة هذا المفهوم بكل الوسائل، من أجل اسقاطه فكريا في ساحة الصراع الفكري، وتبديل الذهنية الشعبية التي اختزنت هذا المفهوم بفعل الخطة الاستعمارية الى ذهنية، تجد الاسلام شاملا لكل مواقع الحياة، بحيث يتصور الانسان المسلم قضية السياسة في واقعه، كما يتصور قضية العبادة في التزامه الديني، لتتحول الساحة الاسلامية الى ساحة تتحرك فيها العبادة في خط الدعوة، كما تتحرك فيها السياسة في هذا الخط، وليتحركا معا في الانفتاح على الله في حركة الحياة، وفي الالتزام بالحياة من خلال الانفتاح على الله.

مغالطة واضحة

اما الحديث عن اثارة الحزبية الاسلامية للحساسيات الشعبية التي تعقد الامة، عندما يتهم الحزبيون الاسلاميون الاشخاص الخارجين عن الحزب، بأنهم خارجون عن الاسلام، فيما يمثله الاسلام من امتداد وشمول في كل شؤون الحياة، لان الاسلام التقليدي ليس اسلاما أصيلا على كل حال، بل هو صورة اسلام في ثوب التخلف، الذي يحمل من مفاهيم الكفر الشيء الكثير.

اما الحديث عن ذلك فهو مغالطة واضحة، لايقصد منها الا الاثارة، لأن الحزب ليس الحركة البديلة عن الامة، وليس الخط الفاصل بين ما هو المسلم وما هو غير المسلم، بل هو حركة سياسية، من أجل تحريك الامة المسلمة نحو اعادة الاسلام الى الحياة، على أساس أن تكون قيادتها الطليعة الواعية المتحركة في داخل الامة، من أجل اعانة الامة على الانطلاق بعيدا في هذا الاتجاه.

بين الايمان والاسلام

وبذلك لا يكون الخارجون عن الحزب خارجين عن الاسلام، لأن الاسلام ـ في المفهوم الشرعي ـ يتمثل في الالتزام بالشهادتين والنطق بهما، والاستعداد للتحرك في الحياة العامة من موقع الانتماء الاسلامي، بل كل ما هنالك أن الحزبيين، قد يرون صورة الآلام في وعيهم الفكري السياسي، أكثر عمقا وامتدادا في التفاصيل الكثيرة المتصلة بشؤون الحياة، بخلاف غيرهم، الذين قد يحملون بعض المفاهيم المنحرفة، أو يغفلون عن بعض المواقع الاصيلة للفكر الاسلامي، أو عن بعض الخطوط الشرعية للحكم الاسلامي الشرعي، أو ما الى ذلك، مما يجعلهم بحاجة الى اكمال هذا النقص، بالوعي والممارسة، والتحرك في اتجاه الخط المستقيم، وقد تحدث الاسلام بهذه الطريقة، عندما فصل بين المسلمين وبين المؤمنين وذلك في قوله تعالى: ﴿قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾. فهناك مسلمون لم يدخل الايمان في قلوبهم، وهناك مسلمون يعيشون هذا الايمان في داخل كيانهم.. وقد نستطيع ـ في هذا المنهج ـ أن نتحدث عن المسلمين الذين تكامل الوعي الايماني في وجدانهم، وتجسد في حياتهم العامة والخاصة، وعن المسلمين الذين

لم يبلغوا هذه الدرجة، لنقص في العلم أو لضعف في الارادة، أو لانحراف في عناصر الشخصية، فكانوا يخلطون ايمانا وكفرا في التزاماتهم الفكرية والعملية. وهذا من الامور السائدة في المجتمع الاسلامي، الذي يتحدث فيه عن المسلم العالم، والمسلم الجاهل، أو التقي والشقي، أو المنحرف والمستقيم، من دون أن يتضمن ذلك تكفيرا، أو يثير حساسية أو عقدة، الا ما يثيره الحديث الذي يختلف فيه التقييم بين شخص وآخر بشكل طبيعي.

دور الحركة الاسلامية

ان الحركة الاسلامية، ترى في الجماهير التي تطل عليها من موقع الفكر الاسلامي والنشاط السياسي، القاعدة الواسطة، التي تعمل في داخلها، لتثير مشاعرها وأفكارها ومواقفها، نحو الوصول الى الاهداف الكبيرة، فلا يمكن لها أن تقوم بعملية تكفير لها، أو ابعاد لمواقفها عن مواقع الاسلام.

واذا كانت بعض التيارات الفكرية الاسلامية، تعمل على تكفير المسلمين ممن لا يرى رأيها، أو ممن يقوم ببعض الممارسات، التي ترى فيها نوعا من الشرك أو الكفر، مع مخالفة الاخرى في ذلك، فان ذلك ليس شأن الاسلاميين الحركيين، الذين يرون في هذا الاسلوب، أسلوب تخلف ذهني لا يخدم الاسلام، بل يعمل على تعقيد الذهنية من حوله.

الواقعية والمثالية في الاسلوب العملي «أ»

* التحديد الواقعي للأساليب والادوات
يحقق التقدم والاستقامة للأمة .

* المصالح المتشابكة في العلاقات السياسية
تحتم تخفيف الانتماء مهما أمكن .

* التهور والضياع
نتاج النظرة المثالية للأوضاع .

المفاهيم الضبابية والحلول غير الواقعية

من الملاحظ في خطوات كثير من العاملين لـلاسـلام، انهم يـواجهـون السـاحـة بالافكار غير الواقعية، وذلك من قـاعـدة ايمانيـة، تطـرح الفكـرة الكبيرة بعيـدا عن وسائلهـا الطبيعيـة، ممـا يجعل المسيرة تتجـه الى الهدف، فيما يشبـه القفـز في الهواء، ويؤدي بالتـالي، الى أن تبقى القضيـة في مـوقع التنظير، بعيـدا عن حـركـة التطبيق. ويساهم ـ في أكثر من مجال ـ في تعبئة الافكار بالمفاهيم الضبابية، التي تقدم الصـورة في اطار من الغموض والابهام، الذي يفقد الساحة حيويتهـا ومـرونتهـا، في وضـوح الرؤية وواقعية الحركة.

وكمثـال على ذلك، الافكـار التي يطـرحهـا البعض، عن الحلـول الاسـلاميـة للمشاكل الكبرى كقضيـة فلسطين، في حـركـة الـواقع السيـاسي، فيما يتحـدث بـه المتحدثون، من أن الاسلام هو الذي يمكن أن يحررها على يد المؤمنين الواعين، الذين يخلصون لله في كل خطوة من خطواتهم العملية، فهم الذين يقفـون المواقف الصعبـة في مواجهة التحـديـات الكبيرة الكـافـرة، وهم الـذين لايشترون بـآيـات اللـه ثمنـا قليلا.. ، وهم الذين ينطلقون الى الشهادة بروح قوية مـؤمنـة، وهم وهم. الخ.. أما كيف يتحقق ذلك في ظل المعادلات السياسيـة الصعبـة التي تحيط بـالقضيـة من خلال التحديات الاستعمارية، والخطط الصهيونية، والاطارات القومية، والالاعيب الانتهازية الموجودة على الساحة، من قبل الانظمة العـربيـة والاسـلاميـة؟ أمـا كيف يتحقق ذلك في الاجـواء التي يمكن أن يتحـول الاتجاه الاسـلامي في يـد شيـاطين السياسة الى عنصر من عناصر ارباك القضية، بـاللعب على الجانب العـاطفي منه، فيما تحاول اللعبة الجهنمية أن تستغل العنصر الانفعالي لدى الامة، والانتهـازي لـدى الحاكمين المنحرفين، لتحول الواقع الى أداة تفجير للسلبيات ضد القضية، بعيدا عن خط الايجابيات الفاعل، كما ربما نشاهده في بعض جوانب المعركة، من محاولة ضرب القوة بالقوى الطالعة، لانهاك القوة الجديدة من جهـة، وتجميـد المعـركـة الكبرى من جهة أخرى؟ أما كيف ذلك، فهذا مما لا نجد لـه مجالا واسعـا في الخطـوات العمليـة للحل الاسلامي للقضية.

التعامل مع الواقع والشرعية

وقد يطرح البعض في هذا المجال ضرورة تصفية، او اضعاف كل القوى الاخرى، قبل الاعداد للمعركة.. وهكذا تظل القضية تعيش في هذه الاجواء في اسلوب رد الفعل، الذي يفتح في كل يوم معركة جديدة في ساحة جديدة..

وقد استطاع هذا اللون من أساليب الطرح للقضية، ان يدخل القضية في أجواء الضياع في جانب التصور والحركة.. حيث لا مجال الا للسلبيات المثيرة في كل وقت ومكان.. ان مثل هذا الطرح، يحقق جانبا واحدا من القضية، وهو الاخلاص، ولكنه يغفل الجوانب الاخرى التي تعين على وضوح الرؤية وسلامة الحركة.

وقد نستطيع أن نثير أمامنا القضية في أجوائها الطبيعية، لتثير الفكرة في الاتجاه الاخر، وهو أن نتحرك مع الخط الاخر الذي تسير فيه القضية، لنكون فريقا يدخل الساحة مع الفرقاء الاخرين للخط الذي نؤمن به، بشرط أن يكون ذلك من موقع حركة الساحة، لامن موقع سكونها في حالات الاسترخاء، وفي ضوء ذلك، يكون الطرح للحل الاسلامي في قلب الواقع المتحرك، لا في صعيد المستقبل المجهول، الذي نتطلع اليه على انقاض الواقع..

ان تأكيدنا على اثارة الفكرة في هذا الاتجاه، ينطلق من دراسة الواقع الموضوعي، الذي نريد أن ندفعه في الاتجاه السليم، من خلال مواكبتنا له، من دون أن نمنحه الشرعية الرسالية.. بل تكون القضية كل القضية، هي أن لا تفقد الساحة عنصرا من عناصر التأثير بالهدف الكبير في النطاق المرحلي للتحرك..

اننا لا نطرح ـ في هذا المجال ـ أفكارا حاسمة، بل كل ما نريده، هو أن نعطي فكرة عن الاتجاه الواقعي للتفكير في هذه القضية، كعنصر من عناصر التفكير أو الحوار.. لئلا تضيع القضية في المتاهات التحليلية البعيدة عن الواقع..، وقد نلتقي ـ في الطريق ـ بالكثير من أمثال هذه الافكار التي تتحرك في الاتجاه الايجابي الواقعي للحل الاسلامي الافضل، فقد يكفي في اسلامية الحل، أن ينطلق في حل المشكلة الاسلامية مرحليا، ولو بالتعاون مع الفرقاء الاخرين.. من دون ضرورة الى انفراده بالحركة.

اننا نعتقد، أن التعامل مع الواقع في ظروفه وأدواته وأساليبه، قد يخلق لنا الذهنية

الواقعية في طريق التغيير، التي تفكر موضوعيا في الخروج من سياسة الامر الواقع. .

شعار لا شرقية ولا غربية سلاح ذو حدين

وقد نحتاج الى تبسيط الفكرة في مثال جديد، فقد نجد في الساحةشعار« لاشرقية ولا غربية. . »، كعنصر من عناصر اثارة الحماس الاستقلالي في داخل الشخصية المسلمة. . ولكن حركة هذا الشعار على صعيد الواقع غير مفهومة مرحليا ـ على الاقل، ولذلك فانها تظل في الضباب، بعيدا عن كل عناصر الاشراق والوضوح، وذلك ضمن التصور التالي، ان لهذا الشعار مجالين. . فقد يتحقق في نطاق تفريغ الشخصية المسلمة من الشعور بالانتماء الى أي من المعسكرين العالميين الموجودين في الساحة السياسية، كوسيلة من وسائل البدء في التحرك الطويل نحو الهدف البعيد، في ايجاد القوة الثالثة البديلة، على أساس الاسلام السياسي الشامل، الذي يمثل قوة المستضعفين في الارض، وفي هذا الجو لا بد من تعميق الشعور بالذاتية الاسلامية في داخل المسلمين، وتوجيه الثقافة والتربية والحركة السياسية نحو الاستقلال الكامل، في شتى الجوانب الحياتية العامة، لينشأ الجيل المسلم على أساس الهدف الكبير البعيد.

وقد يتحقق هذا الشعار في نطاق المرحلة الحاضرة، على أساس الفكرة التي تفسح المجال للتحرك بعيدا عن الاوضاع والتحالفات والعلاقات الموجودة في الساحة، في الواقع السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي. . فتكون القضية المطروحة أمامنا، هي أن نرفض أية علاقة عضوية مع أي من المعسكرين، وذلك للحصول على سلامة الاتجاه في الحركة والتخطيط، والاستقلال في المواقف والممارسات. . وفي هذا الجو لا بد من البحث عن ساحة مستقلة في صعيد الواقع، لامجال فيها لأية سيطرة كبرى من قبل القوى المتصارعة، ليمكننا مواجهة الموقف المنطلق للاستقلال من خلالها. .

القفز على خطوط التوازن السياسية

اننا نعتقد صعوبة الحصول على مثل ذلك، فيما نملك من ظروف ومعطيات للساحات الموجودة أمامنا. . لأن طبيعة المصالح المتشابكة في العلاقات السياسية

والاقتصادية والثقافية، لا تسمح بالعزلة، ولا تفسح المجال للاستقلال، حتى على أساس التعامل في نطاق المصالح المتبادلة، من موقع مستقل لا يخضع للضغوط، لأن القوى العالمية، لاتواجه الموقف بالميزان الدقيق الذي يضع القضية في نطاق التبادل في المصالح، على أساس السيادة المعترف بها للطرفين، بل تحاول أن تستغل حاجة الاخرين الصغار اليها، لتأكيد قوتها بالمستوى الذي يحقق لها حماية مصالحها الحاضرة والمستقبلة بشكل متميز ضاغط. . ونحن نعرف، أن الاقوياء يملكون بوسائلهم الخاصة، أن يحققوا لأنفسهم المزيد من الارباح والمواقع، في أسلوب تعاملهم مع الضعفاء، لأن ذلك هو معنى تعاون القوي مع الضعيف. .

وفي هذا المجال، نشعر بالحاجة الى التفكير في تخفيف الانتماء، أو تقليل سلبياته، أو اضعاف عوامل الضغط فيه، مهما أمكن، وذلك بالقفز على خطوط التوازن والتعادل في المواقف السياسية الخاضعة لظروف الصراع بين المعسكرين الكبيرين، مع الاخذ بالاعتبار أنهما يلتقيان، من خلال مصالحهما الاستعمارية المشتركة، على ايقاف الصراع على خطوط حمراء، لا يتجاوزانها من أجل عدم السماح للقوى الصغيرة في تخريب المعادلات السياسية المتفق عليها بينهما. . تماما كما يقال في قصة الصراع في الداخل، حول القضايا المتنازع عليها، والسير بسياسة الوفاق، فيما يتفقان عليه من مصالحهما المشتركة أمام العدو المشترك.

وقد لا نريد أن ندعي، بأن واقع العلاقات بين القوى العالمية الكبرى يمثل القدر المحتوم الذي لا يمكن الهروب منه أو الخروج عليه، ليكون هذا المنطق الذي نريدلونا من ألوان الانهزامية الروحية، أو العملية، التي تواجه القوة من قاعدة الرعب الداخلي والاهتزاز الخارجي. . بل كل ما نريد أن ندعيه، هو التأكيد على النظرة الواقعية للساحة وللقوى وللظروف، من أجل اتخاذ المواقف المدروسة، على أساس مصالح الاسلام والمسلمين. . لنتمكن من خلال ذلك ـ التمييز ـ بين ما نستطيع التخلص منه، وبين ما لا نستطيع، في الحاضر أو في المستقبل المنظور، لأن فقدان النظرة الموضوعية للأشياء، قد يوقعنا في خط التهور والضياع، ويفقدنا الكثير من الفرص المتاحة، من أجل التقدم خطوة الى الامام في عملية التغيير.

الحياد الايجابي واللاعبون الكبار

وربما يكون من المفيد لنا، أن ندرس تجربة الحياد الايجابي، أو عدم الانحياز، وكيف استطاعت القوى العالمية، أن تعمل على تمييع شعاراتها وخطواتها، حتى تحولت الى نوع من ساحات التجاذب بين القوى التي تنتمي الى هذه الجهة، بحجة أنها تمثل الموقف المتوازن في مصلحة الشعوب، وبين القوى التي تنتمي الى الجهة الاخرى بحجة ان الحياد الايجابي لا يفرض السلبية في الموقف، بل يفرض الايجابية في دعم المعسكرالذي يصادقنا، وفي مواجهة المعسكر الذي يعادينا، مما يقتضينا الارتباط بهذه الجهة أو تلك في المواقف، من موقع فكرة الحياد، لأنها لا تعني العزلة، بل تعني الهرب من الضغوط في اتخاذ المواقف. . وهكذا رأينا كيف تحولت التجربة الى ما يشبه اللعبة السياسية، التي احتواها اللاعبون الكبار باسم المبادىء التي يؤمن بها اللاعبون الصغار. .

اننا نجد في هذا الشعار، قيمة التجربة الحية التي تسمح بالتحرك بعض الشيء، في الحصول على المزيد من الحرية الداخلية للامة، في تطلعاتهاالمستقبلية، ونظرتها الى طبيعة الموقف الحر، من القوى العالمية الكبرى، وفي الاستفادة من حالات الصراع، في تأكيد بعض المواقع، أو في التقدم خطوة الى الامام، في بعض المجالات الاستقلالية، في صراعات القوى الصغيرة مع بعضها البعض. وفي التخطيط البعيد المدى، لولادة القوة الجديدة مستقبليا، على أساس طرح المفاهيم الاسلامية الجديدة، في غمار الطروحات المختلفة، التي تحفل بها ساحات الصراع الفكري والسياسي.

التعاون مع الاخرين والمصلحة الاسلامية

اما حركة الواقع المرحلية، فلا بد من القيام بدراسة عميقة شاملة للمصلحة الاسلامية العليا، في التعاون مع هذه الجهة، للخروج من الضغط الاكبر، الذي نتعرض له من الجهة الاخرى، في بعض المواقع، أو لتحصيل بعض المكاسب للأمة، مما تختلف القوى في طبيعة التعامل فيه. . وقد نحتاج الى أن نقرر في هذا المجال. . أن الخط الدقيق، الفاصل بين الخضوع المطلق للقوى على حساب الفكرة الاصيلة، وبين التعاون معها على أساس تقديم بعض التنازلات لمصلحة القضايا الكبرى، لا

يمكن أن نحدده على مستوى النظرية العامة، بل لا بد لنا من تحديده على أساس حركة الواقع، الذي ترصد القيادات الواعية طبيعته، وامتداده، ونتائجه الحاضرة والمستقبلية، وخلفياته السلبية والايجابية، على مستوى العلاقات . .

التحرك والتوقف بحساب

ان كل ما نريد اثارته في هذا المجال، في حديثنا عن الاتجاه الواقعي أو المثالي في مواجهة قضايا الواقع العملي ومشاكله، هو أن نؤكد، على أن عنصر التحديد الواقعي للأساليب والادوات التي تتحرك في الساحة، يحقق للأمة تقدما في طريقة تفكيرها ورصدها للأمور، فلا تبقى في أسر العموميات، بل تحاول أن تتحرك من موقع الخصوصيات الدقيقة . . مما يجعل للأحكام الصادرة عن قياداتها صفة الدقة والتركيز والواقعية . ويحقق لها ـ في الوقت نفسه ـ سلامة في الخطى، واستقامة في القصد وشمولا في الدراسة . . ويقودها الى الموقع القيادي الواعي، الذي يتحرك بحساب عندما يتحرك، ويقف بحساب عندما يريد أن يقف . . وتلك هي قصة الاسلام في نظرته الواقعية الى الامور، حيث يعطي للأسباب الطبيعية دورا كبيرا، ولا يغفل في الوقت ذاته الاسباب غير الطبيعية المتحركة من خلال قانون الغيب المودع عند الله سبحانه وتعالى .

الواقعية والمثالية في الاسلوب العملي «ب»

* الوصول الى الأهداف الكبيرة
لا يتم بالقفز على الواقع أو بالمغامرات .

* العلاقات مع الاخرين
أمر واقعي تحدده الظروف والساحة والأشخاص .

* على الإسلاميين التطلع الى المستقبل
بعيون مفتوحة على الواقع في نطاق المبادىء .

العاملون للاسلام وشعار مقاومة الظلم

قد يطرح العاملون في ساحة العمل مقاومة الظالمين، ومقاطعتهم، والابتعاد عن الأجواء التي تساهم في تحسين صورتهم لدى الناس، وقد يتصور البعض من هؤلاء في نشاطاتهم العملية والفكرية والسياسية، بالمستوى الذي يمثل البعد الكلي عنهم، حتى في الزيارات الشخصية واللقاءات المحدودة. وربما يؤدي هذا التصور الى إطلاق الأحكام السريعة الانفعالية على بعض العاملين، الذين قد تفرض عليهم الظروف الموضوعية أن يلتقوا ببعض مراكز القوى المنحرفة المتواجدة في الساحة الاجتماعية والسياسية، مما يؤثر ـ في نهاية المطاف ـ على موقع هؤلاء العاملين في أوساطهم الإسلامية العامة.

الحكمة والمرونة ونهج الأئمة (ع)

ونحن هنا في محاولة للوقوف امام هذا الشعار المطروح، فيما يعنيه وفيما يستهدفه، وفيما يقف عنده من حدود، فقد نجد من الضروري التأكيد عليه، كحقيقة إسلامية أصيلة، فيما يفرضه الإسلام على المسلم من العمل على تحريك المواقف العملية في اتجاه المبادىء العامة في السياسة والاجتماع، على أساس خط العدالة المستقيم.. ولكن ذلك لا يعني السلبية المطلقة في التحرك في جميع مراحل الهدف، بل قد يفرض الموقف المرحلي أن يدخل الإنسان مع هؤلاء المنحرفين في علاقة جيدة، من أجل الحفاظ على بعض مواقع التقدم من جهة أخرى، أو من جهة تغطية المواقف العملية المتقدمة من جهة ثالثة. الأمر الذي يدخل في دائرة الحكمة والمرونة في حركة الأسلوب والفكرة، من دون أن يسيء إلى الهدف الكبير، ما دامت المراحل تفرض مثل هذه المرونة الواقعية.

وهذا ما نلمسه في خط السير لائمة أهل البيت «ع»، في علاقتهم بخلفاء زمانهم، الذين كانوا لا يملكون شرعية الخلافة فيما يعتقده مذهب أهل البيت «ع» فقد كانوا يلتقون بهم في أكثر من مجال، من أجل بعض المصالح الإسلامية التي تترتب على ذلك... ما دام ذلك لا يمثل اعترافاً بشرعية الخلافة، ولا تأييداً للموقع الذي يمثلونه..

وبذلك يستطيع العاملون، الذين يقفون في مركز المسؤولية، أن يملكوا حرية الحركة في الساحة، فيما تحتاجه من إيجاد علاقات بمراكز القوى الموجودة في الساحة الاسلامية، سواء كان ذلك على مستوى التحالف في بعض القضايا التي تمثل إحدى نقاط الاتفاق.

التدقيق في الطروحات

ولكن ذلك لا يعني إلغاء التحفظات عن مثل هذا النوع من الممارسة، من حيث طبيعة الظروف التي تفرض مثل هذا اللقاء، أو الأشخاص الذين يعقدون مثل هذه الصلات، أو يخططون لمثل هذه العلاقات.. أو الساحة التي يتم فيها مثل ذلك، لأن بعض الظروف قد تخدم مواقع الفرقاء الآخرين أكثر مما تخدم موقع الفريق الإسلامي فتتحول القضية الى عملية استغلال منهم لنا في صيغةٍ قانونية مشروعة.. كما ان بعض الأشخاص، قد يضعفون أمام بعض الأساليب والطروحات والاطماع والأجواء العاطفية، مما قد يؤدي بهم إلى السقوط في التجربة الصعبة، والبعد عن الخط المستقيم تحت تأثير الجانب العاطفي الشديد.. أما الساحة فقد تضيق، عن بعض أساليب اللقاء او عوامله في مرحلة وقد تتسع له في مرحلة أخرى.

وفي هذا الجو، لا بد من التدقيق في كل الطروحات التي تطرح علينا للقاء، أو تدعونا إلى الوفاق، أو تدفعنا إلى إيجاد صيغ توحيدية أو تعاقدية للعمل المشترك، لئلا نسيء إلى الفكرة العامة التي نعمل على الإحسان إليها وفي هذا الاتجاه، لا بد لنا من مراقبة الممارسات العملية التي قد تحصل من بعض الأشخاص الذين يقفون في إحدى مراكز المسؤولية، وذلك بالتدقيق، في طبيعة هذه الممارسة في اللقاء ببعض مراكز القوى، أو التجاوب مع بعض طروحاتهم، أو الانجذاب إلى مشاريعهم ومخططاتهم.. وذلك من أجل أن نعرف سلامة ذلك كله.. لأن مثل هؤلاء، قد يستغلون بعض الشعارات الواقعية للعمل، للاختفاء وراءها في تغطية ما يريدون من أوضاع سلبية، أو فيما يدبرون من خطة لتمييع الفكرة الحقيقة الحاسمة.

الصلة أو اللقاء ليس إنتماء أو ارتباطاً

إن القضية الأساس في هذا الطرح الذي نثيره في هذا الحديث، هي أن الوصول إلى الأهداف الكبيرة، لا يتم بالقفز على مراحل الواقع العملي رأساً، بل لا بد من التخطيط لذلك في ضمن المراحل المتدرجة، التي تقتضي مهادنة الواقع ومسالمته في بعض المواقع، مما يفرض مسالمة رموزه وأبطاله وقضاياه في عملية واقعية، تفتح للإسلام طريقاً جديداً للعمل وللعاملين.. لأن إعلان الثورة على كل الواقع الذي من حولك، يساهم في إثارته ضدك، قبل أن تعد العدة لمواجهته بقوة وتصميم وعزم، بينما يسهل لك الأسلوب العملي السلمي مهمة دفع الخطط الحكيمة الواعية للسير في هذا الاتجاه السليم.. ولهذا فينبغي لنا أن لا نستثار أمام كثير من الاشخاص، الذين يتصلون بهذا الشخص أو ذاك، أو بهذه الجهة أو تلك. لأن الصلة لا تعني الانتماء واللقاء لا يعني الارتباط العضوي.. والتعاهد والتحالف العملي لا يعني ـ أيضاً ـ الانتماء لكل ما يمثله من رموز للباطل وأشكاله.

منح الشرعية والموقف الحاسم

وقد يفرض الموقف علينا في بعض المراحل، أن نقف الوقفة الحاسمة ضد بعض الأشخاص أو بعض القوى، لأن المسالمة معهم تمنحهم شرعية إسلامية لا يملكونها، فيؤدي ذلك إلى امتدادهم في الخط المنحرف، من خلال هذه الثقة التي يحصلون عليها، مما يوجب تقوية خط الإنحراف من خلالهم، لما يمثلونه من قوة تبلغ حد الخطورة على الساحة. وهذا ما نفهمه من الموقف الصلب الذي وقفه الإمام علي(ع) من معاوية، عندما رفض إقراره على ولاية الشام، ولم يستجب لآراء «الناصحين» الذين كانوا يشيرون عليه بذلك، لأنهم انطلقوا من فكرة دعم الحكم وتقويته على اساس الامر الواقع، الذي يخضع لمراكز القوى الموجودة في الساحة، مما يجعل الموقف المطلوب خاضعاً للتسويات وأنصاف الحلول، وتجاوز المبادىء الأصلية في حركة الحكم نحو أهدافه.. ولهذا، انطلقوا يطرحون الآراء المماثلة فيما يتعلق بمعاملة رؤساء العشائر ووجهاء المجتمع، وتأليف قلوبهم، بالاغداق عليهم بالعطايا من بيت المال.. لأن ذلك هو السبيل لوقوفهم مع الحكم باعتباره يمثل الوسيلة للحصول على الاطماع والامتيازات والمواقع.. أما الإمام علي «ع» فقد كان يفكر في اتجاه آخر،

فليست القضية عنده هي قضية سلطان ذاتي يريد له أن يتركـز ويقـوى، بل القضيـة عنده قضية رسالة، يعمل على أن تتأكد مفاهيمها، في صعيد الواقع، كما تأكدت في الفكر، وقضية حكم، يراد له أن يكون النموذج الأمثل في حركـة الإسـلام في الحيـاة، بعيداً عن كل التـواء وانحـراف، في صـورة الحاكم وفي أسلـوب العمل، من أجل أن يبعد عن الإسلام الصورة المثالية البعيدة عن الواقع، التي أراد البعض أن يصوره بها، تماماً كما هي «المدن الفاضلة» في الافكار التجريدية للفلاسفة.. ويعطي من خـلال المعاناة، الصورة الـواقعيـة التي تتمثل في مـواقف الحاكم الصلبـة حتى على حسـاب سلامة الحكم في بعض المجالات، وفي أساليب الحكم، القائمة على تمثل المبادىء في وعي القائمين عليها. وهذا ما عبر عنه في كلماته، التي يحدد فيها نوعية الحاكم الذي يقيم أمر الله في عباده وبلاده «لايقيم، أمـر الله إلا من لا يصـانع ولا يضـارع ولا يتبع المطامع ليس أمري وأمركم واحداً إنني اريدكم للّه وأنتم تريدونني لأنفسكم».

«لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر ومـا أخـذ اللّه على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألفيت دنياكم هـذه عنـدي أهـون من عفطـة عنز أتأمروني أن أطلب النصر بالجور واللّه مـا أطـور بـه سمـر سمير ومـا أم نجم في السماء نجماً».

الرسالة في الفكر والأسلوب والشخص

وهكذا نجد الحاجة الى تجسيـد الـرسـالـة في الفكـرة والأسلـوب والشخص، قـد فرضت الموقف الصعب الحاسم، في حدة المعالجة وصرامة الأسلوب.. مع توفـر كل عناصر المرونة الذاتية، من الرؤية الواضحة للأسـاليب الملتـويـة، والحيل المتنـوعـة، فليست القضية اختلافاً في رؤية الـواقع وفهمـه، بل هي قضيـة اختـلاف في طبيعـة الهدف ورساليته، وهذا ما عبر عنه «ع» بقولـه «قـد يـرى الحوّل والقلب وجـه الحيلـة ودونها حاجز من أمر اللّه ونهيه فيدعها رأي عين وينتهز فرصتهـا من لا حـريجة لـه في الدين».

إن مأساته هي أن الساحة كانت تنتظر علياً (ع) في معنى الرسالة، ولم تنتظر علياً (ع) ليكون في موقع السلطة ـ الذات، لأن الرسالة كانت بحاجة إلى التجسد في حركة

الواقع، لا إلى القفز إلى مواقع الحكم بعيداً عن مواقع المبادىء العامة للحياة.

وهذا هو سر امتناعه عن قبول الحكم عندما عرض عليه شرط التقيد بسيرة الشيخين، بعيداً عن اجتهاده الشخصي في فهمه لقضية التطبيق العملي للرسالة في الحياة.

ولكن ذلك لم يمنع الإمام الحسن «ع» أن يصالح معاوية أو يسالمه، انطلاقاً من الظروف الموضوعية التي كانت تفرض الصلح كحّل وحيد للمشكلة، وكمنفذ لا بديل له لبقاء الامتداد الرسالي للمعارضة الاسلامية الحقيقة، التي كانت معرضة للفناء والتصفية ويلتقي الموقفان معاً في خط الرسالة مع اختلافهما في طبيعة الشكل والمضمون. . فقد كان الموقف الأول محاولة لاعادة الاعتبار إلى الخط الرسالي في حركة الحياة ليؤكد واقعيته وجدّيته وأصالته، أما الموقف الثاني فقد كان حلاً للمشكلة، التي كادت أن تذهب بكل الركائز التي أرادت للواقع أن يعيش معها في خط الامتداد للمستقبل، وبذلك أعطت للرسالة الإشارة إلى أن تستريح قليلاً في عملية الاستعداد لدفعة جديدة للأمام، لتكشف الواقع المزيف للانحراف من جهة، ولتقوي المواقف الجديدة للثورة الرائدة، التي تحركت في اتجاه ثورة الحسين «ع» في نهاية المطاف.

وبهذه الروح، نفهم الأساليب العملية للأئمة من أهل البيت «ع» من حيث هي وسائل متنوعة، تلتقي عند مواجهة الهدف في قصة المرحلة، بدلاً من القفز إليه في الفراغ، الذي قد يعطي الموقف نوعاً من الدهشة والإعجاب، ولكنه لن يمنحه قوةً وامتداداً وعمقاً. . لأن الهاوية هي التي تنتظر مصير المغامرات، التي تبحث عن صيحات الدهشة في طريق المستقبل الطويل. . وليس ذلك هو شأن الرساليين، الذين يتطلعون إلى المستقبل بعيون مفتوحة على الواقع، من منطق التفكير الواقعي للحياة، في نطاق المبادىء الاصيلة الباحثة عن اللّه.

الواقعية والمثالية في الاسلوب العملي (ج)

* الواقعية أقرب الى المنطق الإسلامي .

*الإستسلام للأمر الواقع مرفوض .

* التخطيط الواقعي أمر ضروري .

* التفكير بالغيب يخفف حدة الواقع .

التفكير بين الواقع والمطلق

كيف ينبغي للمسلم أن يفكر في منهجه السياسي الذي يتحرك من خلاله في حركته التغييرية في الواقع . ؟

هل يفكر بطريقة المطلق التي تطرح الفكرة مجردة عن ظروفها الموضوعية ، لتكون الخطة هي أن الواقع على أساس الفكرة بنسبة مائة في المائة ، فلا تخضع المسألة لأية تنازلات في أي ظرف من الظروف ، بل تتجمد امام الحواجز الموضوعة أمامها ، فاما أن تزيلها بالوسائل المتنوعة التي تملكها ، واما أن تظل واقفة عند مواقعها المبدئية فلا تخطو أية خطوة الى الأمام . ؟ أو تفكر بطريقة واقعية بحيث تدرس حركة الفكرة في الواقع من خلال الظروف الطبيعية أو الطارئة المحيطة بها ، لتحدد الموقف على أساس ذلك . . . لتتعرف الامكانات التي يمكن أن يحضل عليها لمصلحة الفكرة الرسالية . . . فيكتفي ببعض النتائج إذا لم يتمكن من الحصول عليها جميعاً ، ويقدم بعض التنازلات المحدودة لمصلحة الموقف الأهم ، فيما تفرضه عليه الأوضاع ذلك ، لأنه لن يحصل على شيء لو لم يفعل ذلك . ؟

الإسلام أو لا شيء

ربما يطرح بعض الناس المسألة بالطريقة الأولى ، لأن الله يريد منا أن نأخذ الدين كله ، فلا يجوز لنا أن نأخذ بعض الكتاب ونهمل بعضاً ، باعتبار أن ذلك يمثل لوناً من ألوان التجزئة أو الانحراف ، مما يسيء الى خط التوازن العقيدي في خط الحركة ، والى الطهارة الفكرية الاسلامية التي تدفع المسلم الى عدم الأخذ بأي نوع من أنواع المجاملة للآخرين ، أو الخضوع للمؤثرات الخارجية الضاغطة على الموقف ، لاسيما إذا كانت تتمثل في الانفتاح على الكافرين أو المستكبرين ، أو توثيق العلاقات معهم في الدائرة السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية ، لأنه يمثل عنواناً للموادة والموالاة المرفوضتين من الله في علاقة المؤمنين بالكافرين . . . مما يؤدي إلى الانحراف عن خط الاستقامة الفكرية والعملية . . . . وهذا ما جاء في قوله تعالى :

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير﴾ / ٢ / ٢٨ .

وقوله تعالى :

﴿بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً وقد نزل عليكم في الكتاب ان إذا سمعتم آيات الله يكفر بها أو يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ ٤/ ١٣٨ - ١٤٠ .

وقوله تعالى :

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون﴾ .

ولعل هذه الآيات، تؤكد لنا ضرورة المباينة والمقاطعة للفئات غير الإسلامية، التي تكيد للاسلام وأهله في السر والعلن، وتوحي بأن إقامة أية علاقة معهم، أو تقديم أي تنازل لهم من أجل الحصول على رضاهم، أو من أجل تحقيق أية إيجابيات سياسية أو اقتصادية، يمثل لوناً من ألوان النفاق ويؤدي إلى الدخول الى النار.

ويضيف هذا البعض، بأن الآيات لا تتسامح في البقاء في المجلس الذي يذكر فيه هؤلاء الكافرين آيات الله بالكفر والاستهزاء، فلا بد من الانسحاب منه حتى يخوضوا في حديث غيره، لأن ذلك يعني المجاملة فيما لا يجوز المجاملة فيه، فلا بد من إعلان الاحتجاج بالانسحاب من المجلس حتى لو أدى ذلك الى نفورهم منه .

وعلى ضوء ذلك، فإن المسألة تمثل حكماً شرعياً، لا بد للمسلم من التزامه في حياته، بعيداً عن النتائج السلبية على مستوى العلاقات العامة أو الخاصة .

وليست هناك أية مشكلة في أداء ذلك الى ابتعاد الاسلاميين عن ساحة الواقع السياسي، والبقاء في عزلة سياسية، أو الى فقدان الاسلام لبعض المواقع، التي لن يحصل عليها، إلا من خلال تقديم بعض التنازلات في مواقع أخرى بتجميد حركة معارضة، أو فقدان الاسلام للساحة السياسية كلها، ربما في ذلك خسارته للحكم في المجالات التي يملك فيها الموقع، أو التي يتحرك فيها من أجل الوصول اليه . . . لأن تفكير هؤلاء ينطلق من ضمن معادلة حاسمة، وهي إما أن يكون للاسلام كل شيء

بكل المفردات الشرعية، وإما أن لا يكون هناك أي شيء.

بين التقية والواقعية.

وقد يفكر بعض الناس، في المسألة، بالطريقة الثانية، على أساس أن الواقعية الاسلامية لا تعني الالتزام بحكم شرعي مضاد بحيث يؤدي الموقف الى تغيير الحكم الشرعي، كما لا يعني التنازل عن القضايا المصيرية التي تتناول مسألة الحرية للناس، وللمسلمين بشكل خاص في مواجهة الذين يستعبدون الارض والانسان بل كل ما هناك أن تقدم التنازلات الصغيرة لمصلحة القضايا الكبيرة، وان تجمد بعض الخلافات الصغرى لمصلحة حل الخلافات الكبرى، وان تنوعت الوسائل العملية للوصول الى النتائج الإيجابية المهمة..... وبكلمة معبرة هي، أن المسألة ليست مسألة موالاة للكافرين، أو موادة للمحادين لله ولرسوله.... بل هي مسألة التقية التي أشارت اليها الفقرة الكريمة ﴿الا ان تتقوا منهم تقاة﴾ وهي لا تمثل حالة الخوف الذاتي بالمعنى الشعوري في حركة الشخص، بل تشمل في روحية المعنى الذي تختزنه، حالة الخوف العملي في حركة الأمة، في القضية الكبيرة التي تحكم الانسان، والرسالة والحياة، مما يفرض بعض المواقف التي يقتضيها الحفاظ على القضية، حتى لا تسقط أمام الضغط الكبير، وذلك في نطاق الظرف الطارىء الذي قد تكون له مرحليته الخاصة، التي قد تنتهي أمام ظرف آخر يمنح الحرية للعاملين، من أجل التغلب على المشاكل من دون تقديم تنازلات.

إن مسألة اتخاذ الكافرين أولياء، لا يعني التعامل في بعض القضايا المشتركة، بل يعني الانجذاب الروحي والعملي، بحيث يفقد الانسان أصالته الاسلامية في نظرته الى الواقع والناس، فتكون الحركة السياسية أو الأمنية مشدودة الى ذلك الجو الداخلي للالتزام الذاتي، وهذ هو الأمر المرفوض في الحس الاسلامي في طريقة التعامل الحركي في الحياة.

التزاحم بين المهم والأهم؟

ما هو الحق في هاتين الطريقتين؟ إننا نلاحظ أن الطريقة الثانية هي الواقعية، هي

الأقرب إلى المنطق الاسلامي، الذي أراد الله له أن يحكم المسلم في الحياة، من خلال القدرة الانسانية، لأن الله لا يكلف نفساً الا وسعها أو ما أتاها، ولان الميسور لا يسقط بالمعسور، وان ما لا يدرك كله لا يترك كله، ولأن الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ما جعل عليكم في الدين من حرج. وما من شيء إلا وقد أحله الله لمن اضطر اليه، ولأن المصلحة الأهم تتغلب على المفسدة التي لا ترقى اليها في الأهمية، مما يفرض تجميد الحكم لمصلحة الجانب الأهم... وهذا ما نلاحظه في كثير من خطوات السيرة النبوية في تجميد بعض الأمور المهمة لمصلحة القضية الأهم... فإن الله يريد للاسلام أن يثبت نفسه ولو في بعض المواقع، ويريد للمسلمين العزة ولو في بعض المواقف... لتنطلق المسيرة نحو العزة والثبات بطريقة واقعية متوازنة.

الواقعية وسياسة الأمر الواقع

ربما يخلط الناس بين الواقعية في العمل السياسي وبين الخضوع للأمر الواقع، فيخيل اليهم أنهما تقتربان في المفهوم وفي النتيجة... وبذلك قد يرون في العمل الثوري ابتعاداً عن الواقعية، واقتراباً من المثالية، ويعتبرون العاملين في هذا الاتجاه متطرفين، لأنهم يتجاوزون الظروف الموضوعية التي قد تحكم الواقع، فتثبت الحواجز أمام كثير من الانطلاقات السياسية في عملية التغيير، مما قد يطلق عليه اسم المعادلات الدولية أو الاقليمية التي تتجذر في الأرض، كما هي الصخرة الكبيرة الضاربة في عمق الأعماق، فلا تحركها العواصف ولا تزيلها القواصف، مما يفرض على الواقعيين الاستسلام لهذه الثوابت السياسية.

ولكن الحقيقة هي أن هناك فرقاً بينهما... فالواقعية تمثل المنهج العملي الذي يعتمد على العناصر والوسائل العملية، التي تجد لها مجالاً في الحركة نحو الغاية على صعيد الواقع، وعلى مستوى الحاضر، في المشاريع الحاضرة، وعلى مستوى المستقبل في المشاريع المستقبلة، بحيث تربط النتيجة بالمقدمات، وتتحرك الغايات من خلال الوسائل، فلا تكون الأهداف في تصور المؤمنين بها والساعين اليها قفزة في المجهول، وحركة في المطلق، كما يفكر المثاليون، الذين يطرحون الأفكار كما لو كانت في عالم آخر غير عالم الحس والحركة والحياة.

أما الأمر الـواقع فإنـه يمثل الأرض والحدود والأشخـاص والحواجـز واللحظـات الزمنية، فيما تمثله هذه الأشياء المجتمعة من عناصر للواقع، الذي قـد يحاصر المشروع أو يقيـد الحركـة، أو يسقط الشخص. . . . ممـا لا يمكن لـلانسـان تجاوزه، أو مما يصعب عليه القفز عليه، وذلك من خلال الحالة المغلقة المشدودة الى أكثـر من بـاب حديدي. . . الأمر الذي يفـرض على العـاملين الاستسـلام لـه في الحاضر، لأنـه لن يستطيع ان يفعل شيئاً غير ذلك، لأن التفكير بذلك لن يكون واقعياً في هذه الدائرة. ولكننا إذا فكرنـا في المستقبل الـذي قـد يحمل الكثير من الفـرص، ويحطم الكثير من الحواجز، ويفتح بعض الآفاق، ويدفع بالخطـوات نحـو طـريق جـديـد من خـلال المتغيرات التي قـد تحدث، فيما يختـزنـه العمق بـالخطـوات نحـو طـريق جـديـد من امكانات التطور، فيتحـول المستحيل في الماضي الخاضع للحـدود الثـابتـة والحواجـز المغلقة الى الممكن، ولا يتجمد أمام الحواجز في رحابة العالم الجديد المترامي الاطراف.

وفي ضـوء ذلك لا يكـون التخطيط للمستقبل في مسألـة التغيير، والتحـرك في الحاضر على أساس اختيار بعض المواقع المتحركة فيه على مستوى الـدائرة المحـدودة، امراً غير واقعي. . لأن واقعيته تتحرك في نطاق الامكانات، التي قد لا تكون فاعليتها واقعاً حياً في حجم اللحظة، ولكنها تنفتح على حركة فاعلة في الزمن القادم المنظـور، لتحول الفكرة الى واقع حي متحرك فـاعل، بعـد أن تجاوزت كل الحدود. وهـذا هـو الذي يجعل الثورة حركـة في الـواقع على صعيـد المستقبل، لا حـركـة في المثـال الحائر للمضمون الواقعي للحدود التي تحيط بها، فقد لا يكون الشيء الذي تراه حـداً يمثل الخط الفاصل، بل قد يكون حالة طارئة قابلة للزوال في أي وقت، وربما يخيل اليك، أن ما تراه قـوة مطلقـة، قـد يحمل في داخلـه الكثير من عنـاصر الضعف، التي قـد تتحرك في أية ثغرة تنفتح على القوة الساحقة المتحدية لتهزمها في ساحة الصراع، وقـد يكون الخطأ في سلامة النظرة وواقعية التقييم، هو الذي يجعل الفكر خاضعاً للتصور الخطأ، الذي يجعل الواقع شيئاً في المثال، أو شيئاً في الواقع.

واقعية المشروع الإسلامي

وفي ضوء ذلك، كيف ينظر الاسلاميون الى مشروعهم في إعادة الاسلام الى الحياة، في عالم يتنكر للـدين من حيث المبـدأ، لأن العلم، في زعمـه قـد حل محلـه، وأبعـد

التصور الانساني عن تكوين قناعاته لمصلحته، وفي ساحة يملك فيها الكفر قوة كبيرة، كما يسيطر فيه المستكبرون على كل وسائل القوة والدمار، في الوقت الذي لا يملك فيه الاسلاميون القدرة على تحريك قوتهم في خط اهدافهم، لأن الضعف المادي والعلمي والعملي قد فرض نفسه على كل ساحاتهم، فأصبحوا يحتاجون الى الاستكبار العالمي الكافر في الأخذ بأسباب العلم، وفي الحصول على وسائل القوة من السلاح ونحوه. . . فهل يكون المشروع الاسلامي واقعياً، وما هي الوسائل التي يملكها الاسلاميون للتأثير على الواقع كمقدمة لتغييره؟

أما تعليقنا على هذا السؤال، فهو اننا لا نرى في هذه العناصر المذكورة في السؤال، مانعاً كبيراً يجعل المسألة في حجم الحاضر على صعيد العالم كله، ولكن لا يمثل حالة بعيدة عن الحركة الواقعية في المنطقة المحدودة وفي نطاق المستقبل. . فقد نجد بعض عناصر القوة في بعض الساحات الإسلامية التي تملك حرية التحرك في إسقاط الواقع المستكبر، وإيجاد واقع جديد لمصلحة الاسلام والمسلمين والمستضعفين. . مما لا يملك الاستكبار فيه امكانات كبيرة، أو لا يستطيع تحريكها في هذه المرحلة الزمنية أو في هذه المنطقة في العالم، كنتيجة لبعض التوازنات السياسية أو الأمنية في الواقع الدولي. . . وهذا هو ما لاحظناه في نجاح الثورة الاسلامية في إيران، التي استطاعت قيادتها أن تجمع عناصر القوة والنجاح، وتحركها بقوة ومرونة وذكاء، حتى اسقطت عرش الطاووس، ولم تسمح للقوى المضادة أن تصادر الثورة لمصلحة التيارات الإسلامية. . وما زالت ثابتة في مواقعها القوية. . . وبذلك فإننا نستطيع اعتبارها حركة واقعية في تخطيطها المستقبلي، بحيث أمكنها تجاوز الأمر الواقع باكتشاف عناصر الضعف فيه، وبالمحاولة الجادة الناجحة لمهاجمتها بكل قوة، حتى استطاعت إسقاط هذا الامر الواقع لمصلحة أمر واقع جديد.

وإذا كانت قد لاقت بعض الصعوبات، أو بعض النكسات، في مسيرتها في مواجهتها لبعض التحديات الاستكبارية، . . . فإنها قد استطاعت أن تتجاوزها بمرونة وواقعية، لتجمد بعض مشاريعها، في انتظار تجاوز الظروف الموضوعية الضاغطة، التي تملك السيطرة عليها أو تغييرها في الوقت الحاضر، كما تمكنت بدراستها الواعية لمراكز القوى الكبرى، أن تتجاوز المحنة القاسية بوعي وثبات، وان تتفادى الخطط الاستكبارية الدولية التي كانت تتحرك من أجل إسقاط الثورة

الاسلامية من الاساس.

التخطيط الواقعي

إن المسألة التي تحكم الحركة السياسية للاسلاميين، هي إيمانهم بأن نجاح تجربة اسلامية يعني امكانات نجاحها في موقع آخر، وان قدرتهم على إسقاط معادلة الأمر الواقع في مرحلة يحمل في داخله الدليل على قدرتهم على إسقاطها في مرحلة أخرى، مما يعني واقعية حركتهم، ومما يوحي اليهم بالحاجة الدائمة الى تنمية قوتهم وتجديد وسائلهم العملية، ومراقبة الواقع من حولهم، لاكتشاف نقاط ضعفه، وبالانحناء مؤقتاً للعاصفة المجنونة ريثما تمر، ليواصلوا السير من جديد في الاتجاه السليم. إننا ضد الاستسلام للأمر الواقع المحكوم للظروف الموضوعية الطارئة، التي لا تملك القدرة على الثبات في عمق الحياة... فلا بد لنا أن نعمل على تدميره وتغييره لمصلحة القضايا الاسلامية الكبرى، من الحرية والعزة والعدالة، ولمصلحة حكم الاسلام نفسه،.... وذلك في تخطيط واقعي دقيق متحرك، يضع في حساباته الهزائم المرحلية كما يضع في حساباته الانتصارات... ويفكر دائماً بالغيب الذي لا يمثل القاعدة التي تحكم حركة الانسان، ولكنه قد يطل على الواقع المضغوط ليخفف من حدته، ويضعف من قوته، ولينصرن الله من ينصره ان الله قوي عزيز.

الواقعية في العلاقات السياسية

*اللقاء مع الآخرين
يتطلب دراسة الظروف الموضوعية وطبيعة المرحلة .

* صيغة التعايش مع الآخرين
بدل التوافق هي الفضلى .

*لا بد من صناعة القوّة المشاركة
في القرار وطرح الإسلام بصراحة ووضوح .

العمل في ظل الأنظمة غير الاسلامية

ربما يواجه العاملون للإسلام في حركة الواقع السياسي، بعض الأنظمة غير الإسلامية، التي قد يعيش المسلمون في ظلها، فيرتبطون بعلاقاتهم معها في أكثر من جانب، ويُضطرون إلى ذلك، فيما تفرضه عليهم الحاجات من هذه الروابط، تبعاً لارتباطها بتلك الأنظمة، فكيف يواجهون هذا الموقف؟.

١ـ الرفض والمقاطعة

قد يطرح البعض السلبية المطلقة كموقف إسلامي حاسم، لأن الإسلام لا يعترف بأنصاف الحلول، ولا يخضع للمواقف المتأرجحة المائعة، التي تؤمن بالحق من جهة، وتعطي للباطل وجهاً من جهةٍ أخرى، فلا بدّ من رفض هذا النظام أو ذاك، أو مقاطعته، وإلاّ فان الموقف يتمثل في الركون إلى الظلم والكفر والضلال. وقد يرى البعض في ذلك، لوناً من ألوان الثبات على الحقّ، والالتزام به في الخط المستقيم..

٢ـ التعايش لا التوافق والتأييد

وقد يجد بعض آخر وجهاً آخر للقضية، وخلاصته، إنَّ هذه السلبيّة المطلقة، لا تعتبر موقفاً متوازناً، فيما تفرضه المصلحة الإسلامية، من مراعاة القضايا الأساسية للمسلمين، فيما يعيشونه من حياة، وفيما يمارسونه من أوضاع. فقد يكون في إهمالها، والتنكر لها، والاكتفاء بإصدار الأوامر الحاسمة بالمقاطعة، ما يدفع بهم إلى الوقوع في الحرج الشديد، والانسحاق أمام وطأة المشاكل الصعبة، فيؤدي ذلك إلى التراجع عن الخط الأصيل، كنتيجة طبيعية للصعوبة الشديدة في الوقوف معه، والالتزام به، نظراً إلى أن الواقع لا يتحمل الفراغ مهما كانت الظروف، فإذا أطلقت في الساحة موقفاً سلبيّاً، فلا بد من موقف إيجابي مقارنٍ له يدعمه، ويحوّله إلى موقف واقعي، لا يتنكر للحياة في حاجاتها وتطلّعاتها..

وفي ضوء ذلك، قد يطرح هذا البعض الموقف في صيغةً جديدة، تقف في خط التوازن، بين الموقف الذي يرفض إعطاء الشرعية للانحراف، وبين الموقف الذي يعمل على تلبية الحاجات الواقعية للانسان المسلم، وذلك بالتأكيد على صيغة

التعايش، بدلاً من صيغة التوافق والتأييد، مما يجعل خطا فاصلاً بين ما هو الحق وما هو الباطل، فلا يختلط أحدهما بالآخر في طبيعة المواقف.. فان معنى التوافق، هو اللقاء في الخط على أساس الإتفاق عليه، فيما يعنيه من حدودٍ في الداخل وفواصل في الخارج، بينما يمثّل التعايش، اللقاء في الواقع، على أرض تشترك في حاجاتها وأوضاعها الحياتية، من دون التزام بحدودها الفكرية والسياسية، ففي خط التوافق، للخطوط التفصيلية والاجماليّة، وفي خط التعايش، التقاءٌ في صعيد الواقع، على أساس الاختلاف في النظر إليه، وفيما يطرح فيه من قضايا، وفيما تترتب عليه من نتائج، مما يجعل من الساحة، ساحة قابلة للأخذ والرد، في حرية التحرك في الصراع السياسي، في حدود واقعية حاسمة.

إكتشاف الأرض والجو الهادىء

وذلك هو معنى البحث عن أسس اللقاء، في حركة الصراع في الحياة. فإن إكتشاف الأرض المشتركة، يطرح فكرة إمكانية التعايش، من خلال تلك الأرض، ولو لفترة قريبة، في نطاق المساحة التي توفرها حالة اللقاء العملي، وقد يقودنا ذلك إلى الأخذ بالجو الهادىء، فيما نستقبل من خلافاتٍ وخصوماتٍ في الفكر والسياسة، لأنَّ الهدوء الروحي والفكري الذي يسيطر على ساحة الخلاف، يفسح المجال للتدقيق، فيما يمكن أن نلتقي عليه، وفيما نختلف فيه، ويسهّل الوصول إلى القناعات المشتركة، أو اللقاءات المشتركة، بينما يتحوّل الجوّ العنيف، إلى الاستغراق في الأجواء الضبابيّة الخانقة، التي تحجب عن الإنسان وضوح الرؤية، وتحوّله إلى حالةٍ معقدةٍ من التوتر النفسي، الذي يرفض كل لون من ألوان التفاهم واللقاء. إن الفكرة الحاسمة، هي أن الخلاف في كثير من النقاط، لا يمنع من اللقاء في النقاط الأخرى، التي تفرض فيها المصلحة الإسلامية علينا ضرورة اللقاء، وهذا هو ما ينبغي للعاملين أن يواجهوا ضمن شروط محدّدة هي:

١ ـ الدراسة الواعية للظروف الموضوعية المحيطة بالساحة أو بالقضية، لنتعرّف من خلالها، حجم النتائج الإيجابيّة لعمليّة اللقاء مع الجانب الآخر، مقارنةً بالنتائج السلبيّة المترتبة عليها، فربّما يكون الموقف خاضعاً لبعض الأوضاع السياسيّة أو الإجتماعية المتقدّمة لدى العدوّ، فيدفعه ذلك إلى استغلال فرصة اللقاء، للحصول

على مواقع متقدمة سياسياً أو اجتماعياً، بفعل استرخاء الساحة أمام تحدياته، أو انفتاحها النفسي على طروحاته، وربّما يكون الموقف ـ على العكس من ذلك، منسجماً مع حاجتنا للامتداد في ساحات الآخرين، وذلك بالتخلص من ضغوطاتهم، التي تمنعنا من حرية الحركة، وبالاستفادة من الشعارات المشتركة، فيما يمكننا النفاذ من خلاله إلى شعاراتنا العامّة والخاصّة.

السنة والشيعة أمام الكفر

وربّما تخضع الساحة للتحديات الصعبة، التي يوجهها العدوّ المشترك، فلا نجد مجالاً لمواجهة هذا الخطر، إلا بالاشتراك في خطة موحّدة، أو منسجمة، بيننا وبين الفرقاء الآخرين، لأن الالتزام بالمواقف المنفردة المتمايزة، يعطّل علينا فرصة الحصول على النصر، أو على إمكاناته، فإذا كان الخطر متمثلاً بالكفر في العقيدة والحياة، ضد الإسلام في عقيدته وشريعته، فإن من المفروض العمل، على وحدة الموقف الإسلامي، بعيداً عن كل خلافات السنة والشيعة، اذ لا مجال للتحرك سنيّاً أو شيعياً بخصوصياتها الطائفية والمذهبية، في الوقت الذي يتعرض فيه الإسلام للخطر.

اللقاء مع أهل الكتاب وغير الاسلاميين لمواجهة الخطر على أرض الاسلام

أمّا إذا كانت العقيدة بالله موضع الخطورة، فان اللقاء مع كل أهل الكتاب الذين يؤمنون به، هو الطرح القرآني، الذي يريد من خلاله، الوقوف على أرض مشتركة، يمكننا أن نعبد الله عليها، ولا نعبد غيره كما جاء في قوله تعالى:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم الاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ ٣/ ٦٤.

ولا تتوقف القضية عند هذا الحدّ فإذا كان هناك خطر على الأرض الإسلامية من هجوم مباغت من العدوّ، فإن المسألة قد تفرض علينا التعاون، أو اللقاء، مع الفئات التي تعمل في هذا الاتجاه، من موقع غير إسلامي وغير إنساني.. , وذلك

من أجل المحافظة على أرض الإسلام والمسلمين من الضياع والاستسلام لسيطرة العدو الغاشم.

وفي ضوء ذلك، قد نجد من الضروريّ للعاملين للإسلام، في ضمن الخطة المحدّدة الواعية، أن يلاحقوا الظروف والمتغيّرات السياسيّة بدقّة، حتى يحصلوا على الرؤية الواضحة، التي يملكون من خلالها تحديد المواقع التي يقفون فيها، وينطلقون منها في حركتهم العملية الصاعدة، نحو الأهداف الإسلامية العليا، في حقل السياسية والاجتماع.

٢ ـ التأكيد على طبيعة الفروق الفكريّة والسياسيّة بيننا وبين الفئات الأخرى من أجل إبقاء الخطوط الأساسية للعقيدة، بعيدة عن الارتباك والاضطراب والتمييع، بفعل التشابك في المواقف التوحيديّة والجبهويّة، مع مراعاة جانب الحكمة، في أسلوب عرض تلك الفروق، لئلا يسيء ذلك إلى طبيعة المرحلة. ولعل تأكيدنا هذا، ينطلق من ملاحظتنا لبعض الأوضاع السلبيّة، التي تتمثل في صيغ العمل المشترك، فتبعث على المزيد من الاسترخاء الفكري، مما يدفع إلى بعض التنازلات في الأفكار والمواقف، تحت تأثير الحرص على عدم الإساءة لمشاعر الفرقاء الآخرين. وهكذا يتحوّل الضغط الشعوري إلى عنصر ابتزازٍ فكريّ وسياسي لمصلحة الاتجاهات المضادّة، وقد يكون من الاخلاص للتفاصيل الدقيقة للتفكير، بالإضافة إلى الخطوط العامّة للتحرك، فيما نلتقي به مع الآخرين، أن نعمل على إستيحاء الإسلام في تحليلنا للمواقف المشتركة، كما نعمل على إبراز عملية الاستيحاء هذه في المواقف المنفصلة، لئلا تتأثر عملية الاشتراك في الموقف، بالتركيز على جوانب الإنفراد، فتبقى حركة الشخصية الإسلامية، منسجمة مع خطوط العمل في كل اتجاه، فلا يعيش الانسان المسلم الغربة في التعاون مع الآخرين، على أساس غربته عن مفاهيمهم، بل يشعر بانه يعيش مع مفاهيمه الأصيلة، التي قد تلتقي بهم في بعض المجالات، وقد تختلف عنهم في بعض آخر.

٣ ـ التركيز على طبيعة المرحليّة في العمل، ليتميّز العمل المرحلّي، عن العمل الحاسم النهائي، ليبقى الإنسان المسلم مشدوداً إلى الهدف البعيد، في تعامله مع مفردات اللقاء، وأساليب التعاون، مما يجعله غير خاضع نفسياً للأجواء المحدودة للمرحلة، فتضيع أفكاره ومشاعره فيها، فيما يخططه الآخرون من عمليات التيه

الروحي والفكري والسياسي والاجتماعي، فإذا انتهت المرحلة، لم يكن انتقاله عنها إلى غيرها في ظل ظروف انفصاليّة جديدة، بعيداً عن إخلاصه للهدف، لأنه لم يستغرق في المرحلة ليغيب فيها، بل امتدّ إلى أعماقها، ليفهم ـ من خلال ذلك ـ كيف يمكن له أن يدخل المرحلة الجديدة، من دون أن تترك خصوصيات المرحلة السابقة، أي تأثير على مسار المرحلة اللاحقة في حركته نحو الهدف . .

الواقعية السياسية لا الميوعة

وبكلمة أخيرة، إن هناك فرقاً بين الواقعية السياسية، التي تفرض عليك المشاركة في حركة الواقع من حولك، مع الذين يحركونه في الاتجاهات المختلفة، وبين الميوعة السياسية، التي تتمثل في خضوعك للقوى العاملة في الساحة، واعترافك بشرعية الانحراف والكفر، باسم المرونة والواقعية. فإن الاتجاه الأول، يجعل منك عنصراً فاعلاً في الساحة، ما دامت الساحة حافلةً بالكثير الكثير، مما يرتبط بالهدف الكبير، في بعض خطواته الصاعدة إليه بقوّة، فلا يجوز أن تكون منعزلاً عما يتحرك فيها من تيارات واتجاهات، لئلا تفقد فاعليتك المستقبلية في صنع القضايا الكبيرة للإنسان، فتأتي إليها بعد أن يحتويها الآخرون من جميع جوانبها. أما الاتجاه الثاني، فانه يجعل منك إرادةً ضعيفةً مسحوقة، تحت تأثير الارادات الأخرى، التي تملك التخطيط والقيادة والحركة، لتترك لك والآخرين، مهمّة الخيار الواحد في القبول بكل شيء يفرض عليك، ولكن في إطار واجهةٍ سياسيّة أو اجتماعية أو دينيّة، توحي إليك بأن ذلك هو صنع ارادتك المستقلة، لترضي فيك كبرياء العزة والاستقلال. .

القوة وصناعة القرار

وفي هذا الجوّ لا بد من عمليّة صنع القوّة في كل المجالات التي تتحرك في الساحة، لتكون في مستواها، من أجل أن يكون لك المشاركة في صنع القرارات، المتعلقة بالهدف الكبير من هذا الموقع. وذلك من خلال فرض الاعتراف بما تمثله من فكر واتجاه وقوّة على الآخرين، ليتعاملوا معك في إطار مفاهيمك، التي قد تلتقي بمفاهيمهم في نطاق المرحلة، وقد تختلف معها في حركة المراحل الأخرى، فلا يجوز

لك في هذه الحالة، أن تختفي وراء قناع آخر، يوحي بأنك تخجل من حقيقتك، أو تخاف من سلبيّات طروحاتها السياسيّة في الساحة، كما يفعله البعض في بعض الميادين السياسيّة، فيخشى أن يطرح الإسلام، كواجهة فكرية وسياسيّة وتنظيمية فيما يطرحه الآخرون من واجهات الكفر والضلال، وذلك على أساس ضغط الارهاب الفكري الذي يفرضه الكفر أو الاستعمار على الواقع، في التلويح بتهمة الطائفيّة والرجعيّة التي يروّجها ضد الذين يحملون الإسلام فكراً أو شريعة ونظاماً للحياة، ليدفعهم إلى الانهزام أمامه، بهزيمة شعاراتهم الحقيقية، التي تمثل الواجهة الأصيلة لشخصيتهم وحركتهم، فيلجأوا إلى شعارات أخرى، لا تربح من الآخرين شيئاً جديداً في الحجم البشري والسياسي، ولكنها تلغي في داخلهم عمق الشخصيّة الإسلاميّة وقوّتها، وتؤكد في الوقت نفسه، الفكرة التي يريد الكفر والاستعمار أن يفرضها على الاتجاهات الفكرية، وهي أن الإطار الإسلامي، ليس إطاراً للفكر وللسياسة وللاجتماع، ولكنه إطار للعبادة والانعزال والمشاعر والأحقاد، لتظل اللعبة الطائفيّة متحركة في حياة الناس، بعيدا عن كل مضمون حيّ فاعل ممتد، ليسهّل عليه عزل الناس عن مضمون القيم، فيكتفوا بشكلها المملوء بالمساحيق الملوّنة العابقة بالعطورة، فيتحقق له ـ في ذلك، الكثير الكثير من خطواته السياسيّة ضد مصلحة الشعوب.

الطرح الحقيقي والطرح المائع

وربما يندفع هذا الاتجاه، في محاربة الواجهة الإسلاميّة الحقيقيّة، التي تفرض نفسها على الحياة في صيغةٍ إسلاميّة أصيلة، تملك الكثير من وضوح الرؤية، وأصالة الفكر، وسلامة الهدف، ليحقق من خلال ذلك هدفين: الأول: أن يثبت للآخرين اخلاصه للصيغة (غير الطائفيّة) التي يخاف من التصاقها به في دعواتهم ومواقفهم، وذلك بالضغط على العناصر الملتزمة في داخل نطاقه، وفي خارجه، ليبعدهم عن التأثير الفاعل، في تصحيح الإتجاه نحو المسار الصحيح. الثاني: أن يمنع امتداد قوّةٍ إسلاميّة حقيقيّة، تفضح الشعارات غير العميقة، التي تطرح في الاتجاهات الأخرى السطحيّة، فإن الطروحات الحقيقيّة في الساحة لأيّ إتجاه، تحرج الطروحات المائعة المتحركة فيها.. مما يخلق صراعاً عنيفاً بين فرقاء الشعار الواحد، لا يرقى إليه أيّ

صراعٍ آخر.

تعميق الشعارات وإثارة الوعي

وربما كان من المفيد للاتجاه الأصيل، أن يواجه هذا التحرك بالمزيد من المرونة والواقعية والمسؤولية، وذلك بتفويت الفرصة على العناصر القلقة، التي تعمل على تفجير الصراع بطريقة غير مسؤولةٍ، مما يخلق في الداخل سلبيات على مستوى العمل الإسلامي كله، ومحاولة احتواء الواقع بأسلوب مدروس، يهدف إلى تعميق الشعارات المطروحة في داخل نفوس الأمّة، وإثارة الوعي المنفتح، البعيد عن التشنّج والتقوقع في زنزانات المحاور الضيّقة المظلمة، ليعطي لنفسه الظروف الطبيعية الموضوعيّة، التي تمنحه حريّة الحركة في كل جوانب الساحة.

هذا من ناحية علاقات العمل بالفرقاء الإسلاميين، الذين يعيشون خلف الأقنعة المتنوعة، أما في مستوى القضايا المصيرية، فلا مجال إلا للوضوح والصراحة والتركيز، لأن اللعب على الشعارات، يجر الخطوات إلى مزالق، قد تنتهي بالقضية الكبرى إلى الوحول السياسيّة، في عمليّة ابتزاز، أو اختناق، أو تمييع، لتبقى الواقعيّة السياسيّة، في إطار التفكير الإسلامي الملتزم، فلا تسمح للآخرين أن يفرضوا عليها القفز فوق الاطار، والتحرك ضمن إطارات أخرى، لأن معنى ذلك، أن يفقد العمل الإسلامي نفسه، عندما يفقد القاعدة التي ينطلق منها، والأطار الذي يتحرك فيه، والهدف الذي يتجه نحوه.. وذلك هو الخسران المبين.

الاقليمية في العمل الاسلامي

* الإقليمية ظاهرة مرضية
في العمل الإسلامي .

* اللعبة الإستعمارية
صنعت الحس الإقليمي بذكاء فكانت التجزئة .

* أشد الأخطار
في وجود حركات اسلامية تختنق في القضايا الصغيرة .

ظاهرة الشخصية الاقليمية

يواجه العمل الإسلامي السياسي، في حركته الداخليّة، مشاكل معقدة، فيما يواجه من مشاكل الإمتداد والوجود.. ممّا يوحي، بأنَّ الأوضاع السلبيَّة التي سيطرت على المسلمين في العصور المظلمة، قد تحرّكت في وعي الإنسان المسلم، لتخلق في داخله الحواجز الطارئة، التي تفصله عن المسلمين الآخرين، فلكل إقليم شخصيته وطابعه وقضاياه ومصالحه، ولكلّ طائفةٍ استقلالها في أوضاعها ومشاكلها وحلولها وتطلّعاتها الخاصة في الحياة، وربما كان هذا، هو أحد الأسباب في تحجيم العمل الإسلامي، وتطويقه من قِبَل الإتجاهات المضادة في الساحة الإسلامية... حتى أوشك الوضع، أن ينتهي بنا إلى الشلل في مواقع العمل.. ولهذا، فإن من الضروري لنا، أن نقف وقفةً تأمّليّةً هادئةً، من أجل دراسة هذه الظاهرة، ومحاولة البحث لها عن علاجٍ معقول..

فنلتقي ـ في البداية ـ بظاهرة الشخصية الإقليمية في المجتمع الإسلامي، فيما نلاحظه من النوازع والمشاعر الخاصة، التي تعيش في داخل الأفراد، الذين يجتمعون في منطقةٍ واحدةٍ، ذات خصائص جغرافية وتاريخية واجتماعية معيّنة، مما قد يترك في تكوين الشخصية أثراً عميقاً في حركة العلاقات الإنسانية، ويتحول الموقف إلى نتائج إيجابيّة فيما ينسجم مع هذه الخصائص، وإلى نتائج سلبيّة فيما لا ينسجم معها.. ويتعمق الأثر الإيجابي أو السلبي، إلى ما يشبه العقدة المتأصلة، التي توحي بالفواصل، على أساس هذه الخصائص المتميزة ـ في طبيعتها ـ عن خصائص أخرى.. لتكون العقدة المضادّة، هي المظهر المميّز للتنافر الطبيعي بين الخصائص المتنوّعة... وتمتد المسألة إلى ما يشبه التباين في الشخصية، ليكون الأصل في العلاقات التقاطع، ما لم يحدث هناك ما يصل فيما بينها من الأوضاع الطارئة، التي تفرض التواصل على أساس طارىء.

الاستعمار والكيانية السياسية

وقد جاء العامل السياسي الذي صنعه الإستعمار الكافر، ليعمّق الفواصل بطريقةٍ حاسمة.. وذلك من خلال الكيانية السياسية، التي تجعل من هذاالإقليم كياناً

مستقلاً على أساس القومية أو اللون، أو الأرض. . فتزداد الخصائص عمقاً وتنوعاً، فتنعكس على الساحة، مزيداً من الشعور بالإنفصال إزاء الواقع الآخر، على أساس اللعبة الإستعمارية المتحركة في الساحة العامة.

. . وبذلك بدأت علاقات العمل الإسلامي، المنطلق من وحي التغيير، لتلتقي بهذه الظاهرة في الحساسيات، التي تطغى في الجو، من خلال بعض الأوضاع القلقة هنا وهناك، فتتأثر المشاعر، وتثور الإنفعالات، نتيجة تصادم هذا العمل، في هذا البلد، بخصوصيات العمل في البلد الآخر. . وقد تشعر القيادة هنا باستقلالها عن القيادة هناك. . فإذا امتدت إحدى القيادتين إلى مواقع الأخرى، اصطدمت الأوضاع بطريقةٍ غير متوازنة، من أجل الوقوف ضد هذا الإمتداد، بحجة أن مثل هذا يعتبر تدخلاً في القضايا الداخليّة، تماماً، كما هي الدول المستقلة، عندما تتدخل إحداها في شؤون الأخرى، فيما يتحدث به السياسيون، من رفض التدخل في القضايا الداخلية.

. . وفي هذا الجو، تتحول الأعمال الإسلامية إلى مؤسسات وصيغ محدودة، تؤكد على الفواصل، ولا تقترب من خط الوحدة. . وإذا تحقق النصر لأحدها في مواقعه الإقليمية، كانت الحساسية الخاصة، مانعةً عن قيادته لخطوات النصر المستقبلية للآخر، فيما ترسمه الشخصية الإقليمية للعمل، من حدود وآفاق. . وهكذا تبدأ عملية التجزئة للتحرّك، على أساس ذلك كله.

تلك هي بعض ملامح المشكلة في هذا الجانب من العمل الإسلامي، فكيف نواجه مسألة الحلّ؟

الاقليمية عنصر إضعاف وإثارة تناقضات

. . . ربما يطرح البعض في الساحة، شعار إلغاء الفوارق والخصوصيات، واللقاء عند القضية الإسلامية الواحدة، واحتواء النوازع الذاتيّة بالمشاعر الكليّة الشاملة، التي تتجاوز الحدود في عمليّة امتداد وشمول. .

ولكننا نعتقد، أن مثل هذا الطرح السهل للمشكلة والحل، يعتبر تبسيطاً لا يلامس الواقع، ولا يقترب من الجذور. . لأنَّ الخصوصيات الفاصلة، ليست حدثاً

طارئاً خارج نطاق الذات، بل هي من الأشياء النابعة من حركة الواقع اليومي، الذي يلتقي فيه الإنسان بخصوصيته الذاتيّة.. فلا يمكن لنا إهمالُها تماماً في خطّة العمل، بل ينبغي أن نصل إليه من نتائج مستقبليّة، ليكون الطرح واقعياً عملياً..

وفي ضوء ذلك، قد يفرض علينا الواقع العملي، أن نستفيد من الخصائص الذاتية، في تحريك الحلول الواقعية الإسلامية، نحو المشاكل العامة والخاصة، التي تواجه الإنسان المسلم، ليلتقي فيها آلامه وآماله.. فإذا عرض مشاكله اليومية، بالطريقة التي يستطيع بها أن يتفهمها ويعيشها في حركة الواقع، أمكنه أن يتحرك نحوها بطريقةٍ عمليّة.. لأنَّ الإلتقاء بالخصوصيات، يربط الإنسان بالمشاعر الحقيقية للواقع، مما يجعل من عمليّة التفاعل، عنصراً بارزاً في تحقيق النتائج العملية بشكلٍ أكبر وأعمق.

ثم تبدأ المحاولة الجادة، في الإيحاء بالتقاء، هذه الخصوصيات بالخط الكبير للمشكلة، وبالعمق الممتد في حياة الآخرين، مما يجعل من مبدأ الفصل بينها وبينه، مسألةً تبتعد عن القوّة وتوحي بالضعف.. لأنَّ الحلول الصغيرة للمشكلة، من موقع الأفق الضيق المحدود، لا تحل المشكلة بل تخدرّها، لتعود من جديد، فتثير الآلام القديمة ـ الجديدة في الساحة.

..وعلى هذا الأساس، تتحول الإقليمية إلى عنصر إضعافٍ للتحرك، بدلاً من أن تكون عنصر تقوية، لأن الذين يخططون لصنع الهزيمة في الأمة، سوف يجعلون من عملية الفصل هذه، فرصةٍ لإثارة التناقضات الداخلية للأقاليم المختلفة، من أجل المزيد من اللعب عليها، وإثارة المشاكل حولها، وإفقادها فرصة المبادرة للقاء على القاعدة المشتركة للإنطلاق.

بين الوطنية و «الاسلامية» المشكلة تربوية

..فيتعمق الشعور بالوطنية، بدلاً من الشعور بـ «الإسلامية»، ليعود مجرد عامل ثانوي في الحركة.. ويصبح الإطار الواقعي الأصيل في الساحة، الوطن الذي يبحث عن العقيدة والنظام في داخل حدوده، ليترك للآخرين أن يبحثوا عنهما في أوطان أخرى.. مما يترك تأثيراً سلبيّاً على التربية الإسلامية للفرد المسلم، والمجتمع المسلم،

التي لا تجعل من الحدود المصطنعة واقعاً قانونياً، إلا بالمقدار الذي تفرضه المصلحة الإسلامية من ناحيةٍ مرحليّةٍ، ليُصار إلى إلغائها في نهاية المطاف.

إننا نشعر، أنَّ من أشدّ الأخطار التي تواجهها الحركة الإسلامية في الواقع المعاصر، هو هذا الإستسلام للأمر الواقع، الذي فرضته توازنات المصالح الإستعمارية الكافرة، لأن ذلك يؤدي، إلى خلق حركاتٍ إسلاميّة محدودةٍ ضيقةٍ، لا تعيش امتداد الإسلام في الآفاق الكبيرة، بل تختنق في القضايا الصغيرة المليئة بالإلتواءات والتناقضات النفسية والعمليّة..

وحدة المصالح العامة للمسلمين

ولعل من الضروري أن يتنبه العاملون، إلى الحقيقة الإسلامية الفكريّة، التي تنظر إلى خصوصيّات المسلمين الإقليمية والقومية نظرةً واقعيةً، فتجعل لها متنفساً طبيعياً في المشاعر الذاتية للإنسان، فلا تمنعه من التعبير عن ذلك بالفعل أو بالقول، تلبيةً لحاجته الخاصة، ولا تعتبر ذلك شيئاً بعيداً عن مصداقيته الإيمانية كمسلم، ولكن مثل هذه النظرة، تؤكد ـ من ناحية أخرى، العلاقة الوثيقة العميقة بين المسلمين، في علاقاتهم ومصالحهم وآلامهم وآمالهم ومواقفهم العملية، في الإلتزام بالقضايا الإسلامية الكبيرة، والدفاع عنها، والتضحية في سبيلها، ولو كان ذلك على حساب التزاماتهم المحدودة في المصالح الضيّقة . ليكون الموقف الفكري والعملي، متمثلاً في وحدةِ المصالح العامة للمسلمين في العالم، بعيداً عن كل الآفاق المحدودة المهيمنة على الواقع، وهذا ما نتمثله في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..﴾ ٩/ ٧١. وفي الحديث المأثور عن النبي محمد (ص): «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى..» والحديث المأثور عنه (ص): «من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم» وقوله (ص): «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»، وغيرها من النصوص الإسلامية، التي تؤكد الجانب الشعوري، والجانب العملي، في علاقات المسلمين ببعضهم البعض..

الاقليمية والمصلحة العامة للأمة

. . وفي هذا المجال، لا بـد من الإلتفـات إلى الأوضـاع السلبيّة، التي تتحـرك في أجواء هذه العلاقات، لتعمّق الإحساس بالفواصل، في عمليّة مواجهـة عنيفـة، فيما تتنافر فيه المصالح المتنوعة لهذا الإقليم أو ذاك. . فقد يكون التحرك لمصلحـة قضيـة إسلامية في منطقة، سبباً لإرباك الوضع في منطقة إسلامية أخرى، كما نعيشـه الآن في حركة القضية الفلسطينية، التي تركت آثاراً سلبية على المستوى السياسي والعسكري، على أكثر من بلدٍ إسلامي، بفعل الأوضاع المعقدة، التي تواجهها حـركـة الثـورة، في العلاقات السياسية الإقليمية والدولية، مما أفسح المجال، لإرتباك التصور الإسلامي لدى المسلمين، إزاء الموقف من هذه القضية، بين تصور سلبي، يطرح فكـرة تقـديم المصلحة الإقليمية في بلده على مصلحة القضية، أو يحاول تصوير الموضـوع، كما لـو كان ناشئاً من إساءة الأسلوب المتبع في معالجة القضية، الأمر الذي جعلهـا تنحـرف عن مسارها الطبيعي، وتخلق المشاكل للمسلمين الآخـرين من دون مقـابل، وتـؤدي بـالتـالي إلى المزيـد من المنـازعـات والخلافـات، التي تعمل على تـدمير القضيـة من الأساس، بتدمير قاعدتها الشعبية، التي تمنحها قـوة الإمتـداد والإستمـرار. . . وبين تصور إيجابي، يطرح فكرة ارتباط المصلحة الإقليمية بالقضية العامـة، تبعـاً للتصـور المنفتح للخطر الإسرائيلي، الذي يتخذ لنفسه صفة التدرج في الوصول إلى أهـدافـه، من خلال اللعب على الأوضاع السياسية الإقليمية في المنطقة.

الاقليمية وقضية فلسطين

وبذلك لا تكون المسألة، مسألة خطر تمثله القضية الفلسطينية كثـورة، على هـذا البلد، أو ذاك، بل المسألـة، مسألـة خطـر، تمثلـه إسرائيل في تطلعـاتها السيـاسيـة الإستعماريـة المستقبلـة على المنطقـة بشكل عـــام، وهكـــذا نجـــد، أن الإحســـاس بالإقليمية، قد جعل الموضوع يتحول إلى مجال للأخذ والرد، بطريقة تستبعد التصـور الشامل للخطر، من الذهنية السياسية للإنسان المسلم، وتجعله يتعـامل مع الأشيـاء والوقائع، من موقع السذاجة، التي توحي لـه بـالتهـوين من خطـورة شأن العـدو، بحجـة أن المشكلـة ليست معـه في بلـد، إلا بقـدر مـا تتصل بمشكلـة العـــدو مع الآخرين، فإذا تحرك الآخرون بعيداً عن مواقعه، لم يعد هناك مشكلة بينه وبين العدو،

ولا تزال المشكلة تتفاعل سلبياً ضد مصلحة القضية، وإيجابياً لمصلحة العدو، الذي استطاع أن يلعب على الحس الإقليمي بذكاء ومهارة، إلى جانب الإتجاهات السياسية المضادة للقضايا الإسلامية، الملتقية مع العدو في خططها الإقليمية.

. . . وقد يطرح بعض الناس في هذه المجالات، قصة الأوضاع السلبيّة التي تعيشها الثورة الفلسطينية، أو المتاهات السياسية المتنوعة التي تغرق فيها، أو التجاوزات الظالمة الفردية أو الفئوية التي تتحرك منها، ولكن هناك فرقاً بين أن تعالج هذه الأمور كنقطة اتهام تريد أن تسجّلها على الآخرين. وبين أن تثيرها كنقطة ضعف تحاول أن تعالجها وتحوّلها إلى نقطة قوّة للقضية. . إنّ هناك فرقاً، بين أن تعالج الخطأ من داخل مصلحة القضية الشاملة، وبين أن تعالجه من موقع الهجوم عليها، لمصلحة الأوضاع السياسية القلقة، التي تعيش في خطوات الخط الإستعماري في المنطقة والعالم.

الاقليمية في لا شعور العاملين

وقد نلتقي ببعض ملامح الإقليمية فيما نواجهه، من استغراق بعض الحركات الإسلامية في مشاكل قطر إسلامي معيّن، لأن الأكثرية في داخل هذه الحركات تنتمي إلى هذا القطر أو ذاك. . مما يجعل نشاطات الحركة، مستغرقةً في مشاكل هذا القطر، في الوقت الذي تعيش فيه الأقطار الإسلامية الأخرى، مشاكل صعبة لا تقل عن مشاكله، ومما قد يخلق عقدةً لدى المؤمنين المنتمين بالجنسية إلى تلك الأقطار، من خلال إهمال قضاياهم، التي يعيشون مشاكلها بعمقٍ وصعوبة، وربما ينكر بعض الناس الصفة الإقليمية لهذا النوع من الإستغراق، فيرجعونها إلى اعتبار هذا البلد أو ذاك، من المراكز الحيوية للنشاط الإسلامي، وربمايكون هذا التخريج معقولاً بعض الشيء، ولكننا لا نستطيع استبعاد النزعة الإقليمية المختبئة داخل اللاشعور، لدى الكثيرين من العاملين. وقد نضيف الكثير عن وضوح الرؤية، إذا كانت المشاكل الإقليمية مرتبطةً ببعضها البعض، بحيث كانت المشاكل في هذاالبلد، مثلاً، تنعكس على مشاكل البلد الآخر سلباً أو إيجابياً. .

إننا نحاول ـ من هذا الحديث ـ، أن نثير التفكير، حول هذه الظاهرة المَرَضيّة

للعمل الإسلامي، من أجل أن يفكر فيها العاملـون، من مـوقع البحث عن الجذور العميقة للأسباب الكامنة وراء كثير من الظواهر الساذجة، التي قد توحي في مدلولها الظـاهـري بشيء، ولكنهـا تحمل في داخلهـا الكثير من التعقيـدات المثقلـة بـالقلق والإرتباك، وليس لهذا الحديث دور التنظير المطلق للفكـرة، بل هـو محاولـة، لـوضع الخطوط الأولى للبحث، في اتجاه تركيز العمل الإسلامي، على قاعدة صلبة من الوعي والفكر والمسؤولية. . والتخطيط، بعيداً عن السرعة والإنفعال والإرتجال.

الوطنية من وجهة نظر اسلامية

* التربية قد تجعل
من الوطنية حالة وثنية

* الوطنية حالة طارئة
وليست ذاتية في الفكر والشعور.

* الخصوصية الإسلامية
لا تمنع قيام جبهة وطنية.

* على الإسلاميين التحرك بوعي
وانفتاح لأن العزلة لا تحقق ربحاً.

للوطن في الوعي الفكري والشعوري للإنسان المسلم خطّان مختلفان، خط شعوري عاطفي، يتصل بالجوانب الحميمة الذاتية، الخاضعة للإنفعال الداخلي بالأشياء القريبة إلى عاطفته المتصلة بمكامن الإحساس الذاتي في كيانه.

وخط سياسي، يلتقي بالمضمون القانوني للأرض في حدودها الجغرافية الدستورية، التي تفصلها عن الأرض الأخرى، التي تملك حدوداً معينة فاصلة، وينفتح على مجموعات بشرية مختلفة، في الدين والمذهب والإتجاه السياسي والقومي واللون والعرق، ولكنها تتوحد فيه، ويتقاطع وينفصل في علاقاته بجماعات أخرى أو ببلدان أخرى.

فكيف يواجه الإنسان هذين الخطين من خلال صفته الإسلامية، التي تحدد له علاقاته بالناس وبالأشياء؟ سنعالج هذه المسألة بعد بلورة النقاط التالية:

اولاً: الخط الشعوري العاطفي

ليس هناك أي إشكال في الخط الأول، لأن الله لا يمنع أحداً من عباده أن يألف بعض الأشياء التي تحيط به، لتتحول الإلفة إلى علاقة في الذات، وبالتالي إلى حالة عاطفية تحنو وتهفو وترق وتنفتح على كل مفردات الأرض والناس والأشياء، لأن الله لا يريد للإنسان أن يتعقد في عاطفته، ما دامت المسألة مقتصرة على جانب الإحساس العاطفي، فإذا اقتربت من مواقع الإنحراف، لتنتقل إلى التأثير على الخط العملي في الحياة، ردّها الإسلام إلى الخط المستقيم، بالعمل على عقلنة العاطفة وضبطها، وبالتالي تحريكها في الدائرة الإسلامية بعيداً عن خط الضلال والإنحراف.

وإذا استنطقنا القرآن الكريم، نجد أن الكثير من آياته تقر بالجانب العاطفي، الناتج عن الإرتباط بين الإنسان والأرض التي يقطنها، فيتحدث عن «الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق» وعن «الذين ظاهروا على إخراجكم» في لفتة إيحائية إلى الجانب العميق من العاطفة التي تشد الإنسان إلى داره بحيث يكون الإخراج منه، أو المناصرة عليه مشكلة كبيرة قد تبرر الحرب أو المقاطعة أو ما أشبه ذلك.

وفي هذا الجو قد نستطيع استيحاء الخط الفكري في هذه الدائرة، ذلك إن الإسلام

لا يبتعد بالإنسان عن خصوصياته الذاتية العاطفية في مشاعره الإنسانيـة فيما يحب أو فيما يكره، بل كل ما هنالك أنه يعمل على تهذيبها بالطريقة التي تـركـزهـا وتثبتهـا في خط الإيمان وضمن إطار الفهم التوحيدي للأمور. وإذا ثبت صدق الحديث المشهور المأثور «حب الوطن من الإيمان»، فإن ذلك يؤكـد عـلاقـة العـاطفـة المتصلـة بـوطن الإنسان بإيمانه، كذلك الأحـاديث الأخـرى مثل «عمـرت البلـدان بحب الأوطـان» و«من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه وحنينه إلى أوطـانـه»، كـذلك مـا قـالـه الرسول (ص) عن مكة وحبه لها، كل هذه تقر بمشروعية هذه العاطفـة وبإعتبـارهـا مسألة طبيعية.

ثانياً: الخط السياسي

وفي الخط الآخر، قد يبرز أمامنا التحفظ الفكري على بعض المفـردات من نـاحيـة المضمون، فهل يعني الإلتزام بهذا الخط، أي الخط الفكري الـذي لا يبعـد الإنسـان عن خصوصياته، الإبتعاد عن ملاحظة الخصوصية الإسـلاميـة فيـه، بحيث لا تمثل المصلحـة الإسـلاميـة أيـة قيمـة في تحديـد الموقف، أو تحريك القضـايـا في سـاحـة العلاقات، أو أنه يعني دراسة المسألة من الناحية الإسلامية العامة، التي تلاحظ كل خصوصيات الساحة، وترعى كل المواقع بكل دقة وحكمة وواقعيـة، بحيث لا تلغي حقوق كل الناس في قضاياهم المتنوعة المرتبطة بالخطوط العامة؟

قد يطرح البعض في هذا المجال، الإهتمام بالمسألة الإسلامية في قضايـا المسلمين، فلا تمثل قضايا غيرهم إلاّ حالة هـامشيـة في الموقف، لا تثير الكثير من الإهتمام، ولا تدفع إلى المزيد من التحـرك، لأن المسألـة لـدى المسلم، أنـه يهتم بأمـور المسلمين، فليس معنياً بأمور غيرهم، لا سيما إذا كانت هناك خلافات في المواقف السيـاسيـة أو الإجتماعية أو الجهادية، وقـد يطـرح بعض آخـر المسألـة في اتجاه آخـر، وهـو أن من الصعب في النطاق الوطني الذي يخضع للتنـوع في اتجاهـاتـه، أن تفصل جـانبـاً من المشكلة عن جانب آخر، أو تفرّق بين مصلحة المسلمين وغير المسلمين، لأن طبيعـة التعقيد السياسي والتداخل الإجتماعي، يجعل الجوانب متداخلة والمصالح متشابكة، وبذلك يصبح البعد الوطني بعداً إسلامياً في المسألة السياسية أو في المسألة الإجتماعية أو غيرهما.

فما هو الموقف بين هذين الإتجاهين؟

الوطن في المصطلح السياسي

قد نحتاج في الجواب إلى دراسة المسألة أولاً، من ناحية النظرة إلى الوطن في المصطلح السياسي في نظرة الإسلاميين إليه.

فقد نلاحظ، أن الوطن قد تجاوز معناه اللغوي الضيق في الأرض التي يستوطنها الانسان، ويتخذها مقراً دائماً بالمعنى الواقعي، الذي يشمل مساحة معينة من الأرض، خاضعة لعنوان البلدة التي تضم بيته وبيوت الناس الآخرين، وهذا هو المعنى الذي يخضع لبعض الأحكام الفقهية في الصلاة والصيام، فقد تحول إلى معنى سياسي، يتسع لما تتسع إليه كلمة الدولة، التي تضم عدة بلدان ومساحات جغرافية واسعة أو ضيقة، مما تعارف عليه الناس في تقسيم الأرض إلى دول، من خلال اختلاف الحكم أو النظام أو القومية أو العرق أو نحو ذلك، الأمر الذي يفرض حدوداً للأرض وللعلاقات العامة.

وقد تطور الجانب السياسي في معنى الوطن، في نطاق الدولة، ليتحرك في تأثيره إلى الجانب الشعوري، الذي يربي العاطفة الانسانية لدى المواطنين، ليكون الحس الوطني حالة شعوريةوجدانية، تملك كل أحاسيسه، وتحدد له طبيعة علاقاته وأوضاعه، بحيث تذوب ذاته وخصوصياته فيها، فيكون مستعداً لبذل دمه والتضحية بذاته في سبيل وطنه...

وقد تتحرك التربية، لتجعل من الوطنية حالة وثنية، يعبد من خلالها الإنسان الأرض ويخلص لها، تماماً كما يتعبد لله ويخلص له، بعيداً عن كل القضايا المبدئية، بل قد تتطور هذه الحالة، لتفرض ضرورة إنسجام المبدأ مع مصلحة الوطن، فإذا تعارضت حركة المصلحة الوطنية مع المصلحة الرسالية، فإن الوطن يتقدم على الرسالة، بدلاً من أن تتقدم الرسالة على الوطن، أو يصار إلى إيجاد حالة من التوازن الواقعي العملي بينهما.

عناصر مكونات الوطن

وفي ضوء ذلك يتحول الوطن إلى عنوان للفرد أو للمجتمع، بحيث يتمايز الناس بأوطانهم، بدلاً من أن يتمايزوا بالعناصر الفكرية أو الأخلاقية أو غيرها . .

أما العناصر التي على أساسها يطلق على أرض معينة، يقطنها شعب معيّن، إسم الوطن فهي :

العنصر القومي : فقد يكون هذا العنصر مدخلية في بلورة وطن وكيان سياسي، فيحدّد لهما أرضاً حسب الحدود التي يأخذها حجمه البشري أوالإقتصادي أوالسياسي .

وقد يكون العنصر السياسي، فيما تتّفق عليه بعض القوى أو الدول الكبرى، في تقسيم الأرض إلى دول متعددة، من خلال مصالحها الإستراتيجية أو الإقتصادية المتنوعة، التي تفرض وجود مناطق نفوذ متفق بينهم، وقد تكون الطبيعة الجغرافية، هي التي تحدد ذلك، تبعاً للحواجز الطبيعية الموجودة على الأرض .

قد يكون لوحدة المعتقد لدى الشعوب، الذي ينبثق عنه نظام سياسي واجتماعي، تتحدد من خلالها المواقف والمواقع، في إطار المنهج الواحد، كالعقيدة الإسلامية، التي تعتبر العنوان الذي يوحّد المسلمين في وطن واحد، في إطار الخصائص الواقعية، التي تفرضها أوضاع البلاد، وتستوعب غير المسلمين، ضمن خطوط عامة وقواعد ثابتة، تكفل لهم الحصول على الحرية والعدالة، في نطاق المصلحة العامة . وقد تكون هناك عناصر أخرى غير هذه الأمور.

هذا كله في الإطار النظري، لكن الواقع، قد يحصر هذه العناصر في بعضها، تبعاً لمعادلات القوى والدول، التي تبقى لها الكلمة الأخيرة، لأنها هي التي تكسبها شرعية القيام والاستمرار، وكذلك الرأي العام، الذي يبقى له بالدرجة الأولى، الخيار في تحديد شكل الكيان السياسي الذي يختاره .

النظرة الاسلامية لمفهوم الوطن

ولكن الإسلاميين لا يجدون أساساً فكرياً في الإلتزام بهذه الحدود الوطنية، التي تغلق على المسلمين الباب فيما وراء الحدود . فإن النظرة الإسلامية، تجد في الأرض

متسعاً للإنسان، في الإقامة والتحرك في أي مكـان فيهـا، من دون أن يختص بحـدود معينة، ويمكن استيحاء هذا المعنى من مدلولات الآيات التالية:

﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فـامشـوا في منـاكبهـا وكلـوا من رزقـه وإليـه النشور﴾ [٦٧/ ١٥]، وقوله تعالى ﴿إن أرضي واسعة فإياي فاعبـدون﴾ [٢٩/ ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿أفلم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ [٤/ ٩٧]. وقد استـوحى ذلك الإمام علي (ع) في بعض كلماته المأثورة المروية عنه في نهج البـلاغـة: «ليس بلـد أولى بك من بلد خير البلاد ما حملك».

قيام وطن إسلامي محدود

ولكن ذلك لا يمنع من وجود مصلحة إسلاميـة عليـا، في التخطيط لـوطن محدود بحدود معينة، بصورة مؤقتة، من خلال الظروف التي قـد تقتضي التركيـز على مساحة معينة، من دون فرق بين أن يكون المسلمون ـ وحدهم ـ هم المتواجدون فيها، أو تكـون خليطـاً من المسلمين وغيرهم، بحيث تكـون الشرعيـة منطلقـة من طبيعـة الظروف، لا من طبيعة الأرض، فيلتقي المسلمون على الإلتزام بـه، والـدفـاع عنـه، والتحرك في خطوطه السياسيـة، ورعـايـة أوضـاعـه الإقتصـاديـة، أو نحـو ذلك في العلاقات التي تشدهم إلى الأوطـان الأخـرى، من خـلال حـركـة المصلحـة في واقع الإنسان المسلم، الذي قد يكون مرتبطاً بواقع إنسان آخر، فيعمل على التكامل معه، والتعاون معه في هذه الحدود الخاصة.

وفي ضوء ذلك، فإن الوطنية مهما بلغت من القيمة المرحليـة، فإنها لا تتحـول إلى حالة ذاتية في الناحية الفكرية والشعورية، بل تبقى حالة طارئة خاضعـة للظـروف، من حيث العمق والإمتداد.

الفهم المحدود للوطن

ولم يكن الإسلاميون بدعـاً من النـاس في هـذا الفهم الـواقعي المحـدود للمسألـة الوطنية، فهناك القـوميـون، الـذين يفهمـون الـوطن الـذي يعيشـون فيـه في الحدود الإقليمية، جزءاً من الوطن القومي الكبير، الذي يمتد في كل موقع من مواقع الأمـة،

مما يجعل تعاملهم مع الوطن، خاضعاً للحركة السياسية في الوصول إلى الساحة الواسعة.

وهناك الماركسيون، الذين يتجاوزون الوطنية والقومية في عمق تفكيرهم السياسي، المرتكز على قاعدة الخط الأممي في حركة الطبقة العاملة، مما يجعل الحدود الوطنية متحركة في البعد الأممي الكبير.

وإذا كانت المسألة تتحرك في دائرة الظرف، فقد نستطيع أن نقرر عدم وجود حالة ثابتة في حركة المفهوم في الواقع، بل هي حالة متحركة في نطاق الخط الإسلامي الإستراتيجي، في علاقة الداخل بالخارج، وفي امتداد الحدود إلى أبعد من الوضع الذي يحيط بها من الناحية السياسية العامة.

جبهة وطنية

وقد نستطيع الآن، أن نحرّك الموضوع على الصعيد الواقعي، لنلتقي بكل القضايا التي يمكن أن تثار سياسياً في المسألة الوطنية، على أساس قضية الحرية بكل فروعها الداخلية والخارجية. فعندما تكون المسألة مثلاً، مسألة احتلال معاد، أو مسألة هيمنة ظالمة، فقد يفرض علينا الواقع، أن نتحرك وطنياً بالمعنى الواقعي، لكن في إطار الخط الإسلامي، خدمة لمصالح المسلمين أو المستضعفين من غير المسلمين، وقد يملي علينا هذا التحرك، الدخول في جبهة وطنية مع القوى السياسية الأخرى، التي لا تلتقي معنا فكرياً، ولكن بشروطنا الإسلامية الفكرية والسياسية، التي لا تتعارض مع الآخرين، فنشترك في تحرير هذا البلد، كمرحلة من تحرير المنطقة، أو في هدم النظام الجائر الذي يضغط على حياة الناس.

الخصوصية الإسلامية

وإذا كان البعض، يجد في الخصوصية الإسلامية حاجزاً، يقف بين المسلمين وبين غيرهم في المجتمع المتنوع، مما يشكل فرصة للتناحر والتقاتل والإختلاف، مما يفسح في المجال لكثير من الاختراقات المعادية، أو يؤدي إلى الفوضى والإرتباك، فإننا لا نرى المسألة كذلك، لأن هناك أكثر من قاعدة للتوافق والتعاون أو التوحد في الموقف،

خلال القضايا المشتركة، التي تفرضها طبيعة الوضع السياسي، الذي تعيشه العلاقات الدولية أو المحلية المتحركة في صعيد الوطن كله، كما أن المشكلة، قد تعيش في جذورها، في كل مواقع الخلاف الفكري أو السياسي المتنوع، مما يجعل القضية في موضع الخطورة أو القلق، بعيداً عن طبيعة الخصوصية الإسلامية وغيرها. ولكن الحل يكمن، في طريقه إدارة الخلافات، وتحريك المعارضة، وإيجاد الوسائل الكفيلة، بتحويل الخلافات إلى مواقع للحوار، والصراع الفكري والسياسي بطريقة حضارية، بعيداً عن كل أساليب العنف والتهويل.

وربما كانت الأجواء الدينية، التي تتحرك في داخلها الصراعات السياسية، مثيرةً للحساسيات الملتهبة والمشاعر المتوترة، ولكن هذه المشكلة، ليست من المشاكل البالغة التعقيد، إذا استطعنا التعامل معها بطريقة موضوعية، على الصعيد الفكري أو السياسي، بحيث تبتعد المسألة عن موقع الإحساس إلى منطقة العقل، وتحريك الخلافات الدينية في الدوائر الفكرية، بدلاً من تحريكها في الدوائر الطائفية، وإذا كانت هناك بعض الصعوبات، التي تعترض ذلك في ساحة التطبيق، من جهة طبيعة الذهنيات الضيقة في مجالات الخلاف، التي تخضع لها ذهنيات المتدينين بهذا الدين أو ذاك، فإنها ليست بالمستوى التي تصل فيه إلى المستحيل، الذي لا يمكن معالجته، بل قد نجد في الساحات السياسية الأخرى بعض ملامح هذه المشاكل.

المسألة الوطنية تحت المجهر

إن الوطنية بالمعنى الضيق المنغلق، الذي تتحول فيه إلى خط فكري، ينظر بأسلوب اللامبالاة أو الرفض نحو التيارات الأخرى، لا يلتقي بالمعنى المنفتح، الذي تتحرك فيه الخطوط الفكرية، في البعد القومي أو الإنساني أو الديني، ولا سيما الإسلامي، لأن طبيعة هذه الساحات الواسعة، تلغي الحدود الموضوعة هنا أو هناك.. ولكنها لا تتنكر للخصوصيات الوطنية، بالمستوى الذي يثير الاهتمام بالقضايا العامة، المطروحة في هذه الدائرة، ويعمل على الدفاع عن كل المواقع التي يفرضها الواقع، ويتكامل مع القوى الأخرى المتحركة فيها في كل الأصعدة السياسية والأمنية.

إن الاحتضان الاسلامي للمسألة الوطنية، ينطلق في نطاق الواقع، لا في نطاق المفهوم، ويتحرك من المواقع الإسلامية، التي هي الأساس من الجانب النظري في اللقاء بالمواقع الأخرى، أو الإفتراق عنها، لأنه لا معنى لأن تتحرك كإسلامي بعيداً عن المفاهيم الإسلامية العامة.

دور الإسلاميين

لا بد للإسلاميين، من التحرك بالكثير من الوعي والمرونة والانفتاح، على كل الساحة، لدراسة كل مواقع اللقاء والخلاف، مقارنة بدراسة المفهوم الإسلامي للقضايا العامة، في داخل الساحة الإسلامية وخارجها، لأن الأفق الضيق والعزلة عن الواقع، لا يستطيعان أن يحققا أي ربح للحركة الإسلامية في أي مجال، بل يسهّلان للآخرين عزلها عن مواقع التأثير ومصادر القرار. وإذا كان البعض يرى بأن من الضروري المحافظة على نقاء الذهنية الفكرية للإنسان المسلم، حتى لا تختلط عنده المفاهيم، لتدخل عليها مفاهيم الإنحراف، فإننا نؤكد ذلك، ولكننا نؤكد إلى جانب ذلك، أن هناك أكثر من أسلوب للحفاظ على الأصالة، مع التحرك في خط المرونة، للإيحاء بالواقعية الحركية للإسلام، وبالانفتاح على المواقع الأخرى غير الإسلامية، للحصول على كثير من إيجابياتها السياسية، لمصلحة الواقع الإسلامي، وللتحرك نحو النفاذ إلى عمقها، الذي سوف يجد في الإسلام الكثير من الأمور، التي يعمل الأعداء على تشويه الصورة من خلالها، مما لا أساس له في حركة الواقع.

هذه هي بعض الملامح العامة للحديث عن الوطنية في النظرة الإسلامية، وربما تمس الحاجة إلى الدخول في بعض التفاصيل الأخرى، التي قد نحتاج إليها في توسيع الفكرة، من خلال ملاحظات المفكرين الإسلاميين، التي نرجو أن نجد فيها بعض الأفكار الناقدة، التي تعيننا على تأصيل المفهوم الإسلامي في دائرة المفاهيم العامة.

الانفعالية في خطوات العمل

*الإنفعالية تربك سياسة المراحل
وتسحق التماسك والانضباط .

* الإنفعال يحوّل الإسلام
إلى إطار طائفي لا عقائدي .

*الإنفعال أحد أسباب
اختلاط الحسابات لدى العاملين .

الانفعالية ظاهرة ضبابية

لعل من أبرز الظواهر التي تطبع شخصية الكثيرين من العاملين للإسلام في هذه الظروف، ظاهرة الإنفعالية في الأسلوب العملي، وفي خطوات العمل وفي العلاقات العامة. مما أدى إلى أن يأخذ العمل نفسه هذا الطابع.. ومن الطبيعي، أن تؤثر هذه الظاهرة على نوعية الرؤية للواقع وللأشياء وللأشخاص، فيفقد العاملون وضوح الرؤية. فتختلط الصورة الحقيقية في العيون، وترتبك الخطوات في الطريق، لأن الإنفعال يُغرق الشخصية في أجواء ضبابية، غارقة بالسحر والإغراء في جانب آخر، لأنه يتعامل مع الإحساس والشعور والعاطفة، ولا يتعامل ـ غالباً ـ مع الفكر والعقل، مما يجعل للسرعة دورها الكبير فيما يصدره من حكم، وفيما يخلقه من إنطباع، وفيما يتجه إليه من غايات.. وبذلك يفقد الحكم حيثياته الهادئة المتزنة.. ويغيب التركيز عن الإنطباع في غمار الضباب. وتلك هي بعض ملامح الإنفعال العامة في صورته العملية.. فماذا عنه في خطوات الواقع العملي في التصور الميداني للأشياء؟

ربما أستطعنا أن نحدد بعض ملامحه في السلبيات المتحركة في الطريق، فيما يتعلق بعلاقات العمل وبالإرتباط بالأشخاص وبالتعامل مع الأشياء، وذلك في ضمن النقطة التالية.

الانفعال تجاوز للمرحلة

في علاقات العمل: إننا نعرف، من خلال الفكر والتجربة ـ حاجة العمل التغييري إلى المراحل الطويلة، التي يتعامل فيها العاملون مع الواقع، على أساس العناصر المتوافرة لديه، في نطاق الظروف الموضوعية التي تحكم الأشياء والأشخاص.. فلكل مرحلة دورها الكبير المميز، الذي يتطلب الكثير من الإعداد والمعاناة والتركيز، من أجل أن تولد المرحلة الجديدة، في ظروف طبيعية ملائمة، على أرض صلبة ثابتة، لأن المرحلة الثانية، تعتبر جنيناً في المرحلة الأولى.. وفي ضوء ذلك، يتحدث المتحدثون عن حاجة العمل السياسي، إلى مرحلة ثقافية، تركز فيها الشخصية السياسية على أساس الفكر العملي والنظري، والذي يطرح المفاهيم

ويعمقها وينمّيها في داخل الإنسان، من خلال التجربة الواعية.. والتفكير العميق، ليكون التحرك منطلقاً من الخط المستقيم، لا متخبّطاً في الخطوط الضائعة، في الرمال المتحركة، في أكثر من اتجاه.. ويرون أن المرحلة السياسية، التي لا تسبقها المرحلة الثقافية، سوف تخضع للسطحية والارتجال والضياع، مع الخطوط القائمة القادمة من هنا وهناك، التي يختلط فيه الحق بالباطل والهدى بالضلال.. وربما يختلفون، في تحديد محتوى المرحلة الثقافية، هل يقتصر على الفكر العقيدي المتحرك مع المفاهيم والمصطلحات، أو يتسع للفكر السياسي، الذي يحتاج إلى بعض التجربة والمعاناة، بالمستوى الذي يعطي الخطوات بعض الحرية، ولكنه لا يطلقها بعيداً نحو نهايات الطريق ولكننا لسنا بصدد ذلك فيما نخوض من حديث، بل نحن هنا من أجل الإشارة إلى دور الإنفعال في إرباك سياسة المراحل وتداخلها، فقد يدفع الإنفعال العاملين إلى تجاوز المرحلة، أو إختصارها، أو القفز عنها، كنتيجة لمتابعة أو ملاحقة خطوات الآخرين، الذين قد يكونون متجاوزين للمرحلة التي بدأناها الآن.. فيخيّل إلينا، أن الوقوف عند حدود المرحلة، يعتبر إنهزاماً أو تراجعاً أو تخاذلاً، وما أشبه ذلك من المفاهيم التي تسحق فينا إرادة التماسك والإنضباط، لا سيما في الحالات التي قد نحصل على مقدار من النجاح في عملية الصراع، التي نخوضها ضد الآخرين فيوحي لنا ذلك، أننا في موقع القوّة وهم في موقع الضعف، وأنّ ذلك يوجب علينا أن نقفز إلى مواقع جديدة من قضايا الصراع، مما يبعد عنا كثيراً من العناصر المفقودة، التي لا بد أن توجد، أو كثيراً من الحواجز الموجودة، التي لا بد أن تزول.

الانفعال وهم كبير وحماس

وقد يدفعنا إلى ذلك، بعض حالات النجاح التي تصيبها الأفكار التي نحملها، أو المبادىء التي نؤمن بها، في مواقع من حياة الأمّة، في زمان معين، أو مكان معين، فينطلق الحماس لدى جماهير الأمّة، في الأمكنة الأخرى، تأييداً وتعاطفاً ودعماً لهذا النجاح.. فيخيّل إلينا، أن الساحة التي نتحرك عليها، تملك ما يملكونه من قوى وظروف وأوضاع، وتستعد للخطوات التي ساروا فيها، لأن الصرخات التي تنطلق في الهواء تتحول إلى ما يشبه الهدير الذي يهز الجبال، ولأنّ الصدمة التي يقابل بها الأعداء

هذه الثورة، تتركهم يواجهون الموقف بما يشبه الخوف والقلق والهلع، ولأن المسافة التي قطعناها وتجاوزناها من خلالها موقفنا، قد بلغت مجالاً بعيداً يقرب من مواقع الهدف الكبير. ويتعاظم الإنفعال، ويكبر الحماس.. ونكتشف بعد ذلك أنَّ الوهم الكبير هو الذي قادنا إلى هذه الرؤية الضبابية للواقع.. لأن طبيعة العوامل المحيطة بالساحة، والعناصر الكامنة فيها، لا تتعامل مع الهزاهز السريعة، التي تمر في الجو بسرعة، ليعود كل شيء إلى مكانه الطبيعي.

الثورة الاسلامية وانفعال الجماهير: مشكلة تخلف فكري وسياسي

ولعل هذا، هو ما عشناه أمام الثورة الإسلامية المباركة في ايران، فقد استطاعت أن تهزّ العالم من حولها، فتهز أعماق الإنسان المسلم، وتقتحم عليه مشاعره، فيما يشبه الطوفان، وتفتح عينيه على الحلم الكبير، في عودة الإسلام للحياة من جديد، وبشكل أقوى.. تحوّل الأمر إلى ما يشبه التيّار، وخيّل إلى كثير من البلدان الإسلامية، أن اليقظة الإسلامية، قد حوّلت الجماهير إلى قوّة هائلة، تكتسح أمامها كل مايصادفها من عقبات، وما يعترضها من قوى، كما تحوّلت القوى المضادة إلى أقزام، لا تكاد تبين على الساحة، لفرط ضعفها وإنسحاقها. وفي هذا الجوّ، كانت كلمات الثورة الإسلامية في هذا البلد أو في ذاك، هي الغالبة على التصور العام للتحرك.. وكان الشعور بالنصر القريب، هو ما يداعب مشاعر الكثيرين.. بفعل الروحية العالية الدالة على ذلك.. ولكنّ الحسابات لم تتفق مع المشاعر، لسبب بسيط جداً، وهو أن بعض المواقع الثائرة كانت تفتقر إلى بدايات الأجواء الدافعة إلى الحركة نحو الهدف الكبير البعيد فضلاً عن الثورة.. لأنها كانت تعيش في ضباب التخلف الفكري والسياسي، بالمستوى الذي لا تستطيع فيه أن تفهم المعنى الذي يعنيه الإسلام، من حيث هو برنامج حياة ودستور أمّة، مما يجعل من قضية العمل الإسلامي من أجل التغيير، أمراً يرتبط بالقضايا الجزئية، لا بالقضايا الكليّة.. ولذا، فإن من السهل جداً على القوى المضادة أن تستعين بعناصر التخلف الغالبة، على سحق التحرّك الوليد الغريب، وذلك من خلال الإيحاء لها، بإنّ مثل هذا التحرّك يهدّم القواعد التي قام عليها كيان الأمّة، ويدفع بالمستقبل إلى أحضان الضياع، وربما كان البعض من هذه المواقع متقدماً في خطوات العمل ومراحله، بالمستوى الذي

تحوّل فيه الوعي الإسلامي إلى تيار فكري عظيم، يفرض نفسه على مجرى الأحداث في الساحة.. ولكنه في الوقت نفسه لا يملك الامكانات الفعالة التي تتيح له تحويل الوعي، من تيار فكري إلى تيار سياسي ضاغط، يواجه التيارات السياسية المهيمنة على الأوضاع العامة من موقع القوّة والتنظيم والصمود. فقد نلاحظ في بعض المناطق الإسلامية الثائرة، أنّ الوعي السياسي في المدارس والجامعات، أما الطبقات الشعبية الأخرى، كالعمال والفلاحين والفئات الأخرى من الأمّة، فلم تكن في هذا المستوى من الوعي، بل ربما كانت تعمل ضد هذا الوعي، أو تكتفي منه بالعاطفة الخجولة، التي لا تكلفها شيئاً من التضحيات والخسائر. الأمر الذي تفقد معه الحركة الإسلامية قوّتها في الشارع، وفي السوق، وفي الحقل، والمعمل...، وبالتالي تفقد قوّة الضغط على الحكم الطاغي الموجود في البلد، فتتحول التضحيات إلى تضحيات سلبية، يمارس فيها الطغيان دور الإستفراد بالمجاهدين، من دون أيّة ردّة فعل ضاغطة.. فقد نلاحظ ـ ولو من بعيد، أنّ التحرّك الجدي السريع، كان بحاجة إلى ظروف أوسع، وأكبر، وأشمل، من أجل توسيع القاعدة الشعبية الممتدة، التي تمثل التيار القوي المندفع، الذي يخلق ثقلاً نوعياً وكمياً في الساحة الإسلامية في البلد.. وربما كان التحرك يوحي بارتباك في مواجهة المرحلة، أو في تحديد مسارها، في نطاق العوامل الزمنية والمكانية، وقد يكون الانفعال المشدود إلى الثورة الإسلامية، في أجواء الدهشة والمفاجأة، مسؤولاً عن اختلاط الحسابات لدى العاملين، لا سيما الذين كانوا لا يرون في الحركة الإسلامية في ايران عنصراً قوياً، يمكن له أن يحقق الثورة في الظروف الموضوعية التي تحققت فيها.. أو الذين لم يشعروا بأنها تمثل المستوى العالي من الوعي الإسلامي، في نطاق المفاهيم السياسية المطروحة في الساحة.. بل كانوا يرون أنّها تنطلق في خطوات غير محددة، وغير مركزة، فيما كان يبدو من إنطلاقها من شعارات إصلاحية لا شعارات ثورية.. فكانت الفكرة، أن النجاح هناك في إيران، يفرض النجاح هنا بشكل أقوى وأسرع، من دون الإلتفات إلى العناصر المتوفّرة في الثورة الإسلامية في إيران، من قيادة المرجعية، ومن طبيعة القاعدة الشعبية، ومن الظروف السياسية العالمية، ومن الموقع الإستراتيجي المميّز. مما لم يكن متوافراً في الساحة الأخرى.. وهكذا كان الإنفعال مسؤولاً عن تجاوز المرحلة، وعن اختصار النظرة إلى الواقع، مما أبعدنا عن رؤية كثير من الحواجز الماثلة أمام خطوات التقدم

واندفاع، وقد لا نستطيع إعطاء الحكم بالمسؤولية المطلقة للإنفعال، عن كثير من الخسائر والنكسات التي أصابت العمل الإسلامي والعاملين في بعض البلدان الإسلامية. . ، فقد تكون هناك عوامل ضاغطةٍ، لم تسمح للعاملين بالتقاط أنفاسهم، وقد تكون هناك عوامل خاصة، جعلتهم يشعرون أن المعركة مفروضة عليهم في كل حال، سواء قعدوا أو قاموا. . ولكن ذلك لا يمنعنا من التقدير، بأن الحجم الكبير للخسائر، كان من الممكن أن يكون أقلّ، لو كانت الأمور تحظىٰ بمزيد من عمليات الحساب للأخطاء الكثيرة على مستوى القمّة والقاعدة.

الساحة اللبنانية وطابع الإستعجال

وقد تكون الساحة اللبنانية حافلةً بالكثير الكثير من هذه النماذج، التي تدعو إلى الاهتزاز والسرعة، في تقويم الواقع، وفي تحريكه، لا سيما في هذه الظروف القلقة، التي يرزح تحت ثقلها هذا البلد، مما جعل الكثيرين يفكرون في أسلوب المحاكاة والتقليد للآخرين، بفعل الحُمّى السياسية والعسكرية، ويشعرون بأن عليهم أن يخوضوا المعركة، تحت المظلة السياسية والعسكرية، بعيداً عن أيّة خطوات ثقافية فكريّة. . الأمر الذي أوقعهم في ضغوط السياسات المحلية المألوفة التي تدور في الحلقة المفرغة الواقعية في قبضة الكفر والانحراف، ولعل طابع الإستعجال، هو الذي يغلب على كل عمل من الأعمال الإسلامية، مما يجعلك تلتقي بالسؤال الطويل الدائم، عندما تتحدث عن المرحلة الثقافية، وعن التوقف طويلاً قبل الإندفاع في الطريق المتحرك نحو الهدف، أو عندما تتحرك مع الآخرين، في خطوات التوعية والتثقيف، من خلال المحاضرة والندوة والصحيفة والكتاب، ما جدوى ذلك، وماذا استفدنا منه؟ وقد يعقّبون على الموضوع، بما يشبه التندّر، لقد شبعنا ثقافة إسلامية فلم نحصل على شيء. . وتتتابع الدعوات في الإنطلاق بعيداً عن ذلك كلّه. . ويبتعد الإسلام عن عقولنا وأفكارنا والتزاماتنا، ليبقى مجرد شعارٍ يثير الحماس والإنفعال، ولكن دون مضمون. فيتحول إلى إطار طائفي، بدلاً من أن يعيش في إطاره العقيدي الفكري الروحي، الذي يتحرك نحو الإطار السياسي، على عجلة من الفكر والوعي والإيمان. .

علامات استفهام أمام وحدة القيادة وتعددها

*لا وجود لنظرية إسلامية
في الحكم الواحد سوى النموذج النبوي .

*النصوص الشرعية
لا تمنع تعدد القيادات أو الدول الإسلامية .

*على الباحثين دراسة مسألة الوحدة
أو التعدد على الأساس الشرعي والإمكانات العملية .

* إثارة الموضوع لأجل النقاش العلمي
والحوار البعيد عن الإنفعال الإعلامي .

بين الوحدة والتعدد

كيف نتصور «القيادة الاسلامية» في مسألة الوحدة والتعـدد، وكيف نتمثّل ولايـة أمور المسلمين في قضية الحكم على صعيد الـدولـة، أو على صعيـد الـواقع الـذي لا يتحرك في نطاق الدولة؟

هل يجب أن يكون للمسلمين دولة إسلاميـة عـالميـة واحـدة، تحت ولايـة حـاكم واحد، أو يمكن أن يكون هناك أكثر من دولة تحت قيادةٍ واحدةٍ، تتفرع منها قيادات فرعية، أو تحت قيادات متعددة؟ هذه أسئلة تدور في ذهن العاملين في خط الاسلام، في المرحلة المعاصرة، التي بدأوا فيها يفكرون في مسألة القيادة والدولة، تفكيراً واقعياً، بعد نجاح الثورة الاسلامية، في تحقيق مشروع الدولة الإسلامية، على أسـاس نظـريـة «ولاية الفقيه» في داخل ايران، ولا بد لها من جواب.

الخليفة الواحد والدولة الواحدة

ليس هناك خلاف بين المسلمين، ان القيادة المتمثلة بالنبي (ص)، تمثل الوحـدة الشاملة لكل مواقع الانسان في العالم، فهو وحده القائد، من مـوقع أنـه وحـده هـو النبي، فـلا مجال لأي شخص أن يكـون شريكـاً لـه. ، بل لا بـد أن يخضع الجميع لقيادته في أي مكان، فلا شرعية لأحد إلاّ من خلاله.

ولا نجد خلافاً لدى القائلين بالإمامة بعد النبي (ص)، في وحدة القيادة لـلامـام في زمانه، فلا يشاركه أحد في إمامته، ولا يملك أحد الشرعية في تولي أية مسـؤوليـةٍ، إلاَّ من خلاله لأنه الوليّ الوحيد للمسلمين.

ويلتقي جمهور المسلمين الملتزمين بمسألة الخلافة بوحـدة الخليفـة، إلاَّ بعض من شذَّ منهم، كما يذكـره الماوردي في الأحكـام السلطـانيـة، فـلا يجوز أن يكـون هنـاك خليفتان في موقع واحدٍ، بل لا بدَّ من العمل على إيجاد ضـابطـة شرعيـة لانسحـاب أحدهما للآخر، أو لتقديم أحدهما على الآخر، في فرض التعدد المنطلق من الشرعية في بعض الحالات.

وقد جرى المسلمون في سيرتهم العملية في مسألة الحكم على هذا الأساس، فكـان الخليفة واحداً في كل عصور الخلافة. ، وكان التعـدد الطـارىء، نـاشئـاً من إنكـار

شرعية الخليفة في بعض المواقع، لمصلحة شرعية المسلمين، لا على أساس اشتراكهما في ذلك، ولا يزال الكثيرون من المسلمين يفكرون بهذه الطريقة، ويعتقدون بوحدة الدولة الإسلامية في العالم، مما يفرض وحدة الحاكم أو الولي، لأنه من غير الجائز أن يكون هناك حاكمان لدولة واحدة، بحيث يستقل كل واحدٍ منهما في الحكم، في نطاق هذه الدولة، فيؤدي ذلك الى الفوضى في الحكم والإدارة، مما يخلق إرتباكاً شاملاً في كل الواقع الإسلامي.

تعدد القيادة بين الشرع والفقه

ولكن التساؤل يبقى في الذهن، ليفرض نفسه على الخط الإسلامي، لدى الذين لا يعتبرون الخلافة أساساً للحكم الاسلامي، من حيث العنوان والشكل، لأنهم لا يرونها الصيغة الشرعية الوحيدة، بل يرون فيها تجربةً اسلاميةً في مرحلةٍ ثانيةٍ، تنسجم مع التطور الكبير الذي يعيشه الانسان، في هذا الجانب في حياته، فيتساءلون، هل يفرض الاسلام وحدة القيادة، وهل يلتزم بوحدة الدولة، لا سيَّما في الظروف الموضوعية الضاغطة، التي قد تمنع خضوع العالم الاسلامي لدولة واحدةٍ، أو لقيادةٍ واحدةٍ، كنتيجةٍ طبيعيةٍ للتعقيدات الكثيرة، التي ربما يحتاج تجاوزها الى وقت كبير أو جهد شديد، وذلك من خلال الضغوط الداخلية أو الخارجية؟ فهل تتجمد المسألة الاسلامية في قضية الحكم، وهل يفقد الحكم الاسلامي شرعيته، أو مصداقيته، عندما تتنوّع مواقعه وتتعدد قياداته، مع التزامها بالشريعة الاسلامية، مع الاختلاف في بعض الخصوصيات، التي تتعدد فيها موضوعات الأحكام الشرعية، لا سيَّما إذا كان الحاكم المسلم في هذا البلد، حائزاً على ثقة المسلمين أو بيعتهم، أو على اختيار أهل الحل والعقد، مع كونه جامعاً للشروط الشرعية المعتبرة في الصفة والموقع؟

إن هؤلاء الاسلاميين، لا يرون مانعاً من الالتزام بذلك، إذا كانت المصلحة الإسلامية الواقعية تفرض ذلك، وإذا كانت الظروف الموضوعية، التي تحاصر الخيار الاسلامي في هذه الدائرة الضيقة، لأن النصوص الشرعية لا تمنع من ذلك، كما أن القواعد الفقهية لا ترفض ذلك، مع التأكيد على ملاحظة مهمّةٍ وهي، أن من الصعب العثور على نظريةٍ إسلامية دقيقة في مسألة الحكم الواحد، سوى النموذج النبويّ، الذي يملك خصوصية النبوة المانعة من التعدد، مما لا يجعل أيّ نموذج آخر

في المراحل التالية مماثلاً له.

نظرية الإمامة وولاية الفقيه

وهناك الاسلاميون الذين يلتزمون نظرية الإمامة، ويرون ولاية الفقيه في زمان غيبة الامام، أساساً لشرعية الحكم الاسلامي، ولحركية الانسان المسلم، في قضاياه العامة، حتى في المواقع التي لا تلتقي بالحكم، كما في الحالات التي تسبق قيام الدولة، في حركة المسلمين نحو إقامتها، أو في الحالات التي يحتاج فيها المسلمون إلى تنظيم أمورهم في النطاق العام، عندما يعيشون بوحدة الوليّ، انطلاقاً من أن الفقيه هو نائب الامام في كل مواقعه، مما يفرض الشمولية، التي تتنافى مع التعدد، الذي يحوّل الواقع إلى ما يشبه الفوضى في مسألة الحكم والإدارة والخدمات، عندما ينطلق فقيهان ليديرا الواقع الاسلامي بشكل مستقل، بحيث يدير كل واحدٍ منهما ظهره للآخر..

ومن أن وحدة الامام في شرعية الحكم الاسلامي، المنطلقة من وحدة النبي في ذلك، قد تقدم النموذج الوحيد لطريقة الحكم الاسلامي، مما لا يدع مجالاً لنموذج آخر، لأنه يفقد المثال، كما يفقد المعطيات الشرعية التي تبرّره.

وإذا كانت المسألة تتحرك في هذه الدائرة على مستوى الحكم الاسلامي، فلا بد لها من أن تكون حركته على هذا الصعيد، في مستوى الولاية العامة لأمور المسلمين، في قضاياهم الفردية والاجتماعية، في الدائرة البعيدة عن الحكم في هذا الموقع أو ذاك.

التعددية في الحكم والفوضى

ولكن هناك رأياً آخر يؤمن بأن التعددية في الحكم، في زمان الغيبة، لا تبتعد عن خط النظرية، لأن النص الذي يتحدث عن ولاية الفقيه، لم يتحدث عن الجانب الوحداني الشمولي في الولاية، بل تحدث عن العنوان العام، الذي يمكن انطباقه على الكثيرين من الفقهاء، الذين تتوافر فيهم هذه المواصفات، ليكون كل واحدٍ منهم نائباً عن الامام، ومجعولاً من قبله في مركز الحاكمية، وهذا هو ما نتمثله في مقولة عمر بن حنظلة عن الامام جعفر الصادق عليه السلام:

«إنظروا الى رجل منكم قد روى حديثنا وعرف أحكامنا ونظر في حلالنا وحرامنا فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً. . » .

لعل هذا النص، يصلح أن ينطبق على ما إذا اتفق المسلمون في بلدٍ على شخصٍ جامع لهذه المواصفات، فرضوا به حكماً في أمورهم العامة، في الوقت الذي اتفق فيه المسلمون في بلدٍ آخر، على شخص آخر جامع لهذه المواصفات، فرضوا به حكماً في قضاياهم.

وإذا كان التعدد يؤدي إلى الفوضى والفساد العام في البلد الواحد، فإنه لا يؤدي إلى ذلك في البلدان المتعددة، وإذا كانت المسألة هي مسألة الخوف على فوضى حركة التقنين للشريعة الإسلامية بين هذا البلد أو ذاك، انطلاقاً من اختلاف الاجتهاد بين هذا الفقيه أو ذاك، أو تنوّع الخصوصيات هنا وهناك، مما يوجب تنوّعاً في الأحكام، تبعاً لتعدد الموضوعات؛ فإن ذلك لا يمثل مشكلةً في الواقع الاسلامي، الذي اعتاد على اختلاف الاجتهادات والموضوعات.

وإذا كان الخوف من الفوضى، هو الذي يجعل البعض يقرّر ضرورة الوحدة في الحاكم، فإن من الممكن أن يكون ذلك سبباً لتقييد حرية هذا الحاكم، في التدخل في شؤون البلد الذي يقوده حاكم آخر، ليؤدي ذلك الى التوازن، فلا تكون المنطلقات كافية في تقرير الوحدة، لا سيّما إذا لاحظنا أن هناك رأياً فقهياً يستفيد من هذه الرواية وأمثالها، وورودها في باب القضاء، ليكون مفادها الرجوع الى القضاة الذين يمكن تعددهم حسب تعدد البلدان، فلا يجوز لقاضٍ أن يتدخل في قضية يعالجها قاضٍ آخر.

الوحدة والوضوح

ويلاحظ هؤلاء، أن عنوان النيابة عن الامام الذي تختزنه نظرية ولاية الفقيه، لدى فقهاء الشيعة الامامية في المسلمين، يوحي بأن الفقهاء يمثلون النيابة عن الامام بالمعنى العام، تماماً كما هي النيابة عنه بالمعنى الخاص، مما يجعل الجميع على صعيد واحد في دائرة التعدد، مما يفرض عليهم توزّع المهمّات العامة في الدوائر المتعددة، التي تحتاج إلى ولايتهم ورعايتهم، بشكل لا يسيء إلى النظام العام للأمة، كما لو كان

الامام حاضراً، ومارس بنفسه تنظيم الأمور تحت ولايته العامة، بل قد يكون وجود الامام في شرعية الولاية، مؤشراً على توزيع الأمور في غيبته، كما هو الحال في حال حضوره، لتبقى النظرة الى الوليّ الأصيل في دائرة الوحدة، موجبةً للبعد عن توجه الأنظار إلى شخصٍ آخر بهذا الشمول، ويشير هؤلاء، إلى أن بعض هذه الملاحظات، قد لا تصلح دليلاً على المسألة بشكلٍ مستقل، ولكنها تصلح للإيحاء بأن مسألة الوحدة، ليست من الأمور الواضحة التي تمثل العنوان الوحيد لمسألة الولاية العامة للفقيه في زمان الغيبة.

الأعلمية وولاية الفقيه

وقد يثير البعض في نطاق نظرية «ولاية الفقيه»، مسألة اشتراط الأعلمية في الولي، تماماً كما هو كذلك في المقلَّد، مما يجعل الوحدة في القيادة أمراً مفروضاً..

ونلاحظ على ذلك، أن القائلين بالولاية، لا يلتزمون بذلك كنظريةٍ مسلَّمةٍ، بل الظاهر، أن القائلين بعدم اعتبار هذا الشرط هو الأغلب، مع ملاحظةٍ مهمة، وهي أن الأعلم قد يتعدد، كما إذا كان هناك شخصان أو عدّة أشخاص في مرتبة واحدةٍ من العلم، وهناك نقطة ضعف في هذه المسألة، وهي أن من الصعب اتفاق الأمة على تحديد الأعلم، مما يجعل القضية تتحرك في الدائرة العامة أو في الدائرة الخاصة، على أساس أنه الذي يمثل الشرعية الفقهية الاسلامية في الولاية، كما يجعل الفريق الآخر الذي يلتزم أعلمية شخص آخر ملتزماً بالولاية في وضعٍ آخر.

الولاية وأسبقية الإشراف

وقد يتحدث البعض عن المسألة في اتجاه آخر. وهو أن الذي يسبق إلى الإشراف على الأمة في دائرة الولاية، هو الذي يتعيّن للولاية العامة، مما يجعله مصداقاً لوليّ الأمر، الذي تجب طاعته، أو يضعه في نطاق المصلحة الاسلامية العليا التي تفرض الانسجام معه، والسير وراءه، لأن الابتعاد عنه أو التمرّد عليه، يؤدي إلى شقّ عصا المسلمين، وإضعاف قوتهم، وإذلال عزتهم، الأمر الذي يثير مسألة الطاعة في دائرة القضايا المصيرية للإسلام والمسلمين، وهكذا تتحرك المسألة في نطاق العناوين

الثانوية، بالإضافة إلى العناوين الأولية المنطبقة عليها.

ولكن قد يلاحظ البعض على ذلك، أن هذه القضايا قد لا تعيش في دائرة المطلق، فربما تكون هناك عناوين معينة وأوضاع خاصة، كما أن السبق لا يشمل جميع الأماكن، بل ينطلق في مكان معيّن، الأمر الذي يجعل الأخر السابق الى مكان آخر، مصداقاً لوليّ الأمر من الناحية النسبية، ويجعل التمرد عليه في نطاقه مورداً للعناوين السلبية المانعة من التحرك ضدَّه من الناحية الشرعية.

الأمة بين وحدة الولي والحكومة والمصلحة

إن القضية التي لا بد من مواجهتها في مسألة الوحدة والتعدد، لا تخلو من أحد أمور:

١ ـ وحدة الحكومة الإسلامية في العالم، بحيث لا يجوز للمسلمين تأسيس حكومات اسلامية متعددة، حتى لو فرضت الظروف الموضوعية ذلك، بحيث كانت الحكومة الاسلامية أمراً غير واقعيّ في المستقبل المنظور، وبذلك تكون القيادات المتعددة في الحكومات المتعددة غير شرعية.

٢ ـ وحدة الوليّ للمسلمين، من خلال استيحاء طبيعة المنصب العام في نطاق النبي، أو في نطاق الامام، مما يجعل الوحدة لازمةً للمنصب، فيما أريد له وحدة القيادة التي تحتله، بحيث لا تكون لخصوصية النبوة في النبيّ، أو الامامة في الامام، مدخلية في ذلك.

٣ ـ وجود مصلحةٍ إسلامية عليا، تفرض وحدة القيادة أو الحكومة، بحيث يكون التعدد ضد مصلحة المسلمين، أو موجباً للمفسدة في موقع الاسلام في حركة الحياة، وذلك من خلال أن هناك شخصاً فقيهاً، يتميز ببعض المواصفات المهمّة، التي لا تتوفر في غيره، مما يجعل من ولايته العامة ضرورةً اسلامية، بينما تكون ولاية غيره في بعض المواقع الخاصة، ضرراً على الاسلام والمسلمين، أو من خلال أنَّ هناك أوضاعاً ضاغطةً تفرض ذلك.

دراسة نظريات الحكم

إن على الباحثين أن يتوفروا على دراسة هذه الأمور، ليؤكدوا مسألة الوحدة أو التعدد على أساس الأدلة الشرعية، في نطاق نظرية الشورى أو نظرية «ولاية الفقيه»، ليدرسوا المسألة من ناحية واقعية، فيما هي الامكانات العملية على صعيد المرحلة، أو على صعيد الاستراتيجية، لتكون المسألة الشرعية منسجمةً مع الشروط الموضوعية، ونحن لا نجد فيها بأيدينا من المعطيات الفقهية، أيّ مانع يمنع من تعدد الدولة، وتعدد القيادة من حيث العنوان الأولي، سوى ما يذكره البعض من مسألة الاجماع على نفي التعدد، ولكن نلاحظ على ذلك، أنه ـ على تقدير ثبوته ـ، مختصٌ بالموقع الذي تملك فيه القيادة الشرعية، وليس فيه حديثٌ عن الدائرة الواسعة أو الضيقة التي تمارس فيها صلاحياتها، مما قد يجعل المسألة تتحرك في نطاق الموقع الخاص، لا في نطاق المطلق.

وربما نلاحظ ـ في هذا المجال ـ، أن التطورات المعاصرة، التي عاش فيها المسلمون بالمستوى الذي أصبحت فيه الدولة الواحدة العالمية أمراً غير ذي موضوع، من حيث الامكانات الواقعية، لم تكن موجودة في السابق، لتقع موضعاً للأخذ والرد في النطاق العلمي، الأمر الذي يجعلنا نؤكد عدم انتباه العلماء لذلك، فكيف يُدّعى الاجماع على ما يشمل ذلك.

إننا نريد اثارة هذا الموضوع للنقاش العلمي، حتى يمكن إدارة الحوار فيه بشكل دقيق، بعيداً عن الاستهلاك الانفعالي الاعلامي.

ولم يكن هدفنا في هذا الحديث إلاّ إثارة علامات الاستفهام حوله، مع بعض الإشارات الفقهية السريعة، للإطلالة على بعض مواقع البحث في هذه المسألة المهمة الدقيقة.

الدولة الاسلامية بين الاسلامية والمذهبية

* الجو الإسلامي الوحدوي
يسمح بالحوار ويحرر الناس من العقد .

*الدولة الإسلامية تمثل
عزة المؤمنين وقوة الدعوة وفرصة لتطبيق الأحكام الشرعية .

* على الحركة الإسلامية تقديم
الدعم الكامل لأية دولة إسلامية .

* البديل من الوقوف مع الدولة الاسلامية
هو خذلان الاسلام وسيطرة الكفر .

العصبية والمشكلة المذهبية..

ربما كان من المشاكل العميقة التي تواجه الثورة الإسلامية في حركيتها في المجتمع الإسلامي، مشكلة المذهبية، التي تحوّلت إلى حالة ذهنيةٍ عصبيّة متحجرة بدلاً من أن تكون حالةً فكريةً منفتحةً متحركةً، مما جعلها تترك تأثيرها العميق، على المحتوى النفسي للإنسان المسلم، في نظرته إلى المسلم الآخر. وربما تفاعلت في بعض المواقع الإسلامية، فتحوّلت لديها إلى حالةٍ من الغلو، التي تنظر إلى الآخرين، كما لو لم يكونوا من المسلمين، فتعتبرهم حالة كفر أو شركٍ في داخل الإسلام، لتكون مشكلةً في العقيدة، التي تشكل نوعاً من الخطورة على الإسلام نفسه، لا مشكلة في الشريعة، أو في الفهم الإجتهادي لتفاصيل العقيدة.

وفي ضوء ذلك، كان الواقع المذهبي، يقيم حواجز نفسية، تثير العصبيات في المجتمعات الإسلامية، لتفصلها عن بعضها، وتقسمها إلى مجتمعاتٍ سنّيةٍ، ومجتمعاتٍ شيعيةٍ، قد تتخذ كل واحدةٍ منهما، مواقع مستقلة عن مواقع الأخرى، وقد يجد بعضها لأفراده مصالح، تختلف عن مصالح أفراد الآخرين..

مشكلة الموقع الوحدوي الاسلامي

ومن هنا نشأت المشكلة في حركة الثورة الإسلامية، أو في نظرية التغيير الإسلامية، فكيف يمكن أن تنطلق الثورة من موقع وحدويٍ إسلاميٍ في مثل هذا الجو النفسي، الذي تتحرك فيه الحواجز العصبية الكبيرة، إذا كانت تنطلق من موقع مذهبيٍ معيّن، مرفوض من الموقع المذهبي الآخر؟.

ولا تقتصر المسألة على المفردات النفسية في الساحة الإسلامية، بل تمتد إلى الوضع السياسيّ، الذي تستغله المحاور والتيارات الكافرة في الموقع الدولي، الذي يعمل على إجهاض أيّة ثورة إسلامية تغييرية، ضد اتجاهاته الفكرية والسياسية ومصالحه الإستكبارية، وذلك من خلال تعميق الحالة النفسية المذهبية، التي تمنع التواصل بين المسلمين، في التحرك السياسيّ الموحّد، مما تسمح له، بالنفاذ إلى بعض المواقع الثورية، لإثارتها ضد المواقع الأخرى، بطريقةٍ وبأخرى..

وتتكاثر علامات الإستفهام في هذه الأجواء، لتثير المزيد من التفكير، الذي ينبغي

للعاملين أن يحركوه، في اتجاه إيجاد الحلول العملية للمشاكل الإسلامية، التي تقف في وجهة حركة الثورة الإسلامية.

هل يمكن أن تكون هناك نظرية إسلامية موحّدة، في حركة الثورة، في مسألة الحكم، بحيث يلتقي المسلمون عليها في الجانب العملي، حتى لو اختلفت المفردات التفصيلية فيها في الجانب النظري، فلا يجد فيها هذا الجانب حالةً غير شرعيةٍ، أو يرى الآخر حالةً غير ملزمة؟

نظرية الإمامة والخلافة

قد يثير البعض في هذا المجال، أن هناك نظريتين في الفكر الإسلامي، هما نظرية الإمامة، ونظرية الخلافة، اللتان تختلفان في الخطوط، وتختلفان في الأسماء، مما يمنع من اللقاء بينهما على خطٍ واحدٍ، أو يحركهما في أسلوب واحدٍ، فلا يجد الملتزمون بالمذهب السني، أساساً فكرياً إسلامياً يربطهم بنهج الإمامة، ولا يجد الملتزمون بالمذهب الشيعي، أساساً فكرياً إسلامياً يربطهم بنهج الخلافة، وبذلك يفقد كل واحد منهما الأساس الذي يلتقي فيه بالآخر، ليتحد معه، أو ليتكامل معه، فكيف نواجه المسألة؟

إننا لا نرى هناك مشكلةً كبيرةً في الجانب العملي، لأن المسألة المطروحة هي، كيف يمكن للمسلمين أن يعيشوا في داخل المجتمع الإسلامي، الذي يحكمه أو يتحرك فيه فريقٌ مذهبيٌّ إسلاميٌّ معين، فيما هي الحركية، وفيما هو الخطّ العملي؟

١ـ تجربة الخلفاء الراشدين

والجواب عن ذلك، اوّلاً، إنَّ هناك تجربةً إسلاميةً رائدة، وهي الواقع الإسلامي الذي عاشه المسلمون في مرحلة الخلفاء الراشدين، فقد كانت المسألة التي واجهها الإمام علي (ع)، هي حقه في الخلافة، الذي لم يحصل عليه، من خلال طبيعة التطورات، التي عاشتها مسألة الحكم في تلك الفترة، مما قد تطرح في الموقف، قضية الشرعية وعدم الشرعية للحكم آنذاك، التي قد يستتبعها التفكير في التحرّك السلبي المضاد، أو الوقوف بعيداً عن ساحة المسؤولية..

ولكننا رأينا الإمام (ع) يطرح الخط العملي، كأساسٍ للموقف، فيقول في بعض كلماته المأثورة عنه: «لأسلِّمنَّ ما سلمت أمور المسلمين. .» ليعطي القاعدة الإسلامية، التي تؤكد، على أن النظرة في مثل هذه الأمور، ينبغي أن تتركز على الخط العام، للسلامة العامة، للواقع الإسلامي في الحكم الاسلامي، لا على المفردات التفصيلية، التي تتحرك في داخل الحكم وخارجه، فليست القضية المطروحة هي في الموافقة على هذا العمل أو ذاك، أو على هذا الفهم للحكم الشرعي أو ذاك، بل القضية المطروحة هي كيف يمكن الحفاظ على السلامة الإسلامية العامة، للوجود السياسي الإسلامي ونجده (ع) يتحدث في حديث آخر، كما ورد في نهج البلاغة فيقول:

«فما راعني إلاَّ انثيال الناس على فلان ـ ويقصد أبا بكر ـ يبايعونه فأمسكت يدي حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يريدون محق دين محمد (ص) فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم هذه التي إنما هي متاع أيّام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب،فنهضت في هذه الأحداث وتلك حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه».

الامام علي (ع) المعلم والمعاون

فإننا نلاحظ أن السلبية المتمثلة بالمقاطعة، كانت هي الأسلوب العملي الأول للإمام في هذه المسألة، ولكنها تحوّلت إلى إيجابية واقعيةٍ بعد ذلك عندما لاحظ أن هناك خطراً كبيراً، من خلال مسألة الردّة، التي بدأت تفرض نفسها على المجتمع الإسلامي آنذاك، وأن هناك امكانية حدوث مشاكل فكريةٍ وعمليةٍ، تناقض فكر الإمام علي (ع)، وحركته الفاعلة، في بناء القوة الإسلامية، ومنع عناصر الهدم، من أن تفرض نفسها على الواقع هناك. وهكذا دار الأمر لديه، بين أن يجمّد الموقف المتحرك في هذا المجال، لينصرف إلى معالجة الأمور الخطيرة الطارئة، التي قد تتحول إلى خطر على الإسلام نفسه، لتكون المصيبة، هي مسألة سقوط الإسلام أمام التحديات الداخلية والخارجية، لا مسألة الإبتعاد عن الحكم من الناحية الذاتية، لأن مثل هذه الإنفعالات الشخصية ليست واردةٍ في حساب الرساليين. وهكذا كان

علي (ع) في موقفه الإسلامي، مشيراً ومعلماً ومعاوناً وناقداً وناصحاً، من دون أن تأخذه في الله لومة لائم، وهكذا كان المرتبطون بعليّ (ع) في مواقفهم العملية، لذلك لم نر هناك أيّة مشكلة معقّدةٍ في كل تلك المدّة، حتى في قصة الثورة على عثمان، كان موقف علي (ع) هو الموقف الذي حاول أن يأخذ فيه دور الوسيط بين الثائرين وبين الخليفة، ثم دور الذي يرسل ولديه للدفاع عنه، مع كل ما يحمله في فكره من نقد حقيقي لسلوكه في الخلافة.

النموذج الوحدوي المنفتح

إننا نقدّم هذا النموذج الوحدوي، في الموقف المنفتح على الفريق الآخر، في الصورة الرائعة، التي ينسجم فيه الرمز الأوّل للمعارضة، باعتباره الإنسان الذي يملك الحق في الخلافة فيما يراه، وفيما يعتقد الكثيرون أنه الحقيقة، لتجري المسيرة الإسلامية في الخط العام، حيث لا خطورة على مستوى القضايا العامة، بالرغم من التحفظات على كثير من المفردات والتفاصيل، لأن السلبية قد تمنع الإسلام، الذي يواجه التحديات من كل موقع حوله، ويعيش الأخطار في الداخل والخارج، من قوةٍ كبيرةٍ، تستطيع أن تحمي الكثير من المواقع، وتركز الكثير من المواقف، وتسيء بالتالي إلى سلامته على أكثر من صعيد.

وفي ضوء ذلك، يمكننا دراسة المشكلة المذهبية، التي قد يملك فيه مذهب إسلاميٌّ معين، موقعاً قيادياً متقدّماً، من خلال نجاحه في السيطرة على بعض الساحات الإسلامية سياسياً أو فكرياً، أو بشكل شامل، يتمثل في قيام دولة على صورته، مما يعطي للإسلام دولةً جديدة، ومحوراً سياسياً مميّزاً، وحركة ثوريةً فاعلة، الأمر الذي يمنح أيّة حركةٍ إسلاميةٍ سياسيةٍ أخرى، بعض القدرة على تجربةٍ جديدة في مواقع أخرى، لتكون الدولة الإسلامية الثانية، والموقع الإسلامي الجديد، أو يحقق لها على الأقل، قوّة ـ حركية فيما تحصل عليه من بعض الفرص، أو انفتاحاً على الدعوة للإسلام بشكل أكثر فاعليةً، وأشدّ قوة وعلى كل حال، فإن الإخلاص للإسلام، يفرض على الحركة الإسلامية أو تلك، أن تقدّم الدعم الفكري والسياسي والإقتصادي، لأن سقوط التجربة الإسلامية للدولة الوليدة، تحت تأثير قوّة الكفر، فيمايعيشه من الشعور بالخطر على مواقعه وامتيازاته من خلالها، يعني صعوبة أو

استحالة قيام دولةٍ أخرى في ظروفٍ قادمةٍ، لأن الأعداء سوف يمنعون ذلك، عندمايستعدون للمواجهة قبل تحقق الإنتصار، ولأن المعارضة القائمة على العصبية المذهبية، سوف تتمثل في عصبية أخرى، تتحرك في مواقع الهدم لا في مواقع البناء.

بين النهج الاسلامي والكافر

إننا نلاحظ، في هذه الدائرة، أن من الإخلاص للإسلام، أن نفكر بجدِّية في الأفق الإسلامي الواسع، الذي يوحي بالتعاون في المسألة من ناحية المبدأ، بدلاً من التناحر والتخالف والتحارب، لأن الأمر قد يدور في الساحة العامة، بين أن يكون الحكم لنهج إسلامي، قد تختلف معه في بعض الأفكار العقيدية، أو في بعض الإجتهادات الشرعية، أو في بعض المواقف السياسية، وبين أن يكون الحكم للنهج الكافر، المتمثل بالخط العلماني الذي يتسع للأفكار الملحدة، أو الضالة في غير الإتجاه الديني..

إن المسألة المطروحة هي، هل نحافظ على المبدأ مع تجاوز بعض التفاصيل، أو نثير المشكلة في المبدأ والتفاصيل، لننسف الواقع الذي يقوم على حركة المبدأ.؟

وقد لا نحتاج إلى الكثير من الجهد لنقرر، إن إسلاماً لا نرضى عن بعض تفاصيله، أفضل من كفرٍ لا نلتقي معه في أيّ شيء.. ولن يكون من الواقعيّ ومن الإخلاص للإسلام، أن نتحدث كما يتحدث بعض الناس، بأن الكفر أقرب إلينا من اسلام مخلوطٍ ببعض الكفر، أو ببعض الشرك، أو ببعض الإنحراف، فيما تتصوره اجتهاداتنا الكلامية، أو الفقهية، أو أنه يتساوى معه، لأن مثل هذا الكلام يوحي بالتعصب، الذي يريد أن يدمّر خصمه، حتى لو كان في ذلك تدمير نفسه.

العصبية للشخص والحركة

وقد لا يقتصر هذا النوع من التفكير السلبي على الجانب المذهبي، بل قد يمتد إلى المواقع الحركية، ذات التفكير المتعدد في وعي العمل الإسلامي، حيث تفضل حركة إسلامية، أن تبقى الساحة في سيطرة الكفر العقيدي أو السياسي، بدلاً من سيطرة الحركة الإسلامية الأخرى، وقد يمتد إلى بعض المواقع المرجعية في دائرة الزعامات

الإسلامية، التي قد يجد اتباع هـذا الشخص أو ذاك في انتصـار زعيم إسـلاميّ معيّن مشكلـةً كبيرة، قـد يفضلـون معهـا، أن يسقط حكمـه الإسـلامي على يـد الكفـر والإنحراف، على امتداده في حياة الأمة، بالمستوى الـذي يـؤثـر فيـه تأثيراً سلبيـاً على مكانة الشخص الـذي يتبعـونـه، وقـد يحاولـون التقـاط بعض الأخطـاء، أو بعض الإنحـرافـات أو بعض المواقف غير الشرعيـة، للتأكيـد للنـاس بأن هـذا الحكم غير اسلامي، أو أنه خطرٌ على الإسلام أكثر من خطـورة الحكم، المبني على قـاعـدةٍ غير اسلامية، مما يكون تابعاً للشرق أو للغرب، وذلك من خلال العصبية للشخص، أو للحركة أو لغير ذلك.

٢ـ الاجتهاد والمسائل الفكرية

وثانياً: إن المسألة لا تحمل أيّة مشكلةٍ معقدةٍ مستعصيةٍ، لأن التحفظ الـذي قـد يسجله أتباع الرأي الآخر، على الدولة الإسلامية التي تتبع مذهباً آخر، ربما ينطلق من بعض تفاصيل العقيدة، كما قد يحركه فريق من المسلمين حـول فـريق آخـر، فيما قـد ينسبونه إليهم، من الغلو في بعض الشخصيات القياديـة من أئمـة المسلمين، أو من الإنحراف في بعض تفاصيل التوحيد، مما قـد يخرجـونهم بـه عن الإسـلام، أو يحركـه فريق آخر، حول بعض الشخصيات القيادية لدى فريق آخـر من المسلمين، ممـا قـد ينسب إليهم، بعض الإنحرافات الكبيرة عن خط الإسلام. ولكن المسألة مهما كانت مهمة وخطيرة في نظر أصحابها، فإنها لا تؤثـر تأثيراً سلبيـاً كبيراً على مستـوى حـركـة الحكم الإسلامي، لأن بعض الأشياء تتصل بالتاريخ ولا تتصل بـالحاضر، ممـا يجعل المسألة فيها، مسألة التصور الـذي لا يغير كثيراً من المسـار العملي في الـواقع، كما أن الخلاف في حـدود التـوحيـد، فيما يثيره هـؤلاء أو أولئك، لا يقتصر على فـريق دون فريق، لأنها ليست من المسائل المذهبية التي تمثل الإنقسـام الـرسمي بين المسلمين، بل هي من المسائل الكلامية، التي قد يلتقي فيها جمهـور السنـة والشيعـة، مع تحفّظ بعض الناس في ذلك، وبذلك تتحول المسألة إلى مسألـة فكـريـةٍ، يمكن أن يتـوفـر عليها البـاحثون بالطريقة العلميـة، ليصلـوا إلى حلّهـا بشكل وبـآخـر، كما يمكن أن نلاحظ، أن مسألة التقييم للشخصيات سلباً أو إيجاباً، أو مسألة ما يسمى بالغلو في التقييم، لا تمثل مشكلةً مستحيلة الحل من الناحيـة الفكـريـة، مـا دامت لا تقترب

بالإنسان من درجة الألوهية، أو من درجة النبوة، فيمن لم يكن نبيّاً، مما يعني أن الإجتهاد قد يصل بها إلى حل معقول، أو نتيجة حاسمة.

جو المسؤولية

وهكذا نرى أن هذه المسألة مهما كانت خطيرةً، فإن خطورتها ليست دائمة، ما دام الجو الإسلامي الوحدوي في نطاق الدولة الإسلامية، يسمح بالحوار حولها من داخل مواقع اللقاء، التي تتيح للمتحاورين جوّاً نفسياً، يختلف عن مواقع النزاع والخلاف، مع ملاحظةٍ مهمةٍ، وهي أن جوّ الدولة، قد يفسح المجال للكثير من الإنفتاح، في كثير من القضايا المختلف عليها، مما يساعد على حلها بطريقةٍ سريعةٍ، لأن جوّ المسؤولية المنفتحة، قد يحرّر الناس من كثيرٍ من العُقَد الصعبة، التي يؤكدها الجوّ العادي البعيد عن طبيعة المسؤولية.

بين المذهب والقانون

وقد ينطلق التحفظ، من خلال الخلاف في بعض القضايا الشرعية، التي تختلف فيها الإجتهادات المذهبية، في مذاهب السنة والشيعة، فقد يرى فيها البعض مشكلةً للدولة، فيما قد تختلف فيه قوانينها العامة والخاصة، عن قوانين هذا المذهب أو ذاك، مما قد يثير لدى المسلمين الذين يختلفون مع مذهب الدولة الإجتهادي، مشاكل حياتية كثيرة، وازدواجية فقهيةً عمليّة، بين ما هو المذهب وبين ما هو القانون.

ولكن هذه المشكلة، في صورتها العامة، ليست مشكلة السّنة والشيعة فحسب، بل هي مشكلة المذاهب الفقهية المتعددة في دائرة المسلمين من أهل السنّة، كما هي مشكلة الإجتهادات الفقهية المتنوعة في دائرة المسلمين الشيعة، عندما يتبع بعض الناس مجتهداً في التقليد، ويتبع أناس آخرون مجتهداً آخر، ولذلك لا بد من معالجتها على أيّ حالٍ، في أيّة دائرةٍ من دوائر تجربة الحكم الإسلامي.

هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى، فإن الخلافات بين السنّة والشيعة، أو بين المذاهب الفرعية، أو الإجتهادات المتنوعة في داخل المذهب الواحد، ليست بالمستوى الذي يثير مشكلة كبيرة، لأنه قلَّ أن تجد مذهباً فقهياً، لا يتفق مع مذهب آخر في

قضايا المعاملات والأحوال الشخصية، ونحو ذلك، مما يضيّق هوّة الخلاف، ولا سيّما إذا أطلقت الدولة للناس أمر اختيار مذاهبهم الخاصة في الأحوال الشخصية، ومع ملاحظة، أنها لا تتدخل في الشؤون العبادية فيما يختلف فيه المسلمون في شروط العبادات.

وقد نثير ملاحظة أخرى في الموضوع، وهي، أن الإختلاف بين المسلمين في مذاهبهم، لن يكون بأكثر من اختلاف المسلمين مع العلمانيين، إذا كانت الدولة علمانية في قوانينها الوضعية، فكيف يصبر فريق من المسلمين أو حركة إسلامية، على العيش تحت سلطة غير المسلمين، ولا يصبرون على الإختلافات الجزئية في ظل دولةٍ اسلامية، فيما يشتمل عليه قانونها الإسلامي من أحكام.

التحديات وتأييد الدولة الاسلامية

وثالثاً: إن التحديات الخطيرة، التي تواجه العالم الإسلامي، في عقيدته، وشريعته، وثورته وسياسته، واقتصاده وثقافته، وأمنه، تفرض على المسلمين، التطلع إلى إقامة دولةٍ، أيّة دولةٍ، تلتزم مواجهة هذه التحديات، من موقع الفكر الإسلامي قاعدةً وشريعةً وحركةً، بحيث يكون النهج الإسلامي في استنتاج الفكر، هو المتبع في الإجتهاد الفكري، بشرط أن تنطلق في حركتها السياسية من هذا الموقع، لا أن تكون تابعاً هامشياً للمحاور الدولية الإستكبارية، فيما تخططه من خطط، وفيما تحركه من مشاريع، وفيما تثيره من أهداف، ومن هنا فإن المفروض أن يفكر الإسلاميون، على مستوى مراجع التقليد، أو على مستوى الحركات الإسلامية، بأن الوقوف مع هذه الدولة الإسلامية، يمثل الوقوف مع حركة الدعوة الإسلامية من موقع متقدم، لأن الدولة تعطي الدعوة للإسلام، حركيةً عالميّةً من قاعدة القوّة الكبيرةً، كما يمثل الوقوف مع حرية المؤمنين وعزتهم، التي أرادها القرآن الكريم، كقيمةٍ أساسية من قيم الإسلام في الإنسان، كما تمثل الفرصة الكبيرة، لتطبيق الأحكام الشرعية المنطلقة من اجتهاد اسلامي، قد يختلفون معه في بعض نتائجه، أو في بعض تطبيقاته ولكنهم لن يختلفوا في الإقرار بأنه ينطلق من القواعد الإسلامية المقرّرة.

إن البديل من الوقوف مع الدولة الإسلامية، هو الإبتعاد عن ساحة الصراع، على

أساس خذلان الإسلام فيما يحتاج إليه من القوّة، والخضـوع لسيطـرة الظلم الكـافـر، الذي يمتد ظلمه للإسلام كله، وللمسلمين كلهم، أو التنسيق مع حركات الكفر في الإستكبار العـالمي، أو الإقليمي، أو المحلي، لإسقـاط هـذه الـدولـة، لا ليكـونـوا البديل، لتكون حجتهم أنهم يعملون للإسلام النقي الصحيح، بل ليكون الكفر هـو البـديل، في الحكم والقـانـون والسيطـرة الشـاملـة، وهـذا مـا لا يتفق مع أيّ منطقٍ إسلامي، في أيّ اجتهاد وفي أي مذهب.

المشروع السياسي بين العنوان الاسلامي والعناوين الاخرى

* ضرورة اخراج الدين
من المفهوم العبادي الضيق الى الحياتي الواسع .

*على العاملين التحدث بصراحة
وفتح القلوب على الاسلام بأصالته وكليته .

*مسألة الدعوة العالمية
هي صدم الواقع لفرض نفسها على الساحة .

* لابد من وضع الاسلام في الواجهة
في كل مشاريعه العامة والخاصة .

قد يثور الجدل بين العاملين في الدائرة الاسلامية، حول الاسلوب الافضل للعمل الاسلامي، في معالجة القضايا العامة، التي تتحرك في البلاد الاسلامية، أو الواقع الانساني في حياة المستضعفين، بشكل عام، سواء كانت هذه القضايا، متحركة في الجانب المحلي لهذا البلد أو ذاك، أو في الجانب الخارجي، في نطاق المنطقة، أو في نطاق العالم.

التيار الاسلامي ولونه الفاقع

أما محور هذا الجدل، فيدور حول طريقة اثارة القضايا، ليكون هو الذي يحكم الحركة، ويضع الخطوط ويحدد الهدف، ويثير الاجواء الاسلامية في طبيعة المفردات، وفي أسلوب الطرح، وفي القاعدة الفكرية التي يخضع لها التخطيط والحوار، فتكون المسألة في طبيعتها، أن التيار الاسلامي هو الذي يدخل ساحة الصراع بلونه الفاقع المميز، في مواجهة التيارات الاخرى، التي تملك ملامحها الواضحة في نفس الساحة، من موقع الوضوح والتحديد؟أو أن نصل الى عمق هذه القضايا في مصداقيتها الواقعية، لتتحقق في المجتمع ميدانيا، بعيدا عن العناوين السياسية البارزة، التي قد تثير الكثير من الحساسيات، وتعقد الكثير من الحلول. وليست قضية الاسلام في الواقع، أن يؤكد اسمه وشعاره، بل هي أن يؤكد وجود حلوله في الحياة، لأنه جاء من أجل اقامة العدل وهدم الظلم، فلا مشكلة مع الوصول الى الهدف، من اغفال الواجهة واسقاط العنوان.

فكيف نثير المسألة في حديثنا، فيما يثيره هؤلاء من معطيات فكرية وعملية، أمام وجهة نظرهم، في حركة التساؤل؟

الطرح العام والاجواء المحمومة

قد يقول الفريق الذي يتبنى طرح المسألة السياسية في القضايا الاسلامية بطريقة عامة، ان القضايا المصيرية الاسلامية، من محلية وخارجية، تصطدم في مشاكلها الكثيرة المعقدة، بالواقع السياسي المحلي أو الاقليمي أو الدولي، الذي يحمل أكثر من لون، أو أكثر من واجهة، كما تلتقي بالواقع الفكري المتنوع، الذي يحتضن الاسلام في

بعض دوائره، ويصطدم به في بعض أخر، ويقف بعيدا عنه في دائرة ثالثة، ويواجه كثيرا من التحديات الصعبة، التي تثير الحساسيات والمشاعر الطائفية والمذهبية والقومية والحزبية المعقدة، وتخلق الكثير من الاجواء المحمومة العنيفة.

وعلى ضوء ذلك، فان العاملين المخلصين للاسلام وللمسلمين، يعملون على أساس الوصول الى نتائج واقعية عملية من أقرب طريق، وبأسرع وقت، للابتعاد بالواقع عن سلبيات المشكلة، ونتائجها المؤلمة في حياة الناس.

ولا بد لهم في سبيل ذلك، من ابعاد الارض التي يتحركون فيها، عن أكثر العوامل الموجودة اثارة، ليلتقي الكثيرون في الساحة المشتركة، التي لا تبتعد عن الساحة الواسعة للاسلام، بل تتصل بالكثير من مواقعها ليكون ذلك أساسا، للحصول على أكبر قدر ممكن من التأييد الشعبي للمشروع، الذي يمثل الحل الامثل للمشاكل الصعبة التي يعيشها المسلمون.

ولن يكون ذلك، الا بابعاد الاسلام عن الواجهة، لأن الحديث عن الاسلام في العنوان البارز للمشروع، يبعد الكثيرين، الذين لا يرتاحون للانتماء الاسلامي عنه، كما يصرف الذين يقفون ضده، أو الذين لا يلتقون به، ولا يريدون أن يقحموا أنفسهم في المشاريع، التي يكون مشرفا عليها، وبذلك يفقد المشروع فاعليته وتأثيره، عندما يفقد شعبيته الكبيرة لدى الناس مما يجعل العاملين يربحون العنوان، ويخسرون المعنون، ويحصلون على الشعار، ويفقدون الواقع.

وقد تكون المسألة أكثر أهمية، اذا كان البلد الذي يتحرك فيه المشروع متنوعا في اتجاهاته الدينية، بحيث يعيش التعددية في طوائفه ومذاهبه، على النحو الذي يأخذ فيه الخط السياسي، ألوانا طائفية متنوعة. وتأتي العناوين الدينية، لتخلق تعقيدا لأي حل للمشكلة، لأن العنوان هو الذي يحكم التصور والتحرك، ويثير الحماس والاندفاع، وليس الواقع، لأن الجو الطائفي المحموم، قد يكون مستعدا لاجهاض أفضل المشاريع واقعية، لمصلحة الانتماء الطائفي الذي يحمله، لأنه لا يتناسب معه.

ولهذا، فان الاسلوب العملي، هو الانطلاق في الحلول من ناحية عامة، لتتحرك في الواقع من دون تعقيدات، حتى لا نبقى نتحرك في الدوامة، التي لا تنتهي الى أي شيء على صعيد الحل.

الطرح العام وكشف الاوراق

ويتابع هذا الفريق الحديث عن رأيه فيقول :

ان الذين يتحدثون عن الوضوح في الطروحات السياسية ، ساذجون في الفهم السياسي لقواعد اللعبة السياسية ، التي يديرها الكبار ويتحرك في دائرتها الصغار، وتنطلق من خلال خلط الاوراق في كل وقت ، ومواجهة الواقع على أساس سياسة اللف والدوران ، واللعب على الحبال ، مما يجعل الانسان الذي يعيش في داخلها محكوما بقواعدها ، وخاضعا لوسائلها ، ومبتعدا عن كشف ما عنده من الاوراق ، على الاقل حتى لا يخسر الرهان في أول الطريق ، لأن الذي لا يفهم أصول اللعبة ، ويعمل على كشف أوراقه ، سوف يغري الاخرين باقتحام كل نقاط الامن لديه ، وباضعاف كل فرص الربح عنده .

اما الحديث عن الاسلام في تقوية مواقعه ، وتأكيد مفاهيمه ، وتعميق وجوده في عقول الناس وقلوبهم ومشاعرهم ، فهو أمر حيوي ومهم جدا ، ولكن في دوائر أخرى ، هي دائرة الدعوة الفكرية ، التي تثير المسائل الاسلامية في الوعي الفكري العام ، في كل جوانبها الفلسفية والتشريعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ودائرة الممارسة العبادية ، في انفتاح الانسان على الله ، ودائرة السلوك الاخلاقي ، الذي يتصل بالحياة العملية للناس ، وذلك من دون الدخول في أية ملامسة للمسألة السياسية بعنوانها الاسلامي ، الذي يتحرك في منطق الانتماء على صعيد الواقع .

وبذلك نضمن ابقاء الاسلام في حركة الوعي الفكري للانسان ، كما نضمن نجاح المشروع السياسي في القضايا العامة للمسلمين ، من دون أية مشكلة أوأي تعقيد .

وقد يتحدث بعض هؤلاء عن المرحلية في بعض هذه المشاريع ، فيما يمكن أن تكون خطوة متقدمة نحو الهدف الاسلامي الكبير، في قضية الحكم الاسلامي في نهاية المطاف ، مع الاخذ في الاعتبار، أن السرية في التخطيط والحركة والعنوان ، تمثل السبيل الافضل نحو الوصول الى الاهداف بدون تعقيدات كبيرة .

الدين والمسألة السياسية

ويرى الفريق الثاني ، الذي يؤكد العنوان الاسلامي للعمل السياسي ، أن المسألة

في المرحلة الحاضرة، هي افساح المجال للاسلام ليبرز في دوره الطبيعي، كدين يحمل في داخله الفكر والشريعة والحركة والمنهج، في الاسلوب والهدف، لأن التخلف الفكري في المفهوم الديني، قد استطاع أن يعمق في فكر الناس، من قياديين وأتباع، ان الدين ليس حركة في الحياة، بل هو حركة في الذات، وأن الشأن المدني، بفصوله السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لا يدخل في عمق التخطيط الديني، بل يدخل في الشأن الاخلاقي الذي قد يطل على هذه الجوانب من بعيد.

وفي ضوء ذلك، فقد خرج الدين من دائرة الصراع السياسي، ليبقى شأنا طائفيا، يجمع الناس حوله من خلال العناوين الروحية القائمة، التي تختزن المشاعر السلبية، لتضع الحدود الفاصلة بينهم، في أجواء الاحقاد المتراكمة، التي تعمل على ابعاد العنصر الانساني، في قيمه الروحية، عن العلاقات الانسانية.

ولم يعد للدين، ولا لعلماء الدين، دور فاعل في ساحة العمل السياسي بالمعنى الاسلامي، الذي يثير الحركة في حياة الناس العامة، بل أصبح مجرد هامش للاثارة، أو للتوجيهات العامة، أو لاعطاء الاخرين بعض البركة الدينية للمشاريع المتنوعة، او للاشخاص البارزين.

وهكذا بدأت المسألة السياسية، تحتضن التيارات الماركسية والقومية والوطنية، في مواقعها الفكرية، وفي شخصياتها الفاعلة، وفي مشاريعها العملية، للتخطيط للحياة في اهدافها الكبيرة، وفي نظامها المتحرك.

وأصبحت المؤسسات الدينية، مجرد مواقع وتجمعات خيرية واجتماعية، لا تملك الا أن تضيف للواقع السياسي بعض المساحيق التجميلية، وللجو الديني بعض جمالات الروح.

ويضيف هذا الفريق الى هذه الافكار، ان الفريق الاول، لا ينكر شمولية الاسلام للحياة، ودوره في حركة الحكم، واستهدافه الوصول الى ادارة امور الناس من خلاله، في شريعته الشاملة لكل الجوانب العامة، ومواجهته لكل التيارات العقائدية، في جانبها الفكري والعملي، ليكون الدين كله لله وليستوعب الدين كل الساحة.

واذا كان الامر كذلك، فكيف يمكننا الوصول الى ذلك، في نطاق الاجواء التقليدية التي يثيرها الاعداء في ساحات الدين، من خلال الدعوة والممارسة، ومن

خلال الرواسب العميقة التي تحملها الامة، عن المساحة الضيقة التي يملكهاالدين، في حركته مع الناس، مما يمنعه من التحرك بحرية في الساحة الواسعة، بفعل معارضة الامة في الداخل، قبل معارضة الاعداء في الخارج.

تغيير الوجدان الحركي

إن المسألة المطروحة، ليست هي التثقيف الفكري، الذي يملأ الفكر بالمعنى الشامل للدين، بل المسألة هي تغيير الوجدان الحركي، في احتوائه المنهج الديني، وانفعاله به في الواقع، بعيداً عن الاوهام، التي تبعده عنه انطلاقاً من تضخيم المشكلة في وعيه، وتحجيم الدين في مفهومه، ولن يكون ذلك، إلا بالعمل السياسي المباشر، الذي يضع الجميع وجهاً لوجه، أمام العنوان، الذي يحدد وجهة السير من موقع البداية، من حيث ينطلق الآخرون أو يتحركون.

إنّ الدعوة الى الاسلام، ليست حركةً في الموقع الفكري للإنسان، بل هي حركة في الموقع العملي، الذي يتولى التثقيف بالممارسة، كما يتولى ذلك بتحريك الفكرة بالخطاب والتوجيه، وقد يكون من الضروري، أن تتحرك مفردات العمل الإسلامي، الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، لتأخذ مضمونها الاسلامي، وصفتها الاسلامية، ليكون هناك نمو متطور للشخصية الاسلامية، التي تفتح عقله وروحه وحركته على الاسلام، كدين يحتوي كل الحياة من حوله، وليحدث في ساحة الواقع اقتناع، بأن الاسلام يطرح فكره في كل قضية، وحلّه في كل مشكلة، وموقفه الحاسم في كل صراع، كأسلوب من أساليب تعبئة الجانب التصوري للذهنية العامة بالاسلام، الفكر والحركة، والمنهج والحياة، بدلاً من الاسلام الطقوس والتقاليد، والافكار الغيبية القائمة، والأخلاقيات المثالية، الباحثة عن قاعدة في الواقع.

عملية تجديد شاملة

إن هذا الاتجاه في الطرح الإسلامي، هو الذي يمكن أن يقوم بعملية التجديد الشاملة، للطريقة التي يمارس بها المسلمون الإسلام، أو للذهنية التي يواجه بها

الآخرون صورة الإسلام في حياة الناس، وليكون الإسلام هو العقيدة، التي تتسع لتحريك الإنسان، في الجانب المدني والعبادي والديني في المفهوم الغربي، فلا يبقى للعلمانية معنى في توحيد المجتمع، في مواجهة التيارات الدينية، لأن الدين بحركته المدروسة، لا يترك هناك أي فراغ من ناحية الحلول الواقعية لمشاكل الواقع، ولا ينطلق في حلوله من النظرة الغيبية، أو المثالية، لأنه لايكفي الجانب النظري في الإسلام، ليكون حاجزاً يمنع العلمانيين ليستوعبوا الساحة، بل لا بد من أن تتحول النظرية إلى حركة ممتدة واسعة، وإلى تيار جارف في كل مجاري السيول.

تلك هي النظرة المعادية، التي تختصر المسألة بكلمة واحدة، وهي أنه لا بد أن نصدم الواقع، بإخراج الدين من دائرة المفهوم العبادي الأخلاقي الضيق، إلى المفهوم الحياتي الواسع الشامل، بالتأكيد على صفته في قاعدة الفكرة، وفي مفرداتها التفصيلية، وفي كل مواقع الحركة فيها، حتى لا يسمح للمسلم أن يعيش أي فراغ واقعي، يبحث من خلاله عما يملؤه من مفردات المبادىء الاخرى، كالديمقراطية، والاشتراكية، والليبرالية، والماركسية، لتكون واجهة اعلامية، يتحرك الاسلام باسمها في الساحة، لأن ذلك يعني خدمة هذه الواجهات، من خلال تحريكها في صعيد الإسلام، لا خدمة الإسلام نفسه.

وقد نشعر بأننا في عصر دعوة، تحاول أن تفتح القلوب على الإسلام بأصالته وبكليته، بعيداً عن كل عوامل التخلف والتجزئة والضياع، مما يفرض علينا الصراحة في كل شيء أمّا الحيثيات التبريرية التي يقدِّم الفريق الآخر نفسه من خلالها، فقد نستطيع أن نقدم أمامها بعض الملاحظات.

ملاحظات على مقولة الفريق الأول

١ـ الصفة الإسلامية والإيجابية

إن الحديث عن الفئات المضادة، التي تقف ضد الإسلام، فتدمّر الحلول التي تقدَّم باسمه، ليس واقعياً، لأن المسائل التي يثيرها هذا الفريق او ذاك، في ساحة

الحلول الواقعية لمشاكل البلد أو المنطقة، ليست بدعاً من المسائل، التي يطرحها العاملون في مواجهة المشاكل، بل إننا نلاحظ انسجامها، مع أكثر من موقع سياسي وطني، أو قومي، أو ماركسي، أو اقليمي، أو دولي، مما لا يجعل من طرح الصفة الإسلامية مشكلة كبيرة للمشروع، لأنها تلتقي بأكثر من طرح آخر، يمنح نفسه صفته السياسية المميزة، الأمر الذي يجعل القضية السلبية مشتركة بين الاسلام وبين الآخرين.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن مثل هذا المشروع، لا يواجه المشاكل من خلال الصفة الإسلامية، بل يواجهها من خلال طبيعته، التي تصطدم بالمصالح المتنوعةللقوى المضادة، بعيداً عن الواجهة والعنوان، ولذلك فان المسألة المطروحة هي، ما إذا كانت القوى التي تؤمن بالمشروع، بالمستوى الذي تملك فيه القدرة على الدفاع عنه، أو الإستمرار به في موقع الصراع؟

وبذلك، فان الاسلاميين لو كانوا وحدهم في الواجهة بصفتهم المميزة، أو كانوا بصفتهم الغامضة، أومع غيرهم، فلن يتغير شيء في المعارضة من قبل الآخرين، إلا فيما يمكن أن تثيره الصفة لدى بعض الجهات، من مشاكل جانبية، لا تقدم ولا تؤخر، على مستوى النتائج الحاسمة.

واذا كان الأمر بهذا القدر من الدقة والواقعية، فقد تكون صفة الإسلامية عنصراً إيجابياً لدى الأطراف الموافقة، لأنها تكفل لها جمهوراً كبيراً في الاثارة الروحية والفكرية والعملية، لمصلحة المشروع من جانب المنتمين، وتمنحها نوعاً من ملامح الشرعية ادى هذا الجمهور، عندما يلاحظ إنسجامها مع المشروع الإسلامي، الذي يعني أن هناك توافقاً في المواقف بينها وبين الاسلام.

٢ـ قناع الصفة العامة

إن الحديث عن البلد المتعدد والطوائف والمذاهب، قد يثير أكثر من مشكلة أمام المسلمين في طروحاتهم العقيدية والاجتماعية، تماماً كما يثير مثل ذلك أمام طروحاتهم السياسية، لأن العقلية الطائفية والمذهبية تخلق الحساسيات المرهفة، والمشاعر المتوترة، من خلال التعقيدات النفسية، والأوضاع الذاتية القائمة على العصبية، مما

يجعل كل طائفة تدرس مصالحها بحساسية دقيقة، تستثير الشك في كل مشروع، من الإحتمالات البعيدة في مــوادِّه التفصيليــة، انطـلاقـاً من الخوف الكـامن في الاعماق، الذي يحتاط لنفسه في كل شيء حتى في الموارد التي لا توحي بالخطر.

وعلى هـذا الاســاس، فإن طبيعـة المشروع في معطيـاتـه العمليـة، وفي خلفيـاتـه الاسلامية، سوف تثير الشك فيه، باعتباره واجهة اسلامية لا خطوط فيها من ناحيـة تفصيلية، ولكنها تختزن الصفة الخاصة في نتائجها، تحت قناع الصفـة العـامـة، ممـا يجعل الموقف المضاد أكثر قوة في المعارضة، لأن الاسلوب في رأي هؤلاء يعني الالتفاف عليهم لاستغفالهم بوحي الخديعة. .

وهـذا مـا نـلاحظـه في لبنـان، الـذي يعمل فيـه النصـارى، على ان تكــون لهم الامتيـازات الكبرى، على صعيـد الحكم والادارة، وكل مقـدرات الـواقع السيــاسي والاجتماعي والاقتصادي والامني والتربوي والعسكري في لبنان، كضمانة لـوجـودهم المميـز في المنطقـة، وكحمايـة لهم من الـذوبـان في المحيط الإسـلامي، وذلك في ظل النظام الطائفي، الذي لا يتحرك في مواقعه من الاكثريـة العـدديـة، بل من التـوازن الطائفي في حسابات الضمانات، القائمة على إلغاء عنصر الخوف لدى النصارى من ناحية واقعية. .

فقد طرحت مسألة الاكثرية العددية والغاء الطائفيـة السيـاسيـة، ونحـوهـا من الطروحـات، التي تعمل على الغـاء اللـون المميز للنظـام، ليكـون النـاس بصفتهم الانسانية والمواطنية هم الوجه البـارز لـه، وليـواجـه الحديث عن جمهـوريـة أو دولـة اسلامية، فيما يتحرك به الاسلاميون في طروحاتهم المبدئية، أو الإستراتيجية، بطريقـة حادة أو بأسلوب موضوعي واقعي. .

الصفة العامة والسلبيات

ولكن الطائفيين، اعتبروا هذه الطروحات وجهاً من وجوه الحكم الاسـلامي، لأن الاكثرية العددية في لبنان، هي لصالح المسلمين، لا لصـالح النصـارى. ولهذا فلم تنفع الصفة العامة، في تخفيف السلبيات التي تحصل من خلال الصفة الخاصة. .

وفي ضوء ذلك، قد يجد الاسلاميون ضرورة، في إخراج الإسلام من الجو الطـائفي

المعقد، الذي يقترب من الجو العشائري، الذي يعتمد على النسب في نطاق الصلات التاريخية القائمة على علاقة الدم، لينطلق فيما يشبه الصدمة، فيكون نهجاً فكرياً وسياسياً، إلى جانب المواقع الحياتية الاخرى في شريعته، والمواقع العبادية في روحيته، ليستثير النصرانية، لتتحرك من مواقع الفكر والروح، لا من مواقع الطائفية وبذلك يتحول الصراع الى صراع فكري، بدلاً من أن يكون صراعاً غرائزياً، يتغذى من الاحقاد، ويتحرك من خلال الحساسيات، وتلتقي السياسة فيه بالمفهوم العقلاني، بدلاً من ان تلتقي بالمفهوم الانفعالي.

ومن خلال ذلك، يطل الاسلام على التيارات الاخرى ليدعوها الى الحوار على اساس ما يمثله من رؤية شاملة للساحة، في مواجهة ما تمثله من رؤية شاملة، وليدفعها الى الصراع في هذا الاتجاه، وبذلك يدخل الاسلام في روحية الامة وعقلها، كما يتقدم نحو سياسة الحياة، ومشاريعها المتنوعة في المواقع العامة، فلا يبقى على هامش الواقع فيما يريده الآخرون أن يكون كذلك، وفيما يرغبه ممثلوه أن يكون كذلك، فيما يستريحون له من مواقع وامتيازات واوضاع استرخائية.

وقد يلاحظ الاسلاميون – في هذا المجال – إن إبعاد الاسلام عن صفته السياسية الاستراتيجية في معالجة القضايا، واعتماد الصفة العامة للمشاريع السياسية التي يطرحها العاملون للاسلام، او الممثلون الرسميون له، يوحي بأن سقوط النظام الطائفي، يفرض طرده من الساحة في مواقع الحكم، وعدم السماح له بالتدخل في شؤونه، تماماً كما يفرض طرد الجهات الاخرى الطائفية، باعتباره حالة طائفية تعقد الواقع كما تعقده الحالات الاخرى مما يعني، أن الساحة ينبغي أن تستعد للخضوع للتيارات العلمانية المطروحة على صعيد الحياة العامة، من دون أن يكون له امل في أن يعيش على هامشها، فضلاً عن الفكرة التي تريده أن يكون بديلاً عنها.

إن الذين يتحدثون عن العمل السياسي بعيداً عن الاسلام، في الوقت الذي يصرّون فيه على صفتهم الاسلامية في الواقع، لا يلتفتون الى طبيعة النتائج السلبية، التي تؤدي اليها أساليبهم، أو لا يتحمسون للنتائج الايجابية في الاتجاه الاخر.

٣ـ العنوان المحدد والسذاجة

إن الحديث عن السذاجة لدى الاسلاميين، لانهم يكشفون كل اوراقهم أمام الاخرين، مما يجعل مسألة خسارتهم محسومة سلفاً، هو حديث غير دقيق، لأن الصفة الإسلامية للخط السياسي لا تعني أن تكشف أوراقك وأن تكف عن المناورة، وتبتعد عن فهم اللعبة السياسية، بل انها تعني، أن تنطلق في حركة اللعبة في ساحة الصراع، من مواقعك الحقيقية الواضحة، فيما تلتزمه من خط، على مستوى الوسيلة والغاية، في الوقت الذي تخطط فيه للموقف، كيف تحركه وتركزه وتطوره وتثيره، وتدرس فيه الارض والاشخاص والظروف والوسائل المتنوعة، التي تملك فيها حرية الحركة والمناورة، من خلال الاحكام الشرعية، التي ينطلق فيها التحليل والتحريم، من مواقع المصلحة الاسلامية العليا.

إن المسألة، هي أن الحركة لا بد أن تكون في الدائرة الاسلامية، كي ينطلق الآخرون في حركتهم من دوائرهم الخاصة، ولكن ما هي خطة التحرك في زوايا الدائرة وخباياها وخفاياها؟.. وكيف هي عناصر الإثارة هنا وهناك؟ إن التخطيط الدقيق لذلك كله، هو الذي يحدد مسألة الربح أو الخسارة في مواقع الصراع.

امّا ما يطرحه هذا الفريق، فهو أن تحصل على مقدار من الربح في التفاصيل، ولكن على اساس خسارة المبدأ كله في مستوى القاعدة.

وربما كانت مسألة السذاجة، هي صفة الذين يتحدثون بمنطق الذكاء والواقعية عن اسلوبهم، لأن طريقتهم التي لا تخضع لعنوان محدد، سوف تسمح للآخرين بابتزازهم، مع اكتشافهم لخلفياتهم، التي تتحرك بحرية، من خلال نقاط الضعف، فيفقدون بالتالي ثقة جماهيرهم، وثقة الاخرين.

٤ـ المرحلية ووعي الهدف

أمّا المرحلية، فإنها لا تعني أن يتحرك الموقف في الفراغ. ليكون مجرد صدفة ضائعة في المحيط، وهي تبحث عن مستقرها في أعماق الضياع.

بل تعني أن تخطط المراحل، من خلال حاجة الهدف إلى الخطوات المتوازنة المتلاحقة، ولكن لا بد في ذلك كله، من أن يكون الهدف هو وجه كل مرحلة،

ليعرف السائرون في الطريق، كيف يحركون خطواتهم نحو الهدف بقوة واتزان.

إن وعي الهدف في ذهنية السائرين، هو الشرط الاساس للإرتباط به، وللإخلاص للمرحلة في ظروفها الموضوعية، لكل ما تحتاجه من دقة أو سرية أو تخطيط، لأن ذلك كله، لا يتنافى مع وضع الصفة الاسلامية في الواجهة في مواقعها الامنية الاصيلة.

هل نحتاج بعد ذلك الى ان نقول: أننا نتبنى رأي الفريق، الذي يضع الإسلام في الواجهة، في كل مشاريعه العامة والخاصة، لأن مسألة الاسلام، هي مسألة الدعوة العالمية، التي لا بد أن تصدم الواقع، لتفرض نفسها على الساحة..

نزع الخوف

وقد نلاحظ أن التيار الاسلامي الأصيل، الذي انطلق من خلال الحركات الاسلامية في العالم، وأخذ حجمه الكبير، وقوة موقعه واندفاعه، من خلال الثورة الاسلامية في ايران، قد استطاع أن يفرض نفسه على التفكير المعاصر، كخط سياسي، يلتقي بكل الواقع الإنساني، في خططه المتوازنة الواضحة، وخطه الجهادي القوي، وقد استطاع أن يقتحم على الذين يناهضونه، كثيراً من مفاهيمه الاصيلة بشكل لا شعوري..

إن المسألة، هي أن ننزع عامل الخوف من نفوسنا، وأن نثير التفكير، في القوانين التي تحكم حركة الافكار، في الواقع الذي لا يفسح المجال للخائفين، ولكنه يستقبل الأقوياء المقتحمين بكل صدر رحب، بعد أن يملأ حياتهم باللطمات والكدمات والجراحات والصدمات، التي قد تثير الآلام في مشاعرهم، ولكنها لن تسقطهم، بل تمنحهم لوناً من الوان المعاناة، التي تتحول إلى تجربة حية للمستقبل، الذي يختزن في داخله الكثير من التجارب، التي تشير الى مواقع النصر.

الأكثرية والأقلية في المفهوم الإسلامي

* الحركة الاسلامية تعمل
لتكون الأكثرية عل حق .

* على الحركة الاسلامية أن تخطط للنفاذ
الى قلب الأمة بشكل تدريجي .

*احتواء الرأي العام
قد يواجه انتكاسات كثيرة وعلى الاسلاميين أن لا يستسلموا .

* العدد لا يمثل عنصر النصر
والامل للقلة المؤمنة .

*القلة قد تمثل الحق
وكذلك الكثرة وعلى الاسلاميين دراسة الأمور بدقة .

* على الاسلاميين صناعة القوة
والثقة بالله لا الخوف من الآخرين .

الأكثرية والأقلية

يطرح العاملون في الحقل السياسي أو الاجتماعي، مسألة الأكثرية والأقلية، كعنوانين للقيمة السياسية أو الاجتماعية، المميزة للشخص أو للجهة أو للفكر، الذي يحظى بانتماء الاكثرية إليه، أو للقيمة المنخفضة أو المنحطة للذين لا يحصلون عليها، بل تبقى مواقعهم في دائرة الأقلية. . وهذا هو الخط، الذي درجت عليه الديموقراطية، التي تحتضن الحكم الذي يحظى بثقة الأكثرية، وترفضه إذا لم يحصل عليها.

فكيف تواجه الحركة الاسلامية الموقف؟

هل توافق على ذلك كله في تقويمها للمسألة الباقية فيما هو القرار، وفيما هو الحكم، وفيما هي الحركة، لتكون الاكثرية هي المقياس الذي تقيس به الصواب والخطأ، أو الحق والباطل، أو المصلحة والمفسدة، بحيث يكون المضمون متحركاً مع طبيعة النتائج العددية في الأكثرية أو الأقلية؟ أو أنها تتحفظ حول الموضوع، لترى في الاكثرية ضد القيمة، وفي الاقلية مضمون القيمة، أو انها لا تجد القيمة خاضعة للعدد، بل للعناصر الأصيلة الحية في طبيعة المضمون الواقعي للأشياء؟

الأكثرية والأقلية في القرآن

ربما يطرح بعض الناس، أن الاسلام يرفض رأي الأكثرية، ويرى أنه يمثل الباطل، مما يجعله بعيدا عن موضوع القيمة الايجابية ليكون في موقع القيمة السلبية.

ويعتمد هؤلاء على الآيات القرآنية، التي أكدت على المعنى السلبي للواقع التاريخي، الذي تحركت فيه الاكثرية في مواجهة دعوات الأنبياء ورسالات الخير والصلاح. . . بالمستوى الذي قد يؤدي إلى تحقيق الانطباع، الذي قد يتحول فيه الى النظرة، التي تجعل منه حالة انسانية سلبية، بحيث أن الظاهرة الانسانية الغالبة، هي الظاهرة المنحرفة لا المستقيمة، والشريرة لا الخيرة، لتكون القاعدة هي الانحراف، فتكون الاستقامة استثناء وهذا ما نستوحيه من الايات التالية:

﴿. . . ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾[يوسف: ٢١].

﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾[العنكبوت: ٦٣].

﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾[الفرقان: ٤٤].

﴿وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله﴾[الأنعام: ١١٦].

﴿ولكن اكثر الناس لا يؤمنون﴾[هود: ١٧].

﴿فأبى اكثر الناس الا كفورا﴾[الاسراء ٨٩].

﴿وإن كثيرا من الناس لفاسقون﴾[المائدة: ٤٩].

﴿. . . ولكن اكثر الناس لا يشكرون﴾[البقرة: ٢٤٣].

﴿لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾[الزخرف: ٧٨].

وهكذا نلاحظ، أن القرآن يؤكد على ان الاكثرية تتحرك في دائرة الجهل، لا في دائرة العلم، وفي دائرة اللاعقل، لا في اجواء العقل، وأنها لا تملك السمع الواعي والايمان العميق والعدالة الأخلاقية السلوكية، ولا تتعاطف إيجابياً مع الحق، بل وتتحرك مع الباطل في عاطفتها، ولا تشكر المنعم على نعمته، وتندفع في طريقة الضلال لتضل الناس بغير علم، مما قد يوحي إلينا بالتحفظ من كل اكثرية في أي موقف من المواقف الفكرية. .

فاذا وقفنا أمام الأقلية في النظرة القرآنية، فاننا نجد الايجابية المنفتحة على الحقيقة المتمثلة في مواقفها، وهذا ما نلاحظه في الايات التالية:

﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[سبأ: ١٣].

﴿وما آمن معه الا قليل﴾[هود: ٤٠].

﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾[٤: ٦٦].

﴿. . . إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل منهم﴾[ص: ٣٨].

وقد لا نحتاج الى الحديث عن الايات المتحدثة عن الاقلية، لأن آيات الأكثرية توحي بالجانب الايجابي لواقع الاقلية؛ وفي حديثها عن الجانب السلبي لواقع الأكثرية. . وفي ضوء هذا، يمكننا أن نخلص الى النتيجة القرآنية البارزة، وهي أننا نجد التعقل والهدى والسلم والايمان في كل اقلية، كما نجد الجهل والضلال والكفر في كل اكثرية.

ولسنا الآن بصدد تحليل العمق الفكري الواقعي لهذه النتيجة، فيما يتحدث به البعض، عن ارتباط الانسان بالجانب الحسي المادي، دون الجانب المعنوي الروحي، وباللحظة الزمنية الحاضرة دون المستقبل الطويل، وبالسطح دون العمق، وبالمنفعة دون الأريحية، وبالقضايا الصغيرة دون القضايا الكبيرة، لأن ذلك يحتاج الى تحليل مفصل وبحث طويل، لا يتفق مع طبيعة التأملات الحركية، فيما هي طبيعته الظاهرة في الامتداد لا في الخلفيات.

حكمة الموقف القراني

ولنا ملاحظة:

إن القران الكريم، كان يتحدث عن الظاهرة التاريخية، التي قد تمتد الى الحاضر والمستقبل، بفعل العناصر المتوفرة في حركة الانسان في الواقع في كل زمان ومكان، ولكنه لا يتحدث عن الظاهرة الانسانية، فيما هي الخصائص الذاتية للانسان، بحيث يكون الانحراف حالة طبيعية في شخصيته، لا لتكون الاستقامة استثناء لأن الانسان قد يختزن في طبيعته نقاط الضعف التي تقوده الى الاسفل، وتمنعه من الارتفاع الى الاعلى، وتدفعه الى الانحراف، وتبعده عن الاستقامة، فيما حدثنا به القران عن ضعفه وعجلته ونحوها، ولكنه يختزن الى جانب ذلك نقاط القوة، التي تتيح له الثبات في الموقف المتوازن، والتحرك في خط الاستقامة، كالعقل والارادة ونحوهما، الأمر الذي يجعله واقعا بين خطين، خط الهدى وخط الضلال في مسافة متساوية، وبذلك تكون المسألة هي مسألة العناصر الخارجية، التي قد تغلب جانبا على جانب، من خلال المؤثرات الايجابية أو السلبية، التي تلتقي بعناصر القوة والضعف وفي الداخل بطريقة مختلفة.

وعلى ضوء هذا، فان الحديث القرآني عن سلبية الاكثرية وايجابية الاقلية، كان حديثاً عن الظروف المضادة التي واجهت المسيرة الانسانية، فحاصرت الانبياء الذين كانواً يملكون قدرات محدودة في التحرك الرسالي، على صعيد تحريك الضغوط الروحية المعنوية، والمؤثرات الواقعية الموضوعية، التي تترك تأثيراتها على ذهنيات مجتمعاتهم لمصلحة الرسالة، لوجود الموانع الصعبة التي تحتاج الى وقت طويل وجهد

كبير، مما ادى لى هذه النتائج السلبية على صعيد كمية عدد المؤمنين.

إذا كان الامر كما ذكرنا، فان الهدف من اثارة الحديث عن الاكثرية بهذه الطريقة السلبية، التي كادت ان تكون مطلقة في الشكل التعبيري، هو الايحاء بأن الاكثرية لا تمثل الحقيقة، كما ان الاقلية لا تمثل الباطل، فيما يمكن ان يتعرض فيه الشعور الانساني للضغط الشديد، عندما يقف مبهوراً أمام القوة العددية، فيخيل اليه أن تماثل الآراء والمواقف بمثل هذا الحجم من الضخامة، لا بد أن يتقارب من الحق بشكل اقوى في الطريق الاخر، الذي لا يمثل مثل هذه القوة من الناس، على اساس ان ألف فكر يتفق على رأي واحد، لا بد ان يمنح القوة للاحتمال، أو يحقق المقدار الكافي من القناعة، أكثر مما يمثله اتفاق مائة فكر على رأي آخر، في درجة الاحتمال أو في تكوين القناعة، لأن الكثرة التي تحدق بالموقف، قد تكشف كثيراً من العناصر التي لا تستطيع أن تكشفها القلة فيه، لأن طبيعة العدد الزائد الذي يكرر النظر في الموضوع، يمنح الفكر امتدادا وانفتاحا على جوانبه بدرجة أعلى وأكبر.

ولهذا، فان القرآن يريد أن يخفف من تأثير هذه النظرة السطحية على الذهنية الانسانية، فيما تنفعل به من مواقف أو قناعات من هذه الجهة، ليوحي لنا، بأن هذا الانطباع الذي نحمله عن تأثير الكمية في تعميق النظرة الى الموضوع، بحيث يكون اقرب الى الحقيقة، قد يتغير اذا لاحظنا ان الكمية الكبيرة، قد تصطدم في داخلها بالنوعية القليلة، التي يملكها هذا العدد الكبير من الناس، مما لايجعل لنظرتهم قيمة مؤثرة في الوصول الى الحق، كما قد نجد لدى القلة العددية نوعية مميزة، قد تملك من عمق النظرة وانفتاح العقل وسعة الافق، المستوى الذي يلتقي بالحق من اقرب طريق.

العدد والقيمة والمقياس

ولهذا، فان العدد لا يملك مسألة القيمة سلبا او ايجابا، بل لا بد من التدقيق في العناصر الذاتية والموضوعية للمسألة المطروحة، لمناقشتها على اساس القواعد الفكرية الاصيلة الثابتة، التي يمكن ان تكون الاساس في مسألة الحق والباطل، أو الخطأ والصواب.

وهذا ما نستوحيه من الكلام المروي عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) عندما قال له الحارث بن حوط ـ كما ورد في نهج البلاغة ـ :

«أتراني أظن أن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة وأنا على حق» وكأنه كان مشدوداً إلى كثرة أصحاب الجمل في مقابل أصحاب علي، فقال له الامام (ع):

يا هذا، إنك نظرت إلى تحتك ولم تنظر الى فوقك فحرت، إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه».

وخلاصة الفكرة في هذا الكلام، أن الامام يوجه هذا الرجل الى الخطأ الذي وقع فيه، وهو اعتبار الكثرة أساسا للحكم على اهل الجمل بأنهم على حق، أو لاستبعاد أن يكونوا من اهل الباطل، ليؤكد له ان القاعدة الصحيحة، هي أن يتعرف على المقياس الذي يقيس فيه الموقف لهؤلاء، من خلال المصادر الأصيلة للحق والباطل، حتى يعرف الرجال، بانسجامهم مع الخط الصحيح الذي يلتقي بالحق، أو الخط المنحرف الذي يلتقي بالباطل.

وقد ورد في كلام آخر ما مضمونه، أن الحق لا يعرف بالرجال، ولكن الرجال هم الذين يعرفون بالحق، مما يعني ان من الضروري، ان يتوفر العاملون على دراسة الحق والباطل في عناصرهما الأصيلة ليتعرفوا الى طبيعة الأمور، فقد يجدون الحق مع الاقلية، وقد يجدونه ـ في موقف آخر ـ مع الاكثرية، تبعا للعناصر الواقعية المتوفرة في الموقف هنا وهناك.

وقد نلاحظ – في هذا المجال – ان الله سبحانه، عندما ارسل الرسل برسالاته في هذا العدد الكبير منهم، في الازمنة المختلفة، فانه كان يريد أن يهيء ـ الظروف الملائمة للناس، ليلتزموا بالخط من خلال ذلك، لتكون الاكثرية منهم الى جانب الحق، وهذا هو ما تعمل الحركة الاسلامية للوصول اليه، في عملها الفكري القائم على تأكيد الدعوة الى الله لادخال الناس الى الاسلام، وتعميق مضمونه العقيدي والشرعي والمنهجي في حياة المسلمين، وعلى تحريك الطاقات المتنوعة من اجل اعادة الاسلام الى الحياة، ليحركها في صعيد الواقع على مستوى الحكم والقانون، وبذلك يكون العمل السياسي وسيلة من وسائل ربط الناس بالاسلام، باعتبار ما يمثله في مفاهيمه السياسية من حل لمشاكلهم، ورفع لمستواهم، فلا يعيشون الفراغ في حياتهم

السياسية، عندما يتحركون في الدائرة الاسلامية على الصعيد الديني، لأن السياسة جزء من الدين، وحالة حركية في امتداده في الحياة.

النفاذ الى قلب الامة

واذا كان الوصول الى قناعات الناس كافة، او الاكثرية منهم هدفا اسلاميا، فان من الطبيعي ان تخطط الحركة الاسلامية للنفاذ الى داخل الذهنية العامة للناس، من خلال اثارة القضايا التي تمثل العنوان الكبير لمشاكلهم، وتحريك الشعارات التي تلامس مشاعرهم، سواء كان ذلك، بالطريقة العاطفية التي تثير الشعور، او بالطريقة العقلانية التي تحرك العقول، او بالاساليب التي يمتزج فيها الجانب العقلي بالجانب العاطفي. . وهكذا تبقى الحركة الاسلامية، في حالة استنفار فكري وعملي لاكتشاف الافاق، وملاحقة الظروف ودراسة الامكانات المتنوعة، لتحريك الرأي العام نحو الاهداف الكبيرة، مع ملاحظة ما يترتب على ذلك، من الدخول في صراعات مريرة مع القوى التي تعمل على ان تقود الرأي العام، في الطريق المنحرف الذي تتحرك فيه للوصول إلى أهدافها الضالة.

وقد يفرض علينا ذلك، النفاذ الى عمق الوجدان الشعبي للأمة، ودراسة المؤثرات العاطفية التي تؤثر في تكوين قناعاتها وربح عواطفها ومواقفها، والعمل على ابعادها النهائية بشكل دفعي سريع، والانطلاق بدلا من ذلك، الى وضع مشروع متحرك تدريجي، على اساس المراحل، لتهيئة الظروف النفسية التي تمنحنا حرية الحركة في مواقع الواقع الشعبي، لأن الأمة قد لا تتحمل النتائج الصعبة الكبيرة المتمثلة بالموقف الاستراتيجي، الذي قد يوحي لها بالكثير من فقدان الامن والاستقرار على مستوى الحاضر والمستقبل، مما قد يفسح المجال للاعداء للدخول الى دائرة مشاعرها الحساسة، والايحاء اليها بأن الحركة الاسلامية لا تملك واقعية في طروحاتها السياسية، لان النظرة الى الاهداف بالطريقة المباشرة التي ترتكز على سياسة المراحل، يجعل الخطة بعيدة عن الواقع، باعتبار ان الظروف الحالية لا تملك القوة الكافية، التي تستطيع من خلالها ان تحقق تلك الاهداف. بينما يمكن للاسلوب المتحرك بمرونة، ان يهيء الذهنية العامة للقبول بالاستراتيجية بطريقة التعبئة الروحية، التي تثير المشاعر من جهة، بالاضافة الى تقديم الهدف على دفعات، بحيث تمثل كل دفعة هدفا مرحليا

يربط الناس به، لينـدفعـوا اليـه بحماس واخـلاص، فيمثل الـوصـول اليـه الشرط الموضوعي للهدف الجديـد، وهكـذا حتى نصل الى الهدف النهـائي على اسـاس من الحكمة والمرونة والواقعية.

الرأي العام والزلزال

وقد نحتاج الى التأكيد على نقطة مهمة في هذا المجال وهي: ان الوصول الى احتواء الرأي العام لمصلحة الحالة الاسلامية، قـد يلتقي بـالكثير من النكسـات السيـاسيـة والاجتماعية والاعلامية، بحيث يتغلب الآخرون على السـاحـة الجماهيريـة من خـلال الظروف السياسية التي يستفيدون منها للضغط علينا، او من خـلال بعض الاخطـاء التي تقع فيها الحركة الاسلامية، فتفسح المجال للقوى المضادة لاستغلالها، لمحـاصرة الاسلاميين واحتواء بعض ساحـاتهم، وإبعـاد الجماهير عنهم، بمختلف الـوسـائل اللاإنسـانيـة، حتى يخيل للبعض من العـاملين في دائرة الاسـلام، ان الفـرصـة قـد ضـاعت منهم، وأن الهزيمـة قـد لحقت بهم، وأنهم يسيرون الى مستـوى الانهيـار والسقوط الكبير.

وهذا هو الزلزال الذي تحدث عنه القرآن الكريم، فيما تحدث عن البلاء الذي حل بالمؤمنين من أصحاب الرسالات كما في قوله تعالى:

﴿أم حسبتم أن تـدخلـوا الجنـة ولما يأتكم مثل الـذين خلـوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معـه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾.

فقد نلاحظ في هذه الاية، أن الـرسـول والمؤمنين قـد وصلـوا الى درجـة الاختنـاق النفسي، الذي تحول الى زلزال في الموقف، بحيث كادوا ان يصلوا الى درجة اليأس من النصر، فيما كانوا يواجهونه من التحـديـات الصعبـة، التي حـاصرت كل قـواهم من جميع الجهات، ولكن الله بشرهم بالنصر القريب، الذي ينفتح على حياتهم في مـوقع المعاناة الشديدة، التي كانوا يعيشونها في وعيهم للمأسـاة وللبـلاء الـذي حل بهم من كل جانب.

وهذا هو الزلزال الذي حدث للمسلمين في واقعـة الاحـزاب، فيما حـدثنـا الله في

قوله :

﴿وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ .

فقد كانت هناك حالة صعبة ، واجه فيها المسلمون الزلزال النفسي أمام الحصار المحيط من قبل المشركين وحلفائهم من اهل الكتاب ، حتى بدأ الحديث في المجتمع الاسلامي انذاك ، يتخذ شكلا خطيرا في الانحراف عن ايحاءات العقيدة الاسلامية في الثقة بالله ورسوله ، ولولا ان الله رد الذين كفروا بغيظهم فلم ينالوا شيئا مما يريدون ، لأمكن للوضع أن يزداد سوءا .

الاسلاميون والهزيمة

إن ما نريد التأكيد عليه ، هو الابتعاد عن الاستسلام لحالة الاحباط ، التي يمكن أن تحل بالعاملين في الحركة الاسلامية من خلال تحولهم إلى أقلية ، وذلك بابتعاد الأكثرية عنهم ، ليعيشوا في المجتمع فيما يشبه حالة العزلة السياسية والاجتماعية ، ليشير إليهم البعض من الناس كما لو كانوا جماعة منبوذة في الحياة .

أما الأساس فيما نريد التأكيد عليه ، فهو أن يدرس هؤلاء طبيعة العوامل الواقعية للعزلة الشعبية التي حولتهم إلى أقلية ، ليروا ـ من خلال الدراسة المعمقة ـ أن السبب لم يكن منطلقا من ضعف ذاتي في المضمون الفكري الذي يحملونه ، وفي الخط الاسلامي الذي ينتمون إليه ، ومن عدم قدرتهم على الانطلاق والامتداد ، بل كان منطلقا من بعض الظروف الخارجية ، فيما تحمله الحياة من متغيرات على موازين القوة والضعف ، التي لا تملك ثباتا في أي موقع من المواقع ، فقد يصير الضعيف قويا ، وقد يتحول القوي إلى ضعيف ، على هدى السنة الالهية التي عبر الله عنها في قوله تعالى :

﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ .

وعلى ضوء ذلك ، فانهم يعتبرون المسألة أمرا طبيعيا في نطاق النظرة الواقعية ، غير البعيدة عن النظرية الرسالية ، فلا تسقطهم الهزيمة ، ولا تحبط عزائمهم الأوضاع القلقة ، بل يبادرون إلى تنمية عوامل القوة في كيانهم ، واكتشاف عوامل الضعف في

مواقع عدوهم، ومتابعة المتغيرات فيما تتغير فيه الرياح السياسية والاجتماعية، وفيما تتنوع فيه الظروف الجديدة، ليتعاملوا معها بالطريقة الواقعية، التي ترصد ذلك كله لتوظفه في ايجاد واقع جديد، يحول الاقلية الى اكثرية، عندما يدخل الناس في دين الله أفواجا، وقد نلمح هذه الايحاءات الروحية التي تؤكد على إستيحاء القوة دائما أمام الاكثرية الساحقة، التي قد لا تترك للمؤمنين في بادىء الامر أية قدرة على الاخذ بالموقف المتوازن المتماسك، عند الاستغراق في النظرة المادية للأشياء، ليكون الانفتاح على الله في الشعور الواعي بالقوة المطلقة، التي تتمثل في الألوهية الشاملة، ليتحول الناس كلهم في نظر المؤمن، إلى لون من القوة التي لا تملك الثبات أمام قوة الله، الذي لا يحتاج المؤمن معه إلى الاستناد إلى أية قوة أخرى، وذلك هو قوله تعالى:

﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم، إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين﴾.

وقد نجد في عمق هذا الايحاء، أن القران يؤكد ـ في عملية صنع القوة ـ، ان منطق التخويف بالآخرين هو منطق الشيطان، بينما يمثل منطق الايحاء بالثقة بالله، منطق الايمان والوحي الالهي.

كما ان القرآن، يؤكد القاعدة الروحية من موقع التجربة الواقعية، في انتصار المسلمين على الناس الذين هاجموهم في احدى معارك الاسلام، مما يجعل المسألة لا تخضع للفكر المطلق، بل تخضع للتجربة الناجحة.

القلة المؤمنة والأمل

ويتنوع الاسلوب القراني في تأكيد هذه الحقيقة، التي تفتح النافذة الواسعة للأمل الكبير للقلة المؤمنة في أشد الحالات صعوبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ فيما توحي به كلمة الذل بالقلة في العدد والعدة، باعتبار انها تضع الجماعة في الموقع الضعيف، الذي لا يستطيعون معه أن يؤملوا بأي لون من ألوان الغلبة في ساحة المعركة.

وفي قوله تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة باذن الله﴾، للايحاء بأن العدد لا يمثل دائما العنصر الكبير الحاسم في الانتصار، فقد تكون هناك بعض العوامل الاخرى في الداخل والخارج، الكفيلة بتغيير موازين القوة لمصلحة القلة في مواجهة الكثرة، وليست المسألة من القضايا النادرة التي لا تقع إلا صدفة، بل قد تتجسد المسألة في أكثر من حالة في الحياة، على صعيد الماضي في دائرة حكايات التاريخ، وعلى مستوى الحاضر والمستقبل.

السياسة والدعوة في العمل

* السياسة جزء
من الدعوة والتربية الاسلامية .

*العمل السياسي
يعمق تجربة المسلمين ويجتذب غير الملتزمين .

* الواقع السياسي قد يدفع الناس
نحو الحركات غير الاسلامية لحل مشاكلها .

* الفراغ السياسي في العمل الإسلامي
يملأه العمل السياسي المضاد .

لا يـزال الحديث دائراً لـدى الكثيرين من النـاس، من علماء المسلمين وغيرهم، حول مسألة السياسة والعمل السيـاسي في الاسـلام، بطـريقـة سلبيـة وذلك في ضمن خطين:

لا سياسة بل تشريعات

الخط الاول، الذي ينطلق من قاعـدة فكـريـة تنكـر على الاسـلام ان يكـون دين سياسة، فهو دين الله الذي انزله على رسوله، كما انزل الاديان على الـرسل الاخـرين، ليقود الناس الى عبادة ما فرضه عليهم من شؤون العبادة، وليتمثلـوا بقيمـه الـروحيـة والاخلاقية، وليدل الناس على النهج الصحيح، في العناوين الكبيرة لقضايا الحيـاة، ليترك لهم الوسائل التي يكتشفونها ويحددونها في تجسيد هذه العناوين في موقع الحريـة العملية، فليس هناك نظام حكم يتخذ السياسـة سبيـلاً للـوصـول اليـه، بل هنـاك تشريعات فردية متناثرة هنا وهناك، تحدد للفرد بعض مساره فيها يأخـذه وفيها يتركـه، من أقوال وأفعال وعلاقات إنسانية مع الناس.

شمولية الاسلام

الخط الثاني، الذي ينطلق من قاعدة فكرية، تؤمن بالشمولية الاسلامية لقضـايـا الحياة كلها، حتى قضية الحكم، الذي يشرف على تنفيذ الشرعيـة، او تحقيق العـدل للناس، وتحريك الحيـاة في اتجاه القضـايـا الكبيرة، فهـو يـؤمن بأن الاسـلام عقيـدة وشريعة ونظام ومنهج للحكم وللحياة، ولكنه يرى ضرورة التوفر على الدعوة الى الله، حتى يمكن ايجاد القاعدة الواسعة في الأمة في الايمان بالاسلام، ثم العمل على التربية الروحية، التي تؤكد على البناء الروحي والاخلاقي، الذي يصنع الشخصية الاسلامية القوية الواعية، المنفتحة على الله في روحانيتها واخلاقيتهـا وعبـادتها الخاشعـة. فـاذا استكملنا ذلك، امكننا ان نضع في الواقع الاسلامي، المنهج السياسي الـذي يستمـر في الاسلام، صفاؤه ونقاؤه وحركيته وفعاليته في حركة الدعوة الى الله والجهاد في سبيله، لأننا بذلك نضمن للاسلام البقاء على حيويته وطهارته، ونضمن للحركة الاسـلاميـة استقامتها على الخط فيما تملكه من عناصر الاستقامة الفكرية والعملية.

مرحلية العمل

وقد يتمثل هذا الخط، في دائرة اخرى تتحرك في التفكير المرحلي، الذي يحدد للعمل الاسلامي المراحل المتدرجة، المتمثلة ببناء الأمة على اساس المفاهيم الاسلامية في العقيدة والحركة والحياة، ثم تليها المرحلة السياسية، المتمثلة بحركة الامة الواعية في طليعتها الواسعة الممتدة في الساحة، من اجل العمل نحو الوصول الى الحكم، ثم تأتي المرحلة الجهادية، المتمثلة في حمل الحركة الاسلامية السلاح في وجه العدو لتحاربه، من اجل تثبيت قواعد الاسلام الحركي في مواجهة التحديات، وقد تتداخل الحركة الجهادية بالحركة السياسية في بعض الظروف الطارئة.

سلبية مطلقة

وربما نجد هذا الخط في صورة اخرى مغرقة في السلبية المطلقة، وذلك في تفكير الناس الذين يرون الحكم الاسلامي في شرعيته مقصوراً على عصر النبي(ص) والأئمة(ع)، فلا مجال لأي عمل اسلامي سياسي في غيبة الامام، ولا شرعية لأي حركة إسلامية سياسية في سبيل الوصول الى الحكم، فإن ذلك لا يزيد الواقع إلا تعقيدا، ولا يزيد المسلمين إلا تمزقا وتفرقا، ولا يحقق لهم أية نتائج ايجابية، فلا بد من التوفر على رعاية شؤون المسلمين الحياتية، والاتجاه الى التربية الروحية والفكرية والفقهية في المجالات الفردية والاجتماعية، والبعد عن ساحات الصراع الحاد الذي قد يؤدي الى القتال والتخاصم، لتترك أمر الحكم الى عصر الظهور، لأنه لا حكم إلا للمعصوم، لأن غير المعصوم يجر الأمة الى الانحراف.

مناقشة الخطين

هذه هي الاجواء المتحركة في الواقع الاسلامي، التي تتخذ موقفاً سلبياً من العمل السياسي الاسلامي، من ناحية المبدأ أو المرحلة او الحركة في عصر الغيبة . . . فكيف نواجه الموقف الاسلامي في هذه الاجواء؟

لا نريد مناقشة هذا الخط او ذاك الخط، من الناحية الفكرية التفصيلية، لأن المجال لا يتسع لذلك . . ، ولكننا نريد ان نؤكد للخط الأول، أن عنوان العدل،

الذي جعله الله عنواناً للهدف الذي تحركت فيه الرسالة، لا يمكن أن يتحقق بدون عمل سياسي شامل على جميع المستويات، وذلك قوله تعالى﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾، الحديد/ ٢٥. كما ان الشريعة الاسلامية الشاملة، في الدائرة الفقهية التي تتسع للجانب الفردي والاجتماعي، وتتحرك في دائرة الحرب والسلم، لا يمكن أن تنال التطبيق الحي، إلا من خلال العمل السياسي الذي يضع الحكم في واجهته.

أما الخط الثاني، الذي يؤمن بالاسلام كقاعدة للفكر والعاطفة والحياة في النطاق الفكري، فنلاحظ على النهج الاول، الذي يركز على جانب التربية الفكرية والروحية، قبل الدخول في العمل السياسي، أولاً، ان الآخرين الذين يسيطرون على الساحة السياسية، قد يكونون ممن يحملون افكارا غير اسلامية، مما يجعلهم يخططون لإبعاد الناس عن الاسلام فكريا، حتى على صعيد التربية الروحية والاخلاقية، وذلك بافساح المجال للنهج المضاد للاسلام، لايجاد قاعدة شعبية مضادة للاسلام، وللتأكيد على الجانب العبادي الذاتي، كخيار وحيد للعمل الاسلامي، الامر الذي يجمد كل عمل اسلامي تربوي وفكري، او يلغيه تماما، بالوسائل المتنوعة التي يملكها، فيما يملكه من القوة الطاغية، مما يفسح المجال لحركة التخلف الفكري والسياسي، ان تفرض نفسها على الذهنية الاسلامية، وثانياً ان العمل السياسي، يمثل جزءً من عمل الدعوة، ومن حركة التربية، لأن الواقع السياسي، الذي يفرض نفسه على الناس جميعا في ساحة التحديات المصيرية، فيما هي قضايا الحرية والعدالة، قد يدفع الناس الى الاندفاع نحو الحركات السياسية غير الاسلامية، من اجل التعاون معها لحل المشكلة العامة، للوصول الى النتائج الكبيرة في حياتهم، مما يؤدي الى تربية مضادة بطبيعة الارتباط بين العمل التربوي الفكري والروحي والعمل السياسي، فيما تتحرك به الحركات السياسية الاخرى، المرتكزة على قواعد فكرية مضادة.

السياسية والقضايا المصيرية

إن الناس الذين يعيشون مشاكلهم الصعبة، لا سيما في القضايا المصيرية، قد يشعرون بالحاجة الى حركة تستوعب حاجاتهم السياسية، فإذا كان هناك فراغ سياسي في العمل الاسلامي، فلا بد أن يأتي عمل فكري سياسي آخر، يملأ فراغ الواقع في الساحة السياسية، ليحتوي الذهنية كلها، أو ليخلق ازدواجية في الشخصية السياسية المنفتحة على الكفر والضلال في التصور السياسي، وعلى الايمان في التصور العقيدي والعبادي، مما يعقد الانسان المسلم، ويتركه تحت رحمة التيارات الفكرية الاخرى.

وعلى ضوء ذلك، فإن العمل السياسي، يعتبر جزء من العمل في الدعوة الى الاسلام، او في التربية الاسلامية، لأنه هو الذي يعمق للانسان المسلم تجربته الاسلامية الحية في المسألة الفكرية والروحية، عندما يعيش فكره السياسي في حركته، كما يعيش فكره العقيدي في عبادته، وهو الذي يجتذب الكثيرين من المسلمين غير الملتزمين، الذين قد يجدون في العمل السياسي دافعاً قوياً نحو الرجوع الى خط الالتزام الاسلامي، باعتباره القاعدة الفكرية او الشرعية للحركة الاسلامية.

الصحوة الاسلامية

وهذا ما لاحظناه في الامتداد الاسلامي في حياة الأمة، في خط العقيدة والالتزام، من خلال الصحوة الاسلامية، سواء في خط الثورة الاسلامية في ايران، او في الحركات الاسلامية المنطلقة في خط المعارضة السياسية في العالم الاسلامي، وبذلك تكون السياسة لوناً من الوان العمل في الدعوة الاسلامية، والتربية الاسلامية، لا مجرد عمل مستقل عن ذلك.

المرحلية في العمل

* المرحلة المكية

مرحلة ولادة دعوة لا مرحلة حركية .

* على الاسلاميين دراسة الواقع

لمعرفة مساحة الحركة وحريتها .

*الذهنية الثقافية

قد تقف حاجزاً أمام الذهنية السياسية .

* الجهاد والسياسة

يخدمان الدعوة وينصرانها .

بين الثقافة والسياسة

قد يفكر بعض العاملين الحركيين للاسلام، بأن العمل الاسلامي السياسي، لا بد أن ينطلق في دائرة المرحلية، وذلك بالتأكيد على مسألة العمل الثقافي كمرحلة أولى، تسبق العمل السياسي كمرحلة ثانية، وذلك من اجل، ان الامة التي تريد الانطلاق الى اقامة الكيان السياسي على مستوى الحركة والحكم، لا بد أن تنطلق من قاعدة واعية سياسياً، وذلك فيما يرتكز عليه الوعي السياسي الاسلامي، من اساس فكري وروحي وحركي، حتى لا تصاب بنكسات انحرافية فكرية أو سياسية، فلا بد من مرحلة اولى تنطلق في البناء الثقافي الحركي، الذي يؤكد على التعبئة الفكرية الاسلامية، التي يتعرف فيها الانسان المسلم على القواعد الفكرية العقيدية والمفاهيم الحياتية الاسلامية، والوسائل الحركية في المنهج السياسي الاسلامي، والتدريب المتواصل على اعداد الانسان المسلم للانتماء الحركي الاسلامي، من اجل ايجاد انسان العقيدة والعبادة والسياسة والثقافة، الذي يمثل انسان الاسلام القوي في مواقع الصراع.

التجربة النبوية

وقد يستوحي هؤلاء العاملون هذه الخطة المرحلية، من السيرة النبوية الشريفة في حركة الاسلام في الدعوة وفي السياسة وفي الجهاد، فقد رأينا أن العهد المكي، كان عهد دعوة، لم يسمح فيه النبي(ص) للمسلمين بالقتال، ولم يأذن فيه بالعمل لاقامة وضع سياسي في اتجاه الدولة، بل كان العمل كله متمحضاً في كسب الافراد للاسلام ليدخلوا فيه، او في اثارة الاجواء الثقافية في المواقع العامة، من اجل احتواء الذهنية الجاهلية في اثارة المفردات الاسلامية، التي تطرح علامات الاستفهام لتحرك الفكر، فيما كان النبي يدعو اليه في قضايا الايمان والعقيدة، كما اننا نستوحي مسألة المرحلية، التي تعني التدرج في تكوين الواقع الاسلامي، من خلال التدرج في نزول الوحي وتشريع الاحكام لاقامة الكيان الإسلامي للشخصية، التي تتنامى بشكل تدريجي في حركة عناصرها الذاتية في الداخل والخارج . .

وهكذا رأينا حركة هذه المرحلة تنتهي في مكة، لتبدأ مرحلة التكوين الجديد

للمجتمع الاسلامي في الخط السياسي والجهادي، وذلك بعد الهجرة الى المدينة، التي سبقها التحضير الدقيق لذلك، في اللقاءات التي كان يعقدها النبي(ص) مع فعاليات المدينة في مكة.

ولكننا نلاحظ على ذلك، ان الحاجة الى مرحلة الدعوة في اول البعثة، كانت نتيجة طبيعية للواقع الذي عاش فيه النبي في بداية الرسالة، لان الاسلام كان طرحا جديداً في المجتمع، فلم يكن لأحد معرفة به، فضلاً عن ان يكون هناك من يؤمن، مما يجعل من مسألة الاستغراق في الدعوة، وعدم إفساح المجال، لأي عمل آخر، مما يمكن أن يدخلها في متاهات كثيرة، ويخضعها لاخطار شديدة، ويفوت عليها الكثير من الفرص، ويعرضها لضغوط لا تحتملها قدرتها المحدودة، أمراً حيوياً لبداية الدعوة وسلامتها وحركتها، من اجل اجتذاب الناس الى فكرها. . والاستفادة من دور الضحية، الذي يعيش فيه المؤمنون المستضعفون في اثارة العاطفة نحوها.

ان المسألة المطروحة هناك في العهد المكي، كانت مرحلة شق الطريق الى الايمان، في ارض لا يملك الايمان فيها اية ثغرة للنفاذ الى الافق الواسع، ولذلك فلم تكن المسألة مرحلة حركية بالمعنى المصطلح، بل كانت المسألة مسألة ولادة لدعوة، لتعيش طفولتها في اوضاع طبيعية، حتى يشتد عودها ويقوى موقعها، لتنطلق في حركة صنع القوة في مرحلة الشباب، من قاعدة ثابتة، مع ملاحظة مهمة وهي، ان الظرف لا يسمح بأي تحرك آخر على اي صعيد سياسي، فيما يتسع له العمل السياسي آنذاك، أو اي صعيد جهادي في مواجهة الكافرين، مما يعني بأن القضية لا تتحمل أية حركة أخرى غير الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

الحركة والواقع السياسي

وفي ضوء ذلك، لا بد من دراسة الواقع الذي يعيشه العمل الاسلامي السياسي فيما هي الحركة، وفيما هو الرد، وفيما هي المرحلة، وذلك للتعرف على المساحة الحرة، التي يملك فيها الخط الاسلامي الحركي حرية الحركة فيها. . فقد تكون المساحة ضيقة المستوى، الذي لا مجال فيها الا للثقافة والعبادة والتربية. وفي هذا الحال، لا بد من توفير كل الوسائل الثقافية والروحية والتربوية، والاستغراق فيها من اجل

تكوين قاعدة اسلامية مرية، من حيث الوعي الفكري والصفاء الروحي والتوازن التربوي، للبدء بعد ذلك بمرحلة جديدة، للانطلاق في العمل السياسي، بعد استكمال شروطه الموضوعية، فيما يمكن ان يكون حقيقة في توسيع القاعدة، وتحرير الساحة في حدودها الضيقة. .

وقد تكون الساحة واسعة، باعتبار ان الاجواء العامة منفتحة على الاجواء الاسلامية، لأن المجتمع ينتمي الى الاسلام على صعيد الإنتماء الديني، ويمارس طقوسه على الصعيد العبادي، ويعيش اخلاقياته في الجانب الفردي والاجتماعي، مع بعض الانحراف او التخلف في الوعي والممارسة، وفي طريقة الانتماء، فليست هناك اية ضرورة للقيام بعملية البناء الفكري من جديد. . ، ولكن ربما يكون هناك حاجة الى الوعي السياسي فيما هو المفهوم السياسي المعقد، الذي يعيش فيه الناس، منطلقاً لتحريك الوعي، فيما يثير من مشاعر وقضايا واوضاع متنوعة، مما يوفر الكثير من الجهد النظري، على العاملين في اقناع الناس بضرورة التحرك، بحيث يكون التحرك السياسي العفوي، المنطلق في اجواء آيات الجهاد وعناوين العزة والحرية والعدالة، مدخلاً للتثقيف السياسي، من خلال مفردات الواقع المتحرك، وللانتماء الاسلامي الحركي، من موقع الحاجة الى الخروج من المشكلة، والابتعاد عن المأزق والاندفاع نحو الحل، على صعيد العمل الجهادي، الذي تفرضه كل الاغلال التي تقيد حرية الناس، وكل التحديات التي تسقط أصالتهم وقوتهم وحركتهم في الاتجاه السليم.

السياسة والجهاد والثقافة

وفي ضوء ذلك، فقد تنطلق المرحلة لتحرك العمل السياسي والجهادي، الى جانب العمل الثقافي، وباعتبار ان حركية الواقع المتنوعة تفرض ذلك كله، وتغني التجربة كلها، وتضم الحركة في وحدة الشخصية للانسان المسلم، في ذهنيته الثقافية والجهادية والسياسية، لأن الاسلام يضم ذلك كله في وحدته الفكرية والشرعية، فلا يعيش انفصام الشخصية، عندما يلتقي بالانسان الثقافي في وقت، وبالانسان السياسي في وقت آخر، لأنه لم ينطلق في تكوينه الذاتي من تجربة واحدة، بل من تجربتين مختلفتين متباعدتين.

وقد نلاحظ في هذا الاتجاه، ان بعض الحركات الاسلامية، التي عاشت تجربة المرحلية، في الجانب الثقافي المحض، وفي الجانب السياسي الذي يتحرك في البعد الثقافي، قد اصطدمت بالشخصية الثقافية، الغارقة في ضبط المفاهيم المطلقة، فوجدت صعوبة كبيرة في التحول الى المرحلة السياسية في العمل، لأن طبيعة التطبيق تختلف عن طبيعة النظرية. . ، ولأن التربية الخاضعة للخطوط الفكرية العامة، لا تتفق مع الخطوط التفصيلية المتعرجة، التي تتحرك يميناً وشمالاً، وتحتاج الى ذهنية متحركة في اكثر من اتجاه، بحيث تستطيع احتواء كل المتغيرات، ومواجهة كل الالتواءات في حركة الواقع. . وبذلك بقيت الذهنية الثقافية حاجزاً كبيراً أمام الذهنية السياسية، الامر الذي ادى الى الكثير من الخلل في طريقة العمل، وفي طبيعة التفكير.

ولعلنا نجد في التحرك الاسلامي في العهد المدني، ظاهرة حركية، يمتزج فيها العمل الجهادي والسياسي، الى جانب حركة الدعوة في سبيل الله، بل رأينا أن الجهاد والسياسة، قد استطاعا ان يقدما للدعوة الكثير من الانتصارات والفتوحات، والغنى الكبير في التجربة الواعية المتحركة، من خلال الآفاق الواسعة التي انفتحت على حياة الناس.

دور المرحلية

إننا نريد أن لا ننكر على المرحلية في العمل الاسلامي قيمتها الحركية، ولكننا نريد أن نؤكد حقيقة واقعية في هذا المجال، وهي ان المسألة لا تأخذ دور الحقيقة الموضوعية المطلقة، التي تمثل القانون الطبيعي للخطة الاسلامية للعمل، لأن الاوضاع قد تختلف في طبيعتها وفي ظروفها، كما ان الساحات قد تختلف في نوعية ذلك كله قبل تحديد المراحل، او الغائها، لأن لذلك أثراً كبيراً في جدية العمل وسلامته على كل صعيد.

خط البطل وبطل الخط

*رفض صنمية الشخص
وعبادة الذات

* الإخلاص لبطل الخط
و إمامه لا لخط البطل او الامام

* الحركة التي تنتمي للبطل
لا تمثل قاعدة متكاملة .

*الهتاف للشخص
قد يتقدم الهتاف للفكرة .

* لا وجود لخط منتصر
بدون بطل يحمل الفكر.

ظاهرة القيادات والتحرك الفعال

ربما كان من الظواهر التي تطبع المرحلة الحاضرة التي يمر بها المسلمون، بروز ظاهرة القيادات الروحية او السياسية التي تتقدم حركة الامة في جهادها الكبير، في مواجهة قوى الاستعمار، او في انطلاقتها الواسعة في تحرير واقعها من الهيمنة الداخلية الطاغية، وفي تأكيد وجودها، على اساس اثارة عناصر القوة الكامنة في داخلها في مواجهة نقاط الضعف.

وقد استطاعت هذه القيادات تحقيق بعض الانتصارعلى مستوى داخلي، او اقليمي، فأثارت التحديات في وجه قوى الاستكبار في الداخل، باسقاط رموزها المحلية، او باثارة الغبار في وجهها، وتحركت من اجل تجديد المسار الفكري والاجتماعي والسياسي فيما يمثل الثورة في بعض المناطق، او فيما يشبه الثورة، او يحمل روحها في المناطق الاخرى.. فنجحت في بعض التجارب وفشلت في تجارب اخرى، وما زالت تقف بين النجاح والفشل في مجالات أخرى.. وهكذا كانت حركتها في مساحاتها السياسية، نقطة تحول فكرية او روحية او اجتماعية او سياسية لدى الناس الذين يمثلون القاعدة الواسعة لحركة الثورة، او الانتفاضة مما ادى الى حالة انفعالية حماسية هائجة، فيما تعيشه جماهيرها من عواطف وفيما يحيط بها من اجواء وفيما تتحرك نحوه من اهداف.. بحيث كانت التظاهرات والمهرجانات، هي الاساليب التي تحكم المرحلة، فتعمق الاحساس بالفرح وتشد المشاعر بالتحدي، وتقوي الموقف بالمواجهة وتدفع القضية نحو اجواء التوتر في خط تصاعدى متحرك.

قيادة الشخص: سحر وعبادة

ويبقى الشخص هو كل شيء. في خطاباته وتطلعاته ولقاءاته.. وآفاقه المتنوعة.. ليتحرك الناس معه فيما يشبه السحر الذي يوحي بالجو الحميم الخاشع الذي يتنامى في حركة المشاعر والعواطف ليصل بها الى ما يشبه العبادة الشعورية في علاقة الناس به.. مما ينقل الجو من مشاريعه العملية الى شخصه، في شكله.. وفي خصائصه الذاتية.. وفي اولاده.. وعائلته.. وهكذا يتأكد الارتباط بالشخص.. ليكون هو القاعدة التي يجتمع الناس حولها، فيرتبطون ببعضهم من خلالها..

ويتسابقون الى التعبير عن اخلاصهم لها، والكلمات التي تحمل الكثير من كلمات المبالغة، وصيغ التفضيل، وتحويل النجاح في جهة، الى النجاح في جميع الجهات، حتي ليخيل اليك انك تقف في ساحة الكمال المطلق الذي لا يقترب اليه النقص من اية جهة من الجهات. . وتبدأ عملية الصور التي تعلق في البيوت، وفي الصدور وفي كل مكان. . للتدليل على المساحة الواسعة التي يملكها هذا الانسان او ذاك في حياة الناس، وفي حركة المصير. . وقد تتطور القضية لدى البعض فيصنعون له التماثيل التي تنصب في الساحات العامة. . كأسلوب من اساليب التعظيم والتقديس.

العصبية للشخص: عملية انتماء لا ولاء

وقد لا تخلو هذه الظاهرة. . من حركة مضادة تحاول ان تثير علامات الاستفهام حول هذه القيادات، فيما تثيره حولها من شكوك، وفيما توجهه اليها من اتهامات، وفيما توحي به من خلفيات غير نظيفة. . وربما كان منشأ ذلك كله، حسداً من هنا، وعداوةً من هنا واختلافاً في الرأي من هناك، وتنوعاً في التقييم من جهة اخرى. .

. . . ولعل من الطبيعي ان تثير الاساليب التي لا تتناسب مع الاحترام الذي يحمله الناس لهذه القيادات، بعضا من السلبيات في الساحة لا تستريح للنقد، ولا تتفاعل معه لانها لا تعتبره مظهر تقويم للشخص، او محاولة لتصحيح الخطأ، بل تعتبره مظهر عداوة فيما يعتقده الناس من الفكرة التي توحي بالعلاقة بين المحبة والتعظيم، وبين العداوة والنقد. .

وفي مثل هذا الجو الذي يدور الحديث فيه بين شخصية العصمة في المستوى الواقعي فيما يسير عليه الناس، وان لم يكن لها ذلك في مستوى عقيدتهم وبين شخصية الانسان الطبيعي الذي يخطىء ويصيب، تتحرك ردود الفعل لتؤكد العصبية ولتعمقها. . فيما تفرضها الممارسة في حركة الصراع بين الفريقين. . من مواجهة يتولى احدهما التحرك من مواقع الهجوم. . ويقوم الآخر بالانطلاق في مواقع الدفاع. . فيكون لهذا جماعته، وللآخر جماعته. . وتمتد المسألة لتتحول الى اتجاه آخر، يدفع بها الى ساحة اخرى. . من ساحات الصراع.

فقد اصبح الشخص صفة لهذه الجماعة التي انطلقت في محاولة تطوير مسألة الولاء

الى عملية انتماء . . وربما كان الانتماء ـ في بعض الحالات ـ منطلقا من الطرف الآخر الذي يحاول ان يلصق بهذه الجماعة صفة الانتساب لهذا الشخص كأسلوب من اساليب الضغط عليهم او لابعاد الصفة الحقيقية عنهم، لانها تشكل نقطة التحدي له. وقد يستريح هؤلاء لذلك، لانهم يرون فيها شرفاً فيما يوحي الشخص من عظمة وقوة.

فكر الشخص: محور للاستنباط والاجتهاد

. . ولكن القضية لا تقتصر على هذا المستوى، ولا تقف عند هذا الحد، فان الصفة تبدأ في الالتفاف حول الجماعة لتطوق كل اهتماماتهم، فتقف بها عند الشخص. فاذا كان ينطلق من قاعدة فكرية معينة، فان الفكرة لا يمكن ان تتمثل في غيره، الا من خلاله . . واذا كان يتحرك في خط معين، فانه هو الذي يجسد هذا الخط تجسيداً حياً لا مثيل له . . وهكذا يبدأ البحث لديهم عن الخصوصية التي تفصلهم عن الآخرين بالمقدار الذي ينفصل به فكر هذا الشخص عن الآخرين . . وقد يزداد الاستغراق في هذه الخصوصية . . حتى يتحول الامر الى اغفال للقاعدة الاصيلة . . وتأكيد للخط الخاص . . وللفكر الخاص، كما لو كان شيئاً منفصلاً عن الجذور . . ويبدأ «المخلصون» في عملية الاستنباط والاجتهاد، من هذه الخطبة . . ومن هذا التصريح . . اللذين قد يكونان منطلقين من حالة انفعالية طبيعية لا توحي بالكثير من الفكر . . ليفلسفوا هذه الكلمة . . وهذه الوقفة فيثيروا حولها الكثير من التحليلات والتأويلات التي تتمثل فيها قاعدة سياسية هنا . . وقاعدة فكرية هناك . . مما قد يمثل فكر المحللين، والمتفلسفين . . ولا يمثل فكر القائد من قريب او من بعيد . .

وهكذا يتنامى الاجتهاد والتحليل . . حتى نجد لدينا دستوراً مفصّلاً لا تعرف مدى شرعية نسبته الى هذا الشخص او نسبته الى الفكر الذي انطلق الشخص منه في منطلقات التحرك.

بين الشخص والخط ضاع الانسان

هذه صورة عن الواقع الذي يتمثل في اكثر من موقع من مواقعنا السياسية فنحن واجدون في الحركات البارزة في مجتمعاتنا اسماء وعناوين تتخذ من اسم الشخص محوراً في الحركة والانتماء في الوقت الذي نعرف فيه ان الشخص ينتمي الى فكر ممتد في حركة الدين او في حركة الفكر الآخر.

وكمثال على ذلك، نلاحظ التعبير بـ «الناصرية» في اكثر من حركة من حركات «القومية العربية» فيما يمثله ذلك من الانتماء الى جمال عبد الناصر الذي لا يملك ـ فيما نلاحظه ـ فكرا متكاملا، على مستوى النظرية ـ بل كل ما هناك ـ انه يملك حركة سياسية من موقع الساحة التي يحكمها او يحركها في نطاق الظروف الموضوعية التي تحيط به، في النتائج الايجابية او السلبية . . وفي ضوء ذلك، كانت الحركات التي تأخذ صفة الانتماء الى اسمه، لا تمثل قاعدة فكرية سياسية متكاملة واضحة بعيدا عن الشعارات القائمة التي تستمدها من خطبه وتصريحاته.

. . واذا انطلقنا الى الواقع اللبناني الاسلامي، نلاحظ التعبير (بالصدريين) في بعض الكلمات، فيما يمثله ذلك من الانتماء الى السيد موسى الصدر، الذي يعتبر من علماء المسلمين، الذين يعملون على استلهام الاسلام فيما ينطلقون به من علاقات واوضاع وتحركات ومواقف، من خلال الرؤية الخاصة للمفاهيم الاسلامية . . ليحولوا ذلك الى عمل اصلاحي في النطاق السياسي والاجتماعي . . وقد نجد هناك تعبيراً خاصاً يتحرك في هذا المجال او ذاك، فيما يحاول البعض تقييم هذا الشخص او ذاك . . فهذا يسير على «خط الامام» وذاك لا يسير عليه . . وقد نلاحظ ذلك في الوسط الاسلامي العراقي الذي ينطلق في اجواء الانتماء الى السيد الشهيد السيد محمد باقر الصدر، الذي يأخذ بعض العاملين اسمه كعنوان لهم فنجد هناك اسم «الصدريين».

(خط الامام) عنوان للمسيرة وفرز للمجتمع

وهكذا نجد الساحة الاسلامية الثورية تحتضن اسم «الخمينيين» الذي يمثل السائرين في خطهم السياسي على خط الثورة الاسلامية الايرانية، . . وربما كانت هذه

الصفة من خلال اعداء الاسلام الذين يحاولون إبعاد الحركة الاسلامية عن الارتباط بالاسلام للايحاء بارتباطها بالشخص . . ولكن مثل ذلك قد يلقى هوى في نفوس الكثيرين من المتحمسين فيرتاحون لهذه الصفة ويعتبرونها عنواناً لهم . .

واذا كان هذا الاسم غريباً عن طبيعة الساحة ، فيما تريده من صفة او عنوان . . لانها تعمل على ان يكون الاسلام هو عنوانها الاساسي فيما تتحرك به ، او تنطلق من خلاله . . فاننا نلاحظ ان كلمة (خط الامام) اعتبرت عنوانا للمسيرة ، فهؤلاء الطلبة هم السائرون على خط الامام وهؤلاء العلماء كذلك . . او انهم ليسوا كذلك . . وذلك في عملية فرزٍ للمجتمع على اساس التزامه بالخط وعدم التزامه به .

وهكذا وجدنا حركة الساحة تنطلق من وحي الاخلاص للشخص الكبير والعظيم والقائد ، لتجعل الشخص عنوانا للفكرة بدلا من ان تكون الفكرة عنواناً له . . فكيف يكون موقفنا منها وما هي ايجابياتها وسلبياتها في طبيعة العمل ، على مستوى قضية الامة في المجال الفكري والسياسي والاجتماعي . ؟

الوجه الايجابي للمسألة:

وجود القائد القدوة دون الغموض والقلق

ربما يطرح البعض الوجه الايجابي للمسألة ، فيعتبر ان الفكرة اية فكرة لا تنطلق من الفراغ . . لان الانسان مطبوع على الارتباط بالاشياء من المواقع المحسوسة التي يعيشها في حياته العملية ، ومن هنا ، كانت قضية القدوة ، والقيادة ، شرطاً في نجاح اية حركة عملية في الحياة ، لان ذلك هو الذي يعطيها معنى التجسيد الحي الذي يحقق للحركة مصداقيتها الواقعية . . فيجد الناس في الشخص القائد القدوة ، شخصية الفكرة والرسالة كما يستوحون آفاقها من خلال آفاقه ونشاطاته . . اما اذا فقدنا الشخص ، في الفكرة ، فاننا نواجه غموضاً في الرؤية ، وضباباً في الافق ، وقلقاً في الموقف وارتباكاً في الإستنتاج مما يجعل الناس تعيش في تيهٍ من الإحتمالات المتنوعة . . ويؤدي بالتالي إلى فقدان الحماسة الذاتية لأن الأجواء الحميمة هي التي تثير الحماس للفكرة من خلال الشخص ، وليس العكس هو الفرض الصحيح . .

وبذلك يكون انتماء الخط إلى البطل، أو القائد، أو الإمام، الذي عرفه الناس، في إخلاصه، وعبقريته، وانتصاره، يحقق للخط حيويةً في وجدانهم، وقوة دفعٍ في حياتهم، مما لا يتحقق في حالة الإنتماء إلى الخط الذي ينتمي إليه الشخص الكبير. وستكون النتيجة في الإخلاص لخط الإمام، لمصلحة الفكرة نفسها فيما تأخذه من حيوية التأييد الجماهيري للقائد.

وقد يضيف هؤلاء سؤالاً محدداً.. وهو.. لماذا تخافون من فكرة اعتبار الشخص عنواناً للفكرة.. هل هو الخوف من صنمية الشخص وتحوّل المسألة إلى عبادة للذات، وابتعاد عن الفكرة..؟ هل هذا هو ما تخافونه..؟ فإذا كان الأمر هو ذلك.. فإننا نجيب عليه.. بأن المطروح في الساحة، هو صاحب الرسالة، والحركة.. والثورة، وليس الشخص في صفاته الذاتية المميزة، وبذلك يدخل إلى وعي الناس في نطاق الفكرة، مما يوحي لهم بأن الإرتباط به من خلال الفكرة، لا من خلال الذات.. لتكون هي المنطلقة في وعي الوجدان في الأمة، لا هو بالذات.

الوجه السلبي للمسألة:

الهتاف للشخص يتقدم الهتاف للفكرة

١ ـ إن الإرتباط بالفكرة في نطاق الإرتباط بالشخص، يجعل من الفكرة حالة ذاتيةً له.. فنحن نحبها لأنها فكرته.. تماماً كما نحب بعض الناس القريبين إليه لأنهم عائلته أو إخوانه أو أصحابه.. لأن الشخص هو القاعدة في الإنتماء، فيما يمثله من زهوٍ بالقائد المنتصر، أو بالرجل القوي مما يحوّل الفكرة إلى أن تكون إحدى ميزاته، وبعض فضائله وهذا مما يؤدي إلى أن نبتعد عنها، كلما اقتربنا من الشخص، وذلك من خلال التصور الوجداني لحركة الفكرة في الفكر والعمل.. لأن صورته ستكون هي المنطلق في المرتبة الأولى من الوعي، أمّا صورة الفكرة، فتقف في المرتبة الثانية التي يغلب عليها صورة الشبح.. ولهذا نجد أن الهتاف للشخص يتقدم كثيراً عن الهتاف للفكرة.

نقد الفكرة إساءة للشخص

٢ ـ إن الفكرة لا تفقد قابليتها للحوار، من خلال هذا الأسلوب. . لأن مناقشتها، أو نقدها، فضلاً عن إثبات خطئها، يعتبر إساءة للشخص، لأن معنى ذلك أنه لا يبتعد عن مواقع الخطأ في فكره. . وهذا ما لا يتقبله المخلصون المتحمسون الذين قد لا يؤمنون بعصمته فكرياً، ولكنهم يمارسون عملية الإيمان بذلك من ناحيةٍ عملية. .

وقد لا نحتاج في إثبات ذلك إلى جهد كبير. . فقد يكفينا ملاحظة الواقع الذي تعيشه جماهير هذا القائد أو ذاك، عندما يحاول بعض الناس الذي يعيشون حرية الفكر، أن يسجلوا علامة استفهام حوله في هذا الخط أو ذاك. . إن ردّ الفعل هو المزيد من الإتهامات والضغوط النفسية والمادية، التي توجه للناقد، بالمستوى الذي يشعر معه أن عليه أن يخضع لأجواء «التقيّة» أو المجاملة أو الوقوف ـ بخضوع ـ موقف الإعتراف بالخطأ الذي اقترفه في حق الخط المعصوم للقائد غير المعصوم. . مما يفسح المجال لعملية النفاق الإجتماعي، في مواجهة الرموز الكبير للأمة.

ان مثل هذا الواقع العملي يربطنا بالمسألة التي ألمحنا إليها وهي الربط بين عظمة الشخص وعظمة الفكرة، الذي يقتضي الربط بين نقد الفكرة وبين الإساءة إلى الشخص.

الانشداد للشخص بدل الفكر

٣ ـ إن الإستغراق في الشخص، الذي يجعل الفكرة خطاً له، يؤدي إلى إهمال الفكرة الأساس في وجدان الناس، ولو بعد حين، فإذا كان هذا الشخص يمثل الإسلام في فكره، وفي حركته، وفي أسلوبه. . فإن اعتبار خط السير خطاً له. . يبعد الإسلام عن الدخول في عمق الفكر، والوجدان، والشعور. للناس، لأنهم يظلون مشدودين إلى الشخص، وإلى فكره، فهو الذي يفكر، وهو الذي يقرر، وهو الذي ينتصر. حتى إذا ذُكر الإسلام في نطاقه فإنه يعبر عن الإسلام الذي يفهمه، لا الذي يفهمه الآخرون. . وبذلك يأخذ الإسلام خصوصيته، التي تميزه عن إسلام الآخرين. . مما قد يشكل إتهاماً لهم في صدق الإنتماء، أو في سوء الفهم.

أمّا إذا كان الخط . . وهو الإسلام . . هو القاعدة التي ينطلق الناس منها . . فإن المسألة تختلف . . لأن البطل يمثل نتاج الإسلام في حركته . . ليكون دوره دور الذي استلهم الرسالة لتكون عظمته من خلالها وانتصاره على أساس أفكارها التي تقود إلى النصر . فيدخل إلى الوجدان من خلال الإسلام . . ولا يدخل الإسلام من خلاله . . فإذا أخطأ في الفكر والأسلوب ، كان الخطأ خطأه ، وإذا أصاب كان الإسلام هو الذي هداه إلى طريق الصواب . . وبذلك يكون الإسلام هو الميزان في تقويم أعماله . . وهو الفكر الذي يعيش في وجدان الأمة ليدخل الجميع إلى أعماقها ، من خلاله .

المزايدة وعدم وضوح الرؤية

٤ ـ إن فكرة ، خط الإمام ، أو خط القائد . . ربّما تكون معقولة إذا كانت تملك أساساً من الوضوح فيما يخططه للفكر وللسير في منهاج محدد في تصوراته الفكرية ، وفي أساليبه العملية ، كما لو كان في معرض طرح فكرة متكاملة منهجية للجمهور . . ولكن الواقع التطبيقي للمسألة يختلف عن ذلك . . فنحن نواجه في الساحة أفكاراً متفرقة تتحرك في مواقف خطابية ، أو لقاءات سياسية أو اجتماعية تحكمها ظروف معينة ، وحالات طارئة مما يجعل منها مادة قابلةً للإستنتاجات المختلفة التي يحاول كل فريق أن يفهمها على طريقته الخاصة ، أو على مزاجه الخاص وربما يحاول البعض أن يوجهها طبقاً لمصالحه الخاصة . . وهذا ما نلاحظه في أسلوب المزايدات الذي يحكم الساحة فيما تتحرك به من اتهامات متبادلةٍ في الخروج عن الخط هنا أو هناك ، لأن القضية لا تنطلق في وضوح من الرؤية . . وربما تطور الأمر إلى الكثير من التأويل والتكلف في تأويل هذه الكلمة ، أو تفسير هذا العمل . . ليثبت زيد بأنه سائر على خط الذي توحي به الكلمة أو العمل ، أو ليثبت عمرو خلاف ذلك .

نقد الفكرة والشخص

٥ ـ إننا لا نؤمن بالتجريد في حركة الفكر في وعي الأمة . . فلا يمكن أن تكون هناك رسالة ناجحة بدون رسولٍ حكيم في فكره وأسلوبه ولا يمكن أن تكون هناك

حركةً منتصرة بدون قيادةٍ واعيةٍ مخلصةٍ لأن الناس يبحثون عن تجسيد الفكرة في حركة الشخص في صعيد الواقع كما يبحثون عن الفكرة في نطاق المعادلات الفكرية في حركة الفكر. . ولكن. . ليس معنى ذلك أن تكون الفكرة هي فكرة الشخص بل معناه أن يكون الشخص هو رسول الفكرة ومبلغها وقائد حركتها في الحياة. . فإذا كان معصوماً. . كانت العصمة هي الأساس في الحكم على سلامة أسلوبه في التبليغ والممارسة. . وإذا لم يكن معصوماً كانت الفكرة في مصادرها الواضحة. . هي القاعدة في الحكم على طبيعة تحركه، فيما إذا كانت الفكرة معصومة. . أمّا إذا لم تكن كذلك فإن من الممكن نقد الشخص في سلامة تطبيقه وتفكيره، كما يمكن نقد الفكرة في سلامة حلولها لمشاكل الواقع.

المطلوب اعطاء الحرية للنقد الموضوعي

٦ ـ إننا لم نحاول الدخول في عملية تقييم للأشخاص الذين ورد ذكرهم في الحديث «لأننا لسنا في صدد البحث عن هذا الجانب من المسألة» فيما يمثله هؤلاء أو غيرهم من قيمةٍ فكريةٍ أو روحيةٍ أو سياسيةٍ، أو قياديةٍ. . بل كنا في معرض الحديث عن طبيعة حركة المبادىء الفكرية والسياسية والإجتماعية في حياتنا. . لنخلص إلى النتيجة الحاسمة التي نؤمن بها وهي ضرورة ارتباط الأمة بالشخص من خلال الفكرة التي يؤمن بها أفرادها تبعاً لارتباطه بخط الفكرة. . بحيث يبقى الإرتباط به متحركاً تبعاً لحركة الفكرة في حياته. . مع ملاحظة إعطاء الحرية للنقد البنّاء الموضوعي في المجالات القابلة للنقد. . فإذا انحرف عن الخط، ابتعدت الأمة عنه، وإذا بقي مخلصاً له. . استمرت سائرة معه. . وبذلك فإن علينا أن يكون شعارنا في حركتنا العملية. . هو الإخلاص لبطل الخط، أو إمامه، أو قائده، من خلال بطولته وإمامته وقيادته التي تمثل حركة الخط في حياته. . وليس الإخلاص لخط البطل، أو الإمام، أو القائد.

وقد يعتبر بعض الناس مسألة شكلية فيما يمثله اختلاف التعبير من شكليات لا تؤثر على المضمون. . ولكننا نختلف مع هذا فيقرر البعض «أن المسألة «مضمونية» في مدلولها، فيما يوحيه من عبادة الشخص» وفيما يؤدي إليه من خضوع التربية للأسلوب الذي يجعل الشخصية واقعةً تحت تأثير الأشخاص من ناحيةٍ ذاتية، مما

يجعلها تبتعد عن وعي الفكرة في سلبياتها و إيجابياتها المتحركة، ما دام هو الـذي يحدد في وعي الأمة له، حركة السلبيات والإيجابيات . .

هذه وجهة نظر في حركة الشخص، وحركة الفكرة في الساحة، فهل هناك وجهـة نظر أخرى . ؟ .

إن الموضوع مفتوح للحوار.

شرعية الاسلوب وإستقامة الخط

* رصد خطوات الأعمال الإسلامية
أمر ضروري .

* الأسلوب الشرعي شرط لإستقامة
المسيرة وسلامة العمل .

* تقييم الآخرين
يتم عبر المقياس الشرعي .

* المشكلة تربوية
وتتصل بتكوين الشخصية الإسلامية .

العمل الإسلامي والأسلوب الشرعي

ربما يجد المراقب الذي يرصد العمل الإسلامي، وهو يتحرك في اندفاع كبير، ان من الضروري للعاملين أن يلتقطوا أنفاسهم، ليقفوا وقفة تأمل وتفكير، يستعيدون فيها أمام انفسهم، الصورة التي يتمثل فيها العمل، وتتحرك فيها المسيرة، لأن الطبيعة الانفعالية للموقف، قد تحجب الكثير من جوانب الصورة، وقد تغير بعض الملامح القاتمة إلى ملامح مشرقة، وبالعكس، مما يساعد في طمس معالم الحقيقة، وبالتالي يدفع العمل بجملته الى كثير من المخاطر والمصاعب، وربما ينتهي به الى حافة الهاوية.

وقد يكون من الشروط الاساسية لسلامة العمل، واستقامة خط المسيرة، أن ينتبه العاملون إلى شرعية الأسلوب، الذي تتحرك فيه الممارسة، في الكلمة التي تقال، والجو الذي يثار، والطريقة التي تتمثل فيها الحركة.. لأن للاسلام أساليبه الخاصة، التي يصل بها الى غاياته، تماماً كما تملك المبادىء والتيارات الأخرى أساليبها، المستمدة من نظرتها إلى الحياة.

أمّا السبب في تأكيدنا على هذه النقطة فهو، أن الجو العام للتحرك الفكري والسياسي، قد يخلق بعض التأثيرات السلبية على ذهنية الانسان المسلم، وطريقة فهمه للأشياء وممارسته لها، وطبيعة العلاقات التي تربطه بالأشخاص، وأسلوب تعامله معهم، فيما يختلف فيه من قضايا، وفيما يخوضه من أمور الصراع، وتكون النتيجة، هي الإنطلاق في المسيرة الإسلامية بعيداً عن الادوات الشرعية في الصراع، وعن الروحية الإسلامية في التحرك، ممّا يطبع العمل بطابع غير اسلامي في الشكل والصورة، ويسيء الى سلامته في الواقع والمضمون.

وإذا كنّا نتحدث عن العمل الإسلامي والعاملين في هذا السبيل، فإننا لا نتحدث عن حالة معينة، أو محور معين، أو أشخاص يعيشون في إحدى المواقع الخاصة في العمل. بل إننا نريد الشمول لكل حالات العمل وأشخاصه، سواء في ذلك، الأعمال الإسلامية التي تتحرك في النطاق التقليدي، في قضايا الوعظ والأرشاد والتوجيه والتدريس، أو الأعمال التي تتحرك في النطاق الجديد، في مجال المؤسسات والمجتمعات، أو في مجال الأحزاب والتنظيمات.. فإن الصفة الاسلامية التي تحملها في واجهاتها، أو في قياداتها وأتباعها، تفرض أن يكون لهذه الصفة معنى العمق في

التصور والاسلوب والهدف . . وحركة الفكرة في الشكل والمضمون، بحيث تتحول الصفة إلى إشارة مميزة وعلامة فارقة، بينها وبين التيارات الاخرى في ذلك كله . .

وهذا ما نريد أن نخوض فيه في محاولة لرصد الخطوات العملية التي تتحرك في هذا المجال، في نقاط عديدة وأمام علامات استفهام محدّدة.

التقييم على أساس الحقيقة والعدالة

ما هي الاسس التي ترتكز عليها القناعات الذاتية تجاه تصرفات الأخرين في مجالات الحكم والتقييم والمحاسبة؟

في الساحة عدة حالات، فهناك الاحتمال، الذي يمثل حالة الشك في صدور الفعل المعين، أو وجود القصد الخاص السيء من دون أي عنصر مرجح، أو الظن الذي يحمل صفة الحدس الناشيء عن ترجيح جانب من جوانب القضية، أو اليقين الذي لا مجال معه للاحتمال المضاد . .

في الموقف غير الاسلامي للقضية نجد الاتجاه الذي يتصرف على أساس الشك، ويحكم على أساس الظن، من دون انتظار للوصول إلى حالة اليقين. فقد يكفي لديهم في الحكم على خيانة شخص ما، في قضية سياسية أو اجتماعية، أن يدخل مكاناً ما، أو يتصل بشخص معين. وقد تدخل في معطيات الحكم والمواجهة السلبية، طبيعة العلاقات المضادة التي تربطنا بهذا الشخص، أو طبيعة الأهمية للقضية في حسابات الصراع. لأن المهم هو تحطيم الشخص إيّاه، أو انجاح أو اسقاط القضية التي يدور حولها الصراع، وليس من المهم أن يكون هناك إحتمال للبراءة أو أن توجد في الساحة بعض النقاط الخفية، التي يمكن أن تخلق للقضية وجهاً آخر، غير الوجه الذي تظهر الاوضاع فيه. أمّا الموقف الاسلامي فإنه يرتكز على إستبعاد أي صفة مقرّبة أو مبعدة من ناحية الصفات الذاتية، التي يتصف بها الشخص أو الموضوع، أو تتمثل فيها العلاقة . . فليس من المهم في تكوين القناعات، أو في اصدار الاحكام، أو في تحريك الممارسات، ما هو الموضوع ومن هو الشخص، بل المهم، الوقوف على الحقيقة ومع طبيعة العدالة في ذلك كله . . ليكون التساؤل مرتكزاً على النحو التالي: ما هي المعطيات الواقعية التي تمنحنا وضوح الرؤية للأشياء وما هي المعطيات التي

يمكن أن يقدمها الرأي المعارض، أو الشخص المتهم في مقام الدفاع عن وجهة النظر الأخرى لتتم المقارنة بينهما بهدوء على أساس من تقوى الله ومحبته، عبر المقاييس الشرعية، التي تلاحق الاحتمالات الأخرى، حتى ولو كانت ضعيفة لتنفيها أو تثبتها. وذلك هو ما نفهمه من قوله تعالى ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ ١٧/ ٢٦.

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾. ذلك هو الخط العريض للقضية.. لا مجال للاحتمال، ولا للظن، كأساس للحكم أو لتكوين القناعات، أو لتحريك الممارسة، بل القاعدة هي العلم واليقين.

اما استبعاد الظروف المقرّبة أو المبعدة لذلك فهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ ٦/ ١٥٢.

﴿ ولا يجر منكّم شنآن قوم على أن لا تعدلوا.. إعدلوا هو أقرب للتقوى﴾٥/ ٨.

وفي ضوء ذلك، لا بد من الوقوف عند الموقف الذي يريدنا الله أن نقف فيه، لا ان نستسلم للاحتمال، فنتجمد أمامه، بل لا بد لنا من ان نلاحق إمكانات الحق فيه. فالقضية كل القضية، هي ان لا نحكم على أساس الاحتمال، وليست هي أن نحذر، فنتخذ احتياطات السلامة، ولو إلى حين، ذلك هو الخط، فماذا عن الواقع؟

العاملون والعلماء وفوضى الاحكام

إننا نواجه في صراعات العاملين في داخل العمل الاسلامي، سواء في القضايا التي تتعلق بالاشخاص، عندما تكون القضية، أن يتقدم شخص أو يتأخر آخر، في صراع القيادات والمسؤوليات. أو في القضايا التي تتعلق بالمؤسسات، في خلفياتها وخطواتها العملية، إننا نواجه في هذه الصراعات، فوضى مريره في الاحكام غير المدروسة، فهذا فاسق، لانه فعل الفعلة الفلانية، مع احتمال كونه معذورا فيها، وهذا خائن، لانه أكل المال المعين، مع امكان وجود المبررات الشرعية فيه من فتوى أو شبهة أو غير ذلك. وهذا عميل للاستعمار وخائن للامة، لأنه قام بحركة سياسية معينة، أو باتصالات خاصة مع بعض الفرقاء، الذين يرتبطون بهذا المعسكر أو

ذاك، مع وجود بعض الاوضاع والظروف الخاصة، التي قد تخلق له مبرراً شرعياً، وهذه المؤسسة، جمعيةً كانت أوحزباً أو لجنة، خائنة أو عميلة أو مشبوهة، لأن مثيلاتها في بعض النماذج الموجودة على الساحة، تخضع لهذه الموازين، مع عدم وجود فكرة شاملة، عن طبيعة المؤسسة، وعن قيادتها، وعلاقاتها بالأخرين وبالأوضاع، وتحركاتها الخفية والعلنية، بل كل ما هناك، ان فلاناً قال كذا، أو ان الاوضاع المعينةتدل على كذا . . مما لا يخرج عن طبيعة الحدس والتخمين.

وتصدر الاحكام، وتتنوع التصرفات السلبية والمضادة، وتتكون القناعات، وتتحرك أجهزة الاعلام، من صحافة وإذاعة وغيرهما، في سبيل التأكيد، على اعتبار القضية حقيقة ملموسة في واقع حياة الناس السياسية والاجتماعية.

وربما نجد الانسان، الذي يدعو إلى مزيد من التثبت والتفحص قبل اصدار الاحكام أو تكوين القناعات، لان الحجة لم تكتمل، ولان المعطيات المطروحة قابلة للمناقشة، فنقابله بالسخرية والاستهزاء والاتهام بالسذاجة والبساطة، التي تجعله لا يعرف طبيعة الاشياء، فينكمش على نفسه ويتراجع، خوفاً من ان ينسب الى الجنون في نهاية المطاف.

وتنطلق المسيرة بعيداً في هذا الاتجاه، فإذا بالمسلمين المؤمنين، من علماء وعاملين، يمارسون الحكم بغير حجة، والقول بغير علم، كنتيجة للظن والشبهة، تماماً كما يفعل غير المسلمين في صراعاتهم السياسية والشخصية والاجتماعية . . من أجل أن يحطّموا سمعة خصومهم، أو يدمروا قاعدة المؤسسات المنافسة لهم، وقد يتساءل المتسائلون لماذا هذا كله؟

مشكلة تربية

ويكون الجواب في هذا المجال . . ان التربية الاسلامية، لم تنطلق في هذا الاتجاه العملي، بل تحركت في اعطاء القضية المشار اليها بعداً نظرياً، يتحرك في الخطوط النظرية للتفكير في مجال المقارنات بين الاسلام وبين النظريات الأخرى . . أما الجانب العملي، الذي يتمثل في رصد الممارسات للإنسان المسلم، في طفولته ونشأته في البيت والمدرسة، وفي التوجيهات العملية التي تصدر من هذه المؤسسات، التي

تتحرك في ناحية النظرية والتطبيق، فتسجل على الانحراف بعض المؤاخذات أو العقوبات التأديبية، مما يعطي احساساً بخطورة هذا اللون من الانحراف عن الخط الاسلامي، في حياة العاملين وفي مسار العمل . .

ونظراً لعدم الاهتمام بهذا الجانب، يتصرف العاملون بوحي الواقع المنحرف، الذي يعيشه الوضع الاجتماعي، الخاضع في اساليبه للتوجيهات غير الاسلامية في نطاقها السلبي والايجابي . . إننا نثير الالتفات إلى هذه النقطة، لاننا نعتقد أنها تتصل بتكوين الشخصية الاسلامية من جهة، وبسلامة العمل من جهة أخرى وفي النظرة الواقعية الجدية، التي تتكون لدى الاخرين، من خلال رصدهم للعمل وللعاملين.

حركة الشعار في واقعنا

* الشعار يؤكد
ملامح الشخصية ويغذي الشعور.

* مواجهة الأفكار الأخرى وتحديها
تتمثل بالشعار.

* ضرورة التخطيط
لثقافة إسلامية تحمي الشعار.

دور الشعار في حركة الواقع

للشعار في حياتنا دور العنوان الذي يحمل الفكرة ـ في الخط العريض ـ لتدخل إلى الفكر من الباب الواسع، لتكون التفاصيل مرحلة ثانية في عملية الاختزان الداخلي للوعي الذاتي للإنسان، لأن الجزئيات لا بد أن تنطلق من خلال الكليّات، التي تمثل المبادىء العامة التي توجهه الى الساحات الكبيرة في الحياة، فيما يتميز به فكْر عن فكرٍ، أو موقع عن موقع، ثمّ تبدأ عمليّة الحركة نحو الدوائر الصغيرة المتفرّعةعنها.

معرفة الحدود الفكرية

وهذا هو ما لاحظناه في الرسالات الإلهية، التي طرحت شعار التوحيد كواجهة للرسالة، وطرحت شعار الرسالة كواجهة للعقيدة والشريعة، ليعرف الانسان الحدود الفكرية التي تميِّزه عن الآخرين، فيما يريد أن يؤكده من ملامح الشخصية المميزة في وجوده.

وهذا هو الدور الايجابي للشعار في بناء الانسان، في تأثيره على دائرة التصور في الملامح الفكرية للقضايا العامة، حيث يملك الانسان فيها الخطوط العريضة لما يحمله من فكر ولما يتحرك فيه من خط السير . . . فلا يواجه الحيرة في تصوراته كما يواجهها أولئك الذين يتحركون في الحياة من خلال التفاصيل الغارقة في الجزئيات الكثيرة البعيدة عن الكليات، بل يعرف كيف يحدّد لنفسه خط السير من خلال ما يملكه من عناوين عامة، كما يستطيع تحديد صورته لنفسه وللآخرين بكل وضوح، وتحريك خطواته في هذا الطريق أو ذاك.

وإذا كان للشعار دور العنوان الذي يحدّد وجه الفكرة، فإنَّ له دوراً مهماً آخر، وهو تغذية الجانب الشعوري بالمشاعر المتنوعة التي تختلف سلباً وإيجاباً حسب اختلاف الإيحاءات النفسية لهذه الفكرة أو تلك، فقد تلتقي بشعارٍ يثير في داخلك المشاعر الرقيقة الحانية التي تدفعك إلى الانفتاح على الآخرين والالتقاء بهم، وقد تلتقي بشعار آخر يثير في داخلك المشاعر القاسية التي تتطلب وتتحدى، وتهاجم وتدفعك الى الانغلاق على الناس والإنفصال عنهم.

الشعار في القرآن تكوين المشاعر الانسانية حرباً وسلماً

ولنضرب لذلك مثلاً: في شعار السلم الذي تحمله الآية الكريمة:

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة . . .﴾.

إنك ستقف امام هذا النداء الشعار لتشعر بالاجواء الحميمة التي تقتحم كل فكرك ووجدانك وعاطفتك، إزاء هؤلاء الذين يواجهونك وتواجههم في ساحات الصراع وستعمل على توفير كل المناخات الملائمة التي تحتويك وتحتويهم، في حب ورحمة وحنان، لتربط بينك وبينهم في عملية توثيق للعلاقة، فيما تثيره كلمة«السلم» من مشاعر وأجواء وفيما توحيه من وجود ساحة مفتوحة للجميع لا تفصلها الحواجز ولا تعقدها الخلافات . . . بل ربما تثير في داخلك الإرادة الحرة في كسر كل حاجز ينتصب في الساحة، وفي تذويب كل خلاف يطلّ برأسه ليخرّب السلام، وذلك من اجل أن يأخذ الشعار مكانه الطبيعي في حياة الانسان.

وهكذا نلتقي بهذه الأجواء في شعار «الصداقة بين الشعوب»و«المحبة»و«الرحمة» وغير ذلك.

ونقف في الاتجاه المقابل أمام شعارات الحرب والجهاد ونحوهما، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾.

فإنك ستشعر بوجود أجواء حادة تتداخل فيها الصرخات الحادة بالكلمات المثيرة والمشاعر المتوترة، التي تجعل منك إنساناً مفصولاً عن الأخرين وعن حياتهم، لتتحول الى عنصر مدمِّر، يحاول أن يكتسح كل شيء في منطقة الإنفعال وفي منطقة الواقع. وبذلك تفقد الكلمة الحلوة معناها في هذه الأجواء، وتعود الابتسامة حركة شاذة لا تتناسب مع ما تحتاجه الساحة من عبوس وإثارة. وبذلك لا يجد الإنسان أمامه إلا المزيد من العنف والدماء والصراخ في ساحة الصراع.

ولا نريد أمام هذين الشعارين، أن ندخل في تقييم المشاعر الايجابية أو السلبية التي تكون نتيجة طبيعية لهذا الشعار أو ذاك، لنتحدث عن حدود المشاعر الملائمة أو المضادة، لئلا تفقد الحرب معناها الانساني الذي يحفظ للحياة توازنها، أو يفقد السلم معناه الواقعي الذي يحفظ للواقع قوته، فلذلك مجال آخر، بل كل ما نريده هو إعطاء

الفكرة عن الجانب الشعوري كالشعار الذي يتدخل في تكوين المشاعرالانسانية للشخصية بطريقة شعورية او لا شعورية، مما يقودنا في حركته داخل الذات، بالاضافة الى حركته خارجها وذلك من اجل رصد النتائج المتنوعة في ساحة الواقع.

الشعار في شروطه: كلمة للعقل والعاطفة

واذا كان للشعار هذا الدور في الحالة الفكرية والوجدانية للانسان، فقد ينبغي لنا ان ندقق جيداً في نوعية الكلمات التي يحملها، وفي طبيعة الوجه الذي يمثله والاجواء التي يثيرها والاسلوب الذي يهيمن عليه، لأن لذلك مدخلاً كبيراً في الجانب الايجابي اوالسلبي في حركة الشعار في داخل الانسان الذي يحمله في الساحة التي يتحرك فيها وفي خدمة الفكرة التي يريد أن يوجه الناس اليها والغاية التي يعمل على ايصالهم اليها.

وربما كان من الضروري في هذا المجال أن ندرس الشروط الموضوعية الفكرية التي تسمح للشعار ان يدخل عقل الناس وشعورهم، لأن هناك أفكاراً لا تستطيع أن تتقدم في الساحة إلا إذا سبقتها أفكار اخرى. فإذا لم نلاحظ هذه الناحية فقد نجد هذه الفكرة أو تلك غريبة عن الواقع، مما يجعل منها عنصراً مرفوضاً فيه، لأنه يصطدم ببعض القناعات الخاطئة التي تحتاج الى اعداد مسبق، من أجل إبعادها عن وعي الناس.

إننا نريد أن نقرر ـ في هذه الملاحظة ـ مبدأ التسلسل الطبيعي لحركة الفكر في الذهن وفي الواقع، من اجل ان لا تكون المسألة قفزةً في الفراغ فيما يحتاج الى قاعدة ترتكز عليها الفكرة. ولا نريد بذلك الخوف من مواجهة التحديات الفكرية الاخرى التي تفرض نفسها على الساحة، فتمنع غيرها من الدخول اليها، لأن ذلك من الامور الطبيعية في ساحة الصراع، بل كل ما نريده هو أن لا يفقد الشعار بعضاً من عناصره الذاتية في عملية اقناع الآخرين به في دائرة الوعي الوجداني للفكرة.

الشعار والواقع: الارض الضالة والحواجز

وقد نجد ـ في هذا الاتجاه ـ نقطة أخرى جديرة بالتأمل والملاحظة، وهي مسألة

حركة الشعار على صعيد الواقع. فربما كان بحاجة إلى ارض صالحة تنمو فيها البذور بشكل طبيعي معقول بحيث لا تتحول الحركة الى ضدها كنتيجة لما يثيره الطرح السريع الذي لا ينتظر تكامل عناصر النجاح، من اوضاع مضادة تصنع للشعار ألف حاجز وحاجز في الطريق.

وقد لا تقتصر السلبيات ـ في هذه المسألة ـ على المشاكل التي تحدث للشعار من ناحية واقعية، بل قد تتعداه الى ان يتحول في وعي الناس ـ الى واجهة مثالية، لاتحمل أية فرصة معقولة لإمكانات النجاح، لا سيّما إذا كان الطرح السريع يتضمن تحديداً زمنياً للوصول الى الغاية، لا يملك العاملون معه أية امكانية لتحريك الفكرة فضلاً عن الوصول اليها، وقد يؤدي ذلك الى اليأس الذي يدفع إلى الهزيمة والتراجع على أكثر من صعيد.

الشعار في مرحلة الدعوة: صدم الفكر القديم

وقد يطرح بعض الناس سؤالاً ـ في هذا المجال ـ وهو:

ماذا تعني بالارض الصالحة لنمو البذور للفكرة؟

هل تريد بذلك ان تكون الارض خالية من الافكار الاخرى في صعيد الواقع لأن ذلك يمنع عملية توزيع البذور بطريقة طبيعية كأية أرض مشغولة ببذور معينة بغراس خاصة؟

ولكن، إذا كان المراد ذلك، فإنَّ معناه ان يبقى المشروع مجرد فكرة في ذهن صاحبه، لأن أية فكرة جديدة لا بد ان تكون مسبوقة بفكرة اخرى متجذرة في الفكر والواقع والشعور، مما يفرض الكثير من الصراع العنيف الذي يهزم كل عناصرها، ويزيل كل آثارها من اجل ولادة المشروع الجديد. ؟

إنَّ مسؤولية الفكر الجديد أن يصدم الفكر القديم بقوة، وإن مهمة المشاريع الجديدة أن تواجه المشاريع القديمة بأكثر من عملية اقتحام وعنف. ؟

إن ذلك يعني ان الفكرة الجديدة هي التي تقوم باصلاح الارض، وليس من المفروض أن تجري عملية تنقية الارض من الشوائب بعيداً عن حركة الفكرة في الواقع.

ونجيب على ذلك أن السؤال لا يقترب من جوّ الفكرة فيما أثرناه من ملاحظة فإن

هناك فرقاً كبيراً بين ان يطرح المشروع الجديد في المرحلة التي تريد أن تثير الوعي الجديد فيها، ليعيش الفكر في الوجدان في مستوى الحقيقة الفكرية والعملية للمستقبل، وبين أن تطرحه ليتحرك في الساحة في المرحلة التي تريد له أن يدخل دائرة التنفيذ.

إننا في المرحلة الاولى نؤكد على ضرورة المواجهة الحاسمة للأفكار الاخرى بالطريقة التي تجعل من الفكرة الجديدة قوة كبيرة تقف في خط التحدي لتصارع وتقتتل وتناقش وتدفع الآخرين الى الحوار بأية وسيلة ممكنة، وهذا هو خط الأنبياء والرسل في إعلان كلمة الله على الناس، ومواجهة الكفر والشرك والضلال، بكل حسم وصراحة، مما أدّى الى ان يخوضوا الصراع بأقوى أشكاله، ويتحمّلوا العذاب بأشدّ الوانه.

إننا نؤكد على ذلك، لأن هذا هو السبيل الوحيد الذي يمكن للرسالة ان تدخل في ساحة الواقع من خلال الصراع الحاسم، فإن الآخرين لا يسمحون لها بالدخول الى الحياة بسهولة.

الشعار في مرحلة الدولة: المرونة لا الالغاء والتجميد

ولكن هناك مرحلة أخرى قد تحتاج الى اعداد كبير، وهي مرحلة تحول الدعوة الى حكم يفرض نفسه على الناس.

إن مثل هذه المرحلة، قد تأتي في فترة قلقة يستسلم فيها الناس لأنواع اخرى من شكل الحكم ومضمونه، وقد تكون في ساحة يتنوع فيها المجتمع في افراده اشكالاً والواناً، في افكاره ومناهج حياته، وقد تواجه ظروفاً موضوعية ضاغطة في اكثر من وضع سياسي او اقتصادي او عسكري قلق، مما يترك تأثيره السلبي على حركة الشعار في الواقع، بحيث يكون تحريكه على صعيد مباشر سبباً في تطويقه وتقييده ومحاصرته واخضاعه لضغوط مبكرة لا يملك أمامها القدرة الواقعية على المواجهة لحاجته الى تنمية القدرة بشكل تدريجي.

ان مسألة المرونة في اطلاق الشعار لاتعني الغاءه وتجميده، ولكنها تعني التحرك بطريقة واقعية في عرض الفكرة وتحريكها وتنميتها بالوسائل الفكرية والسياسية التي تعمل على توسيع القاعدة وتقويتها، بالمستوى الذي تستطيع فيه أن تحمي مستقبل

الشعار، لتحمله الى صعيد الواقع عندما تحين الفرصة المناسبة.

ولعل الدراسة الموضوعية للتحديات السياسية والعسكرية، والاوضاع الطائفية والعرقية وأمثالها، تعرفنا طبيعة هذا التحفظ الذي نطلقه في قضية اثارة الحكم الاسلامي في بعض المراحل في بعض البلدان.

خطورة الشعار في دائرة المطلق

وقد نحتاج الى التأكيد، على نقطة معينة دقيقة في حركة الشعار على صعيد الواقع العملي في الدعوة والممارسة.

فقد نلاحظ أن الشعار قد يتحرك في أجواء المطلق، في الدائرة التي يتحرك فيها، مما يجعل الفكر يطوف معه في أكثر من أفق وفي أكثر من وسيلة. وربما يقع الخطأ في فهم آفاق الشعار، وربما تنحرف الخطى في طريقة الممارسة على مستوى الوسائل، لأن التوجيه لم يربط النظرية بالتطبيق، والغاية بالوسيلة، مما ترك للانسان حريته في الاخذ بالوسائل كما يشاء، وفي التعامل مع التطبيق بما يحلو له، كما أن المضللين من أصحاب الافكار المضادة، استطاعوا استغلال هذه المسافة الفاصلة بين النظرية والتطبيق، وبين الوسيلة والغاية في وعي الانسان، من أجل فرض وسائلهم وتطبيقاتهم على فكره ووجدانه وحياته، من خلال الايحاء له بأن ذلك هو الذي يحقق له الخط العريض في منهجه في الفكر وفي الحياة.

وهذا هو ما لاحظناه في مثل شعارات «العدل» و«الحرية» و«المساواة» و«الوحدة»، وما الى ذلك من كلمات تلتقي عندها كل المبادىء الدينية وغير الدينية من خلال«العنوان»، ولكنها تختلف في الوسائل وفي التطبيقات والمواقع والاجواء.

فقد استطاعت التيارات المضادة، في داخل المجتمع الاسلامي، أن تستفيد من غموض الخطوط التفصيلية لهذه العناوين في ذهن الانسان المسلم، لتفرض عليه طريقتها في ممارستها على أساس الاهداف المشبوهةالتي تستهدفها لمصالحها الخاصة في اضعاف الاسلام والمسلمين.

وقد ساهم في تسهيل سيطرة الاستكبار العالمي على مقدرات المسلمين في استغلاله لهذه السذاجة الفكرية التي لاتنجذب الى الشعار من موقع العمق، بل

تتحرك معه من مواقع السطح، ولا نزال نعاني الكثير منه على أكثر من صعيد.

اننا نريد أن نؤكد على هذه النقطة، لنبدأ في التخطيط لثقافة اسلامية عقيدية وسياسية واجتماعية، تحرك النظرية في خطوات التطبيق، حتى تعود النظرية حركة في الواقع لا في المثال، وتطرح الغاية من خلال الوسيلة، حتى لاتضيع الناس في متاهات الوسائل غير المشروعة وغير المحدودة، لنستطيع الوقوف على أرض ثابتة، والتحرك في طريق لا يهتز تحت أقدامنا، لتكون لنا شخصيتنا الاسلامية المتوازنة في حركة الواقع كما هي في حركة الفكر.

الفهـرس

الموضـوع	الصفحـة
تقديم	٧
كيف نواجه قضية التغيير في الأمة «أ»	١١
الاسلوب التقليدي في المواجهة : الهدوء والمرحلية	١٢
اسلوب التحدي و إثارة التوتر الروحي وا لفكري	١٣
الحضور الدائم للعقيدة كهم يومي	١٣
الروحية الايمانية وتحريك الامة	١٤
الاسترخاء حالة خطرة	١٥
التقية محاولة مرنة لحماية القضية	١٥
المرحلية تحدٍ منظم ومخطط	١٦
التحدي : مفاجأة العدو وعدم الاستسلام	١٦
حالة طوارىء متحركة	١٨
وعي الأمة لأعدائها	١٨
كيف نواجه قضية التغيير في الأمة «ب»	٢١
الخط العملي والنقاط الواقعية	٢٢
تفجير المواقع وحرية التحرك	٢٢
ولادة مشروع جديد	٢٢
موقع الدعوة وموقع الثورة	٢٣
نتائج الاساليب المطروحة	٢٤
عملية الهجوم وعملية الدفاع	٢٤
الدقة في الخط الشرعي والتمييز بين الذات والرسالة	٢٥
تقييم الساحة والحذر المطلوب	٢٧
الثورية الاسلامية والجو الهادىء	٢٧
المضمون الاسلامي للتحرك	٢٨

الاقتداء بالقرآن والسنة ٢٨
موقف للهدف ومواجهة للتحدي ٢٩
تجربة الثورة الاسلامية ٢٩
دراسة الظروف الموضوعية ٣٠
تطوير الظروف وتميز المواقع ٣١
خط التوتر والهدف ٣٢
كيف نواجه قضية التغيير في الأمة «ج» ٣٣
ـ ١ ـ التغيير من داخل النظام (الدخول في اللعبة السياسية) ٣٤
منح الشرعية للنظام ٣٤
ضغط النظام على الحركة ٣٥
فقدان الثورية الاسلامية ٣٥
ـ ٢ ـ التغيير من خارج النظام ٣٦
لا مشكلة توازنات ٣٦
سقوط الثورة امام النظام ٣٧
اللمعان الثوري وتغيير الواقع ٣٧
ردود على ما سبق ٣٨
المشاركة بضوابط فكرية وعملية ٣٨
المرونة ثمن الحرية ٣٩
الثورية داخل المعارضة ٣٩
النماذج السلبية وسقوط التجربة ٤٠
كيف نواجه قضية التغيير في الأمة «د» ٤٣
رفض التعاون مع الظالم ٤٤
مسؤولية الأمة ٤٤
الرفض النفسي للظالم ٤٥
التغيير لا الاستسلام ٤٥
اللعبة الديمقراطية ومصلحة الاسلام ٤٦

رفض اللعبة الديمقراطية ٤٧
حق الشعب في التشريع ٤٨
تحفظات على ما سبق ٤٩
شرعية الموقف والموقع ٤٩
إفساح المجال للتشريع الاسلامي ٤٩
إمكانية الثورة وواجب الإلإصلاح ٥٠
شرعية الانتخاب والشورى ٥٠
أفكار للتأمل والمناقشة ٥١
كيف نواجه قضية التغيير في الأمة «هـ» ٥٣
التعليقات الانفعالية ٥٤
التوقيت و إرباك المسيرة الاسلامية ٥٤
إحتواء الثورة وتدجينها ٥٥
جنة الحكم ونار المعارضة ٥٦
طموحات الزعماء وحسابات الدوائر ٥٦
ردود على ما سبق ٥٧
بين الثورة والحركة ٥٧
الحكم وركوب الموجة الاسلامية ٥٨
المعارضة وجماعة المنتفعين ٥٩
رفض التحرك العشوائي ٦٠
الثورة والخيار الوحيد ٦١
مسؤولية صنع القوة و إيجاد البدائل ٦١
مناقشة المصادر الاسلامية ٦٣
من الذي يقود عملية التغيير في الأمة حزب الأمة او أمة الحزب «أ» ٦٥
دور الحزب والأمة ٦٦
الحزب وقيادة الأمة ٦٦
التنظيم والجو الاسلامي ونشوء «حزب الله» ٦٧

العقلية الحزبية والتفاعل ٦٧
اطار العصبية الحزبية ٦٨
شرعية القيادة الحزبية ٦٨
السرية الحزبية والرقابة ٦٩
الحزبية اسلوب غربي ٧٠
منطلقات أمة «حزب الله» ٧٠
العمل بعقل مفتوح ٧١
ظاهرة تنوع لا صدام ٧١
الوعي الشرعي والسياسي ٧١
علنية القيادة ورقابة الامة ٧٢
الأمة والقرار السياسي ٧٢
التفاعل بين الأمة والفقيه ٧٣
من الذي يقود عملية التغيير في الأمة، حزب الأمة أو أمة الحزب؟ «ب» ٧٥
تحديد دائرة التحرك ٧٦
الاسلوب النبوي في مواجهة التحديات ٧٦
الخطة العملية ومصلحة الرسالة ٧٧
طبيعة المرحة وشرعية الاسلوب ٧٨
تطوير الوسائل العملية ٧٩
الحاجة الى التنظيم ٧٩
الخطة الاسلامية المرنة ٨٠
اختلاف أساليب العمل والتعبير ٨٠
مناقشة التفاصيل ٨١
شرعية العمل الحزبي ٨١
استئذان الفقيه ٨٢
حدود ولاية الفقيه ٨٣
التخطيط العام للحركة الاسلامية ٨٣

بحث المسائل	٨٤
١ ـ مشكلة التربية الاسلامية	٨٥
تضخم الشخصية مشكلة عامة	٨٥
٢ ـ الحالة الانفعالية والتعصب الاعمى	٨٦
الطاعة الحزبية والثقة بالقيادة الشرعية	٨٧
الحالة النفسية المعقدة والذهنية الضيقة	٨٨
٣ ـ السرية والظروف الضاغطة	٨٩
سرية الادارة السياسية	٩٠
الزوايا الضيقة والأفق المفتوح	٩١
السرية ليست نصاً منزّلاً	٩١
عقلية الطبقة وعقلية الرسالة	٩٢
الحزبية ووحدة الثقافة والفكر	٩٢
صعوبة اختراق العمل الحزبي	٩٣
الصيغة المثلى ! !	٩٣
من الذي يقود عملية التغيير، حزب الأمة أو أمة الحزب «ج»	٩٥
دور الحزب ودور الأمة	٩٦
خصوصية الاسلام الدينية	٩٦
النداءات القرآنية	٩٧
تفاعل الأمة مع الموقف	٩٧
الاسلوب الجماهيري وتحريك القضايا	٩٩
اطروحة حزب الله	٩٩
الفكرة الحزبية والخط القيادي	١٠٠
حاجات الأمة الخاصة والعامة	١٠٢
دور الحزب المتطور	١٠٣
بين الحزب والشورى	١٠٣
بين الحزب والمرجعية	١٠٤

لقاء الحزب بالأمة ١٠٥
الأحزاب والقاعدة السياسية ١٠٦
الحزبية والخصوصية الدينية ١٠٧
تبلور فكرة حزب الله ١٠٨
علامات استفهام ١٠٨
الحركة الاسلامية بين الانفتاح والإنغلاق «أ» ١٠٩
الاسلام والتيارات المختلفة ١١٠
اسئلة لا بد من الاجابة عليها ١١١
خياران امام التيار الاسلامي: أولاً: الانغلاق السياسي ١١٢
ثانياً: خيار الانفتاح السياسي ١١٤
سلبيات الانغلاق: عزلة التيار الاسلامي واستفادة الآخرين ١١٦
ايجابيات الانفتاح: ابراز أهداف الاسلام ومعرفة الكواليس ١١٧
الانفتاح انطلاقة والانغلاق جمود ١١٩
الحركة الاسلامية بين الانفتاح والانغلاق «ب» ١٢١
كيف نفهم الآيات القرآنية الحاسمة في المباينة مع الآخرين ١٢٢
إثارة الفواصل الفكرية: من أجل اللقاء والوفاق لا التعصب والانفعال ١٢٢
حصانة الأمن العقيدي والمجتمعي أولاً ١٢٣
ضبط الشخصية والبعد عن العُقد ١٢٤
رفض موالاة الاعداء ١٢٥
مشكلة السلوك المنحرف والعقلية العنصرية ١٢٥
مسألة قيم وقضية دعوة ١٢٦
الحوار والصداقة الفكرية ١٢٧
اللقاء في أجواء المعاني الروحية: لا مجاملة ولا هروب بل حذر وواقعية ١٢٨
المحافظة على الوجود ١٢٩
الحركة الاسلامية بين الانفتاح والانغلاق «ج» ١٣١
الانفتاح على أهل الكتاب ١٣٢

هل ننفتح على اليهود ١٣٢
جبهة المؤمنين أمام جبهة الملحدين ١٣٣
اللقاء في بعض المواقع لا يلغي الصراع في المواقع الأخرى ١٣٤
كيف نواجه الصراع السياسي مع النصارى ١٣٤
التعايش هو القاعدة لا المواقع القتالية ١٣٦
الانفتاح على العلمانيين تحدده المصلحة الاسلامية ١٣٦
اللقاء مع التيارات العلمانية لمصلحة الاسلام ١٣٧
الانفتاح على المسلمين مع اختلاف المذاهب من اجل الوحدة ومواجهة القضايا المصيرية ١٣٩
الانفتاح قضية الحياة وكسر الجمود والتعقيد النفسي ١٤٠
الانفتاح لا يلغي التحفظات ١٤١
الحركة الاسلامية بين الانفتاح والانغلاق « د » ١٤٣
الخط الأحمر والضوء الأخضر ١٤٤
١ ـ من سلبيات انفتاح الحركة الاسلامية في النطاق الواقعي: المحاصرة والاختراق والسقوط ١٤٤
٢ ـ من ايجابيات انفتاح الحركة في نطاق الدولة: تركيز الوجود السياسي ١٤٥
٣ ـ الانغلاق ليس خياراً وحيداً لإستقامة الحركة الاسلامية ١٤٦
٤ ـ الانفتاح حاجة وضرورة للحركة الاسلامية ١٤٧
٥ ـ الحركة الاسلامية امام بعض التنازلات لخدمة الموقف الاساسي ١٤٨
الانفتاح في موقع القوة لا الضعف ١٤٩
الانفتاح حالة أصيلة ١٥٠
٦ ـ التجربة الاسلامية الرائدة في نطاق الحركة والدولة ١٥١
الانفتاح أثبت نجاحه وواجه العزلة ١٥٢
الحركة الاسلامية بين السرية والعلنية «أ» ١٥٣
شبهات مطروحة ١٥٤
١ ـ فقدان الثقة ١٥٤

٢ ـ عزل الحركة ١٥٤
٣ ـ فقدان التفاعل مع القيادة ١٥٥
٤ ـ فراغ المسؤولية ١٥٥
٥ ـ الاختراقات الفكرية والأمنية ١٥٦
١ ـ العلنية والعبث القاتل ١٥٦
٢ ـ التخريب الداخلي ١٥٧
٣ ـ الطموحات الشخصية ١٥٧
٤ ـ العقليات المتخلفة ١٥٨
٥ ـ الرياح المتقلبة ١٥٩
العمل في الظروف الضاغطة ١٥٩
المعطيات الفكرية الشرعية للسرية والعلنية ١٦٠
بين السرية والعلنية : قوة القاعدة الاسلامية هي الاساس ١٦٠
١ ـ السرية تحريك البطولة لا البطل ١٦١
٢ ـ السرية «تقية شرعية» ١٦١
٣ ـ التقية بين المؤيد والمعارض : اتفاق في المبدأ واختلاف في التفاصيل ١٦٢
الحركة الاسلامية بين السرية والعلنية «ب» ١٦٥
ـ ١ ـ السرية : غموض الأجهزة لا الحركة ١٦٦
ـ ٢ ـ السرية : انطلاقة من الخلايا الى الأمة ١٦٧
ـ ٣ ـ السرية : ربط المسلمين بالفكرة لا بالشخص ١٦٨
ـ ٤ ـ الاختراق الامني والفكري : امر مشترك بين العمل السري والعلني ١٧٠
السرية والمرحلة الصعبة ١٧٠
دراسة الظروف والمرحلة ١٧١
الحركة الاسلامية بين التطرّف والاعتدال « أ » ١٧٣
ضجة قوية ١٧٤
١ ـ التطرف مرونة وواقعية أم غلو وانحراف؟! ١٧٤
شمولية الاسلام والآراء المختلفة حول التطرف ١٧٥

المغالاة في تفسير النصوص ١٧٥
٢ ـ ابتعاد الواقع عن الطرح الاسلامي ١٧٥
حواجز ومواجهة ١٧٦
٣ ـ الاسلام في الدائرة الثقافية ١٧٧
دائرة تنوع الاديان ١٧٧
٤ ـ المشروع الاسلامي و إلغاء الآخرين ١٧٧
خلافات دموية أو تقسيم للحصص ١٧٨
الاصولية والارهاب وحشر الآخرين ١٧٩
٥ ـ واقعية الطرح وحدته في المعادلات السياسية ١٨٠
التحرك في دائرة المعادلات الدولية ١٨٣
الحركة الاسلامية بين التطرف والاعتدال «ب» ١٨٥
١ ـ شمولية الاسلام والتطرف ١٨٦
الاجتهاد وخط الاعتدال ١٨٧
الحوار مع القائلين بالتطرف ١٨٧
٢ ـ الواقعية وتطرف الفكر التغييري وانطلاقة المستقبل ١٨٨
الواقعية في الوسائل لا الطروحات ١٨٩
٣ ـ تنوع الاديان والتطرف: الاسلام يدعو للحوار بعقل بارد وقلب مفتوح ١٩٠
النصرانية لا تحمل منهجاً سياسياً ١٩١
بين العصبية والعقلانية ١٩١
٤ ـ التطرف الاسلامي يدعو الى الرفع لا العنف ١٩٣
الارهاب دعاية ضد الاسلام ١٩٤
٥ ـ المعادلات الدولية والتطرف ١٩٥
منطق الرسالة بين اللين والعنف ١٩٧
الحملات الاعلامية وحرب الاعصاب ١٩٨
التمييز بين المعتدلين والمتطرفين لتحييد الشخصيات الاسلامية ١٩٨
الحركة الاسلامية بين منطق الثورة ومنطق الدولة ٢٠١

اساليب العمل الحركي ٢٠٢
القلق والاسلوب القرآني ٢٠٢
الامة والثورة المتحركة ٢٠٣
بين الثورة والدولة ٢٠٤
واقعية الثورة ومنطق الدولة ٢٠٥
السنن الإلهية والعناية الغيبية ٢٠٦
الثورة الواقعية والخيالية ٢٠٧
حركة الثورة نحو الدولة : السلبيات والايجابيات ٢٠٨
الحرية في الثورة والدولة ٢٠٨
الدولة قاعدة للثورة ٢٠٩
العلاقات بين الثورة والدولة ٢١٠
غرابة المصطلح ٢١٠
الحركة الاسلامية بين الثقافة الخاصة والثقافة العامة ٢١٣
جدل حول الثقافة ٢١٤
العقلية الحزبية والمنفتحة ٢١٤
الثقافة الخاصة ووحدة الامة ٢١٥
الثقافة العامة وحماية الامة ٢١٦
ملاحظات ومواقف ٢١٨
الثقافة الموجهة والعامة ٢١٨
الثقافة بين الانسان والحركة ٢١٩
بين الدليل والحجة الشرعية ٢٢٠
دور الحركة الاسلامية ٢٢٠
الحركة الاسلامية بين الايجابية والسلبية ٢٢١
أساليب العمل ٢٢٢
الاسلاميون والسلبية ٢٢٢
التقليديون بين الغيب والتقية السلبية ٢٢٣

الاسلاميون في دائرة التنظير	٢٢٤
الموقف الرمادي	٢٢٥
الاجتهاد السياسي والعناوين الثانوية	٢٢٦
الحركة الاسلامية وصيغ العمل	٢٢٩
الرأي الأول : التنظيم مفسدة وتعصب	٢٣٠
الرأي المقابل : التنظيم تركيز للخطوات وصنع للقيادات	٢٣١
التنظيم بإشراف المرجعية	٢٣٣
المرجعية ليست بديلاً عن التنظيم	٢٣٣
الحزبية موقع لتنظيم العمل	٢٣٤
انسجام الحزبية مع المرجعية	٢٣٥
الحركة الاسلامية و إجازة السلطات	٢٣٧
حديث في الوسط السياسي	٢٣٨
الحزب الاسلامي وموقف السلطة	٢٣٨
حركة النهضة في تونس	٢٣٩
سلبية ترك العنوان الاسلامي	٢٣٩
الخطة الاستكبارية	٢٣٩
بين العمل السري والتحرك غير المَعنون	٢٤٠
موقع التقية في التحرك	٢٤١
أين يكمن الخوف؟	٢٤١
الموقف المطلوب والمعركة المفتوحة	٢٤٢
مغالطة واضحة	٢٤٣
بين الايمان والاسلام	٢٤٣
دور الحركة الاسلامية	٢٤٤
الواقعية والمثالية في الاسلوب العملي «أ»	٢٤٥
المفاهيم الضبابية والحلول غير الواقعية	٢٤٦
التعامل مع الواقع والشرعية	٢٤٧

شعار لا شرقية ولا غربية سلاح ذو حدين	٢٤٨
القفز على خطوط التوازن السياسية	٢٤٨
الحياد الايجابي واللاعبون الكبار	٢٥٠
التعاون مع الآخرين والمصلحة الاسلامية	٢٥٠
التحرك والتوقف بحساب	٢٥١
الواقعية والمثالية في الاسلوب العملي «ب»	٢٥٣
العاملون للاسلام وشعار مقاومة الظلم	٢٥٤
الحكمة والمرونة ونهج الائمة (ع)	٢٥٤
التدقيق في الطروحات	٢٥٥
الصلة او اللقاء ليس انتماءً او ارتباطاً	٢٥٦
منح الشرعية والموقف الحاسم	٢٥٦
الرسالة في الفكر والاسلوب والشخص	٢٥٧
الواقعية والمثالية في الاسلوب العملي «ج»	٢٥٩
التفكير بين الواقع والمطلق	٢٦٠
الاسلام أو لا شيء	٢٦٠
بين التقية والواقعية	٢٦٢
التزاحم بين المهم والأهم؟	٢٦٢
الواقعية وسياسة الامر الواقع	٢٦٣
واقعية المشروع الاسلامي	٢٦٤
التخطيط الواقعي	٢٦٦
الواقعية في العلاقات السياسية	٢٦٧
العمل في ظل الانظمة غير الاسلامية	٢٦٨
ـ ١ ـ الرفض والمقاطعة	٢٦٨
ـ ٢ ـ التعايش لا التوافق والتأييد	٢٦٨
اكتشاف الارض والجو الهادىء	٢٦٩
السنة والشيعة امام الكفر	٢٧٠

اللقاء مع أهل الكتاب وغير الاسلاميين لمواجهة الخطر على أرض الاسلام ٢٧٠
الواقعية السياسية لا الميوعة ٢٧٢
القوة وصناعة القرار ٢٧٢
الطرح الحقيقي والطرح المائع ٢٧٣
تعميق الشعارات واثارة الوعي ٢٧٤
الاقليمية في العمل الاسلامي ٢٧٥
ظاهرة الشخصية الاقليمية ٢٧٦
الاستعمار والكيانية السياسية ٢٧٦
الاقليمية عنصر اضعاف وإثارة تناقضات ٢٧٧
بين الوطنية و«الاسلامية» المشكلة تربوية ٢٧٨
وحدة المصالح العامة للمسلمين ٢٧٩
الاقليمية والمصلحة العامة للأمة ٢٨٠
الاقليمية وقضية فلسطين ٢٨٠
الاقليمية في لا شعور العاملين ٢٨١
الوطنية من وجهة نظر اسلامية ٢٨٣
المسلم والوطن ٢٨٤
اولاً: الخط الشعوري العاطفي ٢٨٤
ثانياً: الخط السياسي ٢٨٥
الوطن في المصطلح السياسي ٢٨٦
عناصر مكونات الوطن ٢٨٧
النظرة الاسلامية لمفهوم الوطن ٢٨٧
قيام وطن اسلامي محدود ٢٨٨
الفهم المحدود للوطن ٢٨٨
جبهة وطنية ٢٨٩
الخصوصية الاسلامية ٢٨٩
المسألة الوطنية تحت المجهر ٢٩٠

دور الاسلاميين ٢٩١
الانفعالية في خطوات العمل ٢٩٣
الانفعالية ظاهرة ضبابية ٢٩٤
الانفعالية تجاوز للمرحلة ٢٩٤
الانفعال وهم كبير وحماس ٢٩٥
الثورة الاسلامية وانفعال الجماهير: مشكلة تخلف فكري وسياسي ٢٩٦
الساحة اللبنانية وطابع الاستعجال ٢٩٨
علامات استفهام امام وحدة القيادة وتعددها ٢٩٩
بين الوحدة والتعدد ٣٠٠
الخلفية الواحد والدولة الواحدة ٣٠٠
تعدد القيادة بين الشرع والفقه ٣٠١
نظرية الامامة وولاية الفقيه ٣٠٢
التعددية في الحكم والفوضى ٣٠٢
الوحدة والوضوح ٣٠٣
الأعلمية وولاية الفقيه ٣٠٤
الولاية وأسبقية الاشراف ٣٠٤
الأمة بين وحدة الولي والحكومة والمصلحة ٣٠٥
دراسة نظريات الحكم ٣٠٦
الدولة الاسلامية بين الاسلامية والمذهبية ٣٠٧
العصبية والمشكلة المذهبية ٣٠٨
مشكلة الموقع الوحدوي الاسلامي ٣٠٨
نظرية الإمامة والخلافة ٣٠٩
ـ ١ ـ تجربة الخلفاء الراشدين ٣٠٩
الامام علي (ع) المعلم والمعاون ٣١٠
النموذج الوحدوي المنفتح ٣١١
بين النهج الاسلامي والكافر ٣١٢

العصبية للشخص والحركة ٣١٢
ـ ٢ ـ الاجتهاد والمسائل الفكرية ٣١٣
جو المسؤولية ٣١٤
بين المذهب والقانون ٣١٤
التحديات وتأييد الدولة الاسلامية ٣١٥
المشروع السياسي بين العنوان الاسلامي والعناوين الاخرى ٣١٧
التيار الاسلامي ولونه الفاقع ٣١٨
الطرح العام والأجواء المحمومة ٣١٨
الطرح العام وكشف الأوراق ٣٢٠
الدين والمسألة السياسية ٣٢٠
ـ تغيير الوجدان الحركي ٣٢٢
ـ عملية تجديد شامل ٣٢٢
ملاحظات على مقولة الفريق الاول : ٣٢٣
ـ ١ ـ الصفة الاسلامية والايجابية ٣٢٣
ـ ٢ ـ قناع الصفة العامة ٣٢٤
الصفة العامة والسلبيات ٣٢٥
ـ ٣ ـ العنوان المجدّد والسذاجة ٣٢٧
ـ ٤ ـ المرحلية ووعي الهدف ٣٢٧
نزع الخوف ٣٢٨
الأكثرية والأقلية في المفهوم الاسلامي ٣٢٩
الأكثرية والأقلية ٣٣٠
الأكثرية والأقلية في القرآن ٣٣٠
حكمة الموقف القرآني ٣٣٢
العدد والقيمة والمقياس ٣٣٣
النفاذ الى قلب الأمة ٣٣٥
الرأي العام والزلزال ٣٣٦

الاسلاميون والهزيمة ٣٣٧
القلة المؤمنة والأمل ٣٣٨
السياسة والدعوة في العمل ٣٤١
لا سياسة بل تشريعات ٣٤٢
شمولية الاسلام ٣٤٢
مرحلية العمل ٣٤٣
سلبية مطلقة ٣٤٣
مناقشة الخطين ٣٤٣
السياسة والقضايا المصيرية ٣٤٥
الصحوة الاسلامية ٣٤٥
المرحلية في العمل ٣٤٧
بين الثقافة والسياسة ٣٤٨
التجربة النبوية ٣٤٨
الحركة والواقع السياسي ٣٤٩
السياسة والجهاد والثقافة ٣٥٠
دور المرحلية ٣٥١
خط البطل وبطل الخط ٣٥٣
ظاهرة القيادات والتحرك الفعّال ٣٥٤
قيادة الشخص : سحر وعبادة ٣٥٤
العصبية للشخص : عملية انتهاء لا ولاء ٣٥٥
فكر الشخص : محور للإستنباط والاجتهاد ٣٥٦
بين الشخص والخط ضاع الانسان ٣٥٧
(خط الامام) عنوان للمسيرة وفرز للمجتمع ٣٥٧
الوجه الايجابي للمسألة : وجود القائد القدوة دون الغموض والقلق ٣٥٨
الوجه السلبي للمسألة : الهتاف للشخص يتقدم الهتاف اللفكرة ٣٥٩
نقد الفكرة إساءة للشخص ٣٦٠

الانشداد للشخص بدل الفكر ٣٦٠
المزايدة وعدم وضوح الرؤيا ٣٦١
نقد الفكرة والشخص ٣٦١
المطلوب اعطاء الحرية للنقد الموضوعي ٣٦٢
شرعية الاسلوب واستقامة الخط ٣٦٥
العمل الاسلامي والاسلوب الشرعي ٣٦٦
التقييم على اساس الحقيقة والعدالة ٣٦٧
العاملون والعلماء وفوضى الأحكام ٣٦٨
مشكلة تربية ٣٦٩
حركة الشعار في واقعنا ٣٧١
دور الشعار في حركة الواقع ٣٧٢
معرفة الحدود الفكرية ٣٧٢
الشعار في القرآن: تكوين المشاعر الانسانية حرباً وسلماً ٣٧٣
الشعار في شروطه: كلمة للعقل والعاطفة ٣٧٤
الشعار والواقع: الأرض الضالة والحواجز ٣٧٤
الشعار في مرحلة الدعوة: صدم الفكر القديم ٣٧٥
الشعار في مرحلة الدولة: المرونة لا الإلغاء والتجميد ٣٧٦
خطورة الشعار في دائرة المطلق ٣٧٧